
7
التواصل
AT-TAWASUL
فصلية ثقافية شاملة
السنة الثانية - العدد السابع - الفاتح 1373 من وفاة الرسول ﷺ الموافق سبتمبر 2005 مسيحي
عبد الحميد حقيق / الأرجنتين :
الخطاب الإسلامي
بين الأصالة والتنظير
حسن الباش / سوريا :
المسيحيون الفلسطينيون
في مواجهة الاحتلال
صلاح الدين الجعفراوي / ألمانيا :
الحملة الإعلامية الغربية
على الإسلام
أبو بكر محيي الدين / سنغافورة :
نهج إسلامي موحّد
في الحوار مع الآخر
سورينام
تاريخ.. وواقع
صوفي دي ديزير / فرنسا :
الإنجيلية.. طائفة تسعى للسيطرة على العالم


بسم الله الرحمن الرحيم
قل يا أهل الكتاب تعالوا
إلى كلمة سواء بيننا وبينكم
ألا نعبد إلا الله ولا
نشرك به شيئا
صدق الله العظيم



بسم الله الرحمن الرحيم

د. عبد العاطي محمد عبد الجليل *

الإعلام في الدول المتخلّفة

مشكلة وسائل الإعلام في العالم المتخلّف تكمن في أنها لم تستطع أن تستوعب المتغيرات بالنسبة للأداء الإعلامي، ولم تقتنع بتغير العقيدة الإعلامية، كما أنها لم تحاول أن تتلمّس طريقها في خضم التدافع الإعلامي، ولم توطد نفسها على التواصل الإعلامي..

مشكلة وسائل الإعلامي في العالم المتخلّف تكمن في أنها اختارت أن تكون صوتاً غير مسموع، وصورة غير واضحة، من خلال إصرارها على أن تظل حبيسة الأداء المحنط، في الوقت الذي يمكن فيه وصف ما نحن فيه بالثورة الإعلامية بعد أن ترسخت قيم الثورة المعلوماتية وثورة الاتصالات، ويمكن التأكد من عمق المأزق الذي اختارت أن تعيش فيه وسائل الإعلام في الدول المتخلّفة عبر مختلف أشكال وأنماط وأداء تلك الوسائل.

المشكلة الأكثر عمقاً التي تعاني منها وسائل الإعلام في الدول المتخلّفة إصرارها على أنها المصدر الوحيد للمعلومة، وأنها وحدها التي يتابعها الناس، وأنها وحدها التي يتسابق القرّاء والمستمعون والمشاهدون من أجل الاغتراف من فيض خيرها العميم خبراً وعلماً وثقافة وحدثاً وتصوراً وتحليلاً، وهي في الحقيقة تمارس نوعاً من النفاق القاتل في حق نفسها قبل أن تغرق المتلقي في مستنقع نفاقها...

مشكلة وسائل الإعلام في الدول المتخلّفة تنبع من كونها لم تدرك بعد أن التواصل مع المتلقّي يتطلب سرعة ووضوحاً وصدقاً وعمقاً في عرض وتقديم وتحليل ما تنشره، وهي لذلك تقفل كل أبواب النمو والتطور الواجب عليها فتحها دون خوف حتى يمكنها أن تكسب قارئاً أو مستمعاً أو مشاهداً كل شهر، لا أن تضيع عشرات القرّاء والمستمعين والمشاهدين كل لحظة.

مشكلة وسائل الاعلام في الدول المتخلّفة تكمن أيضاً في تصوّرها أن المتلقي يلهث خلفها مثلما كان منذ عشرات السنين، حين كان قارئ الصحف يحتل مقعداً والمتلقون يجثون تحت قدميه يقص عليهم ما تقوله هذه الجريدة أو تلك المجلة، إنها تتصور أن المستمع يخصص جزءاً من وقته ليشد الرحال صوب من يملك مذياعاً ليشنّف سمعه بنشرة أو برنامج بعد أن يدفع ثمن كوب من الشاي أو القهوة لصاحب ومالك المذياع الأوحد في القرية أو الحي...

وسائل الإعلام في الدول المتخلّفة لم تدرك بعد أن النظرية الإعلامية تغيّرت بشكل لم يعد معه أحد يلهث خلف الوسيلة الإعلامية بقدر ما يختار المعلومة من أي مصدر يختاره من بين مئات الصحف والمجلات والقنوات الفضائية ومئات الآلاف من المواقع في الشبكة العنكبوتية.

وسائل الاعلام في الدول المتخلفة لم تصدق بعد أن المتلقي وهو في سريره في غرفة نومه بإمكانه أن يجوب العالم عبر جهازه المرئي الذي لا تقل قنواته عن المئات في أسوأ الأحوال.. وبإمكانه أن يبحر عبر شبكة المعلومات الدولية ويختار مائة رأي حول حدث واحد، وألف تحليل حول الحدث ذاته... وبإمكانه عبر هاتفه المحمول أن يرى ما يريد من أحداث العالم.

وسائل الإعلام في الدول المتخلفة لم تدرك أهمية الجسور التي تشيدها وسائل الاعلام الأقوى لتتواصل مع المتلقي، ولذا لا تستطيع تلك الوسائل المتخلفة أن تجد لها مكاناً يمكنها من الالتقاء بقارئ أو مستمع أو مشاهد ولو عرضا على قارعة الطريق، فالمتلقي لم يعد يقبل بأن يظل على قارعة الطريق حتى تتكرّم عليه هذه الوسيلة الإعلامية أو تلك بخبر أو تحليل أو معلومة..

المتلقي يفرض نوع التواصل مع الوسائل الاعلامية، ووسائل الإعلام تفرض نوع التواصل مع المتلقي... فهل تدرك وسائل الإعلام في الدول المتخلّفة جزءاً من هذا التغير لتصلح بعضاً مما تعانيه، ولتطل ولو باستحياء على مشاهد ما أو قارئ ما أو مستمع ما؟!

لعلها إن فعلت ستكون قد استيقظت من نومها العميق، ولعلها وبعد جهد جهيد تستطيع أن تبدأ من الصفر...

* كاتب وصحفي وأستاذ جامعي - ليبيا

في هـذا العـدد

التواصل
AT-TAWASUL
تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الثانية ـ العدد السابع
الفاتح 1373 من وفاة الرسول ﷺ
الموافق سبتمبر 2005 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني ـ كلم 5
هاتف: 4800730 / 4808461ـ5
بريد مصور: 4800736
ص.ب: 86086
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني
INFO@AT-TAWASUL.INFO
ARAA@AT-TAWASUL.INFO

الموقع على شبكة الانترنت
WWW.AT-TAWASUL.INFO

شـــروط النشـر فـي مجـلـة

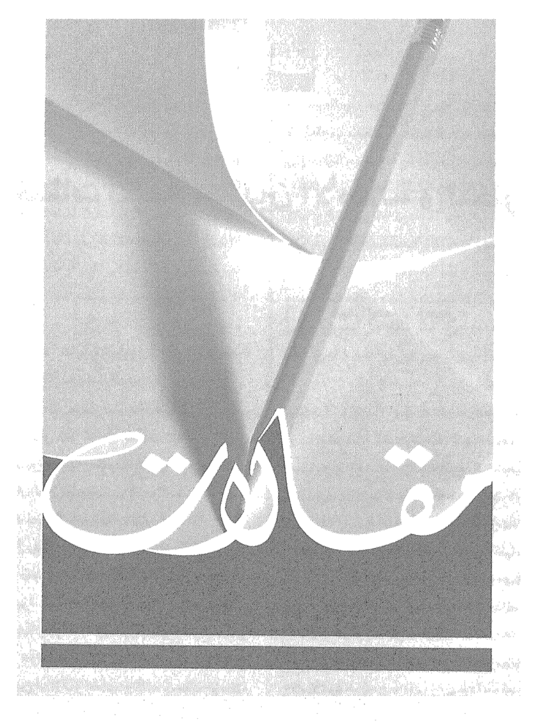


ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- ❖ أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيقٍ للمصادر والمراجع.
- ❖ أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- ❖ أن يكون البحث أو المقال خِلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ❖ ألاّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ❖ ألاّ يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى.
- ❖ أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- ❖ أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- ❖ في حالة الترجمة لا بدَّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- تعرضُ الأعمال المقدّمة للمجلة على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافآت مالية مناسبة.



- الخطاب الإسلامي بين الأصالة والتطوير
- علم مقارنة الأديان... نشأته وأهدافه
- المسيحيون الفلسطينيون في مواجهة الاحتلال
- الانجيلية... طائفة تسعى للسيطرة على العالم
- الفن السابع... البحث عن مملكة السماء!!
- الآثار الاجتماعية للعولمة



الخطاب الإسلامي بين الأصالة والتطوير

د. عبد الحميد حقيق*

لا يخفى علينا أنه في هذا العصر الذي تتمركز فيه قنوات الإعلام المختلفة من صحف وإذاعات مسموعة ومرئية تبث برامجها على مدار الساعة في عصر العولمة، تصب وتنشر موادها في جميع أنحاء العالم، تؤثر في مكانة الإسلام والمسلمين في الغرب، وأن الجهود المطلوب بذلها لتصحيح صورة الإسلام وتفعيل دور الحوار تتطلب تعاون أجهزة حكومية وغير حكومية إسلامية وعربية وأفراد للنظر بواقعية وشمول وصراحة مع النفس فيما يدور حولنا وبيننا لاختيار الطريق السليم للدفاع بشجاعة عن إسلامنا الحميد وتأكيد وسطية الإسلام واعتداله وسماحته.

أولاً - قصور الخطاب الإسلامي:

وفي هذا الصدد فإن قصور الخطاب الإسلامي وعدم نجاحه في مخاطبة الغرب أثّرا في نظرة أهل أمريكا اللاتينية، بحيث ظل الأمر كما يريده المتعصبون والحاقدون وحتى الجاهلون منا، وهذا القصور يبرز في الخطاب الإعلامي بصوره المختلفة وفي خطاب الدعاة، وفي المنتديات والحوار وغيرها.

وأمام هذه الفجوة وتلك الهوة السحيقة التي حدثت بين الإسلام والشرائع والقوميات يبرز التساؤل عن دور الدعاة الموجودين في كل بلد من بلدان الغرب في التعريف الصحيح برسالة الإسلام الحضارية والأخلاقية، فعلى الدعاة القيام بدورهم في التعريف المشار إليه، وهذا جزء من مهمتهم إن لم يكن الجزء الأكبر والأساسي، ولبلوغ ذلك يقع على عاتقهم القيام بما يلي:

أ) اعتبار هذا الواجب جزءًا من رسالة الداعية الإسلامية:

كثيرًا ما يعتني الدعاة بالأمور الدينية والشرعية فقط، ولكن على كل داعية تحمل مسؤولية رصد ما يكتب عن الإسلام سلبًا أو إيجابًا، وظاهرة محاربة وتشويه صورة الإسلام، ومعرفة أسبابها والعمل على نشر تعاليم الإسلام الصحيحة بالحكمة والموعظة الحسنة، ومناقشة الشبهات مع أصحابها ومحاولة دحضها وردها.

إن حرب التشويه والتضليل هي حرب قديمة وغير

* كاتب، باحث / المنظمة الإسلامية لأمريكا اللاتينية / الأرجنتين

شريفة، ولم تكن بأقل ضراوة من الحروب العسكرية التي واجهها المسلمون في صدر الإسلام، ودخلوا في مواجهة دبلوماسية وفكرية مع الخصوم انتهت إلى تجلية الحقيقة ودحض الشبهات. وبمطالعة أول مواجهة دبلوماسية بين المسلمين وقريش خارج مكة على أرض الحبشة يتبين لنا كيف استطاع المسلم بكل دبلوماسية أمام ملك الحبشة توصيل الرسالة، والتعريف الكامل والصحيح بدعوة الإسلام وفضح الباطل وتعريته، ورجوع كفار مكة من الحبشة خالي الوفاض مهزومين مدحورين بحكمة المسلمين وأسلوبهم الحسن.

نعم أقيمت ندوات وعقدت مؤتمرات كثيرة تهدف إلى تحسين صورة الإسلام والمسلمين في أعين الغرب لكنها كانت في الحقيقة ندوات متعجلة كرد فعل للأحداث وموضوعًا للاعتذار عن أحداث لم يرتكبها المسلمون، بل عن بعض المبادئ الشرعية التي لا تروق الغرب، وهذا في الحقيقة خطأ وخطر عظيمان، نحن في حاجة إلى أسلوب جديد للتعريف بالإسلام، ودحض الشبهات يقوم على الاعتزاز بالإسلام عقيدة وشريعة، وبوضع مؤهلات الإسلام العالمية والقيادية لفضح الجاهلية المعاصرة وممارستها الشاذة والمتحيزة التي لا تعتمد على منطق أو عقل أو شرع.

❖ ما لم يصاحب الحوار محاولات جادة من قبل الأمة لتصحيح مسارها فلن يجدي الحديث عن القيم والأخلاق.

ب) ـ تبني أسلوب الحوار مع الآخرين وتشجيعه :

بالرغم من هذا الكم الهائل من المؤتمرات والحلقات والمقالات، فإن أثر هذا الحوار يكاد يكون معدومًا حتى وصف بعضهم حوار المسلمين والمسيحيين بأنه حوار ضائع بعد أربعين سنة من الشروع فيه، وما زالت الهوة تتسع يومًا بعد يوم وما زالت العقلية الغربية متمسكة بموروثاتها العقائدية والفكرية عن الإسلام والمسلمين، ويرجع ذلك إلى أمور عدة منها:

❖ لا يصدق على كثير من المحاولات في الحوار المعنى الاصطلاحي لحوار الأديان أو حوار الحضارات، فالحوار الحقيقي هو البحث عن معرفة واكتشاف الآخر وبلورة رؤية واضحة دون اللجوء إلى إصدار أحكام مُسبقة متحيزة، أما ما نشاهده من حوارات الأديان والمساجلات الفكرية، والسعي إلى إثبات تفوق وتميز طرف على آخر أو طغيان الناحية الإعلامية فإن ذلك لن ينفع الحوار المنطقي ولا مصالح المتحاورين.

❖ يغلب على الكثير من المؤتمرات إصدار توصيات يفرضها الطرف الأقوى ويجعلها أقرب إلى تظاهرة سياسية تغلب عليها المجاملة.

❖ اقتصار الحوار على النخبة الفكرية الدينية والسياسية دون إشراك كل القطاعات الفاعلة في المجتمعات أو الوصول إلى الفرد العادي، ومن ثمّ فمهما انتهت هذه المؤتمرات إلى نتائج فإنها لن تؤثر في الأفراد.

❖ عدم وجود تكتل إسلامي في الحوار أمام التكتلات الأخرى، فتواجه الدول الإسلامية هذه التكتلات وهي متشرذمة متفرقة، لذلك يجب أن يكون المسلمون متساوين مع منافسيهم ويشكلوا تكتلاً إسلاميًا موحدًا في مواجهة التكتلات العالمية، وما لم يدرك المسلمون سبيل الوحدة الإسلامية فلن يكون لديهم أمل في الندّية والمساواة مع الآخرين.

❖ جهل بعض أهل الغرب بالحضارة الإنسانية الإسلامية ومحاسنها، وتعمد البعض الآخر وصف الإسلام والمسلمين بالتخلف الحضاري والسياسي والعلمي للدول العربية والإسلامية من أجل أن تكرس نظرة الغرب إلى الأمة، وتؤكد مقولات المستشرقين.

❖ سيطرة اتجاهات معادية وحاقدة على الإسلام

والمسلمين على وسائل الإعلام الغربية ومراكز اتخاذ القرارات، لذلك يجب أن تكون صيغة الحديث محاطة بمحاولات جادة للتعريف وتصحيح الصورة.

❖ قلة الانفتاح على النخبة الفكرية والسياسية المستنيرة المتعاطفة مع قضايا المسلمين، وعدم الاتصال بالشريحة الأخرى التي لديها رأي مخالف لتوضيح المغالطات وأساليب تصحيحها، ودحض الافتراءات الملصقة بالإسلام، وإبراز انفتاح الحضارة الإسلامية على الحضارات الأخرى، إسهامات الثقافة الإسلامية في إنماء الثقافة الغربية.

❖ عدم معرفة الدعاة بالبلدان التي يرسلون إليها معرفة جيدة، وعدم مخاطبة أهلها بلغتهم مما أدى إلى ضعف في نشر الثقافة الإسلامية، وعدم القدرة على الرد على وسائل الإعلام التي تتعرض إلى تشويه الإسلام. إن عدم معرفة الدعاة بلغة البلد يؤثر أيضًا في أفراد الجالية المسلمة في الغرب الذين لا يجيدون نطق اللغة العربية فيجدون حاجزًا للحوار مع الدعاة وطرح بعض الأسئلة الشرعية والشخصية عليهم دون وجود وسيط أو مترجم.

ولذلك إذا أردنا حوارًا منتجًا وفعالاً يجب تلافي هذه العيوب أولاً، وعندها يكون فعلاً أداة تفاهم وتعايش ويحل محل النزاع ويرسخ ثقافة السلم والعدل، وما لم يصاحب الحوار محاولات جادة من جانب الأمة لتصحيح مسارها فلن يجدي الحديث عن القيم والأخلاق.

ج) معرفة الطريق إلى الشعوب وتقديم الخطاب الإسلامي لها مباشرة:

إن غياب وجهة النظر الإسلامية بشكل واسع في بعض القضايا المعاصرة مثل الاستنساخ والإجهاض والبيئة وحقوق الإنسان والإرهاب وغيرها، لا يساعد الشعوب الغربية في فهم رأي الإسلام في هذه القضايا ومن ثم إزالة الشوائب والفروقات، صحيح هناك قضايا ووجهات نظر متفق عليها وأخرى لا، فعلينا شرح ما هو متفق عليه وبيان أسباب الخلاف وخصائصه إذا كان الأمر يتعلق بالدين أو الثقافة الإسلامية حتى نصل إلى الفهم المتبادل، أي أن الغرب يلم بالفهم الصحيح للإسلام والثقافة الإسلامية، وفي المقابل الفهم الصحيح للغرب وحضارته وثقافته عند المسلمين.

❖ تحمل مسؤولية رصد ما يكتب عن الإسلام سلبيًا وإيجابيًا.

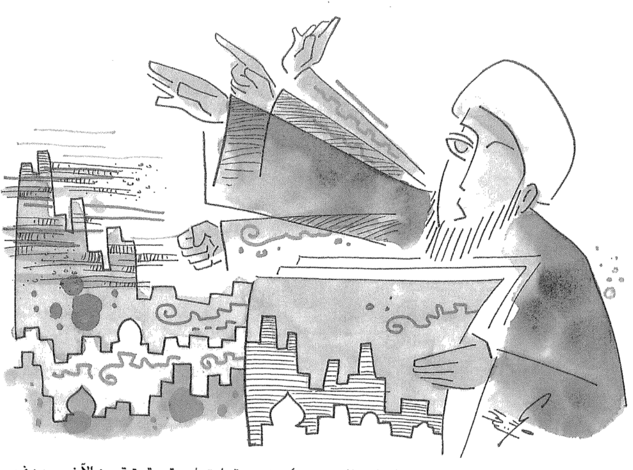
❖ ما لم يدرك المسلمون سبيل الوحدة الإسلامية فلن يكون لديهم أمل في الندية والمساواة مع الآخرين.

ودعوة رجال الثقافة والفن والإعلام والصحافة وغيرهم للمشاركة في مؤتمراتنا وحفلاتنا وإشعارهم باعتراف الإسلام بالآخر وأن الإسلام دفع مبدأ التعددية وحرية الاختلاف، وإنشاء أقسام للدراسات الإسلامية في الجامعات الغربية التي لا يوجد فيها مثل هذه الأقسام، ودمج المسلمين المقيمين في الغرب في مجتمعاتهم وإحساسهم بالمسؤولية التي تفرضها واجبات المواطنة والسعي حثيثًا إلى أن تكون حلقة الوصل ومد جسور الحوار مع المؤسسات المدنية والحكومية بقصد التعايش السلمي، ونشر الخير والنفع الشامل والنهوض بواقع المسلمين في المجتمعات الغربية محافظين على هويتهم الحضارية الإسلامية.

ثانيًا - الخطاب الإسلامي الموجه:

حتى يستطيع الخطاب الإسلامي المعاصر تخطي عقبات القراءة التقليدية لمضامينه، يجب أن يعتمد الأسس والقواعد التالية:

أ) الفهم العميق والدقيق لمضامين ومكونات الخطاب الإسلامي في بعديهما المقدس والاجتهادي.



ب) الفهم العميق والدقيق لمضامين ومكونات الخطاب الإسلامي في بعديهما المحلي والعالمي وحدودهما الفاصلة بنية وتوجّهًا.

ج) الفهم العميق والدقيق لمضامين ومكونات الخطاب الإسلامي في إطار سياق التاريخ التجريبي.

د) فقه المعطيات الواقعية المحلية الإقليمية والعالمية منها بشكل خصوصي وأدق، والتمييز بين ما يجب أن يوجه إلى المدعوين المحليين وبين ما يوجه إلى المسلمين في الغرب باختلاف طبقاتهم الثقافية.

هـ) عدم إهمال التراكمات الإسلامية الحضارية في جوانبها: العصري والعلمي والفلسفي والثقافي والفكري والتقني.

و) تجاوز مرحلة الحنين والاستلطاف والإعجاب القائمة بين المعاصر والماضي ولا سيما ما له علاقة بالتجربة التاريخية.

ز) تقديم قراءة واعية ودقيقة عن الآخر، بهدف ضمان صيغة خطاب ملائم للوسط والمناخ.

ح) محاولة علاج الفروقات والرواسب الموروثة عن فهم الماضي لمضامين وبيان الخطاب الديني الموجه إلى الجانب الآخر، وذلك بخلق جو من التناسب وإشعاره بالثقة المطلقة بما نريد إيصاله.

ط) الإحساس بالمسؤولية الملقاة على الآخر من جراء الزهد في تحمل المسؤوليات الحضارية، والاستنكاف عن قيم البذل والعطاء المفروضة على الذات وعلى الآخر على حد سواء.

ي) اعتماد آليات محددة لصياغة برامج مشتركة مع الغرب يمكن تنفيذها بسهولة لتكون قاعدة للعلاقات الإسلامية الغربية، وإزالة سوء الفهم وتصحيح ما هو غلط.

ك) نبذ الغلو والتطرف والإرهاب من خلال اللقاءات والمحاضرات وتبادل الأفكار مع الساسة والقياديين

الغربيين سواء على المستوى الديني أو الثقافي أو الأكاديمي.

ولمجرد توافر ضمانات حسن قراءة مكونات الخطاب الإسلامي، يمكن لهذا الخطاب أن ينطلق من العالمية الإسلامية في شكلها المتطور المعاصر، نحو العالمية الكوكبية المستقبلية بنوعية خطاب جديد وفق معادلة تكوين بنية الخطاب العالمي.

وإن تأتّى لهذا الخطاب الإسلامي الانفتاح على الآخر، وفتح منظومة دينية لقراءة وفهم الآخر له، قراءة علمية منهجية، في ذلك الوقت ستتأكد أصالة وصلاحية الخطاب الإسلامي محليًا وإقليميًا وعالميًا، كما ستتأكد أيضًا أصالة وصلاحية نظرته إلى الآخر التي ستكون طريقه نحو العالمية الكوكبية.

ثالثًا - الإنترنت كوسيلة لتحسين صورة الإسلام والمسلمين في الغرب:

❖ إن مواقع الإنترنت الإسلامية قليلة جدًا مقارنة بالمواقع العلمانية.

❖ ميزات الإنترنت تحتم على المسلمين حسن توظيفها وفق دعوتهم، ولا حجة لهم في التقصير أو التخاذل لمواكبة العصر.

❖ بث وسائل الإعلام على الشبكة لغير المسلمين وسيلة فعالة لضمهم إلى الحظيرة الإسلامية.

❖ يشكل التراجع الفكري والتخلف الثقافي جزءًا من الواقع الإسلامي الراهن بأبعاده السياسية والثقافية، وهذا التخلف هو النافذة التي ولج منها خصومنا.

❖ من أبرز مظاهر التخلف الطرق التي يتم التعامل بها مع منجزات العلم وأدواته في الحياة المعاصرة على الصعيدين الإنساني والتقني، وقد سبب هذا التخلف عجزًا ليس في ممارسة الحياة أو فهم أدواته فحسب، ولكن في فهم الإسلام واستيعاب أهدافه وتبليغ رسالته، وقد وفرت التقنية الحديثة وسيلة اتصال جديدة لا تقل في إمكاناتها ووظائفها عن الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية وهي شبكة الإنترنت، فهي قليلة التكاليف إلى حد كبير مقارنة بالوسائل الأخرى، وإلى جانب هذا تكاد تكون الوسيلة الأنسب والأفضل بين غيرها من الوسائل لتبليغ رسالة الإسلام لغير المسلمين في الغرب.

وقد بدأ ظهور المواقع الإسلامية منذ عام 1993 مسيحي، وكانت هذه المواقع الأولى باللغة الإنجليزية، ثم ظهرت مواقع بلغات أخرى وبأحجام ومواد مختلفة ولكن معظمها كان محدود التأثير ويحتوي على معلومات سطحية وأكثرها غير صحيح، ويظهر هنا القصور بشدة في حجم المواقع باللغة الإسبانية والبرتغالية.

❖ ما نشاهده من حوارات الأديان والمساجلات الفكرية، والسعي إلى إثبات تفوق وتميز طرف على آخر أو طغيان الناحية الإعلامية فإن ذلك لن ينفع الحوار المنطقي ولا مصالح المتحاورين.

وفي الآونة الأخيرة ظهرت بعض المواقع المتميزة، التي يشرف عليها متخصصون في مجالات مختلفة تدعمهم الهيئات والمنظمات والمؤسسات الإسلامية في بلدان مختلفة في العالم الإسلامي.

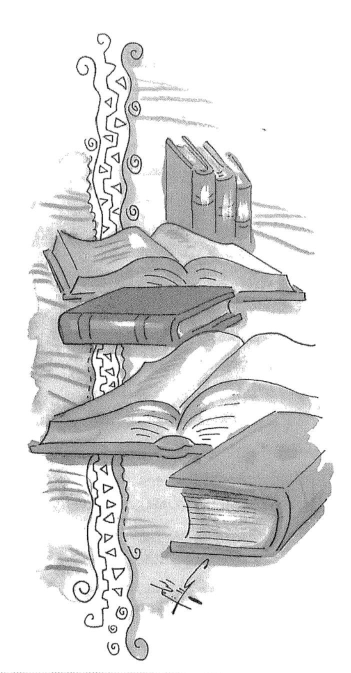
ومن المواقع المميزة في اللغة الأسبانية موقع المنظمة الإسلامية لأمريكا اللاتينية ومواقع إسلامية أخرى في الأرجنتين والبرازيل والإكوادور والمكسيك وتشيلي وغيرها.

هذه المواقع تتميز بحسن التخطيط، فقد خرجت في تصميمات جيدة ومادة أفضل مما سبق لكن هناك بعض القصور الذي يجب تلافيه، ولا تزال الساحة بحاجة إلى المزيد من المواقع الإسلامية باللغة الأسبانية ونشرها وتصميمها بأسلوب علمي حديث على أسس إيجابية بحيث يستفاد من هذه التجارب بتقديم الجديد دائمًا وبأسلوب شائق وجذاب.



علم مقارنة الأديان .. نشأته وأهدافه

عمر لطفي العالم *





قبل ثلاثة عقود، ألقى د. عبدالجليل شلبي محاضرة جاء في بعضها:

❖ (علم مقارنة الأديان علم حديث النشأة، وُلد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ويرجع الفضل في نشأته واستقلاله إلى العالم الألماني الشهير ماكس ميللر سنة 1900م).

❖ وجاء أيضًا: (كان موللر دعا من قَبلُ إلى إنشاء علم مقارنة اللغات وإعطائه كرسيًا خاصًا في جامعات ألمانيا).

❖ وجاء ثالثًا: (لكنّه - أي ميللر - لما دعا إلى إنشاء كرسي لدرس الديانات المقارنة، لم تجدْ دعوته آذانًا صاغية في أول الأمر، ويبدو أن سبب التغاضي عن هذه الدعوة رغبة القوم في عدم دراسة أديان غير دياناتهم، أو أنهم رأوا أن يكتفوا بما يُدرس منها ضمن علوم الفلسفة والاجتماع).

❖ (وأنشئت في لندن كلية اللاهوت التي قامت على دراسة الأديان القديمة والحديثة ولم تقتصر على درس الكتاب المقدس للديانتين اليهودية والمسيحية) (للمزيد أنظر ص 97 - 98، مجلة العلم والأديان، أغسطس 1981 مسيحي).

من جهة أخرى علل الباحث عدم اهتمام الهيئات

* كاتب وباحث ليبي / سورية

والمراجع الدينية الإسلامية بهذا النوع من الدرس إلى قناعتها بأن (الدين الصحيح هو الإسلام، وليس ثمة ما يدعو إلى درس أفكار خاطئة وعبارات كلها كفر) (المصدر السابق نفسه ص99).

ولقد دافع دفاعًا مجيدًا عن إدخال هذا الفرع إلى الجامعات الإسلامية: (إننا ندرس الفلسفة بكل فروعها وأنواعها، لا نفرق بين فلسفة وثنية أو مسيحية أو إسلامية، لأن كمال الدرس يدعونا إلى الإلمام بكل أفكاره... ولأجل إعداد دعاة للدفاع عن الدين ونشر أفكاره وتصويرها أمام الناس تصويرًا ناصعًا ومضيئًا.. ولا يتحقق هذا بدون درس الديانات الأخرى بقطع النظر عن صحتها وفسادها على نحو ما تفعل الكليات اللاهوتية) (ص100).

وللحق فقد أعجبني من بحثه الكثير ولم يُسئني إلا اليسير، ومن هذا اليسير قوله: (وفي الوقت الحاضر بعد أن تقاربت أطراف العالم وامتزج الشرق بالغرب، وبعد أن تنبه الكثيرون لخطر الفكرة الإسلامية، أصبح الإسلام يعاني هجومًا عنيفًا من جهات متعددة..) (الصفحة السابقة نفسها).

لقد تحدث الكاتب كما رأينا عن خشية الغرب من الخطر، وإذا كنتُ لا أعرف بالضبط نوع الخطر الذي عنى، كما لا أعرف أن الإسلام شكّل يومًا تهديدًا لأحد باستثناء الطغيان والإفساد في الأرض، أذكِّرُ بأن تاريخ الهجوم الرسمي الموثق ضد الإسلام ليس جديدًا، وقد بدأ قبل الفترة التي حددها الكاتب بزمن بعيد.

كم أتمنى بهذه المناسبة على باحثينا الأجلاّء أن يكونوا أكثر إفاضة في شرح الفكرة التي يتناولون، ثم الانتقال انتقالاً منطقيًا من المقدمات إلى النتائج، كي لا يُعمى على القارئ غير المستنير فيخبط في متاهات الظن والتأويل.

وباتفاق معظم المؤرخين فتاريخ الهجوم المنظم الذي عُرف باسم (Polemic) وكتب فيه غير واحد من مشاهير المستشرقين، يرجع في الأساس إلى العام 1141 مسيحي، تحت عنوان الهرطقة (Heresy)، ثم توالت محاولات النيل من شخصية الرسول الأعظمﷺ، وأخذت بالانحدار في سُلَّم الانحطاط حتى ملَّتها الآذان لكثرة ما فيها من فُحش وسباب. ولقد برَّر (قوله) وهو الأكاديمي المخضرم، برَّر بذاءة الألفاظ تلك بأسبقية المسلمين إلى (فتح النار)، وكان يقصد تشهير القرآن بالشرك والتثليث. لكنني سأستبق مخالفًا في ذلك تقنية البحث، فأسجل بابتهاج تطوُّر منهج البحث الغربي باتجاه العقلانية والاعتدال، إنْ لم نقُل الانفتاح الصادق على الإسلام.

أصبح واضحًا أن الاستشراق أو الإفادة من العربية في شرح الكتاب المقدس، شكل مدخلاً مناسبًا لدراسة الأديان عمومًا من الناحية العلمية، وللاهتمام بعلم (مقارنة الأديان)

إنَّ ماكس ميللر عالمٌ ما في ذلك شك، لكنَّ الفضل في نشأة (علم الدين المقارن) لا يعود إليه في المقام الأول، بل إنّ بروز هذا الفرع المُهم من العلوم الإنسانية لم يكن وليد ابتكار، بل كان حصيلة لواقعة علمية عفوية أطلعنا على تفاصيلها عالمٌ مشهود له، نشر مقالة تحت عنوان «الدراسات العربية في ألمانيا»، جاء فيها: «إن عالم اللغة السنسكريتية في أثناء البحث عن أصول الخرافة قاده البحث إلى اكتشاف منهج البحث المقارن».

من ذلك نفهم أن قاعدة عريضة للبحث وُجدت في المجال الأدبي مطلع القرن الثامن عشر، أي قبل التفكير في ربط براءة الاختراع بأي شخص جاء بعد هذا التاريخ.

أما في المجال الديني أو الدين المقارن، وهو محور البحث ومداره، فقد كانت القفزة نحو هذا التخصص سريعةً ونوعيةً وكان رائدها باحث يهودي (أبراهام جايجر).

لقد سبق أن أشرت في غير موضع ومناسبة إلى أن أهمية هذا العمل لا تكمن في أنها فتحتْ بابًا يأبى أن يغلق، أو أنه حاز به جائزة أفضل بحث في الدراسات الإسلامية، بل لأنه وضع به أسس منهج البحث للدين المقارن، دون أن يحسب لذلك حسابًا أو أن يزعم بأنه يمهد لعلمٍ سيشق طريقه إلى الجامعات والمعاهد العليا، ليس على مستوى ألمانيا وحدها بل على مستوى القارة الأوروبية ومن بعدها العالم أجمع.

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في السنة نفسها، أما الطبعة الثانية المنقحة فقد ظهرت في مدينة لايبزيغ سنة 1902 مسيحي، تحت عنوان: (ماذا أخذ محمد عن اليهودية؟).

من جهة أخرى لم يكتف الكاتب بضرب المثل من (دينين)، بل قارن وهو يضع عقيدته التوراتية نصب عينيه، لكنَّ الأهم من هذا كله أنّه صدَّر كتابه بدستور للعمل جاء فيه:

1) يأخذ المتأخر من المتقدم والعكس غير صحيح.
2) لا تجوز المقارنة إلاّ بين موضوعين متجانسين من زمنين وثقافتين مختلفتين (هنا الإسلام واليهودية).
3) لا بد من توافر عنصرين أو أكثر للمقارنة.

إن تصيُّد النظائر (Paralells) يشكل جوهر المقارنة سواء كان ذلك في حقل الأديان والأدب وربما الفقه والقانون وغيره في ما بعد. ولأن القصص الديني (هاجاداه) تليه الشريعة (هالاخاه) يحتلان النصيب الأوفر من التراث اليهودي الديني، فلا عجب إن انصبَّ همُّ الباحث على قصص القرآن الكريم في المقام الأول وعلى التشريع في الدرجة الثانية. وإذا صحَّ أن نشبه عمله الريادي بحجر أُلقي في بركة ساكنة، صحَّ أن ننظر إلى البحث باعتباره ذلك الحجر، وإلى عشرات البحوث التي نسجتْ على منواله بأنها الدوائر والحلقات، وإذا لم يزدْ كتاب (جايجر) على 150 صفحة فقد بلغ كتاب (سباير Speyer) (القصص الكتابي في القرآن) زهاء ألف صفحة، بدأت بالتكوين (Census) في السفر الأول من التوراة، وتلتها قصة آدم والنشوء لتنتهي بأقصر القصص.

وإذا عدنا بالذاكرة إلى أن حركة الاستشراق بدأت بداية دينية تبشيرية وكان فرسانها الأولون من القساوسة والرهبان، واستمرت كذلك حتى وقت متأخر من القرن الثامن عشر، أي إلى حين ظهور المذاهب والتيارات الفكرية لا سيما المذهب العقلي (Rationalism). فقد أصبح واضحًا ان الاستشراق أو الإفادة من العربية في شرح الكتاب المقدس، شكل مدخلاً مناسبًا لدراسة الأديان عمومًا من الناحية العلمية، وللاهتمام بعلم (مقارنة الأديان).

لا ينبغي للمقارنة أن تتخطى الدور العلمي الموضوعي الى مراهنات وكشف حساب بين الأطراف.

إذاً، إن النتيجة الحتمية التي لا ينبغي أن تغيب عن بال دارس – مهما عظم – هي ارتباط هذين العِلْمين أحدهما بالآخر ارتباطًا وثيقًا، كما أن الضلوع بهما يُعد من اللزوميات إن لم نقُل إحدى البديهيات.

أما النتيجة الثانية التي يمكن استخلاصها من هذا العرض، فصفوةُ القول فيها إن علم مقارنة الأديان والاستشراق قبله علمان مغرضان خلافًا لكل رأي سائد، وإنما وُجد أساسًا للرد على الإسلام بدليل الحجم الذي احتله مقارنة بالعقائد والأديان الأخرى.

يقوم مبدأ المقارنة كما رأينا على وجود أشباه ونظائر، وينطبق هذا القول على عدد من العلوم. ولعل التأثُّر والتأثير أو التصدير والتلقي بين حقلين متشابهين هما الركيزتان الأساسيتان والسمتان المميزتان لهذا العلم. ربما تحدث النقاد عن شيء اسمه (توارد الخواطر) دفعًا لحجة أو دفاعًا عن

ثقافة كما حدث مع أبي العلاء وكوميديا دانتي الإلهية، التي قال عنها آخرون بل إنها بين محيي الدين بن عربي ودانتي (هـ. بيكر «الإسلام في إطار تاريخ الحضارة العامة»). وأيًا كان شكل التأويل فالأمر في الدين مختلف، وإذا أقام دعاة (السرقة الدينية) دعواهم على أنه يصحّ في النص المقدس ما يصحُّ في غيره من خضوع للنقد بوصفه نصًا مكتوبًا، فنّد المدافعون هذه الفكرة بالقول: إنّ التشابه لو وُجد فإنما يرجع إلى سبب واحد ألا وهو وحدة المصدر.

كان د. محمد عبدالله دراز في مقدمة المدافعين عن استقلالية النص القرآني: «لو سلّمنا جدلاً بالأمور الكبيرة، فما بال الأمور الصغيرة والتفاصيل الدقيقة؟» (كتابه «النبأ العظيم»). لكنّ مالك بن نبي في (الظاهرة القرآنية) قدّم نموذجًا برع فيه بإبراز خصائص القصة القرآنية نفسيًا وأسلوبياً وعقدياً من خلال قصة يوسف ـ عليه السلام ـ ، وبدتْ أوجه التقابل التي سبق إلى ذكرها النقاد الغربيون، وزعموا أنها مستقاة من العرض الكتابي لحكاية (يوسف وزليخا) بدتْ باهتة يغلب عليها الطابع الميثولوجي الساذج البعيد كل البعد عن تماسك النص القرآني القصصي.

أما تيودور نولدكه في كتابه (تاريخ القرآن) فلم يُعول كثيرًا على المقارنة، برغم ما اشتهر به من أهلية فائقة في مجال فقه اللغة المقارن.

لقد أشار كعادة الجميع إلى الجاليات اليهودية والنصرانية وتجمعاتها في شبه جزيرة العرب، وحاول ردَّ الكثير من المفردات العربية إلى أصول آرامية أو عبرانية أو حبشية، لكنه عاد فأنكر أن تكون ألفاظ القرآن، لا سيما المتعلقة بالعبادة منها، مستعارة من المعجم اللغوي للديانتين. وقلّل نولدكه من احتمالات الاقتباس بطريق النقل المباشر، وإذا حدث فقد تمَّ بحسب اعتقاده بالمشافهة وحدها!!

لقد كانت عدوى المقارنة شديدة، شديدة إلى درجة محاسبة الحرف واللفظ، والفكرة والتركيب، والمعنى والمصطلح، وشديدةٌ بأن جعلت لغويي ذلك العصر يحنقون ويغضبون ويصفون جهابذة اللغة بأنهم (نباشو قبور الثقافات)، دعوا إلى نبذ التقعّر في اللغة والانصراف بدلاً من ذلك إلى العناية بجمال الثقافات. لكن الأكاديميين واللاهوتيين لم يعروا مثل هذه الدعوات أذنًا صاغية بل سموها بالرومانسية، وهو وصفٌ للأعمال المبتذلة غير الجادة.

باتفاق معظم المؤرخين فتاريخ الهجوم المنظم الذي عُرف باسم(Polemic) وكتب فيه غير واحد من مشاهير المستشرقين، يرجع في الأساس إلى العام 1411مسيحي، تحت عنوان (الهرطقة Heresy) ثم توالت محاولات النيل من شخصية الرسول الأعظم ﷺ، وأخذت بالانحدار في سُلَّم الانحطاط حتى ملَّتها الآذان لكثرة ما فيها من فُحشٍ وسباب.

وليت عدوى المقارنة اقتصرت على الأعمال الكبيرة، فدائرتُها الجغرافية والتاريخية والثقافية اتسعت حتى شملت جاهلية العرب، ومجوسية الفرس، ووثنية اليونان، وحضارة ما بين الرافدين (هـ. بيكر «الإسلام في إطار تاريخ الحضارة»). فمِنْ سجع الكهان وأسلوب القسم الجاهلي، إلى مشاهد الدينونة، إلى أسماء الملائكة كلُّها وغيرها الكثير مقتبس. فإذا حدث ووقعت المخالفة كما في (يا أخت هارون) على سبيل المثال في الخطاب الموجه إلى (مريم رضي الله عنها)، قالوا: لقد أفلتتْ معلومة تاريخية من محمد فهارون ليس أخًا لها وليس بينهما جامع زمن. ومن شذ منهم فرغب عن هذه الفسيفساء المفتعلة، واستاء من تفتيت النص المقدس إلى عشرات الجزئيات، عاد فقدم تصورات تاريخية أكثر سخفًا كما فعل يوهان فوك في مقالته (حول أصالة النبي العربي).

إن المقارنة والحديث عنها لم ينبعا قطعًا من فراغ. وقصةُ الاهتمام بها أبعدُ عهدًا من الشكل الذي آلت إليه في المقارنة بين نصين مكتوبين. وأولُ ما يستحق أن يوافى به القارئ هو اللبس في التفريق بين الخرافة والأسطورة. ففيما تفتقر الأولى لأدنى نصيب من الصحة، نجد في الأساطير نصيبًا وافيًا منها. وقد اهتم بدراستها الأدباء ورجال الدين ورجال الاجتماع. وبرغم أن الدافع من ورائها كان في البداية لأسباب ترفيهية فالأساطير لا تخلو من حكمة ومغزى. وقد عرف الأدب العربي هذا النوع من القصص الممتع الذي كثيرًا ما شغل الأوساط الأوروبية الأدبية، وقامت من حوله دراسات ومؤلفات من أشهرها (ألف ليلة وليلة، والزير سالم وقصص الحيوان) التي تناولها أدباء أعلام مثل نولدكه، هوغو هوفمانستال، إينو ليتمان وأنطوان غالاّن، والذي يهمنا هنا هو الأساطير المتعلقة بالعقائد والأديان التي تتحدث عن الآلهة وعلاقاتها بالقبيلة والإنسان، وتتحدث عن بدء الخليقة ونهاية حياة الأفراد. من ذلك أن بعض القبائل الأفريقية تروي أن الله وزوجه وأولاده كانوا يقيمون على قمة جبل، لكن بعض الأبناء ارتكب المعاصي فغضب الله عليهم وطردهم إلى الأرض بينما صعد هو إلى السماء.

يقوم مبدأ المقارنة كما رأينا على وجود أشباه ونظائر، وينطبق هذا القول على عدد من العلوم. ولعل التأثُر والتأثير أو التصدير والتلقي بين حقلين متشابهين هما الركيزتان الأساسيتان والسمتان المميزتان لهذا العلم.

وفي تقدير النشأة البشرية تقول الأساطير الغائية: إن الإنسان نبت من الأرض أو أنه جاء في عود ذي عقدتين من قصب السكر، إحدى العقدتين تمثل الذكر والأخرى تمثل الأنثى، ومن هاتين العقدتين جاء الإنسان الأول ثم تكاثر بالطريقة الطبيعية.

ومن الأساطير التي يتناقلها الزنوج في الكونغو أن الله كان يعيش في وسط أفريقيا، وكان له ثلاثة أبناء أبيض وزنجي وغوريلا، فارتكب الزنجي والغوريلا آثامًا فأخذ الله ابنه الأبيض وكل ما كان لديه من ثروة واتجه غربًا، في حين دخل الابن الغوريلا أعماق الغابات في وسط القارة.

وقد اختلف علماء الاجتماع وعلماء الأجناس حول نشأة الدين، فمن قائل بوجود أرواحٍ في الجمادات من الأحجار والنباتات أو أرواح بدون وجود جسم يحتويها. وقاد هذا الاعتقاد إلى أن ظواهر الطبيعة من ريح وأنواءٍ ورعد وبرق كلُّها من عمل هذه الأرواح، ثم اعتبرها آلهة لهذه الظواهر تخصص كل إله منها بعمل وكانت تلك خطوة أولى نحو التوحيد وهذا رأي (تيلر). أما الفيلسوف الانجليزي سبنسر فيرى أن الدين نشأ أولاً من عبادة الأسلاف، أي أنه قدّم عبادة الطوطم والمقدس على عبادة الأراوح. بمعنى آخر، إن الناس عظموا أشخاصًا لسبب ما ثم تسامى إكبارهم لهم إلى درجة العبادة، فألّهوهم ومنحوهم منزلة أسمى بعد موتهم، وإلى ذلك يرجع إكبار بعض الموتى ورهبتهم بعد موتهم والتماس العون منهم.

وفريق ثالث (وليم شميت) وهو أبٌ كنسي، فقد قرر أن الدين بدأ أولاً بعبادة إله أعلى ثم حصل التعبد ممثلاً في الجمادات والأشجار، لكن رأيه رُدّ لعدم أدلة عليه. لكن نظريات سبنسر وداروِن لم تكن الوحيدة التي أسهمت في بلورة الدين المقارن، بل أعمال التنقيب والانثروبولوجيا الحديثة عمومًا.

وصفوة القول، فإن دراسة حياة البدائيين والأساطير بعامة جاءت بنتائج ذات وجهين، فمن جهة صدّقت على كثير مما جاءت به الأديان السماوية، ومن جهة أخرى قادت إلى أفكار الإلحاد وإنكار الدين. أما ما يتحدث لجانب الإيمان فهو:

1 ـ أن الدين لازم الإنسان في كل أدوار حياته خلافًا للرأي القائل: إن الإنسان أمضى من الدهر حينًا لم يعرف الدين فيه، وأنه ـ أي الدين ـ فُرض لظروف خاصة من ضغط الأقوياء.

2 ـ شاعت بين الناس على اختلاف مواقعهم وأجناسهم معلومات تتقاطع عن قصة الطوفان التي جاء بها القرآن والتوراة من جهة ومع ما يشبهها لدى فارس، ما دعا للظن بأنها نشأت في العراق بسبب كثرة الفيضانات في دلتا النهرين، فلما تبين أن القصة نفسها تداولها زنوج أمريكا وجزر المحيط الهادئ والأطلسي المنقطعة وسكان استراليا الأصليين، اعتبر ذلك سندًا لما جاء في كتب الدين ونقضًا للاستنتاج السابق.



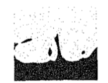
والسؤال: هل أثرت سلسلة الاكتشافات والمقارنات على مكانة الإسلام، وكيف تجلى ذلك التأثير إنْ وقع؟

في سنة 1873 ألقى د. ماكس موللر محاضرة في كنيسة وستمنستر ذكر فيها أن الديانات الكبرى ست ديانات، منها ثلاث ذات رسالة تدعو الناس إلى الدخول فيها وهي الزرادشتية والمسيحية والإسلام، وثلاث ليست بذات رسالة وهي البرهمية والبوذية واليهودية فجرى الناس على هذا التقويم. ويُعد الإسلام في نظر جميع الباحثين أرقى الديانات والعقائد لإيمانه بإله واحد، وبأن هذا الإله ليس بذي جسم ولا يشبه المخلوقين وهو قادر على كل شيء، وهو عادل كل العدل لا يحابي فردًا على فرد ولا جنسًا على جنس، ولا يحاسب فردًا على فعل ارتكبه سواه، وهو رحيم حليم لا يعاجل الناس بالعقوبة، وحسابهم أمامه بعد البعث يوم القيامة، وكلما كان الإله أبعدَ عن صفات المخلوقين كان هذا التصور أليق به. وصفات الألوهية في الإسلام غير موجودة في الديانات الأخرى، وهو رب الكون كله (إله العالمين) وليس ربّ طائفة خاصة، كما هي الحال في العقيدة اليهودية!!

إن جميع المقارنات التي أجريت لا تميل الكفة فيها إلى أصحاب النيات السيئة أخذًا لمفاهيم الألوهية السابقة في الاعتبار، ومع ذلك فلا ينبغي للمقارنة أن تتخطى الدور العلمي الموضوعي إلى مراهنات وكشف حساب بين الأطراف.

والكلمة الطيبة هي الغاية النهائية من الدين، فإذا انتفى هذا الغرض وغدت الدعوة إلى الله حربًا بين العقائد والأديان، فالخيرُ كلُّ الخير آنئذ، ألا يتمترس أصحاب العقائد خلف قناعاتهم حقًا كانت أو باطلاً:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة القَصَص: الآية 56]



المسيحيون الفلسطينيون في مواجهة الاحتلال

د. حسن الباش *



ضرب التعايش الإسلامي - المسيحي في فلسطين مثالاً يحتذى في العلاقات الأخوية والتعاون والتكاتف في مواجهة العدوان الخارجي وذلك منذ زمن بعيد جداً.

ومنذ الفتح الإسلامي لفلسطين وتحريرها من قبضة الاستعمار الروماني تمسك الشعب الفلسطيني بعروبته وثقافته وهويته، ولم يكن المسيحيون الفلسطينيون أقل فعلاً من المسلمين في ترسيخ الهوية العربية ورفض الهيمنة الأجنبية أيًا كانت. ولعل فتح القدس سلمًا أيام الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان له أكبر الأثر في بقاء الشعب الفلسطيني متمسكًا بهويته محافظًا على استقلاله النفسي والحضاري عن جميع المستعمرين الذين استعمروا فلسطين وحاولوا حرف أهلها عن انتمائهم العربي.

ولعل ما يلفت النظر أن الكتاب الذي كتبه الخليفة عمر لأهل القدس تضمّن فقرات خُطت بناء على طلب من أهل القدس وفلسطين وأهمها خروج العناصر الرومانية من القدس إلى غير رجعة، إضافة إلى عدم وجود اليهود في المدينة.

وتُجمع مصادر التاريخ على أن أهل فلسطين من العرب هم من حملوا مسؤولية الدفاع عن العقيدة النصرانية والدفاع عن المسيح - عليه السلام - في مواجهة التلفيقات والتشويهات اليهودية والرومانية .

وقد أجمع مسيحيو فلسطين على أن الفتح الإسلامي كان محرراً. وأن المسلمين كانوا محررين للمسيحيين الفلسطينيين لأنهم كانوا مضطهدين من الرومان في ذلك الوقت، ورداً على التشويهات التي يبثها بعض الغربيين حول المسيحية في فلسطين يقول الأب عطا الله حنا الناطق باسم الكنيسة الأرثوذكسية في القدس: المسيحية في فلسطين ليست مستوردة، وإنما هي ديانة نشأت في هذه الأرض المقدسة، انطلقت من فلسطين وتحديداً من بيت لحم، من القدس ومن باقي المدن والبلدات التي جال فيها السيد المسيح على هذه الأرض المقدسة.

ومن المعروف أن الكنيسة الأرثوذكسية تحتفظ بالعهدة العمرية إلى هذا الوقت في محفوظات كنيسة القيامة في القدس.

وعلى ما جاء في هذه العهدة انفتح الباب على مصراعيه أمام العرب النصارى فلم يشعروا بأن أبناء الفتح الإسلامي غرباء عنهم فاندمج المسلمون والنصارى في فلسطين اندماجًا لم تشهده كثير من المدن أو البلاد .

ولننظر ما جاء في هذه العهدة حتى ندرك التقبل

* كاتب وباحث / سورية

السريع من جانب العرب النصارى في فلسطين ومدى ما لها من أثر بالغ حتى يومنا هذا.

أورد الطبري في تاريخه نص هذه المعاهدة كالآتي: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبدالله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم ولا ينتقص منها ولا من حيّزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم ولا يُضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرجوا الروم واللصوت (اللصوص) فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلّي بيعهم وصُلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. **شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان** وكتب وحضر سنة خمس عشرة).



فهذه العهدة التي قدمها الخليفة عمر - رضي الله عنه - تشهد شهادة بأن الإسلام دين تسامح وليس دين إكراه. وهي شاهد عدل بأن المسلمين عاملوا النصارى الموجودين في القدس معاملة لم تخطر على بالهم. إن الخليفة عمر وهو الفاتح كان يستطيع أن يفرض عليهم ما يشاء وأن يجبرهم على ما يريد ولكنه لم يفعل لأنه كان يمثل الإسلام.

والإسلام لا يكره أحدًا على الدخول فيه ولا يقبل من أحد إيمانًا إلا عن طواعية وقناعة. فالإيمان ليس شيئًا يُجبر الناس عليه لأنه من عمل القلوب. والقلوب لا يعلم

ما فيها إلا الله سبحانه، ولهذا آثر المسلمون أن يعطوا الناس حرية العبادة ويؤمنوهم على كل عزيز لديهم على أن يعيشوا بين المسلمين، ويؤدوا الجزية مقابل حمايتهم والدفاع عن مقدساتهم وممتلكاتهم.

وما يلفت النظر أن الخليفة عمر ـ رضي الله عنه ـ تنبه لوجود عنصرين غريبين عن القدس وهما عنصر الروم وعنصر اليهود. وقد ضمن العهدة ما طلبه أهل القدس من عدم السماح لليهود بمساكنة أهل القدس، أما عنصر الروم فتشير المصادر إلى أن الوفد المقدسي الذي التقى الخليفة في الجالية شكا من ظلم وعسف الروم. وقد اتفق الخليفة معهم على أن يرحل الروم عن المدينة باعتبارهم غرباء مستعمرين.

وقد ضمنت العهدة العمرية استمرار الأمن والأمان لمسيحيي فلسطين طوال ألف وأربع مئة سنة وإلى يومنا هذا؛ ولذلك السبب فإن الروم الأرثوذكس لا يزالون يحتفظون بنص العهدة العمرية الأصلية في كنيسة القيامة.

تُجمع مصادر التاريخ على أن أهل فلسطين من العرب هم من حملوا مسؤولية الدفاع عن العقيدة النصرانية والدفاع عن المسيح ـ عليه السلام ـ في مواجهة التلفيقات والتشويهات اليهودية والرومانية.

المسيحيون الفلسطينيون في مواجهة الاحتلال:

منذ بدأ الاحتلال البريطاني لفلسطين عام 1916 مسيحي، بدأ النضال الفلسطيني يأخذ مجراه بعدة وسائل إلى أن قامت هبّت البراق ومن ثم ثورة القسام رحمه الله.

وكان للمسيحيين الفلسطينيين ما كان للمسلمين من شرف المشاركة ضد الاحتلال البريطاني والتسرب الصهيوني.

فالأب ابراهيم عيّاد يقول: بريطانيا دائمًا كانت منحازة الى الصهيونية والصهاينة. بريطانيا كانت ضد العدالة، ضد حقوق الشعب الفلسطيني. ولذلك فإن بريطانيا ليست مسيحية، أنا لا أعتقد بأن بريطانيا مسيحية، بل هي صهيونية وسياستها صهيونية.

كذلك كان للمسيحيين دور ريادي في القتال ضد العدو المحتل، وفي ثورة 1936 مسيحي، قاتلت قيادات مسيحية بجانب القائد المرحوم الحاج نبيل الحسيني، يقول فؤاد كوكلي: المسيحيون كان لهم دور ريادي منذ أن نشأت القضية الوطنية منذ مائة عام، فأيام ثورة 1936 مسيحي، كان قادة مسيحيون جنبًا إلى جنبٍ مع الحاج المرحوم نبيل الحسيني، وقد قاتل معه الشهيد عبدالقادر الحسيني، وكان ممن شاركوا في القتال الأب عياد.

ويقول الأب إبراهيم عياد: كان نبيل ابن كاظم باشا الحسيني، الذي كان وقتها رئيس بلدية القدس، وقد تعاون مع بطركية اللاتين لحماية بطركية الروم الأرثوذكس، ولما جاء عرفات مع الشهيد الوزير إلى بيروت فتّش عني حتى التقينا وطرح عليّ الكفاح المسلح فقبلت وقلت لهما على بركة الله أنا معكما.

ويقول فؤاد كوكلي: «نحن العرب المسيحيون نعتز ونفتخر أننا جزء من هذا الشعب وأننا جزء من هذه الثقافة العربية الإسلامية لأن بناءنا الثقافي والنفسي هو إسلامي عربي. ونحن نعتز به. وانتماؤنا هو لهذه الأرض ولهذا الوطن ولهذا الشرق ولن يكون انتماؤنا في يوم من الأيام للغرب المسيحي بأي حال من الأحوال».

المسيحيون الفلسطينيون في نظر قادة إسرائيل ومنظماتها الإرهابية:

منذ عام 1948 مسيحي، تعرض العديد من المسيحيين الفلسطينيين للقمع والقتل والتدمير، وقد حاول الصهاينة أن يلعبوا على وتر الطائفية لإثارة المشاكل بين أبناء الشعب العربي الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين.

واستخدم الصهاينة أساليب عدة بغية إثارة الطائفية خاصة بين المسلمين والمسيحيين، ومن هذه

الأساليب تشويه صورة موقف الإسلام من النصرانية ومنها أيضًا إثارة موضوع الأقلية والأكثرية وأن الأكثرية المسلمة تريد أن تلتهم الطائفة الأقل، وكنموذج لهذه الأساليب المغرضة كتب المستشرق الصهيوني باخور في صحيفة يديعوت أحرونوت مقالاً بتاريخ 2003/7/3 مسيحي، تحت عنوان «المسيحيون خسروا في السباق الديموغرافي والسياسي مع المسلمين في البلاد، وهم يفرون إلى حضن الصهيونية هربًا من ارتباك الهوية السائد لديهم»، وجاء المقال تعليقًا على ما حدث من نزاع في الناصرة حول بناء مسجد شهاب الدين.

قال هذا المستشرق الصهيوني: من المفارقات أن المشروع اليهودي الصهيوني بالذات هو الذي نهض للدفاع عن مقدسات المسيحيين في أرض إسرائيل من الإسلام السياسي. ويتابع: في العقد الأخير اختفى المسيحيون على نحو شبه تام من قيادة عرب إسرائيل والعالم العربي. في البلاد هم أقلية منقرضة وبقوا مع هامش الفعل السياسي والاجتماعي. ويقول بكل خبث: أحياء كاملة في بيت جالا وبيت لحم وبيت ساحور أفرغت في الانتفاضة الأخيرة من سكانها المسيحيين الذين كانوا قد عانوا من قبل استفزازات الإسلاميين. والمقال طويل مملوء بالتحريض غير المباشر لإشعال نار الطائفية بين المسلمين والمسيحيين، وقد تنبه المسلمون والمسيحيون لتلك الفتنة التي شحذت نارها إسرائيل والولايات المتحدة. ويرى بعض الشخصيات المسيحية أن الطرف الإسرائيلي يصب الزيت على النار حتى لا يتم حسم القضية، ومن ثم كان القرار من شارون بإفشال ما كان يمكن التوصل إليه. وتقول نائلة توفيق زياد معلقة على الحدث: عندما أدركت الحكومة الإسرائيلية أنها فشلت في دفع الناس لذبح بعضهم حاولت أن تتغافل عن رسالة بعث بها ممثلو الطائفتين لحل المشكلة لكنّ الناس تعقلوا، وكثير منهم قالوا: نحن لسنا ضد أن يُبنى الجامع ولكن على الناس أن يعودوا الى حب بعضهم بعضًا.

وإذا كان الصهاينة يحاولون الإشعار بأن الدولة تقف إلى جانب المسيحيين وتحميهم بحسب ادعائها من الأكثرية المسلمة فإن الوقائع تشير إلى أن الاضطهاد الصهيوني هو واحد على كافة أبناء الشعب الفلسطيني، ولعل سياسة الكيان الصهيوني بالنسبة للمسيحيين الفلسطينيين تقوم على وجهين متناقضين تمامًا، فهي تريد أن تظهر نفسها أمام العالم الغربي بأنها تحمي المسيحيين في فلسطين بينما هي تمارس ضدهم أبلغ أنواع القهر والعنف والمطاردة والتضييق والتشتيت.

سياسة الكيان الصهيوني تريد أن تظهر نفسها أمام العالم الغربي بأنها تحمي المسيحيين في فلسطين بينما هي تمارس ضدهم أبلغ أنواع القهر والعنف والمطاردة والتضييق والتشتيت.

الممارسات الصهيونية ضد المسيحيين الفلسطينيين:

لم تكن الممارسات الصهيونية ضد المسيحيين الفلسطينيين جديدة فهي منذ عشرات السنين تنفذ على الأرض وتتراوح بين تدمير القرى والقتل والتشريد والاعتقال.

في عام 1953 مسيحي، وبعد قيام دولة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين أقدمت قوات الاحتلال على الاستيلاء على أملاك قريتي اقرت وكفر برعم وجميع أهالي القريتين من المسيحيين الفلسطينيين الموارنة. وطردت القوات الإسرائيلية أهالي القريتين قسرًا.

وكشاهد على ما حل في قرية كفر برعم الجليلية يقول الفلسطيني المسيحي ابراهيم عيسى وهو من القرية: نقلتنا الحكومة بعيدًا عن القرية على أمل أن تُرجعنا إليها بعد 15 يومًا. لم نستطع أن نحمل معنا سوى بضعة أشياء، وبعد فترة وجيزة بدأت قوات الاحتلال ببناء مستوطنة على أراضي القرية الزراعية التي بلغت 12 ألف دونم. طالبنا السلطات بإرجاع بعض الأراضي فرفضوا وقلنا لهم رجّعوا لنا خمسة آلاف دونم من التي سرقتموها فرفضوا أيضًا، وجاء

الرد بأن قامت الطائرات بنسف كل بيوت القرية ولم يبق منها حجر على حجر إلا بناء روماني قديم استخدموه ككنيس مدعين أنه أقيم على أثر يهودي. ويقول السيد ابراهيم عيسى: مفاتيح بيتنا ما زالت موجودة معنا، بيتنا عمره أكثر من 400 سنة بناه جد جدي وإن شاء الله سيعود وتعود الأرض حتى نعمرها من جديد. وإذا لم أعد إلى بيتي حيًا فأنا وصّيت أولادي أن يدفنوني هناك في القرية وإن لم يرجع ابني فلا بد أن يعود حفيدي.

هذا ما كان بشأن قرية كفر برعم وقرية اقرت اللتين هُجّر أهلهما منذ أكثر من نصف قرن ولم يعودوا إليهما حتى الآن.

أما الممارسات الأخرى التي استخدمتها القوات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين المسيحيين فهي كثيرة جدًا تبدأ بالاعتداء على الكنائس والأديرة وسرقة الآثار ولا تنتهي عند القتل والتصفيات المقصودة.

يذكر السيد قسطنطين قرمش عام 1993 مسيحي وكان وقتها الرئيس الروحي للروم الأرثوذكس في القدس أنه عام 1922 مسيحي كان في فلسطين 196 ديرًا وكنيسة لم يتبق منها عام 1993 مسيحي إلا 48 كنيسة و47 ديرًا.

يقول فؤاد كوكلي: «نحن العرب المسيحيين نعتز ونفتخر أننا جزء من هذا الشعب وأننا جزء من هذه الثقافة العربية الإسلامية لأن بناءنا الثقافي والنفسي هو إسلامي عربي. ونحن نعتز به. وانتماؤنا هو لهذا الأرض ولهذا الوطن ولهذا الشرق ولن يكون انتماؤنا في يوم من الأيام للغرب المسيحي بأي حال من الأحوال».

فقد هدمت سلطات الاحتلال عشرات الكنائس في العديد من القرى والمدن الفلسطينية التي دمرت في عام النكبة عام 1948 مسيحي فور خروج أهلها، منها مثل كنيسة البصّة وكنيسة الشجرة. وفي 1992/7/23 مسيحي، هدم الإسرائيليون كنيسة القديسة بيلاجيه في جبل الزيتون، ودمروا دير شعار والكنيسة التي في داخله على طريق بيت لحم ـ الخليل.

وصادرت السلطات الإسرائيلية العديد من الكنائس والأراضي التابعة لها مثل كنيسة المنصورة وكنيسة إقرت وأراضي كنيسة البصّة المهدومة، كما استولت السلطات الإسرائيلية على كنيسة الأرثوذكس في حيفا، ومنعت إقامة الصلاة فيها لثلاث سنوات، وبعد إعادتها للمسيحيين الفلسطينيين أخذ المتطرفون اليهود يلقون القاذورات على رؤوس المصلين كما حدث في القداس الاحتفالي الذي أقيم برعاية اسيدورس مطران الناصرة في العام 1951 مسيحي، وصادرت السلطات الإسرائيلية الكنيسة المسكوبية في الناصرة، وفي القدس تمت مصادرة أرض تابعة للكنيسة الروسية وبُني عليها مشفى هداسا في عين كارم. وفي عام 1948 مسيحي صادرت السلطات الإسرائيلية عقارات وأملاك المجلس المحلي الأرثوذكسي في حيفا وأجّرتها السلطات إلى يهود بأجور زهيدة.. وتعرضت كنائس كثيرة للسرقة من جانب عصابات يهودية، ففي عام 1969 مسيحي، قامت عصابة بسرقة الانجيل المذهّب وأيقونة العذراء مريم وتاجها الذهبي من كنيسة القيامة في القدس.

وفي عام 1978 مسيحي، سرقت بعض الصلبان النحاسية المذهّبة والايقونات الثمينة والأواني المقدسة من كنيسة الكتدرائية الروسية في القدس، وفي عام 1979 مسيحي، اقتحمت مجموعة يهودية الكنيسة الروسية في يافا وسرقت العديد من موجوداتها، وفي عام 1984 مسيحي، تم تكسير أبواب ونوافذ الكنيسة الروسية في مدينة طبريا ونهب محتوياتها.

ولحق التدمير المقابر المسيحية منذ 1948 مسيحي، وقامت الجرافات بحراثتها وتحويلها إلى حقول وبيارات مثل مقابر سيرين، معلول البصرة ومقبرة المنصورة التي حولت إلى مزبلة.

وتعرضت كنائس أخرى للحرق المتعمد فقد قامت عصابة يهودية بحرق الكنيسة المعمدانية في مدينة القدس بما فيها مكتبتها وذلك بتاريخ 1982/11/8 مسيحي، وفي عام 1987 مسيحي، اعتدت مجموعة من

أنصار الحاخام العنصري مائير كاهانا على الكنيسة الاسقفية الانجيلية في عكا وأحرقوا محتوياتها وأثاثها ومن ضمنها كتاب الانجيل وكتبوا على جدرانها: كاهانا ملك اليهود.

وفي يوم 1995/5/18 مسيحي، أضرم متطرف يهودي النار بسكب البنزين داخل كنيسة الجثمانية في القدس، وعندما اعترضه كاهن الكنيسة رشه أيضًا بالبنزين محاولاً إحراقه.

وفي يوم 1995/5/24 مسيحي، أطلق متطرف يهودي النار داخل كنيسة القديس انطويغي يافا، إضافة إلى ذلك يقوم المتطرفون اليهود بممارسات لا أخلاقية كثيرة بحق الأماكن المقدسة المسيحية، فعلى سبيل المثال قامت مجموعة من المتطرفين اليهود في العام 1987 مسيحي، بالتبول والتبرز في مواضع كثيرة داخل دير الصليب بالمقدس، الأمر الذي أدى إلى إغلاقه تسعة شهور أمام الزوار اليهود احتجاجًا على هذه الاهانات.

اعتداءات على رجال دين مسيحيين:

عام 1948 مسيحي، قُتل راهبان أرثوذكسيان في القدس على أيدي عصابات يهودية، كما قتل طالب لاهوت أرثوذكسي في دير القطمون بالقدس على أيدي يهود. وفي العام 1979 مسيحي، قامت مجموعات يهودية متطرفة بتغطية جدران ومحلات بيع الكتب والمباني التاريخية المسيحية برسومات الصليب المعقوف وشعارات مثل: أيها المبشرون الخنازير عودوا إلى بلادكم. كما تلقى رجال الدين المسيحي رسائل تهديد وقام المتطرفون اليهود بالبصق والشتم عليهم في الشوارع. وفي عام 1979 مسيحي، أيضًا قُتل الأرشمندريت فيلومينوس في الدير الأرثوذكسي في مدينة نابلس على أيدي يهود. وأحرق يهود متطرفون في العام 1980 مسيحي، مئات من نسخ الانجيل في احتفال علني برعاية جمعية يهودية تُدعى باء لاخيم (يد للاخوة). وفي عام 1983 مسيحي، قتلت راهبتان روسيتان في عين كارم بالقدس، كما تعرض عدد من رجال الدين المسيحي للنفي خارج البلاد، واعتقل عدد آخر منهم، تعرضوا خلالها لأنواع مختلفة من التعذيب والإهانات، وكان على رأس المعتقلين المطران كبوجي الذي كان بطريرك القدس للطائفة الأرثوذكسية بحجة مقاومة الاحتلال، ثم نُفي من فلسطين لكنه ظل يواصل نضاله على الرغم من أن الكنيسة الأرثوذكسية عينته بطريركًا في البرازيل لإبعاده عن ساحة الصراع في فلسطين مع المحتلين الصهاينة.

تعرض عدد من رجال الدين المسيحي للنفي خارج البلاد، واعتقل عدد آخر منهم، تعرضوا خلالها لأنواع مختلفة من التعذيب والإهانات، وكان على رأس المعتقلين المطران كبوشي الذي كان بطريرك القدس للطائفة الأرثوذكسية بحجة مقاومة الاحتلال

وفي يوم 1989/12/19 مسيحي، أطلق جنود الاحتلال النار على الشباب المحتفلين بعيد القديس نقولا في كنيسة بيت جالا مما أدى إلى إصابة عدد منهم بجراح. وفي نهاية 1990 مسيحي، أطلق جنود الاحتلال قنابل الغاز داخل كنيسة بيت جالا في احتفالات سبت النور الأمر الذي أدى إلى حالات اختناق عديدة وسط المصلين.

سياسة القتل مستمرة

كريستين سعادة من بيت لحم، عام 2002 مسيحي كانت الفلسطينية الشابة تتنقل مع والدها ووالدتها وشقيقتها في سيارتهم ودون سابق إنذار صبّ الجيش الصهيوني جامّ غضبه على السيارة وجاء إطلاق النار من كل الاتجاهات. وأوقف الأب السيارة وراح يتفقد زوجته وابنتيه لكن كريستين كانت قد فارقت الحياة بسبب الرصاص الذي اخترق رأسها.

الحصار الإسرائيلي لكنيسة المهد:

في ذروة الانتفاضة الفلسطينية اقتحم الجيش الصهيوني المدن الفلسطينية كلها وكان لبيت لحم نصيبها من هذا الاقتحام.

يروي الأب إبراهيم خلتس قصة حصار كنيسة المهد الذي دام تسعة وثلاثين يومًا فيقول: لما بدأ الحصار على المدينة رأى الشبان أن أفضل مأوى لهم من القتل الصهيوني المتعمد والاعتقال هو كنيسة المهد، دخل 240 شخصًا إلى الكنيسة، وكانوا كلهم من المسلمين باستثناء أربعة مسيحيين.

كان أول من قتله الصهاينة المسيحي الفلسطيني سمير سليمان قارع أجراس الكنيسة. كان يعيش في الكنيسة منذ حوالى خمس وثلاثين سنة، وهو موجود في الكنيسة 24 ساعة، يقول عنه السيد إبراهيم خلتس: قارع الأجراس كان إنسانًا بسيطًا حاول أن يصعد كي يقرع أجراس الكنيسة فأطلق جنود الاحتلال النار عليه فقتلوه ثم أخذت جثته بعد أربعة أيام ليدفن في ساحة الكنيسة.

وكان الطفل جوني ثلجية يقترب من ساحة الكنيسة فأطلق الجنود الصهاينة النار عليه فأردوه قتيلاً، ثم قتل الجنود عاطف عبيد وعبدالله نوادرة وغيرهما ممن دافع عن كنيسة المهد وبيت لحم ومساجدها، وتلاحم الفلسطينيون مسيحيين ومسلمين في دفاع عن مقدسات فلسطين.

إضافة إلى سياسة القتل والإبادة التي تقوم بها سلطات الاحتلال الصهيوني فإنها تتدخل باستمرار في شؤون الكنيسة الداخلية على الرغم من الاتفاق الدولي الموقع مع الفاتيكان. وقد عمدت سلطات الاحتلال إلى تعيين رؤساء للكنيسة من المقربين لها. وعلى مدى خمسين عامًا قاومت حكومة الكيان الإسرائيلي تعيين أي رئيس كنسي ذي ميول وطنية وقومية ومتعاطف مع القضية الفلسطينية. وكان آخر هذه التدخلات رفض سلطات الاحتلال تعيين بطرس معلم مطرانًا للكنيسة الأرثوذكسية اليونانية والضغط على رجال الدين المسيحي من أجل اختيار شخص آخر مقبول لديها، وفرضت سلطات الاحتلال إجراءات منذ العام 1967 مسيحي، أعطت بموجبها حق حراسة الكنائس المسيحية للشرطة الإسرائيلية الأمر الذي أدى إلى سرقات جديدة ومحاولات إحراق للكنائس، ومثل هذه الحوادث لم تكن موجودة في الفترات السابقة. وعلى مدار أكثر من عقدين من الزمان عرقلت سلطات الاحتلال دخول المسيحيين إلى مدينة القدس وإقامة شعائرهم الدينية والمشاركة في الاحتفالات الدينية، تمامًا مثلما تفعل مع المسلمين حين تمنعهم من الصلاة في المسجد الأقصى وتمنع الإجراءات الإسرائيلية المسيحيين المقيمين في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة من المشاركة في الاحتفالات، الأمر الذي يعد انتهاكًا لأبسط حقوق الإنسان في ممارسة شعائره الدينية. ولا بد من أن نشير هنا إلى أن سلطات الاحتلال دفعت بعض الشركات السياحية إلى إقامة فنادق أطلق عليها بيت لحم الجديدة شمال مدينة بيت لحم مهد المسيح تهدف إلى سرقة السياح وإلحاق الضرر بالصناعة السياحية في مدينة بيت لحم.

على مدى خمسين عامًا قاومت حكومة الكيان الإسرائيلي تعيين أي رئيس كنسي ذي ميول وطنية وقومية ومتعاطف مع القضية الفلسطينية.

ويقوم أدلاء إسرائيليون بإعطاء معلومات مزورة إلى السياح الأجانب الذين يزورون الأديرة والكنائس ويعملون على قلب الحقائق وتشويه العقيدة المسيحية. والجدير بالذكر أن السياسة الإسرائيلية تعمد إلى الاستئثار بالسياحة الدينية في الأراضي المقدسة من خلال طمس المعالم الدينية الإسلامية والمسيحية من مساجد وكنائس ومعابد ومقابر، ولعل ما جرى في الناصرة من تأجيج الصراع بين المسلمين والمسيحيين في ما عرف بقضية مقام شهاب الدين وإقامة مستوطنة هارحوما فوق جبل أبو غنيم على مشارف بيت لحم وتحويل السياح القادمين للاماكن الدينية إلى الفنادق الإسرائيلية في القدس الغربية، والاعتداءات المتكررة على المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي في الخليل تصب جميعها في الأهداف الإسرائيلية الرامية إلى تهميش الوجود العربي

الإسلامي والمسيحي في الديار المقدسة وتكريس الوجود الإسرائيلي في فلسطين.

موقف المسلمين تجاه أبناء وطنهم من المسيحيين:

في مواجهة السياسة الإسرائيلية الهادفة إلى تشويه مواقف المسلمين من المسيحيين ظل المسلمون والمسيحيون متمسكين إلى اليوم بالعهدة العمرية التي حفظت للمسيحيين كنائسهم وصلبانهم ورهبانهم. وقد تتابع السلاطين والخلفاء على حماية مصالح الكنيسة وأملاكها، وعملوا على حماية بطاركتها ورجال دينها خاصة في المناسبات الدينية والرسمية وذلك بتعيين شبان مسلمين عُرفوا (بالقداسين) يحرسون البطاركة ورجال الدين والمسيرات في تقليد ظل مستمرًا حتى اليوم.

على مدار أكثر من عقدين من الزمان عرقلت سلطات الاحتلال دخول المسيحيين إلى مدينة القدس وإقامة شعائرهم الدينية والمشاركة في الاحتفالات الدينية، تمامًا مثلما تفعل مع المسلمين حين تمنعهم من الصلاة في المسجد الأقصى.

وكان من بين هؤلاء الشباب المسلمين قداس يدعى خالد العمري. وكانت مهمته الدائمة حراسة بطرك الأرمن من السريان والروم واللاتين، وكل بطرك يريد التنقل أو السفر يحميه قداس، ويقول خالد العمري: أنا مسلم لأن كل القداسين كانوا من المسلمين من أيام تركيا لحد اليوم.

ويقول جوني بعبيش وهو مسيحي أصبح قداسًا: علاقتي بخالد مثل علاقة الإخوة، أنا لي ثلاثة إخوة وأعتبر خالدًا الأخ الرابع. نأكل في صحن واحد. وكنيسة القيامة يحمل مفاتيحها مسلمون، والسبب أن الطوائف المسيحية تتنازع على هذه المفاتيح فاتفق الجميع على أن تكون المفاتيح مع شخص مسلم.

والذي يؤتمن اليوم على مفاتيح كنيسة القيامة السيد عبدالقادر جودة. ومنذ أيام صلاح الدين كانت هناك خلافات بين الطوائف المسيحية فاقترحوا أن تكون المفاتيح بيد مسلم من عائلة مقدسية عريقة.

وصلاح الدين سلم المفاتيح للشيخ عبدالله بن نحي الذي دخل المدينة مع صلاح الدين، وقد ورث المسلمون المفاتيح أبًا عن جد حتى يومنا هذا، ويقول عبدالقادر: وأنا اليوم أمين المفاتيح وأنا أعرف كل بلاطة في كنيسة القيامة تتبع لأي طائفة فإذا حصل خلاف نحن نشهد أن هذه المنطقة للأرمن وليست للروم الأرثوذكس مثلاً، وهذا المفتاح الذي أحمله يعود إلى السلطان سليمان خان القانوني الذي بنى سور القدس، وعندي المفتاح القديم الذي يعود إلى عهد السلطان صلاح الدين.

واليوم المسؤول عن فتح كنيسة القيامة هو السيد وجيه نسيبة، والعائلة المسؤولة عن فتحَ وإغلاق الكنيسة من زمن صلاح الدين هي عائلة نسيبة، ولدى العائلة (فرمانات) عثمانية تقر ذلك للعائلة.

وقد حاول الإسرائيليون عام 1976 مسيحي، تغيير الاتفاقيات بشأن من يحتفظ بمفاتيح الكنيسة وفتحها وإغلاقها لكن الكنيسة الأرثوذكسية أصرت على بقاء المفاتيح وكذلك فتح وإغلاق الكنيسة بيد هاتين العائلتين المسلمتين (نسيبة وجودة).

وعن مظاهر الأخوة الراسخة بين المسلمين والمسيحيين الفلسطينيين يقول فؤاد كوكلي رئيس بلدية بيت ساحور: قام الإخوة من المنظمات الإسلامية بتوزيع الحلوى للمسيحيين احتفالاً وتقديرًا منهم للأعياد المسيحية. وهذا شيء نعتز به.

ويقول السيد جورج سعادة: نحن مسلمون ومسيحيون في فلسطين لدينا التآخي أساسي وطول عمرنا نعيش مع بعضنا بعضًا نتشارك في لقمة العيش ونتشارك بأفراحنا وأحزاننا. أما السيدة تيري سليمان من أسرة السيد سمير سلمان قارع أجراس الكنيسة الذي قتلته قوات الاحتلال فتقول: نحن مسلمات ومسيحيات ندرس مع بعضنا ونحن نتزاور في البيوت ولا نشعر بأي فروق بيننا.

أما السيدة منى شختور فتقول: الصهاينة يتظاهرون بأنهم يفضلون المسيحي على المسلم وكل ذلك من أجل إحداث فتنة، ومن أجل أن يكره المسلم المسيحي وبالعكس، لكننا نقول لهم نحن إخوان نعيش مع بعض.

ويقول السيد يعقوب جرابسة: مكثنا ست سنين ونحن نبني هذا البيت حتى عام 2000 مسيحي، قصفته قوات الاحتلال بثلاثة مدافع، المدفع الأول خرق الجدار، وفتح ثغرة كبيرة، والمدفع الثاني حرق البيت بما فيه وبعد ذلك هربنا من النار.

أما زوجته حنة جرابسة فتقول: ضربنا الصهاينة وقصفوا الدار وخرجنا، لم نحمل معنا خيط إبرة.

هجرة المسيحيين الفلسطينيين بسبب الاحتلال:

وتستمر محاولات الكيان الصهيوني لتهجير المسيحيين والمسلمين عن أراضيهم خاصة عن مدينة القدس. حتى تفرغ من كل عربي مسيحي أو مسلم. وهذا الحلم الصهيوني يراود الاحتلال منذ بداية المشروع الصهيوني وهو تفريغ القدس من كل الناس ما عدا اليهود حتى يمهدوا لهدم الأقصى والأماكن المقدسة الإسلامية ومن ثم هدم كنيسة القيامة في القدس حتى لا يبقى سوى بناء الهيكل.

وبسبب المضايقات وتسهيل الهجرة من جانب سلطات الاحتلال قلّت نسبة المسيحيين كثيرًا في مدينة القدس.

يقول الأب عطا الله حنا: نسبة المسيحيين في بلادنا هي تقريبًا 2 في المئة ينتمون إلى الكنائس الموجودة وهي الروم الأثوذكس واللاتين والروم الكاثوليك، الأرمن، الأقباط، السريان، الأحباش، وكذلك الكنيسة الانجيلية المحلية وكذلك الموارنة.

وهذه التنوعات كانت سببًا لنشوء خلافات بين المسيحيين، وأكثر ما يظهر على السطح هو الخلاف بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية، وخاصة في موضوع المسيحية الصهيونية التي تحتضنها بعض كنائس الغرب.

يقول ألبرت أنحاوزيان وهو من الطائفة الأرمنية الفلسطينية: المسيحية الصهيونية تبدأ من قراءة النص التوراتي باعتبار أنه نص مستقبلي ونص كبرنامج عملي وهو يعني حسب تغيرات التوراة الصهيونية التمهيد لنهاية العالم. هذه الحركة بدأت في بريطانيا عام 1801 مسيحي، وصلت إلى القدس عام 1880 مسيحي، وفكرة عودة اليهود إلى فلسطين لم تكن فكرة يهودية إنما كانت فكرة مسيمانية مسيحية. وأصبحت مدرسة تتحدث عن إله عنصري.

يقول الأب عطا الله حنا: نحن لا نعترف بشيء اسمه المسيحية الصهيونية، هذه عبارة تطلقها مجموعة تدعي المسيحية زورًا وبهتانًا على نفسها وهي مجموعة صهيونية ليس لها علاقة بالمسيحية ولا تتخذ من المسيحية شيئًا سوى الاسم لأهداف غير مسيحية وليس لها علاقة بالمسيحية.

يقول الأب عطا الله حنا: نحن لا نعترف بشيء اسمه المسيحية الصهيونية، هذه عبارة تطلقها مجموعة تدعي المسيحية زورًا وبهتانًا على نفسها وهي مجموعة صهيونية ليس لها علاقة بالمسيحية ولا تتخذ من المسيحية شيئًا سوى الاسم لأهداف غير مسيحية وليس لها علاقة بالمسيحية.

وترى بعض الدراسات أن هجرة المسيحيين الفلسطينيين تتم بتشجيع من سلطات الاحتلال، وكذلك هناك منظمات مسيحية أمريكية وغربية تشجع المسيحيين على الهجرة بحجة أنهم أقلية وهم مهددون من الطوائف الأخرى. إضافة إلى ذلك فإن نسبة خريجي الجامعات بين المسيحيين الفلسطينيين كبيرة وليس لها عمل بسبب تضييق إسرائيل عليهم فلا يجدون سوى الهجرة إلى أمريكا وكندا.

وتقول دراسة إسرائيلية نشرت في صحيفة معاريف الإسرائيلية بتاريخ 2003/7/3 مسيحي: إن الزيادة الطبيعية الخفيضة والهجرة المستمرة جعلتا

المسيحيين 1,5 في المئة من إجمالي سكان فلسطين الذين كانوا يشكلون 9 في المئة من إجمالي الفلسطينيين في فلسطين 1948 مسيحي، وقد هاجرت أحياء بأكملها من بيت ساحور وبيت لحم وبيت جالا، بسبب الممارسات القمعية الصهيونية التي لا تستثني أحدًا من الفلسطينيين.

مؤامرات مسيحية غربية على القدس:

برزت أهم المشاكل التي تواجهها المسيحية الشرقية في القدس تحديدًا من خلال سيطرة بعض الآباء اليونانيين على الكنيسة الأرثوذكسية، ومنذ زمن بعيد ظل رعاة الكنيسة الأرثوذكسية من غير العرب، وقد أدى ذلك دومًا إلى خلافات شديدة بين الطوائف المسيحية.

يقول الأب إبراهيم عياد: الواقع أن سيطرة كهنة أجانب على الكنائس المحلية يشبه تمامًا الانتداب، وبالنسبة لنا فهذا انتداب يوناني مع الأرثوذكس. وتبين مع مرور الأيام أن هؤلاء الرعاة وخاصة اليونان يتعاونون مع بعض الجهات الصهيونية لبيع عقارات تابعة للوقف المسيحي لجهات إسرائيلية.

وقد تبيّن أن راعي الكنيسة الأرثوذكسية إيرونيوس وهو يوناني قد باع وأجّر أماكن كثيرة في القدس لجهات صهيونية، وقبض ثمنها ملايين الدولارات، وهذه الأماكن تعود ملكيتها ووقفها إلى كنيسة القيامة.

وندرك أن هذا العمل ليس إلا محاولة من آلاف المحاولات الصهيونية للقبض على مدينة القدس وتفريغها من الفلسطينيين كلهم.

وكان الأب عطا حنا قد تنبّه منذ عام 2004 مسيحي، وتحديدًا في شهر 6 إلى شبهات واشتباهات تحيط بالبطريرك اليوناني الأصل إيرونيوس.

في 2004/6/13 مسيحي، عقد في مبنى الكلية الأرثوذكسية في مدينة حيفا المؤتمر الخامس للطائفة الأرثوذكسية، وذلك بحضور رجال دين من الطوائف العربية المسلمين والدروز والمسيحيين وقد تغيب عن هذا المؤتمر الأب عطا الله حنا. وقد اتخذ المؤتمرون وعددهم 120 مشاركًا عدة قرارات كان أولها التحفظ على قرار البطريرك ايرونيوس القاضي برفع قضية تشهير ضد الأب عطا الله حنا. ووافق المؤتمرون على التصدي لظاهرة هجرة المسيحيين من البلاد وحذروا البطريركية من تعيين كهنة غير مؤهلين لاهوتيًا وثقافيًا وحضاريًا ولغويًا.

ومنذ تلك اللحظة تفاقمت الأزمة بين الأب عطا الله حنا والبطريرك ايرونيوس لأن الأخير كان يشعر بأن الأب عطا الله يراقب تحركاته خاصة في ما يتعلق ببيع الأوقاف المسيحية للصهاينة، وتجذر الخلاف إلى أن ظهرت الفضيحة الكبرى التي أوقعت الأب إيرونيوس، تحت الضوء، فطالب رجال الدين المسيحيون والمسلمون وغيرهم بمحاكمة البطريرك واعتبار البيع لليهود ملغى، وملاحقة الرجل المباشر عن البيع وهو شخص مشبوه ومتعاون مع البطريرك إيرنيوس، ووقع الجميع على طرد البطريرك وتجريده من كل صلاحياته الكنسية.

على أي حال فإن الكيان الصهيوني يسعى جاهدًا لجعل مدينة القدس ذات طابع يهودي خالص من خلال التضييق على المسلمين والمسيحيين، ودفعهم إلى ترك أراضيهم وأماكنهم المقدسة عرضة للاغتصاب الصهيوني، وكما أشرنا فإن هذه الخطة ليست وليدة اليوم إنما هي قديمة قدم ظهور الحركة الصهيونية العملية عام 1897 مسيحي.

مراجع تمت الاستفادة منها

1- تاريخ الطبري المجلد 4، ص: 436.

2 - الدكتور محمد الصلابي، فصل الخطاب في سيرة عمر ابن الخطاب، ص: 643، دار الإيمان - الاسكندرية، 2002 مسيحي.

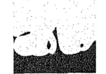
3 - في باخور إسرائيل والمفارقة المسيحية، صحيفة يديعوت احرونوت الصهيونية، 2003/7/3 مسيحي.

4 - تقرير حول الانتهاكات الإسرائيلية للمقدسات الإسلامية والمسيحية، مجلة آفاق العدد 3، 1999 مسيحي.

5 - يديعوت انترنت عن مجلة حديث الناس، المؤتمر الخامس للطائفة الأرثوذكسية، 2004/6/13 مسيحي.

6 - بواف شيتبرن وجاكي خوري: الطائفة المسيحية داخل اسرائيل، جريدة هآرتس، 2005/3/20 مسيحي.

7 - التآخي بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين، قناة الجزيرة، تاريخ الحلقة 2004/7/22 مسيحي.



الإنجيلية
طائفة تسعى للسيطرة على العالم

تقرير أعدته صوفي دي ديزير* (SOPHIE DES DESERTS)

ترجمة: **عبد الحميد غريبي**

الطائفة الإنجيلية في أمريكا

الإنجيلية تعتبر طائفة مسيحية أصولها بروتستانتية، ومحور فكرها - إن كان لها فكر - الإعداد والاستعداد لمعركة «ارماجدون المعركة الفاصلة بين قوى الخير والشر». وسائل إعلام الطائفة الاذاعات الفضائية المرئية والإنترنت (شبكة المعلومات الدولية) وألعاب الفيديو والروايات الخيالية.

هذه الحركة أو الطائفة تنمو بسرعة لم تبلغها غيرها من الحركات الدينية في الغرب منذ قرون عديدة.. أخطر ما في هذا الأمر أن مسؤولين كبارًا في الإدارة الأمريكية متعاطفون - إن لم يكونوا أعضاء فيها - مع حركة الإنجيليين .. ولنا أن نتساءل عن مدى التزام صناع القرار بتحقيق أهدافها ؟

صليبيو الأبوكاليبس

الانتقام الإلهي المدمر قبيل إقامة مملكة الرب (APOCALYPSE)، ولنا أن نتساءل عما يمكن أن نفعله إزاء رجل يعتقد بأنه يملك خطاً هاتفياً مباشراً مع الله ؟ ويعتقد أنه مكلف بتنفيذ مهمة إلهية ؟ رجل يؤمن إيمانًا قاطعًا بأن عذاب الله قريب! وماذا لنا أن نفعله إزاء هذا الرجل إذا وصل إلى سدة الحكم ؟

وفي هذه الأجواء حاولت بعض القوى المشبعة بتعاليم الطائفة الإنجيلية في أمريكا قبيل بدء الحرب على العراق في أواخر شتاء سنة 2003 مسيحي، أن تضم الرئيس «جاك شيراك» إلى أنصارها وإقناعه على الأقل بعدم الاعتراض على صحة تحليلها للوضع الإنساني وفقاً للنبوءات الواردة في النصوص المقدسة، نعم لقد حاولوا جرّ فرنسا إلى تلك الحرب بدعوى أنها قدر مقدور وأن إرادة الله تقتضيها «هكذا».

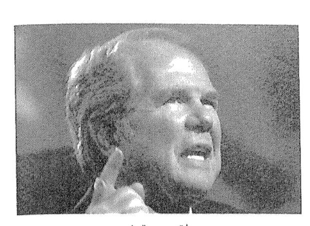
من هذا نفهم معنى استخدام كبار المسؤولين في الولايات المتحدة الأمريكية عبارات جديدة قديمة في الخطاب السياسي السائد مثل «الدول المارقة»، «محور الشر»، «ويأجوج ومأجوج»، والحقيقة أن الرئيس «شيراك» ظل مذهولاً لما سمعه من مبررات من هذا النوع على لسان مسؤولين أمريكيين الأمر الذي دعاه إلى تكليف أحد مستشاريه بدراسة تلك العبارات الغريبة بأقصى سرعة ممكنة، فما كان من ذلك المستشار إلا أن اتصل بالمسؤولين في «الاتحاد البروتستاني الفرنسي» الذين أفادوه بأن النبي «إيزيشيل» أخبر بأنه عند نهاية العالم سوف ينسل «يأجوج ومأجوج» من بابل إلى أرض «إسرائيل»، وأن

* كاتبة في صحيفة (Nouvelle Observateur) - فرنسا، العدد (205)

يأجوج ومأجوج يسمون في الكتب المقدسة «قوى الشر»، وأنهم سيخرجون من بابل التي كانت مزدهرة في التاريخ القديم والتي تقع بالقرب من بغداد، وقد أعيد بناؤها في عهد صدام حسين. ويرون أن هذا أمر له دلالة قد يصل إلى موقع القرار في أكبر دولة في العالم، رجل ليس بالمجنون وليس بالعالم بأمور الدين، وقد يكون مجرد عضو في هذه الطائفة الغريبة الأطوار، وإن كانت تعد ـ ربما ـ من الكنيسة البروتستانتيه، وهي تدعو إلى اكتساب القوة لكي تقوم بواجبها في الاستعداد لمواجهه الأحداث الخطيرة التي توشك أن تنفجر لتغير مصير البشرية. وبعض كبار الساسة الحاليين في أمريكا ممن يؤمنون إيمانًا عميقًا بنبوءات النبي «إيزيشيل» ويعدون أنفسهم ممن يسمون بـ «المولودون المسيحيون الجدد (BORN AGAIN CHRISTIANS). وهذه المجموعة المتعددة الأصول المسيحية، والتي تعد من أنشط الجماعات المتطرفة دينياً وسياسياً تنتمي إلى كنيسة جديدة تسمى «مجمع الكنائس الانجيلية للسيد المسيح» وهي أشبه ما تكون بالمنظمة، وتمتلك أموالاً طائلة تمكنها من بسط نفوذها على مناطق كثيرة في أمريكا وخارجها. ومن المهام ذات الأولوية القصوى التي تنشط هذه المنظمة الكنيسة في تحقيقها هي تحويل الشعب الأمريكي بكامله إلى «إنجيليين» قبل الشروع في بسط سيطرة أمريكا على العالم بأسره، ولا تقبل المنظمة بأقل من ذلك. وهي لا تخفي أن من أهدافها الأساسية لتحقيق ذلك الوصول تدريجيًا إلى قمة هرم السلطة في البيت الأبيض.

تنامي العقيدة الإنجيلية

الأفكار الإنجيلية ليست جديدة، فهي من مكونات الخلفية الثقافية البروتستانتية وإنما كانت كامنة فيها ولم تظهر على السطح إلا بعد الحرب العالمية الثانية، ومنذ ذلك الحين تنامت تلك الأفكار بسرعة وتشكلت في أوعية بآلياتها حاليًا، وكان تنامي الإنجيلية من القوة بحيث عرقلت حركة الكنائس الكبرى الكاثوليكية والبروتستانتية وحتى حركات الدعوة


بات روبرستون

الإسلامية «هكذا» والأرقام التي تشهد بذلك النمو المذهل تبين أن عدد المؤمنين بدعوة الإنجيليين قفز من أربعة ملايين سنة 1940 مسيحي عندما كان عدد المسيحيين بكافة كنائسهم لا يزد على (560) مليوناً إلى (500) مليون إنجيلي من أصل ملياري مسيحي يعيشون اليوم على سطح الأرض ، أي بنسبة واحد من أربعة.. ويقدر المهتمون بالشؤون الدينية أن الذين ينضمون إلى الطائفة يوميًا بحوالى (52000).

يوجد حالياً مليون راع (= قس عند الكاثوليك) نشطون في مليون كنيسة تابعة للإنجيليين في العالم.

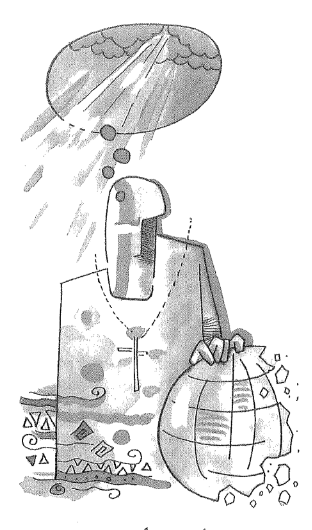
ويقول «هارفي كوكس» HARVEY COX أستاذ علم الأديان بجامعة هارفرد في كتابه «الدعوة للرب»: إن الحركة الإنجيلية ستضم نصف المسيحيين بكنائسهم المختلفة خلال الخمسين سنة المقبلة، وتوجد داخل هذه الحركة المتطرفة أطياف لها بعض الخصوصيات الجزئية مثل بعض القادة الأمريكيين القريبين من «الرعاة» المتشددين إلى درجة الهوس المعروف «بيلي غراهام» الملقب بـ «بابا الإنجيلية» أو «رسول المسيح». ويقول: بيلي غراهام: «إن مهمته تقتصر على الدعوة إلى رؤية إنجيلية توراتية» باعتبار التوراة جزءًا من الكتاب المقدس للعالم. ومن سمات الإنجيليين في العالم وخصوصًا في الولايات المتحدة أنهم يفاجئون الناس بتصريحات غريبة وغير معهودة في المجتمعات العلمانية التي تعتبر الدين من خصوصيات الأفراد التي لا يحسن الحديث عنها، كأن يصرخ «الراعي» بات روبرتسون (PAT ROBERTSON) مؤسس قناة «التحالف

المسيحي»: «أسمع الله يقول لي إن انتخابات سنة 2004 مسيحي ستكون بمثابة انفجار وإننا سننجح ولا يهمنا ما سيفعل الرئيس الذي سينتخبه الناس، خيرًا أو شرًا، المهم أن يكون الرئيس مؤمنًا ولذلك سيباركه الرب»، والأخطر من هذا كله إعلانه في أحد منشوراته أنه «لن يكون هناك سلام عالمي ما لم تتبوأ دار الله وشعب الله مكانتهما في قيادة العالم» فهو يؤمن ويدعو إلى الإيمان بأن ذلك هو «أمريكا». وهكذا فإن الحركة الإنجيلية التي ينضوي تحت لوائها سبعون مليون أمريكي (أي واحد من أربعة مواطنين) تصدر نفسها بدعاية أشبه ما تكون تسويق الكوكا كولا والهمبرغر، ولها الآن امتدادات في أمريكا اللاتينية واليابان وحتى أفريقيا وكذلك في أوروبا وروسيا والهند والصين.

بل لا تتردد الإنجيلية في توسيع دائرة أطماعها إلى أرض الإسلام، وإن كانت تعتبرها المحطة الأخيرة، ولا عجب في ذلك إذا علمنا أن الحركة تنظر إلى أمريكا باعتبارها أرض البعث الإنجيلي مقابل مكة التي تمثل «الآخر» المواجه.

وعلى نفس المنوال، تعتبر «نيويورك» التي كانت تسمى «المدينة فوق الربوة» في مقابل «أورشليم» (القدس) التي تمثل مصدر الحضارة «اليهودية / المسيحية» أو ما تسمى بالفرنسية: (Civilization Jideo-Chretienne) التي لا بد من العمل على إعادة مجدها القديم إليها في مواجهة بابل الجديدة التي بناها صدام حسين. هذا هو جورج بوش الذي لا يزال الكثيرون يشكّون في حقيقة نجاحه في انتخابات الرئاسة الماضية يعد عند الإنجيليين «الرجل الذي اختاره الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - لأمر عظيم»، فلا عجب إذاً أن توكل إليه مهمة إعلان من هم الأخيار ومن هم الأشرار في العالم. إن هذا النكوص إلى زمن الأساطير أمر محير لسببين: أولهما كيف نجح - إلى الآن - الإنجيليون في إلغاء المنهج العلمي الذي بنيت عليه الحضارة الغربية والذي يعده الغربيون مفخرتهم وأساس تقدمهم ؟

السبب الثاني: كيف استطاع الإنجيليون باعتبارهم امتدادًا للبروتستانتية أن يخترقوا أمريكا



اللاتينية الكاثوليكية الأكثر تمسكاً بدينها؟ حيث إن الكنائس الإنجيلية تتكاثر فيها بسرعة مذهلة منذ السبعينات يقول البعض: إن نجاح الإنجيليين في أمريكا اللاتينية يعود إلى أنهم ركبوا موجة التحرر من قبضة «اليانكي» الأمريكي وهذا دليل على «مكيافيلية الانجيلية» التي تسعى بكل الطرق إلى تحقيق أهداف سياسية خفية وخطرة على مستقبل البشرية.

ومن الأدلة المتوفرة بكل وضوح مثل وصول «ريوس مونت» (RIOS MONIT) إلى قمة السلطة في غواتيمالا وهو راع من رعاة كنيسة «كلمة الله» (VERBE DE DIEU)، فرع من فروع «الانجيلية». وبالرغم من ادعائه بشدة التديّن أقدم على قتل الآلاف من الهنود الحمر الذين يسمون «الفلاحين».. فهل نفهم من ذلك أن الإنجيليين مصابون بفصام الشخصية، الذين يؤمنون بالشيء وضده؟ أي أنهم

يخفون شيئا ما؟ ومن الأدلة التي تثبت مكر وتلون الإنجيلية استغلالها لاتفاق تم بين البابا «بولس الثاني» والرئيس الأمريكي الأسبق «رونالد ريغن» لتطبيع العلاقات الدبلوماسية بين الفاتيكان وأمريكا وتبادل السفراء في (سنه 1984 مسيحي) للانتشار في جميع مناطق أمريكا اللاتينية دون أي اعتراض من الكنيسة الكاثوليكية، وكان أكثر النشطين في الدعوة الانجيلية في أمريكا الجنوبية آلافًا من الطلبة المنتمين إلى حركة «المولودون الجدد» التابعة للكنيسة الإنجيلية بالتعاون مع أحد أقطاب الحركة في المجال الإعلامي وهو البرتغالي الأصل «بن آرمسترونغ» المدير التنفيذي لعدد من القنوات الدينية في الولايات المتحدة، وهو الذي قال ذات يوم باللغة الإسبانية في لقاء أجري معه: «إن المطلوب منها هو السيطرة» ـ هكذا في النص ـ على أرض حددها السيد المسيح وهي: أمريكا اللاتينية.. وإذاعاتنا المرئية هي سلاحنا الحي في هذه العملية. أنا مشتاق، فإنهم جميع الذين اعتنقوا عقيدتنا الإنجيلية الذين ينتقلون من بيت إلى بيت لدعوة الناس إليها.. إنني أتوق إلى ذلك اليوم الذي يتحد فيه سكان الأرض بفضل الأقمار الصناعية، (هكذا) وفقاً لما جاء في «الآبوكاليبس» (رؤيا يوحنا). ويمكن القول إن من السهل جداً أن نشم رائحة وكالة المخابرات الأمريكية في هذا الأمر. وبالرغم من ذلك فإن البرازيل الدولة الكبرى الأشد تمسكاً بالكاثوليكية أصبحت تؤوي ثاني أكبر تجمع «إنجيلي» بعد الولايات المتحدة إلى درجة أن الزعيم الكاثوليكي الطائع المثالي للفاتيكان «لولا دا سليفا» (LULA DA SILVA) اضطر إلى طلب مساعدة «الإنجيليون الجدد» من الكاثوليكيين الذين أصبح عددهم يتكاثر خلال السنوات القليلة الماضية، في حملته الانتخابية. ومن أقطاب الدعوة الإنجيلية التي تتلون بألوان مناطق نشاطها «إدوارد ماسيدو» (Eduoard Macedo) الذي قضى سنوات في السجون متهمًا بعدة تهم منها الفساد الأخلاقي والتحايل على مصلحة الضرائب في البرازيل هذا البلد الذي يضم برلمانه (60) نائباً إنجيلياً نشطًا من مجموع (512) نائباً.. ولا غرو فعدد الإنجيلين في البرازيل بلغ ثلاثين مليوناً.. ومن يصدق أن هذه الدولة الكاثوليكية العريقة أصبحت تنافس أمريكا في بث ما يسمى «البشرى الإنجيلية» في الدول الأفريقية التي كانت تحت الاستعمار البرتغالي ودول غيرها مثل: أنغولا ـ الرأس الأخضر ـ غينيا بيساو ـ الموزامبيق ـ ولا غرابة أن يشهد الكثيرون بأن دعوتهم تلقى إقبالاً متزايداً.

الانجيلية الجديدة تغزو العالم بهدف السيطرة والتحكم ومن ثم تغييره بالقوة ومحو كل العقائد الأخرى.

أما في الكونغو وجنوب أفريقيا وبنين وبوركينا فاسو فإن طائفة «نيو بنتوتيست» (Neopente Cotistes) الذين يتبنون العقيدة الإنجيلية فإن المواجهة بينهم وبين المسلمين تصل إلى القتال مخلفة مئات القتلى خصوصًا في شمال نيجيريا وساحل العاج حيث يساند بل «يحمي» المسلحون الإنجيليون الرئيس «لوران غباغبو» (Laurent Gbagbo). وحتى المغرب العربي فإنه لم ينج من نشاطات الإنجيليون: «يوجد حالياً في المغرب (50) مبشراً يعملون»، بحسب ما صرح به رئيس الكنيسة الكاثوليكية في الرباط، وفي الجزائر أصبح نشاط الإنجيليين مكشوفاً تحت مسمى «الكنائس البروتستانتية الجديدة» وحضورهم في الشارع الجزائري واضح للعيان. وكثيراً ما يزور رعاتهم الجزائر قادمون من فرنسا أو مصر أو الأردن وجلهم يذهبون إلى مناطق القبائل، الأمر الذي تستنكره وسائل الإعلام المحلية متسائلة عن سبب غض الطرف عن تلك النشاطات الكثيفة، وعن عدم الاكتراث لتحول مسلمين عن دينهم واتباع دعاة الإنجيليين ونحن نتساءل عن سر هذه الحرية الممنوحة لأولئك الدعاة ومن يتبعهم من الحكومة الأمريكية؟ ومهما كان السبب فإن «دار الإسلام» كما يقول المسلمون تتعرض الآن لـ«غزو استراتيجي يستهدف قلوب (أرواح) أهلها (هكذا) ولو صدقنا

ـ ولم لا ـ صحيفة «موذر جوس» (Mother Jous) في ما تقوله فإن جامعة كولومبيا الدولية في ولاية كارولينا الجنوبية الأمريكية تقوم بإعداد دعاة (ضد الصدمات) لـ(تصفية الإسلام).

وردت هذه المعلومة ضمن ملف شامل نشرته الصحيفة المذكورة في أواخر سنة 2002 مسيحي. وليس كذبًا ما أعلن عن أن (3000) على الأقل من دعاة «المولودون الجدد» من جنوب الولايات المتحدة يستعدون للسفر إلى العراق لنشر دعوتهم ولو أدى بهم ذلك إلى الموت في سبيل الرب، وتقوم الآن جمعية غير حكومية تسمى (Samaritanpurse) بالعمل لحساب «العهد المعمداني» (Convention Des Baptistes) وهي الحركة التي يقودها الراعي الإنجيلي فرانكلين غراهام «ابن بيلي غراهام» (Billy Graham) صديق بوتس المشهور بعدائه للمسلمين، وهل هذا لا يكفي للتدليل على اقتناع الرئيس بوش برسالة أمريكا في العالم كما بدا من كلامه عندما قال عقب هجمات 11 سبتمبر الإرهابية: «إنه يتعين على أمريكا أن تقود العالم (هكذا)». وهذا يذكرنا بمقولة السناتور الأمريكي (Beveredge Albert) سنة 1898 مسيحي، عندما أخرجت أمريكا أسبانيا من كوبا والفليبين: «إن الله جعل الأمريكيين سادة على كل الذين يريدون إعادة النظام إلى حيث تعم الفوضى». وما يمنعنا هنا من أن نستمع إلى لحن مغاير، فهذا الكاتب المشهور «فيليب جنكنز» (Philip Jenkins) مؤلف كتاب «مستقبل المسيحية» (The Next Christendom) عن الظاهرة الإنجيلية يقول: «إن مركز نقل المسيحية من الشمال إلى الجنوب الفقير، وقد ينجم عن ذلك حدوث شرخ كبير في الجسم المسيحي «وخصوصًا البروتستانتي» وتظهر أفكار جديدة نتيجة الاحتكاك المباشر بالظروف التي تحكم وجودها إلى جانب ثقافات الفقراء ومعتقداتهم وتفاعل المسيحية، واضح أنه يقصد البروتستانتية التي لم تنتشر إلا في المناطق الغنية على عكس الكاثوليكية» مع الإسلام والهندوسية. وعندما يحين زمن الصدام الذي لا مفر منه لن يفلت الغرب من الكارثة لأنه سيكون بالتأكيد «بابل» آخر الزمان و«البغي» التي يقول عنها يوحنا في رؤياه (Apocalypse) أن القضاء عليها شرط أساسي لعودة المسيح (عليه السلام).

أمريكا مسيحية من أجل إنقاذ العالم

الجامعات والمحطات الفضائية والمحلية والانترنت والصحف والكتب والمنشورات وكل الوسائل التي تخطر أو لا تخطر على البال تستخدمها الإنجيلية ودعاتها المشهورون بهدف دفع الأمريكيين أولاً وغير الأمريكيين ثانيًا لاعتناق مذهبهم.

منذ خمسين سنة مضت كان سكان فرجينيا في الولايات المتحدة الأمريكية يسخرون من أتباع ونسون سينام (Winson Synam) ويعدونهم من المجاذيب، هكذا بدا دعاة الإنجيلية في أول أمرهم، كانوا مجموعة صغيرة من الهامشيين يدعون إلى أفكار أقرب إلى الهذيان منها إلى مبادئ يقبلها العقل.. واليوم لم يعد سكان فرجينيا يضحكون من تلك الأفكار التي انتشرت في أمريكا كلها التي يقدر عدد الإنجيليين فيها بسبعين مليونًا على الأقل وأصبح ونسون سينام مديرًا لمعهد الرب في فرجينيا جنوب واشنطن، وقد أنشأ هذا المعهد سنة 1987 مسيحي، عندما قرر الإنجيليون خوض المعترك السياسي. ويحصل خريجو هذا (المعهد/ الجامعة) عند الانتهاء من دراستهم على لقب قادة المسيحية لتغيير المجتمع. عدد الخريجين كان في البداية يبلغ حوالى 80 داعية وقفز خلال سنوات قليلة إلى 3000 أكثرهم يواصلون تعليمهم إلى الماجستير، فإذا شاء أي مواطن أن يخدم المسيحيين على الوجه الصحيح فعليه أن يلتحق بهذا المعهد لمدة سنتين أو ثلاث، وليس غريباً أن يلاحظ زائر المعهد برجاً معدنياً يعلو المبنى، فهو هوائي المحطة المرئية التي تبث برامجها إلى (180) بلدًا في العالم واسمها:

(CHRISTLAN BROADCASTTING NETWORK) وشعار المحطة: (CBN) إعداد أمريكا والعالم لعودة المسيح (عليه السلام). ويعرف كل الأمريكيين (PAT) مدير المحطة الشهير بقدرته الخاصة على الخطابة،

ومن تصريحاته الهوجاء مثلاً أن لديه رغبة في تفجير وزارة الخارجية وطرد القضاة الليبراليين من المحكمة العليا، «وإنني أسمع صوت الرب الذي يبشرني بإعادة انتخاب بوش (الابن)» وبات هذا هو مؤسس التحالف المسيحي، وهو تنظيم علاقات عامة للدعوة الإنجيلية وبرامجه التي تديرها شخصيات لا تخرج عن الفكرة الأساسية أو الوحيدة التي تشكلت حولها دعوة الإنجيلية التي تنحصر في تجميع اليهود لإقامة مملكة الرب، ولكن الدعاية الإنجيلية تحاول أن تحيط هذه الفكرة ببرنامج أو مشروع ديني لكي تقنع جميع المتدينين بالالتفاف حولها، ومثال ذلك ما تدعو إليه وسائل إعلامها من ضرورة انتشال المجتمع المتفسخ من الضياع، والقضاء على الانحراف الجنسي المتفشي، والحركات النسائية ودعاة التحرر من القيود الدينية وهي بذلك تركب موجة العودة إلى الدين لتحقيق أغراض سياسية أكثر من أي شيء آخر. من أخطر أساليب الإنجيلية في التخفي استخدامها مسميات مختلفة لجماعاتها يصعب حصرها ومتابعتها، وتجند دعاة من الإعلاميين المشهورين وشخصيات من النشيطين في المجتمع المدني دعواهم دعوة الصليبية (هكذا) منهم على سبيل المثال: جيمس روبنسون James Robinson وهو راعٍ بروتستانتي ذو شخصية جذابة، وجون هايجي Hagee John خطيب بارع من أتباع كنيسة كورنستون (Cornestone) وعدد أعضائها الناشطين (1700) ويتعاون مع (120) محطة مرئية ومسموعة تبث له برامج وأغان، منها أغنية دينية مطلعها: عندما يحكم المسيح (عليه السلام) أورشليم فلن يكون هناك إجهاض ولا طلاق ولا لقطاء.. ونذكر أيضًا الراعي تيم لاهاي (Tim Lahaye)... باع ستين مليون شريط (ألبوم) يحمل أناشيده عن الأبوكاليبس (رؤيا يوحنا) وتفشت هذه الدعوة هذه الأيام بشكل غريب.

تتساءل مجلة تايم (TIME) في أحد أعدادها: لماذا يتحدث الكثير من الأمريكيين عن نهاية العالم ؟

وليس هذا مجال الإجابة الشافية عن هذا السؤال. والآلية الإنجيلية ليس لها شكل ولا إطار تنظيمي واحد ولا متحدث واحد، اللامركزية سمتها الأساسية، ولكل راع من رعاتها منطقته وموقعه على الانترنت ومكتبته ومدرسته - وكما قال ونسون سينام في زلة لسان، نحن لسنا متنافسين.. إننا نعمل لأجل هدف واحد.. حلمهم واحد في بلد يعد الأكثر تدينًا في الغرب (قرابة 90 في المئة من الأمريكيين يدعون أنهم مؤمنون). لذلك فكل ما يحدث الآن ليس مستغربًا لأن الإنجيليين يلعبون على وتر الإيمان لتشكيل حلم يستهوي قلوب المؤمنين بعودة المسيح (عليه السلام) إلى أورشليم.

الدعاية الانجيلية تحاول أن تحيط هذه الفكرة ببرنامج أو مشروع ديني لكي تقنع جميع المتدينين بالالتفاف حولها.

ويرى بات روبنسون أن هذا كله (يعني تصديق الأمريكيين لدعاوى الإنجيليين) ممكن جداً.. انظر كيف تنامت دعوتنا، فمنذ ثلاثين سنة لم نكن شيئًا يذكر، والآن فإننا نسيطر على جزء كبير من الحزب الجمهوري ولنا ممثل جيد من جماعة (المولودون الجدد) هو أيد في البيت الأبيض وآخر يترأس الكونغرس. ويجب أن تضيف كارل روف (Rove Karl) المكيافيلي المعروف بصفته هذه وهو أقرب المستشارين على الإطلاق من الرئيس بوش الابن، وكذلك الوزراء غال نورتن (Gale Norton)، وزير الداخلية وتومي طومسون (Tommy Thompson)، ووزير الصحة وجون آشكروفت (Jhon Aschroft) وزير العدل وهو القائل : ملكنا هو المسيح نفسه، ورالف ريد (Ralph Reed) رئيس حملة بوش لانتخابات 2004 مسيحي وهو نشط من غلاة (المولودون الجدد) واليهودي الشيوعي السابق مارتن أولنسكر (Martin Olaynskir) والذي يقول إنه من المؤمنين بإعادة ميلاد المسيح (عليه السلام)، وهو الذي أقنع صديقه جورج بوش بإعطاء سلطة فعلية أكبر للمنظمات الدينية.

ومن المعلوم أن الفريق الذي يعمل مع بوش يتعاطف (عن اقتناع أو لأسباب سياسية) مع الإنجيليين الذين يسيطرون الآن على ثلث القاعدة

الانتخابية للحزب الجمهوري في زمن ارتفعت فيه أصوات المنادين بإلغاء كل الحواجز بين الدولة والكنيسة. وهناك الآن دعوة يقودها المحامي الشهير جاي سركولاو (Jay Serkulaw) ومجموعة من أنصاره، تنادي بإدخال التعليم الديني «الكتاب المقدس وبما فيه «سفر النشوء» في مقررات المدارس.
وبعد أحداث 11 سبتمبر انطلق الإنجيليون بكل ألوانهم يحذرون من غضب الرب، ويفسرون تلك الهجمات المرعبة بأنها كانت ضربة إلهية لأبراج من أبراج بابل «برجي مركز التجارة الدولي» عقاباً على ما وصل إليه المجتمع الأمريكي من الانحطاط الأخلاقي، وما زلنا نتذكر كلمات «جيري فالويل» (J. Falwell) الراعي المشهور، عبر محطة (CMB)الذي كان يصرخ: «إن قتلنا لأربعين مليون جنين بريء قد أفقد الله صوابه فجُن (كذا) وكذلك عندما ألقينا به خارج المدارس» (الهاء تعود على الله). وقال أيضًا: «يجب أن ننقذ أمريكا لكي تنقذ العالم بدورها..» ومما قيل في تلك الفترة: إن الهجوم الإرهابي الذي حدث في 11 سبتمبر هو هجوم على المسيحية نفسها وإنه يعتبر المرحلة الأولى قبل المعركة الكبرى الحاسمة.

أما «ونسون سيام» فقد قال: «إن الحرب مع المسلمين هي أكبر حروب العصر الحديث. إنهم يقتلون المسيحيين في العالم كله ولهم قدرة كبيرة جداً على الانتشار والتزايد وسوف ترون ماذا سيحدث في فرنسا بعد عشر سنوات».

إن الكراهية والخوف أصبحا يشكلان نوع العلاقة مع المسلمين في كل مكان، وليس فقط الكنائس التي يسيطر عليها الإنجيليون، ففي شهر «يونيو» 2003 مسيحي، صرح أحد المسؤولين الكبار في «البانتاغون» وهو الجنرال «بوكين» (Boykin): «إننا لن ننتصر على صدام وبن لادن إلا إذا حاربناهما باسم الرب يسوع!».

وحركة التبشير في العالم كله لم تكن أبدًا غائبة عن هذه الدعاوى، فهذا جون هايجي لا يزال يردد: «منذ 11 سبتمبر بدأ يتناهى إلى أسماعنا صوت ركض خيول «هارمجدون»! لا بد من التحرك بسرعة». وشهدت شبكة «إنترنت» افتتاح مواقع كثيرة لجمعيات جديدة تدعو كلها إلى الذهاب إلى أراضي الإسلام لإنقاذ الإنسان هناك من ذاك «الدين المنحرف الشيطاني» هذه كلمات فرانكلين غراهام (Graham Franklin) ابن «بيلي» (Billy) الذي أقنع «بوش الابن» سنة 1986 مسيحي باعتناق العقيدة الإنجيلية، ومعلوم أن ابن غراهام هذا واعظ منتظم في البنتاغون وأنه يرسل آلاف النسخ من الكتاب المقدس إلى العراق عبر جمعية خيرية، وفي بغداد لوحظ وجود «رعاة» يعرضون على الجنود حماية أرواحهم من الخطر إذا هم اعتنقوا الإنجيلية ووافقوا على تعميدهم!
وفي موقع المنظمة: (Campus Crusade International) «المخيم الصليبي الدولي» دعوة إلى الذهاب إلى القوات المقاتلة وإهداء أناجيل صغيرة في أغلفة خاصة على مقاس جيوب سترات الجنود لجميع المقاتلين في العراق، والجامعات تشهد حركة غير عادية، فهذه جامعة كولومبيا المعروفة تنظم دورات للدعاة الجدد وتركز على تعليمهم أحدث الوسائل لإقناع المسلمين بآرائهم وكيفية التسلل إلى ثقافتهم .

لأجل إنشاء (إسرائيل الكبرى)

يعلن الإنجيليون أن واجب اليهود يدعوهم إلى العودة إلى إسرائيل، في الوقت الذي كان يجتمع فيه «أنصار السلام» من الإسرائيليين والفلسطينيين في الأردن لإعداد «اتفاق جنيف» يفتتح جماعة من الإنجيليين الأمريكيين و«الليكوديين» الإسرائيليين أعمال ما يسمونه «قمة أورشليم» (القدس) برعاية اليميني الجديد «ريشارد بيرل» معلنين أن «إسرائيل هي الحل الأخلاقي لمشكلة السلطة الشمولية الشرقية والنسبية الغربية وهي ـ الطابق (الدور) صفر للمعركة المركزية لـ(من أجل) حضارتنا». من البيان الختامي للملتقى.

يقول الكاتب الإسرائيلي الأمريكي جيرشوم غورنبرغ (Gershom Gorenberg) مؤلف كتاب «نهاية الزمن» (العالم): «إنهم (الإنجيليون) لا يحبون اليهود لأن عقيدتهم عبارة عن مسرحية ذات خمسة فصول آخرها إبادة اليهود الذين لا يتنصرون».



الفن السابع

البحث عن مملكة السماء!!

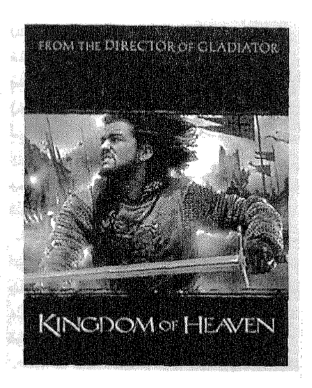
رمضان سليم *

(1)

كان لا بد لأحداث الحادي عشر من سبتمبر أن تتجسد على الشاشة، وهذا التجسيد الفني اقترن بصناعة الأشرطة في هوليوود الأمريكية على وجه التحديد، إذ إن معظم الأحداث الواقعية تصاغ بطريقة فنية ويعاد تقديمها بشكل مباشر أو غير مباشر وبشكل سريع يعبر عن استجابة أولية، أو بطريقة بطيئة وهادئة، وذلك بحسب الإمكانات والأساليب المتبعة في شركات الإنتاج الكبرى، وكذلك الظروف الدولية المصاحبة.

لقد تأخر إنتاج الأشرطة السينمائية الروائية المرتبطة بأحداث 9/11 والسبب يرجع إلى أن المواقف تجاه هذا الحدث كانت متباينة، وليس هناك رأي موحد يذهب بالشركات المنتجة إلى أن تستفيد من ذلك، وأن تكون اختياراتها شبه واحدة تخدم توجهات السياسة الأمريكية كما حدث بالنسبة لأشرطة الحرب العالمية الثانية مثلاً وأشرطة الحرب الباردة وغير ذلك من الأشرطة.

لقد كانت هناك أشرطة تسجيلية ووثائقية أمريكية وأوروبية، فالأحداث الحقيقية أكثر فعالية في



المعالجة وطرح السؤال، لكن الشريط الروائي يبحث في الغالب عن الإجابة، والإجابة غير واضحة وأحياناً تكاد تكون مفقودة ولذلك كان الانتاج مؤجلاً.

بعد مضي أكثر من ثلاث سنوات يظهر شريط جديد، يقترب من دلالة الحدث ـ حدث الحادي عشر من سبتمبر ـ ويناور حول المعاني العامة المرتبطة به، محاولاً أن يلامس جوهر المشكلة، ونقصد بذلك

* كاتب وناقد سينمائي / ليبيا





العلاقة بين الإسلام والمسيحيين ـ ولا سيما بعد أن ارتفعت الأصوات في أمريكا وبعض الدول الأوروبية تجدد الدعوة لإعادة تأكيد مفهوم الصراع بين الشرق والغرب على أساس ديني، واعتبار ما حدث حربًا دينية مكملة للحروب الصليبية التاريخية.

بشكل عام لم تذهب السينما العالمية في السنوات الأخيرة باتجاه واحد مع السياسة، ولم تعد مجرد وسيلة لخدمة الأفكار السياسية والايديولوجية، كما حدث في إنتاج الأربعينات والعقود التي تلت ذلك، ولا شك في أن انتهاء الحرب الباردة كان له أثر كبير في اهتمام السينما بالأوضاع الداخلية للدول، والتركيز على القضايا المحلية وعدم النظر إلى أن العدوان الخارجي الافتراضي هو دائمًا أصل المشكلة، ولذلك أسباب كثيرة لا مجال هنا للتوسع فيها.

من الأشرطة الأمريكية العالمية التي تعاملت مع جوهر العلاقة بين المسلمين والمسيحيين يأتي هذا الشريط (مملكة السماء) Kingdom of Heaven إنتاج 2004، الذي وزع في معظم أنحاء العالم ومن بينها دول عربية وإسلامية كثيرة وهو للمخرج المنتج (ريدلي سكوت Ridley Scott) وهو انجليزي وليس أمريكيًا، له ثقافة تتميز بالكلاسيكية، رغم ذلك فهو يعرف جيدًا كيف يتعامل مع السينما باعتبارها فنًا وصناعة وتجارة وأشرطة في عمومها قد حققت رواجًا تجاريًا كبيرًا، كما أنها تكسب بعض الرضا النقدي، وباختصار فهو من المخرجين الذين يعرفون كيف يمكن الإمساك بالعصا من الوسط، فيأتي أثر شريط يقدمه (ريدلي سكوت) ناجحًا على صعد مختلفة، وهو أمر يتناسب مع ما ترغب فيه شركات الإنتاج والتوزيع الكبرى، ولذلك يمكن اعتبار هذا المخرج من الناجحين في مجال الإنتاج والإخراج.

بسبب هذا النجاح يمكن للمتابع أن يستغرب من اختيار المخرج هذا الموضوع. فكرة شريط «مملكة السماء» فهو شريط غير مضمون النتائج، كما أنه يشكل مجازفة غير محسوبة في الظاهر وتوقيت إنتاجه يعتمد على المغامرة، فمن يقترب من معالجة قضية العلاقة بين الإسلام والمسيحية في هذه المرحلة الملتهبة المليئة بالهواجس والشكوك وشدة الصراعات الثقافية والسياسية؟

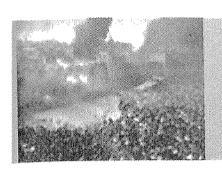
غير أن الشريط قد أنتج ونجح في استقطاب كل الأطراف، ولا سيما الطرف العربي والإسلامي، الذي اعتبر هذا الشريط بداية حسنة لمعالجة القضايا بطريقة حيادية قابلة للنقاش.

وفي الحقيقة لا يعد هذا الشريط البداية الأولى، فقد أنتجت في سنوات سابقة بعض الأشرطة التي يمكن النظر إليها بعين التقدير، ومن ذلك شريط «الفارس الثالث عشر» وشريط «روبن هود» وشريط «ابراهيم وزهور القرآن». ولكن من مزايا هذا الشريط أنه أتى من مخرج معروف عالميًا، قدم بعض الأشرطة التاريخية في السابق ومن ذلك شريط «المتبارزان ـ 1977 مسيحي» وهو الشريط الذي فاز عنه بجائزة الإخراج السينمائي لمهرجان «كان» السينمائي في نفس السنة.

إن ريدلي سكوت مخرج متعدد المواهب والاهتمامات، ومن أبرز أشرطته (تيلما ولويس ـ غزو







الفردوس، وهانيبال والغرباء، وسقوط الصقر»، الأسود والمطر الأسود». وبالطبع لا بد من أن نذكر شريط «المصارع» الذي فاز بالعديد من جوائز الأوسكار ومنها أوسكار الإخراج السينمائي.

(2)

في شريط (مملكة السماء) عودة إلى التاريخ 1184 مسيحي، والمكان أوروبا من جانب، ثم القدس من جانب آخر، وتحديداً مع بداية الحملة الصليبية الأولى إلى الحملة الثالثة، حيث ينتهي الشريط بانتهاء حكم (الملك بالدوين الرابع Baldwin 1V) وتسليم القدس إلى صلاح الدين الأيوبي، لتبدأ الحملة الصليبية الجديدة بعد ذلك ، بقدوم الملك ريتشارد المعروف باسم (قلب الأسد Richard Coeur de Lion). ولا بد هنا من الإشارة إلى صياغة المعالجة التي كتبها (وليم موناهان William Monahan) معتمداً على حكاية متخيلة، وهو ما يتفق مع اهتمامات المخرج، الذي لا يهتم كثيراً بالتاريخ الفعلي ومجرياته، بل يستخدمه مجرد خلفية فقط لأحداث ووقائع من صنع الخيال.

(3)

من بين ما هو متخيل اعتماد الشريط على شخصية رئيسية، وهي(باليان Balian) يقوم بالدور (أورلاندو بلوم Orlando Bloom) وهو حداد يعيش في إحدى قرى فرنسا الجبلية، متشكك من الناحية الدينية ويعاني من أزمات نفسية حادة، ولكن قبل تعرفنا إلى هذه الشخصية، نعلم منذ بداية الشريط بأن الأب (غودفري) - قام بالدور ليام نيسون Liam Neeson - قد رجع من القدس إلى اسكتلندا، وأثناء عودته لجمع الفرسان من أوروبا عموماً مرّ على المنطقة الفرنسية الجبلية لكي يعترف بابنه الضائع غير الشرعي (باليان) ورغبة من السيناريو في اختصار الأحداث، تم جمع وقائع كثيرة في مكان واحد هو عبارة عن غابة مترامية الأطراف، نرى في جزء منها جثة الزوجة المنتحرة، ثمّ سرقة قلادتها من قبل أحد الرهبان، وقطع رأسها لأنها اختارت أن تنتحر، رغم أنها حامل.

لا يتوسع الشريط في إظهار المواجهة بين الأب والابن، حيث يمنحه الاعتراف بالأبوة، ثم يقتل الابن باليان الراهب السارق، ويضطر بذلك إلى السفر مع أبيه إلى القدس لكي ينجو من فرسان الكنيسة التي تطارده.

هذا هو الدافع الحقيقي للسفر، وهو أمر ربما نجده في أكثر من حالة تعبيرية، فالانتقال إلى القدس كان هروباً من مشكلات فردية أحياناً، وتحت إلحاح الكنيسة في أكثر الأحوال، وهو لمواجهة الفقر الذي أوحت به الأحداث.

ثم بدافع التخلص من الخطايا، خطايا الذات وخطايا الزوجة المنتحرة، يجد الإبن باليان نفسه في طريقه إلى القدس التي تكاد تكون مدينة متكاملة.

يكشف الشريط بوضوح من خلال السيناريو أن خدمة الصليب لم تكن واردة بالنسبة للفرسان الذين يتم جمعهم للحرب في القدس وما جاورها من مناطق، بل الهدف هو تحقيق النجاح المادي ووسيلة لنيل المكاسب وبلوغ المقاصد الدنيا.





لقد أوضح الشريط ذلك في حوار بين الأب جودفري والابن باليان، ولقد تولى الابن زمام الأمور بعد وفاة الأب متأثرًا بجراحه بعد معركة مع فرسان الكنيسة لينتقل إلى مدينة «مسينا» الإيطالية وهي نقطة التجمع إلى حيث القدس المدينة التي يحلم بالسفر إليها كل باحث عن النجاح والثراء، فهي مركز ديني وتجاري أيضًا.

يقول الأب للابن: إنك لست كما تولد، ولكن كما تريد لنفسك أن تكون.

ومن نقطة البداية تلك يجرد شريط «مملكة السماء» كل الحروب الصليبية من الاعتبارات الدينية، ويعتبرها مجرد مغامرة من مغامرات البحث عن الثراء وتحقيق الذات.

وفي هذا السياق يتفق الشريط مع اختيارات المخرج، حيث المغامرة بالنسبة إليه دائمًا هي أساس النجاح، وهكذا كان الأمر على سبيل المثال بالنسبة لشريطه السابق «غزو الفردوس» وأحداثه تدور حول اكتشاف أمريكا من قبل كولومبس ضمن مغامرة من المغامرات.

(4)

كما قلنا تبدأ الأحداث عام 1184 مسيحي، وما بعده بثلاث سنوات كانت القدس فيها مدينة تحت حكم الصليبيين، وتحديدًا كان الحاكم هو «بالدوين المجذوم» ولقد ابتكر له الشريط طريقة لإخفاء مرض (الجذام) تقوم على ارتداء قناع مستعار وغطاء خاص للرأس.

والمهم أن حول هذا الملك توجد حاشية من الشخصيات لها مصالح متشابكة وأحيانًا متناقضة، وبعض الأفراد يستخدمون الدين لتحقيق مصالحهم لعبًا على التناقض بين الأديان الثلاثة.

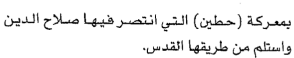
لكن هناك اتفاقية بين صلاح الدين الأيوبي والملك بالدوين Baldwin تقوم على أن تبقى مدينة القدس للجميع، تعيش فيها كل الأطراف على مبدأ احترام الأديان، وهذا التعايش الافتراضي هو الذي جعل المدينة مملكة السماء، ألم يقل المسيح «إن مملكتي ليست على هذه الأرض» فمن هذه الكلمات جاء العنوان.

إن مدينة القدس كما صورها الشريط هي مدينة الأحلام والنجاح الاقتصادي والتعايش السلمي الذي يحلم به العالم، ونظرًا لحاجة عالمنا المعاصر إلى مثل هذه المدينة، لذلك نحن نعود إليها.

(5)

إن الشخصيات التي يقدّمها الشريط كثيرة، منها مثلاً سيبيلا وهي أخت الملك، قامت بالدور (ايفا غرين) وهي متعصبة وتحلم بامارة مستقلة، توفي زوجها وتركها لنزواتها المفتوحة، تتعلق بالفارس ابيليان بطريقة جنونية وسريعة، ولم يفلح الشريط في تحديد مسار شخصيتها.

من شخصيات الشريط هناك (غي لوزينون Guy de Lusignon) وهو فارس متعصب نقض المعاهدة مع صلاح الدين وتسبب في مشكلات كثيرة، تزوج بسيبيلا Sibella بعد وفاة أخيها بالدوين الرابع ودخل في إعلان حرب كبيرة وهي الحرب التي انتهت

بمعركة (حطين) التي انتصر فيها صلاح الدين واستلم من طريقها القدس.

هناك أيضًا «حارس الدير» وهو شخصية مسيحية إيجابية مخلص لفكرة التعايش السلمي والحفاظ على نموذجية مدينة القدس.

أما شخصية غودفري ايبلان فقد سبق الحديث عنها، فهو فارس له أطيان وممتلكات في القدس، نجح في جمعها والمحافظة عليها، وهو يعود ليعترف بابنه بطل الشريط ويعود به إلى القدس ليستلم مكان أبيه بعد وفاة الأب متأثرًا بجراحه.

شخصية أخرى سلبية هي «شاتيلون» الذي شارك في مؤامرة لاستلام الحكم بعد بالدوين، والذي قام بعدة اعتداءات على قوافل إسلامية بغرض خرق المعاهدات والعودة إلى الحرب.

لا بد أيضًا أن نذكر (ثيربيرباس Tiberias) وهو الضابط الفارس الذي حاول أن يحافظ على الهدنة وأن يحمي القدس من الانهيار إلى آخر لحظة، وقد قام بالدور الممثل (جيريمي أيرونز Jeremy Irons) .

(6)

قبل أن يدخل القدس قتل الفارس «باليان» أحد الفرسان من المسلمين في معركة حياة أو موت، وهذا هو المبدأ غير الأخلاقي الذي استقبل به حياته الجديدة، ثم يكمله ببحثه عن المكان الذي اعتبر أن المسيح قد صلب في القدس، ولا يحرك ذلك فيه ساكنًا شعوريًا أو دينيًا، حيث إن الاعتماد كان كليًا على قوته وقدراته الحربية التي تعلمها قبل سفره بمساعدة أبيه.

تبدو رحلة (باليان) وكأنها محاولة لتحقيق الطموح الفردي، وتعبير عن غربة ذاتية، قبل أن تكون دينية أو اجتماعية، فهو قد تم الاعتراف به ابنًا للفارس «غودفري»، وهو متطلع إلى رحلة استكشافية يمكن أن يكون جزءًا من أهدافها البحث عن الخلاص والتكفير عن الذنوب بالمعنى الديني، إلا أن ذلك مجرد إطار شكلي لمغامرة من مغامرات فرسان العصور الوسطى.

تتحرك الأحداث عندما يقوم حاكم الكرك باعتراض قافلة للمسلمين فينقض بالتالي العهد المبرم مع صلاح الدين، إلا أن حكمة بالدوين تحول دون اشتعال الحرب عندما يقبل بدفع الدية، ثم القصاص من المذنب، وبينما كان نجم باليان يصعد بحكم منصب أبيه المتوفى، وكذلك اقترابه من الملك والملكة وتعامله المحايد مع مجريات الأحداث من حوله، تسير الأمور من جانب آخر نحو العودة إلى الحرب وبعث القلق في مدينة القدس.

لقد مات الملك بالدوين الرابع وصار زوج أخت الملكة هو الحاكم الجديد، الذي هاجم عائلة مقربة لصلاح الدين، وبذلك جرى الاستعداد للحرب ووجد باليان نفسه قائدًا للمعركة بعد أن فرّ الجميع من المواجهة.

إن الفارس الشاب باليان يقف على خط فاصل بين الطرفين، والتجربة بالنسبة إليه أساسها رحلة للمعرفة والاستكشاف والرغبة في تأكيد الذات المستقلة.

لذلك جاءت خطبته المطولة مليئة بالمواعظ التي تؤكد على أن البشر أهم من الحجر وأن ما هو على الأرض أهم ما يمكن المحافظة عليه وأن الشعارات تسقط أمام الواقع.

بعد أيام من الحرب المطولة ودخول المسلمين إلى





القدس بقيادة صلاح الدين، يسلم باليان مفتاح المدينة مقتنعًا بأنه قد خسر الحرب أولاً، وثانيًا بعد الاطمئنان إلى أن القدس ستصير إلى وضعية أفضل مما سبق.

(7)

هناك الكثير من التفاصيل الصغيرة التي يمر عليها الشريط سريعًا، ومن الملاحظ أن هناك مشاهد كثيرة قد حذفت أثناء عملية المونتاج ـ التوليف ـ للتقليل من طول الشريط، وهذا أدى إلى انتقالات حادة من مشهد إلى آخر وضعف الروابط المسلسلة، حتى يمكن القول أحيانًا إن الشريط له طابع ذهني وفكري مع زيادة في مشاهد الحرب وتوسع في تفاصيلها لجذب الجمهور.

أما عن أسلوب المخرج «ريدلي سكوت» فهو متكرر يحافظ على نفس خصائصه مع إضافة بعض العمق الذي لم يتحقق في أشرطة سابقة، ولا سيما أشرطة المغامرة مثل شريط «الفصل الحاد» مثلاً، حيث تحضر شخصيات متخيلة كثيرة، بالاعتماد على سيناريو كتبه «وليم موناهان» وهو كاتب جديد له مشروعات تالية ومنها شريط «طرابلس» الذي سينتهي العمل منه مع «سكوت» بنهاية 2007 مسيحي.

يبقى الشريط داخل الإطار الملحمي الذي يقترب من الدين بتحفظ وفي حدود مقبولة مراعيًا كل الأطراف، والتركيز بالطبع سيكون على الفارس باليان، ففي البداية بدا وكأنه هاملت المتشكك دائم التساؤل والسلبية، ثم في مرحلة أخرى هو أقرب إلى «آخيل» في حرب طروادة يدخل في حرب مجانية لتأكيد الذات دون اقتناع كامل. لهذا السبب استقبل الشريط بشكل إيجابي، حيث البطل ليس مندفعًا أو متعصبًا أو متحمسًا إلا لتأكيد الذات الفردية.

وبنفس الطريقة المألوفة يقدم «سكوت» شكلاً ملحميًا يعتمد فيه على تصوير المشاهد الكبيرة والاهتمام بالديكورات ومواقع التصوير ولقد ظهر ميناء «مسينا» بشكل لافت للنظر، كذلك القلعة الرئيسية في القدس.

(8)

أما عن نوعية المشاهد فيغلب على الشريط استخدام اللقطات العامة بحيث تبدو آلة التصوير وكأنها متعالية على المعارك تلتقط الحروب من أعلى وتصور الجموع وهي تتحرك لتحقيق أهدافها المحدودة، ولقد ساعدت التقنية الحديثة على تصوير المعارك الجماعية بشكل يدين فيها الشريط الحرب بمعناها المطلق.

أما المعارك، فإن الجمهور يشعر وكأنه قد شاهدها من قبل، ولا سيما في الأشرطة قريبة الإنتاج مثل «طروادة والاسكندر» وما يميز هذا الشريط تركيزه على (المنجنيق) بحيث يصبح اللهب المتطاير وكأنه لعبة، وتصبح كرات النار المتساقطة أقرب إلى المهرجان وهذا ما يؤكد فكرة برودة آلة التصوير التي هي جزء من الحيادية.

لم يؤثر في نجاح الشريط إلا الاختيار غير الموفق للشخصية الرئيسية «أورلاندو بلوم» الذي اشتهر في ثلاثية «ملك الخواتم» إلا أنه في جميع الأحوال كان مقبولاً رغم أنه يحاول أن يلحق بالدور بدون فائدة، فمن غير المقنع أن تراه فارسًا كبيرًا، وهو أيضًا غير

قادر على التركيز، رغم أن المخرج عرف كيف يستفيد من السلبيات هذه.

وهذا ما ينطبق أيضاً على الممثلة (إيفا غرين Eva Green) التي افتعل الشريط لها علاقة عاطفية عابرة مع الممثل الرئيسي، وكثيرًا ما صورتها آلة التصوير وهي واقفة ومتطلعة إلى ما يدور حولها دون أن تتدخل في الأحداث عمليًا، ووجودها كان لمتطلبات تجارية مكملة ولكنها ليست أساسية في الأحداث.

(9)


الممثل غسان مسعود

بالإضافة إلى الظهور الجيد لكل من ليام نيسون وجيريمي أيرونز وغيرهما لا بد من الإشارة إلى شخصية صلاح الدين من خلال الممثل السوري (غسان مسعود) حيث بدت مظاهر الحكمة واضحة على الشخصية إضافة إلى الرشاقة في الحركة، وهو أمر انعكس متوافقًا مع الملابس السود التي ظهر فيها الممثل وهي تتطاير في الهواء لتضفي على صلاح الدين هالة من الوقار. ولا شك أن تقديم صلاح الدين بشكل إيجابي يعد خطوة مهمة لا بد من أن يشار إليها لأن هذه الشخصية قدمت في السابق بطريقة غير حسنة، ولقد رد الشريط الاعتبار لهذه الشخصية، إنه يستلم المدينة بعد الانتصار مؤكدًا استمرار حالة التعايش السلمي بين الأديان في مدينة تبدو كأنها فردوس ضائع. والحقيقة أن القدس كانت كذلك منذ فتحت إسلاميًا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب.

أما الجانب الآخر المهم فله علاقة بالتوازن الذي فرضته أحداث الشريط بشيء من الإتقان والاعتدال، حيث قدمت الشعائر الإسلامية بشكل جيد (الصلاة) مع النظر إلى شخصية المسلم على أنها طبيعية، فلا تكاد توجد شخصية عربية أو مسلمة شريرة بعكس الجانب المسيحي، ورغم أن كل ذلك ليس ضروريًا من الناحية الدرامية، فإن هوليوود عودتنا في النظر إلى الأمور من زاوية واحدة ومن ثمّ أي مخالفة لذلك تعد حالة إيجابية غير متوقعة.

ورغم أن هناك ما يمكن أن يقال حول مستويات الفهم للشريط، فإن الحد المتفق عليه والمقبول فنيًا يعد موجودًا، وهذا ما يعكس تطورًا في النظر إلى التعامل مع الثقافات الأخرى، ولكن بالطبع بطريقة استثنائية وفردية لا تشكل قاعدة عامة.

أما داخل الشريط نفسه فإن تطرف بعض الشخصيات المسيحية هو الذي كان سببًا في إعلان الحرب في أكثر من مرة.

وكما أوضح الشريط فإن رحيل باليان وقواته والعودة إلى البلد الأصلي خارج القدس مجرد حادثة، حيث تصل جيوش أخرى صليبية لتواصل الحرب بقيادة ريتشارد.

أما اليهود فلم يظهرهم الشريط، رغم وجودهم، والسبب يرجع إلى أن الحاكم بالدوين قد فرض عليهم الانعزال ومنعهم من الحركة والتنقل إلى أن جاء صلاح الدين وحررهم من ذلك.

وهكذا يبدو الشريط وكأنه يتحدث عن حلم لمدينة سماوية تتعايش فيها كل الأديان وتتعاون، فهي إذاً القدس المتخيلة الناجحة اجتماعيًا واقتصاديًا وتجاريًا والتي يحلم بها الجميع.

(10)

إن إيجابيات هذا الشريط متحققة في حدودها المقبولة، وبالأخص مع وجود عدد من الممثلين العرب، ومنهم الممثل السوري غسان مسعود في دور صلاح الدين، والممثل الكسندر صديق في دور عماد والممثل خالد النبوي في دور شيخ القبيلة المسلم، وفوق ذلك كله فإن المقولات التي عبر عنها الشريط فيها الكثير من الحيادية، وهي حيادية إيجابية فرضتها أحداث التاريخ الحقيقي وليس المتخيّل.



الآثار الاجتماعية للعولمة

الإشكاليات الأساسية التي تواجه بلدان الجنوب من جراء العولمة

غازي دحمان *

أول من أطلق مصطلح العولمة معرفيًا، عالم السوسيولوجيا الكندي، مارشال مالك لوهان، أستاذ الإعلاميات السوسيولوجية في جامعة تورنتو، عندما صاغ في نهاية الستينيات مفهوم القرية الكونية. في كتابه «الحرب والسلام في القرية الكونية» حيث ركز في هذا الكتاب على دور التطورات الواسعة في رسائل الاتصال في تحويل العالم إلى قرية كونية واحدة. وقد تبنى هذه بعده بريجنسكي الذي أصبح فيما بعد مستشارًا للرئيس الأمريكي جيمي كارتر (1977-1981) وعمل على أن تقدم أمريكا التي تمتلك 70 في المئة من مجموع الاتصالات العالمية نموذجًا كونيًا للحداثة، ما دامت كانت هي المركز العالمي الرئيسي للثورة الالكترونية ما بعد الصناعية، وللمجتمع الأمريكي التأثير الأكبر في كل المجتمعات الأخرى وهو مقبل على عملية تحول كبيرة المدى في نظريتها وقيمها.

والعولمة اصطلاحًا تعني جعل الشيء على مستوى عالمي، أي نقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن المراقبة، والمحدود هنا هو أساسًا الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية وديموقراطية صارمة تحفظ كل ما يتصل بخصوصية

* كاتب وباحث/ سورية

الدولة وتفردها وتميزها عن غيرها، إضافة إلى حماية ما في داخلها من أي خطر أو تدخل خارجي، سواء تعلق الأمر بالاقتصاد أو بالسياسة أو بالثقافة. أما اللامحدود فالمقصود به العالم، أي الكرة الأرضية. فالعولمة إذاً تتضمن معنى إلغاء حدود الدولة القومية في المجال الاقتصادي والسياسي والثقافي وترك الأمور تتحرك في هذا المجال عبر العالم وداخل فضاء الكرة الأرضية جميعها. من هنا يطرح مصير الدولة القومية (الدولة/ الأمة) في زمن تسوده العولمة.

وليس في الأمر شك بأن للعولمة الجديدة امتداداً في تاريخ الرأسمالية منذ نشوئها وتطورها، والتحولات التي كانت تشهدها في القرن التاسع عشر وبخاصة في النصف الثاني وأوائل القرن العشرين. كما أنها نتاج التحولات البنيوية العميقة التي كانت تجري في رحم الرأسمالية الإمبريالية التي أعقبت الفترة منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى نهاية العقد السادس وبداية العقد السابع من القرن العشرين. واتخذت هذه العملية مساراً أكثر وضوحاً وتميزاً مع انهيار نظام الحكم الاستعماري والبدء بممارسة أشكال جديدة للهيمنة الرأسمالية على اقتصادات وشعوب بلدان القارات الثلاث، آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، أطلق عليها أساليب الاستعمار الجديدة. وعملية التدويل المتقدمة للرأسمالية، أي عملية العولمة التي لا تزال مستمرة وتتطور بسرعة فريدة، ويمكن أن تتخذ أبعاداً جديدة نعيش اليوم معالمها الأساسية في حقول عديدة وأساسية، وبشكل خاص في العلاقات الاقتصادية المحلية والدولية، وفي العلاقة بين السياسة والاقتصاد على النطاقين المحلي والدولي، وفي الايديولوجيا والحياة الاجتماعية والثقافية والعسكرية في العالم، هي نتاج التناقضات والصراعات التي كانت ولا تزال تجري في إطار الرأسمالية المحلية في كل بلد من البلدان الرأسمالية من جهة، والرأسمالية الدولية والعلاقات الاقتصادية في ما بين الدول من جهة أخرى[1].

والمعالم الأولى للعولمة الجديدة برزت مع تسارع عمليات تحرير التجارة الخارجية أو تداولها المتسارع والتنامي المستمر لدور المؤسسات المالية والنقدية الدولية في العلاقات الاقتصادية بين الدول، وتعاظم تأثيراتها المباشرة وغير المباشرة والحاسمة، وفرض رؤيتها الخاصة ومشروعها حول اتجاهات التطور الاقتصادي والتنمية الوطنية على السياسات الاقتصادية والاجتماعية في عدد متزايد من بلدان العالم بما ينسجم مع المصالح الحيوية للاحتكارات والدول الرأسمالية المتقدمة، ثم اقترنت بجملة من التحولات في النظام الدولي للرأسمالية، وبخاصة في الدور الكبير والمهيمن للشركات الرأسمالية الاحتكارية المتعددة الجنسية التابعة بشكل خاص للمراكز الدولية الثلاثة، الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا واليابان وإنهاء العمل باتفاقية بريتون الموقعة عام 1973 مسيحي، بعد الأزمة النفطية الدولية، وأخيراً إنهاء تجزئة السوق الدولية إلى سوقين دوليتين، السوق الرأسمالية والسوق الاشتراكية، والعودة إلى سيادة سوق رأسمالية ودولية واحدة، والمنافسة المحتدمة بين تلك المراكز والدول إضافة إلى الأزمة البنيوية الطويلة الأمد التي كانت ولا تزال تلقي بظلالها على عالمنا الرأسمالي كله مقترنة، أو مصحوبة بعدد غير قليل من الدورات الاقتصادية المتنوعة[2].

فتح أبواب جديدة لمزيد من البطالة والتراجع عن الضمانات الاجتماعية.

وتجسد عملية العولمة المستوى الذي بلغه تطور الرأسمالية على النطاق الدولي والتغيرات الجارية

---

1 - ما هي العولمة «التاريخ - التحولات الراهنة - المستقبل». مروان عبدالرزاق. الطريق - العدد الثالث 1999، بيروت.

2 - العولمة الجديدة. كاظم حبيب، الطريق، العدد الثالث 1998، بيروت.

والمطلوبة في استخدام منجزات الثورة العلمية - التقنية، وبخاصة التطور المتسارع الاستخدام للميكرو/ الكترونيات، وتطور الوسائل والأساليب الاتصالاتية والمعلوماتية الحديثة، التي تساهم بدور فعال وكبير في إقامة شبكة واسعة من البنى الإنتاجية والخدمية والإعلامية الجديدة وتسهل بشكل واسع حركة انتقال وتوظيف رؤوس الأموال، كما تكشف عن التطورات الجارية في علاقاتها الداخلية والقوانين الاقتصادية الموضوعية الفاعلة فيها. فهي العدوان الجديد الذي يميز الإطار والمضامين الخاصة بالمرحلة الجديدة في الرأسمالية على الصعيد العالمي، وهي المرحلة التالية للرأسمالية الإمبريالية، التي كانت حتى نهاية الخمسينات وبداية الستينات تشكل الصيغة المهيمنة على الاقتصاد الدولي، التي نظر إليها وكأنها أعلى مرحلة من مراحل الرأسمالية، إنها مرحلة متقدمة من مراحل تطور الرأسمالية الدولية لها قوانينها الخاصة التي يتجلى فعلها والنتائج والعواقب المترتبة عنها، على اقتصادات ومجتمعات كل البلدان ولكن بمستويات متباينة، مع أن لها في ظل اتجاهات حركة وتطور العولمة الحالية عواقب صارخة وسلبية حتى الآن على القسم الأعظم من بلدان الجنوب، وبشكل خاص على البلدان الأقل تطورًا ونموًا والأكثر تخلفًا وفقرًا في العالم، وكذلك على الفئات الأكثر فقرًا وكدحًا في الدول الرأسمالية المتقدمة، ومن هنا يفترض أن نشير إلى اعتبار العولمة مرحلة جديدة وتالية لمرحلة الامبريالية، وهذا لا يعني بالضرورة إلغاء الطابع المالي الاستعماري الجديد للرأسمالية الذي يغزو العالم اليوم بشكل توظيفات مباشرة ومؤسسات مالية دولية (فوق القومية) وشركات رأسمالية متعدية الجنسية تابعة بشكل خاص للمراكز الرأسمالية الدولية الثلاثة، بل يؤكد بالقطع تشديدًا مستمرًا لاستغلال شعوب وخيرات بلدان الجنوب وتوسيعًا للتمايز في مستويات التطور وتعميقًا للهيمنة البنيوية على اقتصاداتها وانكشافًا أكبر لهذه الاقتصادات على اقتصادات المراكز الرأسمالية لصالح الأخيرة[3].

الآثار الاجتماعية للعولمة:

ثمة مخاطر اجتماعية ناجمة عن الإجراءات الاقتصادية والنقدية المرافقة للعولمة لا يمكن تجاهلها أو التقليل من شأنها، فحسب تقرير «التجارة والتنمية» الذي يصدره مؤتمر الأمم المتحدة «الأونكتاد UNCTAD» لعام 2000 مسيحي، تباطأ النمو الاقتصادي العالمي مقارنة بالعصر الذهبي للنمو الذي ساد بعد الحرب العالمية الثانية، حتى منتصف السبعينات، وذلك بسبب أخلاق «قوى السوق» وتفكيك القيود على السوق المحلية وفتحها للمنافسة العالمية. وزادت الفروق في دخل الفرد بين الدول السبع الأغنى إلى الدول السبع الأفقر من 1 ـ 20 عام 1965 إلى 1 ـ 29 في عام 2000 مسيحي. وصاحب زيادة التفاوت بين الدول استقطاب مماثل داخل المجتمعات ويعزو التقرير هذه التطورات السلبية إلى فعل قوى أطلقها «التحرير السريع» للاقتصادات بشكل حابى فئات اجتماعية على غيرها في البلدان المتقدمة والنامية على السواء. وتقول الشواهد: إن تباطؤ النمو وتفاقم سوء التوزيع والازدياد المستمر للفئات الفقيرة وارتفاع معدلات البطالة إلى درجة غير مسبوقة قد أصبحت من السمات الدائمة والمميزة للأوضاع الاجتماعية في العالم. ولعل ما يلفت النظر بشدة أن آثار إعادة الهيكلية الرأسمالية التي تطبقها معظم البلدان النامية في المجالات النقدية والمالية والاقتصادية والتنموية، وما يعضدها من برامج التكيف لم تنجح حتى الآن إلا في المجالين النقدي والمالي، وتضاءلت نجاحاتها في المجال الاقتصادي الاستهلاكي وظهرت أسوأ نتائجها وأكثرها سلبية في الميدان التنموي، مما دفع بعض المحللين إلى الاعتقاد بأن النجاحات

---

3 ـ إمبراطورية الفوضى، سمير أمين، ترجمة سناء أبو شقرا، دار الفارابي، بيروت 1991 مسيحي.

النقدية والمالية والتعديلات التي يتم إدخالها على الهيكل الاقتصادي هي نفسها الأسباب التي تؤدي إلى النتائج السلبية المرافقة لإعادة الهيكلية الرأسمالية على صعيد التنمية البشرية.[4]

تسلية أحيانًا وتخدير أيضًا... ودائمًا تهميش:

صحيح أن مفهوم العولمة نشأ في عالم الاقتصاد إلا أنه لا يتوقف عنده، فهو تعبير عن نظام اقتصادي وسياسي وعسكري، وله آثار اجتماعية وثقافية تمتد لتشمل العالم كله.

وأهم هذه الآثار في المراكز الصناعية هي البطالة نتيجة استخدام تقنيات متطورة ودمج الشركات أو إغلاق المصانع ونقلها إلى أماكن أخرى حيث المناخ الملائم للاستثمار (أجور وضرائب أقل) ويتحدث أصحاب الشركات والمصارف عن العصر الجديد ورؤيتهم إلى المستقبل، الذي يختزله البراغماتيون إلى العددين (20) و(80)، وإلى مصطلح (Tittytainment)، فبحسب ما يقولون إن 20 في المئة من السكان العاملين ستكفي في القرن القادم للحفاظ على النشاط الاقتصادي العالمي وإنه لن تكون هناك حاجة إلى أيدٍ عاملة أكثر من هذا كما يؤكد عملاق التجارة واشنطن سيميب، وإن الـ80 في المئة ستكون في حالة بطالة وستواجه «مشاكل عظيمة».

ويشرح بريجينسكي مصطلح (Tittytainment) كالتالي: إنه منحوت من كلمتين، Entretainment (تسلية) وTits(حلمة) وهي الكلمة التي يستخدمها الأمريكيون للثدي دلعًا، ويستخدمها بريجينسكي للإشارة إلى الحليب الذي يفيض عن ثدي الأم المرضع. فيصبح معنى المصطلح: إنه بخليط من التسلية المخدرة والتغذية الكافية يمكن تهدئة خواطر سكان المعمورة المحبطين[5]. وطبقًا للاحصاءات فانه بين عامي 1989 و1995 مسيحي خسر 43 مليون مواطن فرصة عملهم، ومع أن غالبيتهم قد حصل على عمل آخر إلا أنه كان برواتب أدنى وشروط أسوأ. ومن هنا يمكن القول باختصار إن الرأسمالية «المتوحشة» أو «النفاثة» حاملة لواء العولمة الحديثة تخوض حربًا طبقية طاحنة ضد العمل وتنتزع منه تدريجيًا المكاسب التي حققها في الماضي (عمل دائم، ضمان صحي، أجور، مشاركة في الأرباح.. إلخ) ويبدو أن المسألة ستكون في المستقبل هي: إما أن تأكل أو تؤكل (to have lunch or be lunch) كما قال (ماك نيلي) مدير شركة سكوت، الذي عاش التجربة من بدايتها. والحقيقة إن هذه النتيجة إنما تعود إلى بداية تاريخ البشرية البعيد المعتمد على الملكية الخاصة. وتنطبق على شعوب العالم المتخلف بأكملها منذ انتقال الرأسمالية إلى عصر الامبريالية وهي تقتسم مناطق العالم وتضطهده وتستغله وتنهب ثرواته، وما زالت مستمرة حتى الآن.

المجتمع في البلدان الرأسمالية المتقدمة منقسم على نفسه، والتمايز بين الغنى والفقر آخذ في التفاقم!!

الليبرالية الجديدة: نهاية الإنسان... والدولة:

تتلخص مقولة الليبرالية الجديدة ببساطة في أن «ما يفرزه السوق صالحة، أما تدخل الدولة فهو طالح» أي عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي وخصخصة المشروعات والشركات الحكومية وحرية تنقل رؤوس الأموال إلى جانب تحرير التجارة، فالنظام الاقتصادي الذي يأخذ بقانون العرض والطلب هو أفضل الأنظمة المتاحة طرأ وكلما تمتعت المشروعات بحرية أكبر بشأن استثماراتها واستخدامها للأيدي العاملة، كان النمو أكبر والمستوى الاقتصادي أعلى للجميع.

4 ـ الآثار الثقافية للعولمة، كريم أبو حلاوة، عالم الفكر، العدد 3، المجلد 29، يناير/مارس 2001 مسيحي.

5 ـ فخ العولمة والاعتداء على الديموقراطية والرفاهية، هانز بيتر وهارلد شومان، ترجمة عباس علي، عالم المعرفة، عدد 238.

بدأت تطبيقات النظرية الليبرالية الجديدة «منذ السبعينات، إذ أقدمت حكومات البلدان الصناعية الكبرى على تحرير النقد وإلغاء أسعار الصرف الثابتة لعملاتها. وبدأ ذلك عام 1970 مسيحي، في كل من أمريكا وكندا وسويسرا، وصارت أسعار الصرف تتحدد نتيجة مساومات المضاربين، ثم ألغت بريطانيا آخر ما لديها من قيود عام 1979 مسيحي، ولحقت بها اليابان عام 1980 مسيحي، وفي عام 1990 مسيحي، حررت فرنسا وإيطاليا أسعار الصرف عام 1992 مسيحي، تبعتها إسبانيا والبرتغال.

كذلك بدأت الخصخصة للمشاريع الحكومية في كل من بريطانيا عام 1984 مسيحي، (عهد تاتشر) وفي أمريكا (ريغان) وشملت مجالات الفضاء والطيران والاتصالات والنفط وما زالت عملية الخصخصة مستمرة حتى الآن لتشمل كل المجالات الأخرى كالطاقة الكهربائية والبريد وغيرها.

ومن المفيد أن نتذكر أن خصخصة المشاريع الحكومية ليست جديدة في تاريخ الرأسمالية، إذ تمت الخصخصة في أمريكا وأوروبا بنسب مختلفة في القرن التاسع عشر وكان آخرها تجربة اليابان التي استطاعت أن تنمو بسرعة كبيرة لتصبح في مصاف الدول الأمبريالية المتقدمة بفضل قطاع الدولة الذي تمت خصخصته عام 1980 مسيحي، فمنذ الثمانينات راحت أمريكا والحكومات الأوروبية الليبرالية النزعة تبذل قصارى جهدها من أجل تحرير المال من القيود داعية إلى (تحرير التجارة وحرية تنقل رؤوس الأموال، وخصخصة المشروعات والشركات الحكومية) والمتمثلة بالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية (WTO) كوسائل تحارب بها هذه الحكومات في معركتها الدائرة رحاها حتى الآن من أجل تحرير رأس المال. وبالتحرير الكامل لأسواق الصرف الأجنبي وأسواق رأس المال تم في الواقع ومن دون أي اعتراض ذي شأن أكبر تغيير جذري في النظام الاقتصادي السائد في «الديموقراطيات الغربية».

ويرى المخططون للسياسة الاقتصادية الجديدة أن تحرير قطاع الدولة هو «تعبير عن رغبة طبيعية للتكيف مع التطورات الاقتصادية والتكنولوجية».

يقول باربر: «الشركات العابرة للقوميات الحديثة لا يمكن أن تعي في سعيها للأسواق والسياسة الخارجية لأن كلمة خارجية لا معنى لها بالنسبة لرجل الأعمال الكوني الطموح»، وكما يقول «يمين رئيس مجلس إدارة جيليت: هناك عالم واحد هو عالم ماك».

وبذلك «كفّت الدولة القومية عن أن تكون مديرًا اقتصاديًا فعالاً ولم يعد في إمكانها سوى تقديم الخدمات الاجتماعية والعامة التي يعتبرها البنك الدولي ضرورية، وذلك بأقل التكاليف الممكنة».

العولمة الراهنة تسعى إلى شد بلدان الجنوب إلى عجلتها بما يسمح بإعادة إنتاج علاقات التبعية.

وتحقق العولمة المثل التي حلم بها أنصار التجارة الحرة في أواسط القرن التاسع عشر من أمثال كوبدين وبرايت. وهذا يعني عالمًا منزوع السلاح يمثل فيه نشاط الأعمال مكانًا أساسيًا ولا تكون فيه للسلطة السياسية من مهمة سوى حماية نظام التجارة الحرة العالمية.

ويرى الغلاة من منظري العولمة من أمثال (Ohme) 1990 مسيحي أن ثمة قوتين فقط لهما شأن في الاقتصاد العالمي: هما قوة السوق الكونية والشركات العابرة للقومية وليست هاتان القوتان بل لا يمكن أن تكونا خاضعتين للتحكم الفعلي الحكومي، فالنظام الكوني محكوم بمنطق التنافس في السوق. إن السياسة الحكومية بحسب هذا الرأي ستكون ثانوية في أحسن الأحوال خصوصًا أنه لا توجد هناك مؤسسات حكومية قادرة على أن تضاهي حجم قوة السوق العالمية.

ويتساءل هيرست وطومسون: هل بأن مثل هذا الاقتصاد الكوني قيد الوجود أم أنه في طور الظهور إلى الوجود؟ ويفرق بين الاقتصاد الكوني التام

والاقتصاد المدول (Internationalised) الذي تمارس فيه غالبية الشركات أنشطتها من قواعدها القائمة في اقتصادات قومية، ويبقى للدولة القومية دور أساسي في التحكم بالاقتصاد. ويقول هيرست وطومسون إن استقراء الواقع الاقتصادي العالمي الحالي يشير إلى أن اقتصاد العالم لا يزال بعيداً عن كونه كونياً، بل هو مقتصر على ثلاثي أوروبا وأمريكا الشمالية واليابان[6].

البطالة والتمايز الطبقي الانتاج الفاقع للعولمة:

إن إدخال أحدث الأساليب العلمية والتقنية في الإنتاج والخدمات وتسريع عملية الخصخصة لما تبقّى من مشاريع إنتاجية وخدمية حكومية والتحديث الواسع النطاق للإدارة والتنظيم على الأصعدة المحلية والدولية من جهة ثالثة، يساهم في تقليص الحاجة إلى العمال المهرة وغير المهرة والفنيين والمهندسين الإداريين وغيرهم، ومن ثم يدفع بأعداد هائلة من شغيلة اليد والفكر إلى قارعة الطريق إلى أحضان البطالة في البلدان الرأسمالية، وأصبحت هذه البطالة تشكل ضغطاً متزايداً على ميزانية الدولة الاعتيادية وعلى القوة الشرائية للسكان، فوفق المعلومات المتوفرة بلغ عدد العاطلين عن العمل في دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) 40 مليون نسمة في نهاية عام 2000 مسيحي، أي أن البطالة قد تضاعفت في هذه البلدان خلال عشرين عاماً، وكان القسم الأعظم من العاطلين عن العمل ينتسبون إلى الدول الأوروبية الأعضاء في هذه المنظمة الدولية، ولكن القسم الأعظم من العاطلين عن العمل كان في بلدان العالم الثالث. فالمعلومات تشير إلى أن عدد القادرين على العمل في العالم الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و65 سنة بلغ في عام 1996 مسيحي، حوالى 3,5 مليار نسمة، كان حوالى 2,3 مليار منهم يعملون بشكل ما. أما العدد الباقي منهم والبالغ 1,2 مليار إنسان فكان ضمن العاطلين عن العمل أي بنسبة بطالة قدرها 34,3 في المئة من مجموع القادرين على العمل في العالم، وهذا يعني بدوره أن نسبة العاطلين عن العمل في دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية بالقياس إلى مجموع العاطلين في العالم بلغت 3 في المئة فقط.

وإذ تتوفر إمكانية فعلية أمام الدول الرأسمالية في مواجهة البطالة الراهنة والزيادات المحتملة بسبب التوسع في استخدام منجزات الثورة العلمية والتقنية الحديثة في الإنتاج والخدمات والتغييرات الحاصلة في بنية الإنتاج، وبروز إنتاجية جديدة وتطوير الإدارة والتنظيم وسبل التسويق من خلال تقليص ساعات العمل الأسبوعية وإلغاء ساعات العمل الإضافية من أجل زيادة التشغيل أو توفير فرص عمل جديدة في مجالات البيئة فإنها لا تستخدم تلك الإمكانية، وتصر على إبقاء ساعات العمل على ما هي عليه، وتسعى إلى زيادتها ثم إلى رفع معدلات ساعات العمل الإضافية وبطء توسيع التشغيل في مجالات حماية البيئة وعليه فإنها تفتح أبواباً جديدة لمزيد من البطالة ولمزيد من الضغط على الأجور والتراجع عن الضمانات الاجتماعية وغيرها من المكاسب العملية التي تحققت خلال عقود ما بعد الحرب العالمية الثانية، ويمكن أن نتلمس ذلك في تجربة الولايات المتحدة الأمريكية حيث انخفضت معدلات الأجور وإجمالي الأجور المدفوعة رغم تقلص حجم البطالة فيها وزيادة عدد العاملين. أما تجربة ألمانيا الاتحادية فتقدم حالة أخرى تختلف عن مثيلتها في الولايات المتحدة حيث تتفاقم فيها البطالة وتتقلص الأجور والضمانات الاجتماعية وتجري عملية تصفية ما أطلق عليه السوق الاجتماعية، ويزداد عدد الفقراء الذين يعيشون تحت خط الفقر ويتسلمون المساعدة الحكومية الآخذة بالتقلص باستمرار. وفي ذات الوقت الذي تحقق

6 ـ العولمة ومستقبل الدولة القومية، بول هيرست وغراهام طومسون، ترجمة مجدي الهيثي دار المدى بدمشق 1998 مسيحي.

المؤسسات المالية الدولية للشركات المتعدية الجنسية وكبار الرأسماليين المزيد من الأرباح وتتسع الفجوة إلى حدود غير معروفة سابقًا بين الأغنياء والفقراء فيها.

أما الغالبية العظمى من بلدان الجنوب (باستثناء عدد محدد منها) فتواجه مصاعب تعوق جزئيًا أو كليًا تصنيعها وتنمية زراعتها وتجارتها الخارجية وزيادة توظيفاتها الجديدة أو تعظيم رؤوس أموالها، ويؤدي هذا بدوره بالارتباط مع معدلات النمو السكاني العالية فيها إلى ارتفاع كبير ومستمر في حجم البطالة وما يصاحب ذلك من إشكاليات جديدة للاقتصاد والمجتمع، وإزاء هذا الوضع المتفاقم سوءًا تتجه كثرة من بنات وأبناء شعوب البلدان النامية، لا لأسباب سياسية فحسب، بل ولأسباب اقتصادية وبيئية للتحري عن عمل في الدول الرأسمالية المتقدمة فتجابه بالصد واغلاق الحدود وإعادة الترحيل وحملات من العداء للأجانب ونشاطات عنصرية وتغيير قوانين الهجرة واللجوء وما إلى ذلك، فالعولمة كما تفهمها دول المراكز الرأسمالية من جانب واحد فقط لا من جانبين أولاً، وتراها في رأس المال والسلع والأسواق من جانب واحد أيضًا، ولكن لا في سوق العمل، فهي أسواق وطنية بحتة أو أوروبية وليست عالمية، ومثل هذه السياسات تقود دون أدنى ريب إلى تفاقم كبير جدًا في حجم البطالة على النطاق الدولي ولكن في بلدان العالم الثالث على نحو خاص، إذ إن معدلات النمو السكانية لا تزال عالية بالنسبة إلى غالبية هذه البلدان.

فالعولمة التي تعني اتساع ظاهرة تشابك الاقتصادات الوطنية على صعيدي الإنتاج والتداول والتبادل السلعي، فإنها ستقترن بتنشيط ليس فقط بتنامي حرية انتقال رؤوس الأموال والمواد الأولية والسلع المصنعة والتقنيات والخدمات المختلفة، بل ستتطلب أيضًا حرية انتقال الأيدي العاملة على النطاق الدولي وهو ما ستقاومه الدول الرأسمالية الأكثر تطورًا والذي سيخلق عقبات من إجمالي قيمة تقديم الخدمات في العالم والبالغة 1، 1077 مليار دولار أمريكي والبقية كانت من حصة بقية بلدان العالم[7].

الغالبية العظمى من بلدان الجنوب تواجه مصاعب تفوق صناعتها وزراعتها

وفي الوقت الذي يجري الحديث عن العالم الرأسمالي المتقدم ككتلة صناعية واحدة في إطار العولمة، فإن هذا لا يعني أن العالم الرأسمالي المتقدم غير مقسوم على نفسه رغم التقارب الجاري في مستويات الدول الصناعية المتقدمة بشكل عام، وبخلاف اشتداد التمايز بين مجاميع البلدان النامية وتوزعها على دوائر محيطية متباينة في مستوى تطورها، فالمجتمع في البلدان الرأسمالية المتقدمة مقسوم على نفسه والتمايز بين الغني والفقير، أو بين الطبقات والفئات الاجتماعية الغنية والفقيرة آخذ بالتفاقم، وسينمو في السنوات القادمة هذا الاستقطاب داخل المجتمعات الصناعية المتقدمة وفي الوقت الذي سيزداد عدد الأغنياء وتنمو ثروتهم الإجمالية، سيزداد في الوقت نفسه عدد الفقراء في هذه البلدان بوتائر أعلى، وسيشتد بؤسهم، وستتواصل عملية الصراع لتأخذ أبعادًا جديدة وتفتش عن حلول جديدة للتناقضات التي تفعل فيها. إلا أن ظاهرة التمايز الطبقي ستشتد هي الأخرى في البلدان النامية وتتخذ مسارًا مشابهًا لمسارها في البلدان الصناعية وإن كانت في مستويات أدنى، ومن هنا يمكن أن يتابع المرء في العقود القادمة اتجاهًا متصاعدًا يميل نحو مزيد من التحالف في ما بين أغنياء العالم المتقدم والمتخلف من جهة، وفي ما بين فقراء العالم المتقدم والمتخلف من جهة ثانية، بين كبار الرأسماليين الاحتكاريين والمهيمنين على الشركات المتعددة الجنسية من جهة وبين الطبقات والفئات الاجتماعية المتغيرة في بنيتها في ظل العولمة

---

7 ـ مصدر سبق ذكره: كاظم حبيب.

الجارية المرتبطة بالتغيرات البنيوية للاقتصاد والخدمات/الحديثة، ويفترض أن تؤخذ في الاعتبار التحولات التجارية أو التي ستجري لاحقًا على مفهوم ومضمون شغيلة الفكر واليد على الأفكار والأدوار السياسية الجديدة التي يمكن أن تمارسها هذه الفئات الاجتماعية، فالعلوم والتقنيات الحديثة ستفرض بالضرورة تطورًا كبيرًا في بنية العاملين، وفي التخصص باتجاهين، باتجاه التخصص الضيق من جهة والعمق الواسع والمهارة الكبيرة، في ذلك التخصص وسيؤثر هذا باتجاه زيادة الأجور التي تدفع للعاملين المتخصصين ولكنها ستشهد أيضًا تقلصًا لمجمل الأجور التي تدفع للجميع في حين ستكون هناك أيضًا أجور متدنية جدًا لغير المهرة والفنيين غير المتخصصين في مجالات الإنتاج والخدمات. إن الاتجاه يمكن أن ينمي الفئة الماهرة على حساب فئات أخرى في المجتمع ومنها فئات العمال اليدويين.

العولمة جنوبًا: أعباء على كاهل الدولة الوطنية

تشير معطيات التطور الجاري والمستقبلي إلى أن بلدان الجنوب ستواجه رغم التباين القائم في مستوى تطور المجموعات المختلفة منها، وفي مدى قربها أو بعدها عن المراكز الصناعية، وحجم ونوعية الموارد الأولية المتوفرة فيها، سعيًا دؤوبًا من جانب المراكز المتقدمة لاحتوائها والهيمنة عليها. وأن الإشكاليات الأساسية التي تواجه بلدان الجنوب حاليًا من جراء نظام ما قبل العولمة الجديدة (الامبريالية)، والعولمة الجديدة كثيرة وترتبط أساسًا بتبعيتها الناشئة عن مكانتها في التقسيم الدولي الرأسمالي للعمل وعلاقاتها الاقتصادية الدولية ومكانتها من الثورة العلمية. التقنية الحالية، وفي مدى استخدامها لمنجزات تلك الثورة ودورها ومكانتها في التجارة الخارجية، ومستوى الدخل المتحقق فيها والديون الخارجية المتراكمة بذمتها والنهب المستمر لخيراتها الأولية والتخريب المتواصل لبيئتها ومواردها الطبيعية، إنها تجسيد لتبعية هيكلية ترتبط بطبيعة العملية الاقتصادية الدولية، أي بعملية إعادة الإنتاج الاجتماعية التي تعيد إنتاج التخلف والتبعية في الغالبية العظمى من بلدان الجنوب.

ولا شك في أن بلدان الجنوب تواجه بشكل عام مهمة الخلاص من بقايا العلاقات ما قبل الرأسمالية، وبناء المجتمع المدني من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، كما أن بعضها يواجه مهمات تنشيط وتنمية أو توسيع قاعدة التطور الرأسمالي فيها، وتطوير مؤسسات المجتمع المدني وتنشيط دورها في الحياة السياسية والاجتماعية، ولا أجد في واقع الأمر، وفي المرحلة الراهنة، بلدانًا تواجه مهمات تتجاوز مرحلة الرأسمالية أو تهدف إلى إقامة المجتمع الاشتراكي، إذ إن مثل هذه الأهداف في المرحلة الراهنة تعتبر هروبًا إلى الأمام وتجاوزًا على واقعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي وابتعادًا عن مستوى وعيها الراهن، ومثل هذا الاغتراب رغم الأهداف الإنسانية النبيلة والأحلام المشروعة التي تتضمنها مثل تلك السياسات التي مارسناها سنوات طويلة إلا أنها لم تعد تساعد هذه البلدان على تحقيق تقدمها المنشود ولكن هذا الاتجاه النقدي للفترات السابقة لا يعني بأي حال التخلي عن جملة من الأهداف الاقتصادية والاجتماعية التي يفترض النضال من أجل تحقيقها في ظل العلاقات الرأسمالية الوطنية التي يراد إقامتها أو تنشيطها وتطويرها، كما أنه لا يعني بالضرورة خضوع الرأسمالية الوطنية الكامل للهيمنة الأجنبية أو البقاء في إطار التبعية للرأسمالية الدولية إذ إن الكثير من بلدان الجنوب ومنها الأقطار

سوف يرد ذكر نهاية القرن العشرين على أنه زمن الفقر العالمي الذي تميز بانهيار النظم الإنتاجية في الدول النامية، وبموت المؤسسات القومية، وبانحلال البرامج الصحية والثقافية.

العربية، يمكنها إقامة الرأسمالية الوطنية وفي إطار تحالفات وطنية واقعية وعلمية بين البرجوازية الوطنية والبرجوازية الصغيرة، ومنها فئات الفلاحين والطبقة العاملة والمثقفين لصالح التنمية الوطنية المستقلة، واعتماد القطاعين الحكومي والخاص وكذلك القطاع المختلط في عملية التنمية، وهذا الاتجاه لا يعني فك ارتباط كامل بالاقتصاد الرأسمالي العالمي، إذ إن هذا غير ممكن وغير عملي، بقدر ما يعني التوجه نحو تعجيل التنمية الوطنية وتقليص التبعية الراهنة والحد من آثارها السلبية الحادة وعواقبها الأخرى على الاقتصادات الوطنية لهذه البلدان ومحاولة الاستفادة من تلك الارتباطات لصالح تطورها الأسرع والأمثل.

إن العولمة الراهنة تسعى إلى شد بلدان الجنوب إلى عجلتها بروابط كثيرة وقوية بما يسمح بإعادة إنتاج علاقات التبعية فيها، وهي تسعى إلى طرح شروط أو مستلزمات اندماجها في هذه العولمة، ومنها على وجه التخصيص: التخلص من قطاع الدولة، وتسريع عملية الخصخصة فيها، وفتح الأبواب مشرعة أمام الرأسمال الأجنبي والشركات المتعددة الجنسية، وإلغاء القيود الجمركية على التجارة الخارجية التي من شأنها حماية التصنيع المحلي أو الإنتاج الزراعي والحرفي المحلي، والتخلي عن دور الدولة في عملية التخطيط أو البرمجة الاقتصادية، ويمكن مراجعة شروط صندوق النقد الدولي والبنك المركزي التي تفرض على البلدان النامية لغرض تقديم القروض المالية، أو المساعدة لها، إن عملية التنمية الاقتصادية والبشرية في بلدان الجنوب تحتاج اليوم إلى تأمين توظيفات رأسمالية كبيرة حقًا، يصعب توافرها في داخل هذه البلدان من خلال مواردها الخاصة، في ما عدا بعض الدول النفطية أو ذات الموارد الأولية المهمة التي يمكنها توفير رؤوس الأموال الضرورية، لذلك هذا الواقع يجعلها تقبل بالتوظيفات الأجنبية أو القروض الخارجية، رغم علم المرء بأن مثل هذا الاتجاه يمكن أن يشد الاقتصاد الوطني بروابط غير قليلة مع العالم الرأسمالي ويسمح للرأسمال الأجنبي بالاستغلال، إذ ليس هناك من خيار آخر في المرحلة الراهنة للخروج من حالة التخلف والعلاقات الإنتاجية المتخلفة، والموافقة على ذلك تستوجب العمل الجاد من خلال اتخاذ جملة من الإجراءات الاحتياطية التي من شأنها تقليل الآثار السلبية المحتملة.

إن متابعة حركة العولمة تشير إلى أن الدول الرأسمالية المتقدمة والمؤسسات المالية الدولية والشركات المتعدية الجنسية تريد فرض اتجاهات معينة على بلدان الجنوب تتجه من حيث المبدأ كلية لصالح تشديد التبعية والاندماج التبعي بعملية إعادة الإنتاج الدولية، وهذا لا يعني بقاء البلد متخلفًا كما هو عليه الآن، إذ إن ذلك ليس في مصلحتها تمامًا، ويعوق تطور إنتاجها وأسواق تصريف سلعها وبالتالي تقليص أرباحها، إلا أنها تسعى لأن يكون ذلك التطور مشوهًا وحيد الجانب ومكشوفًا جدًا على الخارج. وفي ظل هذا النوع من العولمة تتسع قاعدة البطالة في بلدان الجنوب وتتحول كثرة من القوى العاملة فيها كاحتياطي مؤجل رخيص لجيش العاطلين في المراكز الصناعية المتقدمة وتستفيد متى تشاء وتلفظه متى تشاء.

عولمة الفقر واعاقة تنمية العالم المتخلف هل هي أهداف غير معلنة لدعاة العولمة؟!

عولمة الفقر:

سوف يرد ذكر نهاية القرن العشرين في تاريخ العالم على أنه زمن الفقر العالمي الذي تميز بانهيار النظم الإنتاجية في الدول النامية وبموت المؤسسات القومية وبانحلال البرامج الصحية والثقافية.

بدأت «عولمة الفقر» هذه في العالم الثالث وقد قوضت منجزات فترة التحرر من الاستعمار التي تلت الحرب العالمية، وتزامنت مع حدوث الهجمة العنيفة لأزمة الديون وامتدت منذ التسعينات لتشمل جميع

المناطق الأساسية في العالم بما فيها أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية ودول الاتحاد السوفياتي السابقة والبلدان حديثة التصنيع NICs في جنوب شرقي آسيا والشرق الأقصى.

ظهرت المجاعات في التسعينات على المستوى المحلي في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى وفي جنوب آسيا وفي بعض أجزاء أمريكا اللاتينية، وأقفلت مراكز الصحة والمدارس أبوابها وحرم مئات الملايين من الأطفال من حق التعليم الابتدائي وعاد ظهور الأوبئة بما فيها السل الرئوي والملاريا والكوليرا في العالم الثالث وأوروبا الشرقية والبلقان.

مع انهيار دولة الرفاه أصبحت النسب العالية من البطالة بين الشباب مصدرًا متزايدًا للنزاع الاجتماعي والمعارضة المدنية، وفي الولايات المتحدة تنتقد الشخصيات السياسية تزايد العنف بين الشباب، وتعد بعقوبات أشد دون مواجهة جذور المشكلة، فقد غيرت سياسة إعادة الهيكلة الاقتصادية الحياة المدنية، وحولت المدن الغربية إلى مدن عالم ثالثية، وأصبحت بيئة المناطق المدينية الرئيسية مميزة بالتفرقة العنصرية حيث تزايد تقسيم الصورة الأرضية الطبيعية للمدن إلى مناطق مستقلة بحسب خطوط اجتماعية وعرقية، أصبحت مؤشرات الفقر مثل وفيات المواليد والبطالة والتشرد في مجتمعات الأقليات المنعزلة (غيتو) المدن الأمريكية (الأوروبية بشكل متزايد) تشابه في أوجه كثيرة تلك المؤشرات السائدة في العالم الثالث.

أسباب الفقر الكوني:

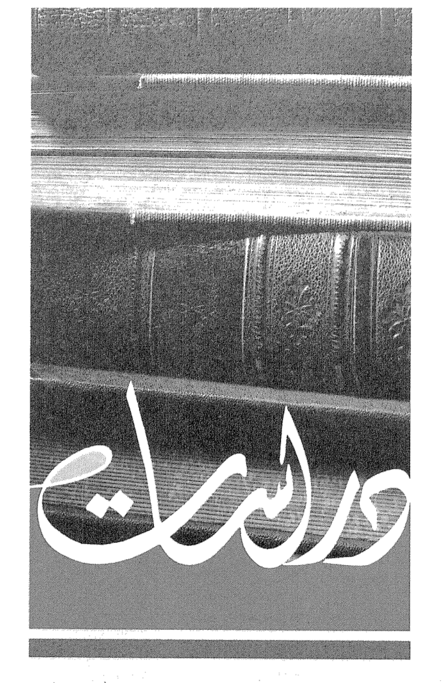
البطالة الكونية: «ايجاد سكان فائضين» في اقتصاد العمالة الرخيصة الكونية:

إن الانخفاض العالمي في مستويات المعيشة، ليس نتيجة ندرة الموارد الإنتاجية كما كانت عليه الحال في فترات تاريخية سابقة، ففي الوقع حصلت عولمة الفقر خلال فترة تقدم تقني وعلمي سريعين وفي حين ساهم التقدم العلمي في زيادة ضخمة في «الطاقة الكاملة» للنظام الاقتصادي لإنتاج السلع والخدمات الأساسية، إلا أن المستويات الواسعة للإنتاجية لم تترجم إلى تخفيض مماثل في مستويات الفقر العالمي.

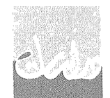
وعلى النقيض من ذلك فإن التحجيم وإعادة الهيكلة، ونقل الإنتاج إلى أماكن ذات عمالة رخيصة في العالم الثالث، كل ذلك ساعد على ارتفاع مستويات البطالة وعلى حدوث نقص كبير في دخل عمال المدن والمزارعين، فهذا النظام الاقتصادي الدولي الجديد يتغذى بالفقر البشري والعمالة الرخيصة حيث ساهمت المعدلات العالية للبطالة العامة في جميع البلدان المتطورة والنامية في هبوط الأجور الحقيقية، وأصبحت البطالة دولية وترافق هذا مع هجرة رؤوس الأموال من بلد إلى آخر في بحث مستمر عن مصادر عمالة أرخص. وبحسب منظمة العمل الدولية ILOs فإن البطالة المنتشرة في العالم تؤثر في بليون إنسان أو في نحو ثلث القوة العاملة في العالم.

ولم تعد أسواق العمل معزولة فقد أقحم العمال في البلدان المختلفة في منافسة عالية بعضهم مع بعض وانتقصت حقوق العمال بعد رفع القيود عن أسواق العمالة، وتعمل البطالة العالية عمل رافعة «تنظيم» تكاليف العمالة على المستوى العالمي، وتسهم المصادر الغزيرة للعمالة الرخيصة في العالم الثالث، (في الصين مثلاً هناك نحو مئتي مليون عامل فائض)، وفي المعسكر الشرقي (سابقًا) في هبوط الأجور في الدول المتطورة، وفي الحقيقة تأثرت فئات القوى العاملة بمن فيهم العمال أصحاب المهارات العالية والمهنيون والدارسون، بينما تشجع المنافسة على الوظائف الانقسامات الاجتماعية التي تستند إلى الفئة الاجتماعية والعرقية والجنس والعمر[8].

8 ـ عولمة الفقر ميشيل شاوسودفسكي، مجلة شؤون خارجية، خريف 1998 مسيحي.



- الحملة الإعلامية الغربية على الإسلام والمسلمين وسبل مواجهتها
- نظرة على المشهد العمراني في القدس خلال العهد العثماني



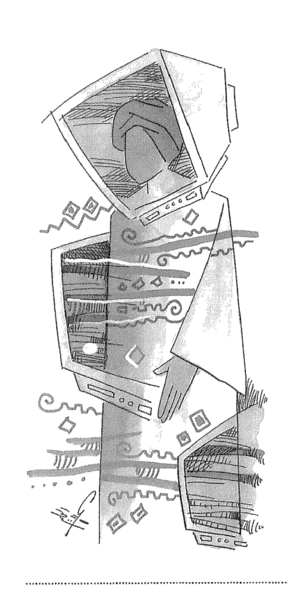
الحملة الإعلامية الغربية على الإسلام والمسلمين وسبل مواجهتها

د. صلاح الدين الجعفراوي *

تمهيد :

احتل الإعلام على مدار التاريخ دورًا مهمًا في الحياة الإنسانية بمختلف مجالاتها، ومع تقدم وسائل الإعلام وأدوات الاتصال وما شهده العالم من ثورة هائلة عرفت بثورة تكنولوجيا المعلومات، وظهور مجتمع متواصل عالميًا زادت أهمية الإعلام بمختلف وسائله المقروءة والمسموعة والمرئية والإلكترونية في توجيه الرأي العام وتشكيله، بحيث أصبح الإعلام سلاحًا استراتيجيًا موازيًا في خطورته وأهميته لأشد الأسلحة وأقواها على الإطلاق، فيوميًا يتم نقل أكثر من 35 مليون كلمة، كما يتم نقل عشرات الألوف من ساعات بث البرامج التلفزيونية من المحطات المختلفة في العالم، وتنشر آلاف العناوين من المجلات والصحف والكتب.

ومن بين الـ 35 مليون كلمة التي يتم نقلها تُنقل 32 مليون كلمة عن طريق الوكالات العالمية الأربع الكبرى للأنباء، «أسوشيتد برس» 17 مليون كلمة، «يونايتد برس» 11 مليون كلمة، «فرانس برس» 3,5 ملايين كلمة، «ورويتر» 1,5 مليون كلمة، فإذا علمنا أن



* كاتب وباحث في الفكر الإسلامي / ألمانيا

ثلاثة أرباع الأنباء التي تذاع في العالم الثالث عدا الأنباء المحلية يتم نقلها عن طريق هذه الوكالات الأربع فسنقف على مدى سيطرة هذه الوكالات على تدفق الأخبار في العالم، وبما أن وضع الدول الإسلامية في كثير من الأحيان هو دون مستوى الدول المتوسطة في العالم الثالث، يمكننا بسهولة تقويم تدفق الأخبار والمعلومات فيها، فالعالم الغربي يحكم سيطرته على الوكالات الكبرى للأنباء وعن طريقها يسيطر إعلاميًا على المادة المنشورة في بلدان العالم العربي والإسلامي، وبالتالي يسيطر على الرأي العام فيها ويوجهه الوجهة التي تخدم أهدافه القريبة والبعيدة وتساعد على تنفيذها.

وفي هذا السياق لا بد من التأكيد على أن الإسلام في مختلف أنحاء العالم شهد تطورًا كبيرًا في خطابه وأدواته ووسائله، فقد أصبح قائمًا على دراسة معطيات العلوم المعاصرة من علم نفس واقتصاد واجتماع وسياسة وغيرها، لذلك فقد أصبح تأثيره في العقول والعواطف والنفوس كبيرًا مما يحمل على صنع اقتناعات إيجابية وإبطال اقتناعات سلبية، كما شهد على صعيد الأدوات والوسائل والتقنيات تطورًا لم تشهده البشرية من قبل.

الإسلام في مختلف أنحاء العالم شهد تطورًا كبيرًا في خطابه وأدواته ووسائله، فقد أصبح قائمًا على دراسة معطيات العلوم المعاصرة من علم نفس واقتصاد واجتماع وسياسة وغيرها.

الحملة الإعلامية الغربية:

ليست الحملة الإعلامية الغربية والأمريكية بشكل خاص على العرب والمسلمين جديدة أو مرتبطة بأحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) كما يحاول البعض أن يروج له، ولكنها قديمة جدًا ولها أسبابها، وللقوى التي تقف خلفها أهداف بعيدة المدى، ولكن الجديد في هذه الحملة هو كثافتها وشراستها، فقد توسعت دائرة استهدافها لتشمل الكثير من ثوابت الأمة وقيمها الأخلاقية والتربوية والحضارية، ووظفت الولايات المتحدة وإسرائيل والدول الغربية السائرة في فلكهما كل ما تمتلك من أجهزة إعلامية ضخمة في هذه الحملة، خاصة أن الإعلام يحتل في الإستراتيجية الأمريكية مركز الصدارة، وهو ما يؤكده «الجنرال ويزلي كلارك» الذي قاد قوات الناتو أثناء حملة كوسوفو بقوله: «إن الحرب الحديثة لها أربعة أسس من وجهة النظر الأمريكية، وهي حسب الأهمية: أولاً ـ الإعلام والعلاقات العامة، وثانيًا ـ التعاون مع الحلفاء، وثالثًا ـ توازن السياسات بين البنتاغون والخارجية، وأخيرًا قدرات القوات المسلحة على التكيف مع المعطيات».

وانطلاقًا من هذه الإستراتيجية لم يكن مستغربًا أن تتحكم الولايات المتحدة بأكبر نسبة من الضخ الإعلامي والإخباري على الصعيد العالمي، وتستحوذ على النسبة الأكبر من ملكية وكالات الأنباء المتعددة الأنشطة، ومجمعات الإنتاج السينمائي والبرامجي، ولكي نظهر حجم السيطرة الغربية على الرأي العام العالمي نقدم الإحصائيات التالية:

أ ـ المجلات:

حسب الإحصائيات المتوفرة فإن هناك حوالي 38 ألف مجلة في العالم، لكن المجلات الأكثر توزيعًا هي المجلات الأمريكية والغربية، فالمجلتان المعروفتان «التايمز» و«النيوزويك» توزعان أسبوعيًا أكثر من عشرة ملايين نسخة لتعرّف قرّاءها على السياسة والثقافة الأمريكية، أما مجلة «ريدرز دايجست» فهي توزع ثلاثين مليون نسخة شهريًا وبسبع عشرة لغة وتعتبر أوسع المجلات انتشارًا في العالم إضافة إلى هذا فهنالك عشرات المجلات الأخرى تحت عناوين مختلفة مثل الرياضة ـ الأفلام ـ الاقتصاد ـ الموضة

ـ الديكور ـ التي تصدر في الدول الغربية وتبث الدعاية بشكل مباشر أو غير مباشر.

ب ـ الراديو والتلفزيون والمحطات الفضائية:

شهدت صناعة الراديو والتلفزيون منذ بداية العقد الأول من القرن العشرين وحتى اليوم تقدمًا متسارعًا، وتستفيد الدول الإسلامية حاليًا من هذه الأجهزة الثقافية، ولكنها في الغالب تستخدم البرامج والأفلام المنتجة من قبل الدول الغربية، وفي بعض الدول الإسلامية لا تصل نسبة البرامج الداخلية إلى 20٪ من مجموع ساعات البث، فأمريكا تحتل المركز الأول، فتنتج 150 ألف ساعة بث، وتنتج كل من بريطانيا وفرنسا 20 ألف ساعة بث، لكل منهما، أما ألمانيا فتنتج 8 آلاف ساعة بث، وهكذا تحتل هذه الدول المركز المتقدم في هذا المجال. ولعل التطور الأبرز في مجال التلفزيون يتمثّل في البث الفضائي العابر للقارات والمخترق لجميع الحواجز والسدود، إذ يحمل هذا البث ألوانًا مختلفة من الغزو الثقافي والقيمي بالإضافة إلى حملات التشويه وغسل الدماغ.

استغل الإعلام الصهيوني الأحداث التي شهدتها الولايات المتحدة استغلالاً خطرًا وشريرًا، ونظرًا لامتلاكه منظومة إعلامية عالمية متكاملة (سمعية وبصرية ومطبوعة والكترونية) فقد نجح بإلحاق أكبر الضرر بالإسلام والمسلمين

ج ـ أفلام السينما:

تعتبر صناعة الأفلام أحد الميادين الدعائية التي استغلها الغرب في حربه الدعائية التشويهية ضد العرب والمسلمين، وتركت هذه الصناعة آثارًا تخريبية خطرة على ثقافة المجتمعات العربية والإسلامية، ويكفي للتدليل على خطورة صناعة السينما أن نعلم أن النقاد الأمريكيين قد أعلنوا أن هوليود أنتجت ما يزيد عن 150 فيلمًا يسخر من العرب والمسلمين منذ عام 1986 حتى الآن.

د ـ شبكة الإنترنت:

يصف الخبراء شبكة الإنترنت بأنها أخطر وأقوى وسيلة إعلامية وثقافية عرفتها البشرية حتى الآن وعلى الرغم من محدودية انتشار الشبكة في العالمين: العربي والإسلامي قياسًا بالدول المتقدمة فإنها الأشد خطورة لأنها جمعت جميع الوسائل الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية، كما أن جميع المواد المنشورة فيها غير خاضعة للرقابة، وعلى الرغم مما توفره شبكة الإنترنت من معلومات ومعرفة مفيدة، فإن ما توفره من مواد هدامة وعقائد فاسدة وترويج للانحلال الأخلاقي يفوق الوصف، فقد جاء في إحصائية أمريكية أن عدد الصفحات التي تروج للجنس على الشبكة تجاوز 260 مليون صفحة.

أبعاد الحملة الغربية:

اعتمدت الحملة الغربية على العرب والمسلمين منذ الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) على ثلاثة محاور هي:

أولاً ـ اعتبار الإسلام عدوًا سياسيًا جديدًا للغرب بدل الشيوعية، وبرز في الحملة الإعلامية الربط بين المسلمين والإرهاب، فلم يشمل الحديث عن الإرهاب في خضم هذه الحملة إرهابًا غير إرهاب العرب والمسلمين حتى صنفت مقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال الإسرائيلي بأنها إرهاب.

ثانياً ـ تقسيم العالم إلى فريقين باعتماد تعريف الإرهاب كما قال بوش «إما أنكم مع أميركا أو مع الإرهابيين»، فلا يوجد فريق ثالث، وخطر هذا التصنيف أن أميركا تحت شعار محاربة الإرهاب أصبحت تستطيع أكثر من أي وقت مضى، الاعتداء على أية دولة وضربها عسكريًا أو محاصرتها اقتصاديًا.

ثالثاً ـ إقرار مبدأ الحرب الاستباقية والأعمال الوقائية في الاستراتيجية العسكرية الأمريكية وليس

التصدي للعدوان الواقع بالفعل كما كان متعارفًا عليه دوليًا من قبل.

وكان من نتائج هذه الحملة تعرُّضُ الإسلام والمسلمين إلى حملة تشويه إعلامية غير مسبوقة وفي جميع وسائل الإعلام، بحيث لم يبق من قيمة ثقافية أو دينية أو حضارية إلا هاجمتها وحاولت التشكيك فيها، ولعل أخطر جوانب هذه الحملة سعيُها لربط ما يُسمى بـ«الإرهاب» بالمسلمين عامة، والعرب المسلمين خاصة، بل إن بعض الساسة والمفكرين الغربيين ذهب إلى أبعد من ذلك فدعا إلى اتخاذ الإسلام عدوًا محل إمبراطورية الشر الشيوعية، فسمعنا عبارات من مثل: «الحملة الصليبية»، و«حرب الحضارة ضد البربرية» و«ضرورة انتصار الغرب على الإسلام». كما سمعنا تهديدات عنصرية مثل «ضرب مكة بالسلاح النووي» و«التهكم على الرسول ﷺ، وعلى القرآن الكريم وعلى رموز الإسلام وعلمائه، وقد صاحب هذه الحملة الإعلامية المحمومة إجراءات قمعية وخاصة في الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية، وكان من بعض نتائجها أن تعرض العرب والمسلمون في كثير من المجتمعات الغربية، مع مساجدهم ومراكزهم الثقافية، ومصالحهم وحرياتهم المدنية للعديد من محاولات الاعتداء وألوان التفرقة العنصرية والاضطهاد.

كان من أخطر ما حققه الإعلام الصهيوني أنه نجح في ربط قضية الإرهاب بالمسلمين، ودفع بالإعلام والرأي العام الغربي ليصبح منحازًا إلى هذا المفهوم بشكل خطير.

دور الإعلام الصهيوني

استغل الإعلام الصهيوني الأحداث التي شهدتها الولايات المتحدة استغلالاً خطرًا وشريرًا، ونظرًا لامتلاكه منظومة إعلامية عالمية متكاملة (سمعية وبصرية ومطبوعة وإلكترونية) فقد نجح بإلحاق أكبر الضرر بالإسلام والمسلمين بحيث اقترب من إعادة تشكيل الرأي العام العالمي على النحو الذي يريده، فبدءًا من شارون وانتهاء بكافة وسائل الإعلام الأمريكية المسيطر عليها من قبل الدوائر الصهيونية راحت أبواق العداء ضد العرب والمسلمين تشن أكبر حملة إعلامية باتجاه ترجمة ردة الفعل الأمريكية إلى حرب مدمرة على الشعوب العربية والإسلامية. والمراقب للأحداث يرى أن الإعلام الصهيوني توجه في عدة اتجاهات، وعمل على عدة جبهات مما يشير إلى طبيعة التوجه التدميري للتحرك الصهيوني داخل فلسطين المحتلة وفي أميركا وفي سائر أنحاء العالم.

وأهم هذه الاتجاهات:

الاتجاه الأول - صبّ الإعلامُ الصهيوني كل حقده على العرب والمسلمين، وصوّرهم بأنهم إرهابيون، وأن ما حدث في أمريكا ليس إلا من فعل العرب والمسلمين الحاقدين على الحرية والديمقراطية وقيم العالم الحر.

الاتجاه الثاني - كرّس الإعلام الصهيوني نفسه لدفع الأمريكيين شعبًا وحكومة باتجاه شنّ حرب مدمرة على كل الدول التي تؤوي الإرهابيين حسب التصنيف الأمريكي، ولا شك في أن الوضع النفسي الأمريكي كان لا يحتاج إلى عود ثقاب ليشعل الحرب باتجاه أفغانستان بداية. وكان الإعلام الصهيوني عود الثقاب الذي أسرع بإشعال الحرب.

الاتجاه الثالث - ربط الإعلام الصهيوني بين ما جرى في أميركا وبين ما يجري في فلسطين وحاول بشتى الوسائل إدماج الصورتين ليجعل من الفلسطينيين (إرهابيين) أيضًا ويجعل من العدو الصهيوني الدموي ضحية لهذا (الإرهاب).

الاتجاه الرابع - صوَّر الإعلام الصهيوني الإسرائيليين وكأنهم الأكثر حرصًا على مشاركة الولايات المتحدة عسكريًا في الحملة التي شنتها أميركا على أفغانستان وبعد ذلك على العراق. ويظهر

دومًا أن هذا التوجه الصهيوني كان يقصد من ورائه إطلاق الحرية الكاملة للكيان الصهيوني لينفذ أي عملية تصفية للفلسطينيين دون حساب لأنها تأتي - حسب التصور الصهيوني / الأمريكي - في سياق ما يسمى الحرب على الإرهاب.

وكان من أخطر ما حققه الإعلام الصهيوني أنه نجح في ربط قضية الإرهاب بالمسلمين، ودفع بالإعلام والرأي العام الغربي ليصبح منحازًا إلى هذا المفهوم بشكل خطير، وهو ما تجلى في المواقف الغربية من تنظيمات المقاومة الفلسطينية فأدرجت جميعًا في لوائح المنظمات الإرهابية، وأصبحت مقاومة الاحتلال في نظر العالم أجمع إرهابًا، والاحتلال مشروعًا ومسكوتًا عنه، وأصبح الجلاد ضحية والضحية جلادًا.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هذا الإعلام نجح في السابق في ترسيخ صورة نمطية سلبية عن العرب والمسلمين في ذهن المواطن الغربي، فقد استطاع أن يحدد رسم الصورة والمشهد الذي يريده لنا ولهم وأن يسهم في بناء ما هو قائم الآن في المنطقة والعالم من فوضى عارمة واضطراب لن تعرف آثاره وأبعاده قبل انقضاء زمن طويل.

الإعلام الأمريكي يتكلم عبريًا:

وللوقوف على أسباب هذا النجاح لا بد من إلقاء الضوء على بعض تفاصيل النفوذ اليهودي على وسائل: الإعلام الأمريكية حيث تؤكد التقارير والمعلومات المتوفرة أن اليهود يضعون أيديهم على ما يريد من 70٪من وسائل الإعلام الأمريكية. فصحيفة «واشنطن بوست» ذات التأثير الكبير في الإدارة الأمريكية، وصحيفة «نيويورك تايمز» الشهيرة المقروءة داخل أمريكا وخارجها، وصحيفة «وول ستريت جورنال» أشهر الصحف الأمريكية في مجال المال والاقتصاد، كلها مملوكة لليهود. وهذه الصحف الثلاث واسعة الانتشار تؤدي دورًا غاية في الأهمية في تشكيل الرأي العام الأمريكي بقطاعاته المختلفة تجاه سائر القضايا الداخلية والخارجية.

وهذا الأمر ينطبق أيضًا على المجلات الشهيرة، فمجلة «نيوزويك، والتايم، والوورلد ريبورت، ويو اس نيوز»، تخضع جميعها للسيطرة اليهودية. ولا يختلف الأمر بالنسبة للإعلام المرئي، فأشهر القنوات التلفزيونية الأمريكية كالـ NBC والـABC والـCBS والـCNN ، إما مملوكة لليهود أو تخضع لنفوذهم، وهو ما ينطبق على دور النشر وشركات الدعاية والإعلان والإنتاج السينمائي. ويمتلك «نيو هاوس» وحده حوالي 12 قناة تلفزيونية و87 محطة كيبل و24 مجلة و26 صحيفة يومية، فيما لا يتجاوز معدل عدد الصحف المستقلة عن سيطرة الإمبراطوريات الإعلامية اليهودية 25٪ فقط من بين 1600 صحيفة تصدر في أمريكا، ولا ينبغي أن ننسى إمبراطور الإعلام اليهودي «روبرت ميردوخ» الذي يمتلك أغلب استوديوهات التصوير في هوليود، والكثير من محطات التلفاز وعشرات الجرائد والمجلات

الإعلام العربي والإسلامي

أثبتت الأحداث والتطورات السياسية والعسكرية التي اجتاحت المنطقة منذ أكثر من ثلاث سنوات وحتى الآن أن الإعلام العربي والإسلامي ما زال يعاني من القصور والضعف مع بعض الاستثناءات القليلة وخاصة في مجال القنوات الفضائية، فقد سجلت بعض هذه القنوات وخاصة (محطة الجزيرة) حضورًا جيدًا، وتمثل هذا الضعف في عدم مواكبة الأحداث والتطورات بشكل فاعل، واعتماده على الوكالات الغربية في نقل الأخبار والصور، واتخاذه موقف المتفرج في كثير من الأحيان مقابل الضخ الإعلامي المعادي الهائل، لذلك لم يكن من المستغرب ضعف أدائه في الدفاع عن قضايا الأمة والتصدي للحملات التي تتعرض لها، بل لقد تخلف الإعلام وخاصة الرسمي منه عن دوره ومهماته ومسؤولياته ومستواه

عن إرادة الشعوب العربية والإسلامية وتطلعاتها ومواقفها المتقدمة من الأحداث التي شهدها العالم وخاصة في فلسطين المحتلة وأفغانستان والعراق، فالإعلام كان في واد والشعوب في واد آخر، كما يؤخذ على بعض وسائل الإعلام وخاصة الفضائيات انشغالها بالقضايا الجانبية والبرامج الترفيهية في وقت أحوج ما تكون فيه الأمة إلى الجد واليقظة والحذر.

إن بإمكان الإعلام العربي والإسلامي أن يشكل بعثًا لنوع جديد من الهوية خلال السنوات القادمة، إذا ما عمل على تطوير خطابه وأدواته مستفيدًا من التكنولوجيا الجديدة التي تتيح للعرب والمسلمين في هذه المنطقة وفي العالم أجمع أن يقرءوا ويروا ويسمعوا نفس المعلومات في نفس الوقت بدرجة غير مسبوقة.. وسوف يكون لذلك تأثير إيجابي داخل العالم العربي والإسلامي وخارجه، وقد يساعد أيضًا على إعادة تجميع العرب والمسلمين الذين يقيمون في أمريكا الشمالية وأوروبا وسائر أرجاء العالم الأخرى حول أهداف أمتهم وقضاياها المصيرية.

إن بإمكان الإعلام العربي والإسلامي أن يشكل بعثًا لنوع جديد من الهوية خلال السنوات القادمة، إذا ما عمل على تطوير خطابه وأدواته مستفيدًا من التكنولوجيا الجديدة التي تتيح للعرب والمسلمين في هذه المنطقة وفي العالم أجمع أن يقرءوا ويروا ويسمعوا نفس المعلومات في نفس الوقت بدرجة غير مسبوقة..

مواجهة الحملة الإعلامية الغربية

لا توجد وصفات جاهزة للرد على الحملات الإعلامية الغربية العنيفة على الإسلام والمسلمين، فعجزهم الإعلامي وتقصيرهم في الوصول إلى الرأي العام العالمي عمره عشرات السنين، لذلك فإن الإجراءات المقترحة تندرج تحت الخطوات الإستراتيجية طويلة الأمد وبعضها الآخر متوسط وقصير الأمد أيضًا، وبداية لإنجاح أي جهود يمكن أن تبذل لمواجهة ما يتعرض له الإسلام والمسلمون من حملة ظالمة لا بد من اتخاذ إجراءات مساعدة يمكن أن تسهل من المهمة الصعبة ومنها:

أ ـ وضع إستراتيجية إعلامية عربية وإسلامية قائمة على أسس سياسية محددة ترقى إلى مستوى التحدي الإعلامي الدولي الذي تشكله الشبكة الإعلامية الغربية في العالم.

ب ـ توحيد الرؤية في الإعلام العربي والإسلامي تجاه القضايا المركزية للأمة، والارتقاء بالخطاب الإعلامي وأدواته، واستثمار الطاقات الإعلامية الموجودة والعمل على تفعيلها وتنسيق جهودها وتعزيز العلاقات فيما بينها والعمل على استحداث مؤسسات إعلامية مستقلة.

ج ـ العمل على توحيد المصطلحات الإعلامية والتعبيرات اللغوية السياسية المستخدمة في وسائل الإعلام والتي تحمل مضمونات مختلفة وتخدم توجهات وأهدافًا معينة.

د ـ إجراء حوارات معمقة بين العاملين في المجال الإعلامي العربي والإسلامي للاتفاق على منطلقات محددة وأهداف يمكن تحقيقها مع الأخذ بعين الاعتبار معطيات الواقع الصعب والمساحات الضيقة التي يمكن أن تتحرك فيها.

مقترحات عملية

أما على صعيد المقترحات التي يمكن أن تساعد في التصدي للهجمة الإعلامية الغربية، فيجب أن نأخذ بعين الاعتبار بداية أننا أصحاب دين سماوي شعاره:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: الآية 125]

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾
[سورة الأنبياء: الآية 107]

و(درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) ومهمة المسلمين إنقاذية، كما أن الإسلام يطالب أتباعه باحترام الأديان السماوية، كما يحترم حريات الإنسان في الاعتقاد والاختيار، وانطلاقًا من هذه المعطيات فإن المهمة المترتبة على المسلمين كبيرة، لا تنفذ إلا بالعمل المتواصل وبذل الأموال لامتلاك كل أدوات الفعل الإعلامي المؤثر سواء لإيصال دعوة الإسلام إلى العالمين أو الردّ على الحملات التي يتعرضون لها، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف نقترح :

1 ـ مواكبة أدوات وتقنيات العمل الإعلامي مثل إقامة محطات فضائية، وإطلاق مواقع إلكترونية وإقامة إذاعات تبث باللغات الأجنبية الحية حتى يمكننا مخاطبة جميع شعوب العالم من أجل إظهار الحقائق وكشف زيف وبطلان الدعوات التي تنشر ضد الإسلام والمسلمين، بالإضافة إلى تقديم تعريف واضح بمبادئ الدين الإسلامي وأحكامه بلغات عالمية مختلفة.

على صعيد المقترحات التي يمكن أن تساعد في التصدي للهجمة الإعلامية الغربية، فيجب أن نأخذ بعين الاعتبار بداية أننا أصحاب دين سماوي شعاره:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾

2 ـ القيام بأعمال ونشاطات إعلامية متواصلة وباللغات الأجنبية الحية مثل: ورقة إعلامية محورها الأساسي «تعريف الإرهاب» وأنه نتيجة للعنف البشري الذي تمارسه القوى الكبرى وحصيلة بعيدة عن المعايير الأخلاقية ولا يمت بأي صلة إلى ديننا، وعمل بوسترات تظهر العنف المرتكب ضد المسلمين، وعمل أفلام وثائقية توثق الجرائم التي ترتكب في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وغيرها، وعمل بطاقات مطبوعة وإلكترونية، ونشر مقالات مترجمة على شكل إعلانات في الصحف الغربية.

3 ـ الاتصال بأصحاب القرار في الغرب من السياسيين ورؤساء الأحزاب والمفكرين والنقابيين والكتاب والصحفيين ومحاورتهم على قاعدة الاعتراف بالآخر والاحترام المتبادل وتعريفهم بقضايا المسلمين وخصوصياتهم الحضارية وحقوقهم حسب المواثيق التي أقرتها الشرائع الدولية، وتوسيع مفاهيم حوار الحضارات وتقارب الأديان والشعوب لخدمة السلام الذي تنشده الإنسانية جمعاء. ولتحقيق هذا الهدف يمكن الإفادة من العلماء والباحثين المسلمين في الغرب للإسهام في مواجهة الحملات الإعلامية الظالمة وتقديم الصورة الصحيحة عن الإسلام.

4 ـ رصد جميع الممارسات الإرهابية والمضايقات وأعمال الابتزاز التي ترتكب بحق المسلمين في مختلف أنحاء العالم والاعتراض عليها من خلال الخطابات البريدية أو الوسائل الإلكترونية أو (الفاكسات) ومطالبة مرتكبيها بعدم تكرارها.

5 ـ إقامة حوار مع صانعي الإعلام وحراس بواباته في العالم، ومعرفة الأسباب التي تدعوهم إلى تكريس حالة العداء مع العالم العربي والإسلامي، فإذا لم يحدث نوع من التواصل والتفاهم فلن يحدث تصحيح لصورة العرب والمسلمين، لأن هؤلاء هم من يصنعون الصورة والخبر والحدث أيضًا.

6 ـ استغلال الاهتمام الغربي برأي الشارع العربي والإسلامي، من خلال توجيه رسائل إلى الشعوب الغربية وقادتها تعلن رفض المخططات الظالمة وتعرفهم بالمستفيدين من تسعير حالة العداء مع العالم الإسلامي، فقد وجدنا العديد من قادة الغرب يتوجهون إلى الرأي العام العربي والإسلامي عبر أجهزة الإعلام العربية، وفي ذلك إدراك لأهمية الرأي العام والاعتراف باستنارته وتأثيره في

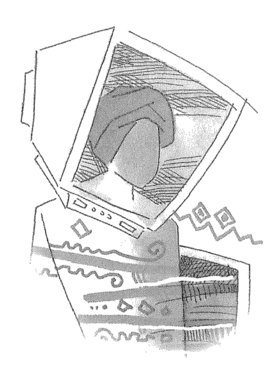
أمهات القضايا الأساسية والحساسة، وجاءت هذه المواقف بعد المظاهرات التي شهدتها شوارع العالم أجمع معلنة تأييدها الحق الفلسطيني ورفضها ضرب العراق وغيرها من الدول العربية والإسلامية.

7 ـ دعوة القادة والمفكرين وأساتذة الجامعات والأكاديميين العرب والمسلمين لمخاطبة الشعوب الأوروبية والأمريكية كما يفعل المسؤولون الغربيون فيكتبون ويخاطبون الشعوب العربية على ذات النسق، ويكون لكلامهم صدى، خاصة أن الإعلام الأمريكي يعطيهم أكثر من سبب لهذه المخاطبة لما يوجهه من نقد فيه الكثير من التجني على بعضهم هذه الأيام، ناهيك عن التجني المستمر على العروبة والإسلام.

8 ـ اهتبال الفرصة الهائلة التي انفتحت أمام المسلمين لتصحيح صورة الإسلام في الغرب وتوضيح عدالة قضاياهم، خاصة أن العالم الغربي والأمريكي يبدي هذه الأيام اهتماماً لم يسبق له مثيل لمعرفة الإسلام وقيمه ورسالته، فقد أثرت الأزمة في عقلية المواطن الأمريكي (المسلم وغير المسلم) وجعلته يفكر بعلاقته بالإسلام والمسلمين بشكل جديد وغير مسبوق، وحدث الأمر نفسه مع العديد من المسلمين المقيمين في الولايات المتحدة فقد دفعتهم الأزمة وتداعياتها إلى مراجعة المصادر والمؤسسات الإسلامية للبحث عن أجوبة لما أثارته الأزمة من تساؤلات عن الإسلام.

9 ـ تعزيز الحوار العربي ـ الأمريكي الذي انطلق منذ أكثر من ثماني سنوات عندما اجتمع عدد من رجال الدين والإعلام العرب في أطلانطا، وتم بعده إنشاء زالجمعية الأمريكية العربية لمدرسي الاتصالات بهدف دعم الحوار بين أساتذة الجامعات وتبادل الدراسات والبحوث، كما أقيمت مجموعة من المؤتمرات السنوية في العواصم العربية.

10 ـ دعم الدعوات المتزايدة في أوروبا وأمريكا وغيرها من دول العالم ضد العولمة وتلك التي



تطالب بإزالة المظالم السياسية والاقتصادية وأسباب الإرهاب في العالم على حد تعبيرهم، وتعزيز هذه الدعوات بإعداد تقارير ودراسات موثقة عن المظالم الاقتصادية والاجتماعية التي تضرب الدول العربية والإسلامية جراء السياسات الغربية وخاصة تلك المتعلقة بصندوق النقد الدولي وشروطه التجويعية والتفقيرية.

11 ـ استخدام شبكة الأنترنت العالمية التي أتاحت للمسلمين فرصة لم تتح لهم من قبل في وسائل الإعلام الأخرى لتعريف الغربيين بالإسلام وللرد على الشبهات التي تثار حوله، ولتكون منبراً مفتوحاً للحوار بين الجانبين.

بكلمة أخيرة، إن سلاح الإعلام من أخطر الأسلحة التي ينبغي على العرب والمسلمين أن يأخذوا بها ويحرصوا على امتلاكها بكل تقنياتها وأدواتها ليس لصد الحملات المعادية لهم ولقضاياهم وحماية أبنائهم من حملات التشويه والتضليل وغسل الأدمغة وصولاً إلى سلب الثروات والسيطرة على الأوطان وحسب، بل لاستعمال هذا السلاح (الإعلام) في التعريف بالدين الإسلامي ودوره ومساهماته الإيجابية في الحضارة الإنسانية، وإيصاله من غير تشويه ولا تحريف إلى كافة شعوب العالم، وبيان أن هذا الدين يستطيع أن يقدم الكثير من الحلول العملية والواقعية لكثير من المشكلات التي تعاني منها البشرية.



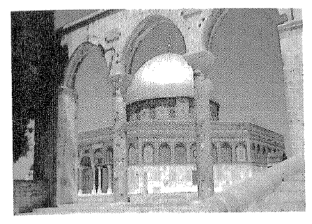
نظرة على المشهد العمراني في القدس خلال العهد العثماني

إبراهيم عبد الكريم*

مقدمة :

لا تزال مدينة القدس تحفل بعدد كبير من الآثار والمعالم التي تعكس الروح العربية الإسلامية لهذه المدينة الصامدة أمام الهجمات الصهيونية المتواصلة ومحاولات سلطات الاحتلال تذويبها أو تدميرها.

وعلى الرغم من الأشواط المديدة التي قطعتها عملية تهويد القدس، لا يزال يقاوم التهويد ما ينوف عن 300 معلم أثري تنتمي إلى الحضارة العربية والإسلامية. في صدارتها الدرَّة الأبدية / الحرم القدسي الشريف. منها : 46 مدرسة تاريخية. 39 زاوية وضريحاً وتربة. 25 مسجداً. 22 سبيلاً وحماماً. 35 قبة ومحراباً وباباً. 34 طريقاً قديمة وأثرية. 18 طريقاً مقدسة عند المسيحيين. 19 كنيسة وبطريركية. 9 أسواق قديمة. 8 أبواب. عدد كبير من القباب والتكايا والخانقاهات والأربطة والمقابر الجماعية (التي تضم 9 قبور للصحابة وعشرات القبور للمجاهدين والعلماء والقادة والأعيان .. الخ).



قبة الصخرة

❖ أولاً، منزلة القدس في العهد العثماني :

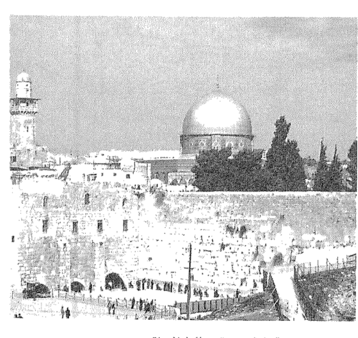
على غرار العهود الإسلامية المتعاقبة، ظل الارتباط بالقدس يشكل أحد المضامين العقيدية والتعبدية في حياة المسلمين خلال العهد العثماني، استناداً إلى نصوص واردة في الكتب والنصوص المقدسة، التي تحفل بالقوة الروحية لهذه العلاقة. وكان هذا الارتباط بالقدس محرّكاً روحياً ووجدانياً لسلوك السلاطين والولاة والأمراء والقضاة ورجالات الدولة المهمين وسواهم، معبَّراً عنه بالحفاظ على

* باحث ورئيس تحرير مجلة الأرض، في موسسة الأرض للدراسات الفلسطينية ـ دمشق

المعالم القائمة وبناء منشآت جديدة في هذه المدينة.
وحظيت القدس آنذاك باهتمام فائق، لم يقتصر على بناء كمّ كبير من المعالم المعمارية، بل تعداه إلى العناية بالدور الحضاري والثقافي الذي كانت تؤديه هذه المعالم في حياة أهل القدس والعرب والمسلمين عامة.

ومع أن الأيوبيين هم الذين استردوا المدينة المقدسة(من الصليبيين) على يد الناصر صلاح الدين(583هـ/ 1187م) ، وأن المماليك من بعدهم (658 ـ 922هـ /1260 ـ 1516م) شيدوا العديد من المباني الدينية، إلى جانب إعادة بناء وترميم مكانيْ العبادة المركزيين، وهما المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وساهموا بذلك في صبغ المدينة بالطابع الاسلامي، إلا أن القدس بعد أربع سنوات من الحكم العثماني في فلسطين. في زمن السلطان سليم الأول. خضعت لأول مرة إلى برنامج تطوير منتظم وشامل في زمن السلطان سليمان الأول/القانوني (الذي تولى الحكم في الفترة 926 ـ 974هـ / 1520 ـ 1566م) . وتمكن من إعادة تثبيت مكانة المدينة بصورة نهائية كمركز يشدُّ المسلمون إليه رحالهم، وبذلك كان السلطان سليمان مجدد المدينة وراعي نهضتها ومرسي قواعد ازدهارها.

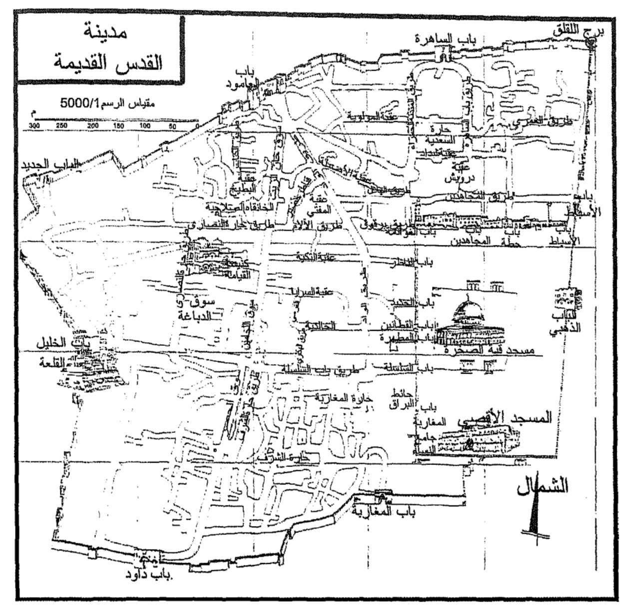
حول اهتمام السلطان سليمان بالقدس، قدّم لنا الرحالة التركي أوليا جلبي. في مخطوطه «أوليا جلبي سياحتنا مه سي» . ضمن وصفه زيارة قام بها إلى القدس(في رمضان 1080 هـ/ الموافق كانون الثاني 1670 م) الشرح التالي: في عام 926هـ/1520م اعتلى السلطان سليمان العرش، وعندما غدا ملكاً مستقلاً ظهر له النبي(ص) في ليلة مباركة وقال له: يا سليمان سوف تحقق انتصارات عديدة، ويجب عليك أن تنفق الغنائم على تزيين مكة والمدينة وعلى تحصين قلعة القدس، حتى تصد الكافرين إذا حاولوا احتلالها خلال حكم خلفائك. وعليك أيضاً أن تزين حرمها



قبة الصخرة وحائط البراق

بحوض للمياه، وأن تمنح دراويشها مخصصات مالية كل عام. وعليك أيضاً أن تزين صخرة الله وأن تعيد بناء مدينة القدس. ويقول الرحالة جلبي: لما كان ذلك أمراً من الرسول، فقد نهض سليمان خان في الحال من نومه، وأرسل صرَّة إلى المدينة وأخرى إلى القدس. وبالإضافة إلى المواد اللازمة أرسل كبير مهندسيه خوجا سنان(ت 996هـ/1588م) إلى القدس، ونقل مصطفى باشا من ولاية مصر إلى ولاية الشام. ولما صدر الأمر لمصطفى باشا بترميم القدس، جمع كافة البنائين والمهندسين والنحاتين في القاهرة ودمشق وحلب وأرسلهم إلى القدس لإعادة بنائها وزخرفة الصخرة المشرفة.

ربما يصعب علينا التحقق تاريخياً من صحة تفاصيل هذا السرد حول عناية السلطان سليمان الأول بتعمير مدينة القدس، لكن من الواضح أنه يسلط الأضواء ليس فقط على الدوافع الإجمالية التي يمكن تقصيها من خلال المباني التي ما زالت قائمة في المدينة، بل يقدم أيضاً أدلة واضحة تبين الدوافع التي كانت تكمن وراء كل إجراء من إجراءات البناء على حدة. ولنلاحظ هنا أن عمليات البناء استمرت



في القدس على امتداد القرون الأربعة للعهد العثماني. ولما كان من المتعذر، في هذا المقام، تقديم عرض تفصيلي للتراث المعماري والثقافي الذي خلفه العثمانيون في القدس، فإن ثمة عينات لا تزال ماثلة للعيان تسمح بتكوين مشهد إجمالي لهذا التراث.

❖ ثانياً، تجديد سور القدس وأبوابها :

تبين المراجع التاريخية أن اليبوسيين (2500 ق.م) هم الذين بنوا الصيغة الأولى لسور القدس، وأنه طرأت عليه تعديلات وعمليات ترميم في الفترات المتعاقبة، منها التجديد الذي تم في زمن القائد الأيوبي الناصر صلاح الدين يوسف بعد استرداد القدس (583هـ/1187م). ولكن هذا السور تعرض للخراب بعد أكثر من 30 عاماً (615هـ/1219م) بفعل تعرض المدينة لخطر حصار صليبي، ودمر مرة أخرى (624هـ/1227م) وبسبب ذلك تمكن فريدريك الثاني من استلام المدينة المقدسة (626هـ/1229م) دون أي مقاومة تقريباً. ثم بقيت القدس لأكثر من ثلاثة قرون تالية تفتقر إلى نظام دفاعي فعال، إلى أن جاء العهد العثماني.

من المهم الإشارة هنا إلى سور القدس، الذي يحيط بالمدينة القديمة من جهاتها الأربع، القائم

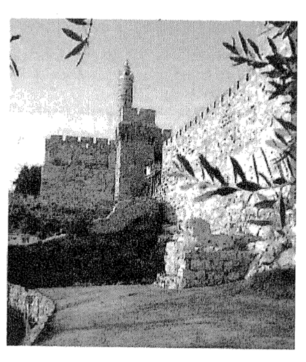
اليوم، هو من تجديد استغرق خمس سنوات (اعتباراً من 943هـ/1536م) في فترة السلطان العثماني سليمان الأول/القانوني، وبإشراف مباشر من معتمده المهندس خوجا سنان. ولا يزال اسم السلطان سليمان منقوشاً عليه. وكان هذا التجديد فوق أساسات البناء المتهدم التي بقيت من العهد الأيوبي، وذلك بعد الفراغ من مشروع تزويد المدينة بالمياه.

جعل للسور آنذاك 34 برجاً (للحراسة والحماية بنيت. بمصطلحات اليوم. لاعتبارات طبوغرافية واستراتيجية وأمنية) و 344 فتحة رمي، وفي أعالي أبراج بوابات السور بنيت 17 حجرة لأغراض قتالية. ولا تقدم الدراسات الأثرية تحديداً قاطعاً لمدى العلاقة بين الأبراج العثمانية والأبراج الأقدم منها، حيث جرى في حالات عدة إصلاح الأجزاء العلوية منها. ولكن على وجه العموم تبدو غالبيتها الساحقة على الطراز العثماني الذي يتميز بالطبيعة المتماثلة لمواد البناء والوحدات الهندسية.

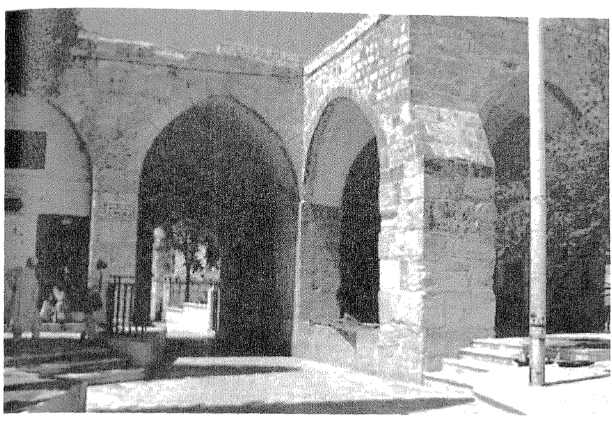
يمكن تحديد خطوات بناء السور بناء على النقوش الثلاثة عشر المعروفة بالتسلسل التالي: بدأ البناء في الجناح الشمالي الغربي حسبما تشير ثلاثة نقوش مكتوبة على باب العامود والبرج الأوسط وبرج اللقلق(في الزاوية الشمالية الشرقية)، وتؤرخ البناء في عام 944هـ/1537م. ويتكون هذا البرج من طابقين يتصلان بالسور، تشاهد في الأول ميزات حربية، منها مزاغل لرمي السهام، وفي الثاني تحصينات للمراقبة والحماية. وفي هذه المرحلة الأولى تم أيضاً تجديد باب الساهرة. وفي العام التالي تواصل البناء في الجهة الشرقية، حيث يشير نقش باب الأسباط إلى عام 945هـ/1538م، واستمر حتى الزاوية الشمالية الشرقية لساحة الحرم، إضافة إلى الجزء الشمالي من سور المدينة الغربي الممتد حتى القلعة، وتشهد على ذلك أربعة نقوش مؤرخة في عام 945هـ/1538م على البرج الشمالي والبرج الجنوبي واثنان على باب الخليل. وتم الفراغ من بناء السور مع إنهاء الجزء الجنوبي(عام 947هـ/1540م) كما تشير إلى ذلك أربعة نقوش كتابية أخرى، يقع اثنان منها على باب النبي داود وواحد على برج الكبريت الواقع عند الزاوية الجنوبية الشرقية، وواحد على باب المغاربة..

ارتكز النظام الدفاعي في سور المدينة على نماذج أيوبية ومملوكية، تتمثل في بناء أبراج عند الزوايا وبوابات ذات مداخل متعرجة. ويمكن مقارنتها على سبيل المثال بسور مدينة دمشق وبدرجة أكبر بسور مدينة حلب. وكذلك فإن الأقبية المنثنية في باب العامود وباب الأسباط وباب الخليل تشابه مثيلاتها في أبواب حلب والقاهرة التي بنيت في أواخر العهد المملوكي، الأمر الذي يؤكد رواية الرحالة أوليا جلبي في أن الذين قاموا بتنفيذ أعمال البناء كانوا شاميين ومصريين.

تم تطبيق أنظمة البناء الدفاعية المتبعة في العصور الوسطى، ومراعاة إعادة بناء السور على الهيئة التي كان عليها في العهد الأيوبي. ومع أن النقوش قليلة العدد الموجودة على سور المدينة لا



سور القدس



باب الأسباط

تزودنا بمعلومات حول تنظيم عمليات البناء، لكن يمكننا الافتراض أن محمد بيك حاكم لواء غزة والقدس، الذي بنى محراباً تحت قبة النبي في الحرم القدسي (مؤرخة في عام 945هـ/1538م). قد لعب دوراً هاماً في تنفيذ مشروع بناء السور الضخم، وربما كان يدير عمليات البناء بنفسه.

تبيّن دراسة هذا السور أنه مبني من الحجارة الضخمة، وتعلوه شراشيف حجرية جميلة المنظر، ويتميز بكثرة الزخارف المنقوشة على الحجارة لنماذج نباتية وهندسية أكسبت السور جمالاً وروعة لا مثيل لها، وجعلته الأجمل والأكمل بين أسوار المدن التي شيدت في العالم كله خلال القرن 16 م. وقد أنفقت عليه مداخيل 3 سنوات من الضرائب التي جبيت من مصر كلها، لما للقدس من أهمية دينية في نظر المسلمين، ولدى السلطان سليمان.

من المرجح أن يكون السبب الأساسي لإعادة بناء سور القدس هو أن كارلوس الخامس (ملك إسبانيا والنمسا والوصي على أوروبا الغربية) قد خطط لاستئناف الحملات الصليبية إلى الشرق. وكان مفهوماً أن «تحرير القدس والقبر المقدس، للمسيح، من الأسر الإسلامي» سيكون الشعار الرئيس للحملة الجديدة أيضاً. وتجدر الإشارة إلى أن الملك كارلوس الخامس نال - بين الألقاب التي أعطيت إليه - لقب «ملك القدس»، وقد ظهر هذا اللقب على أوراق اعتماد السفير الإسباني في بلاط السلطان سليمان، الذي احتج بدوره على ذلك، والذي تعززت لديه القناعة بضرورة تحصين القدس أمام أي غزو محتمل ببناء سور جديد للمدينة. واستناداً إلى هذا التفسير، من المستبعد أن يكون بناء السور قد جاء. كما يذكر بعض المؤرخين. كمحاولة لكبح جماح هجمات البدو على القدس، خاصة بفعل وجود فصيلة من الفرسان العثمانيين في المدينة، لمواجهة أي هجمات كهذه.

يبلغ طول محيط هذا السور نحو 4 كم، ومتوسط ارتفاعه 12م، فيه 12باباً، منها 7 أبواب مفتوحة حالياً

(هي بأسمائها الراهنة المتداولة: من الجنوب باب المغاربة وباب النبي داود. من الغرب باب الخليل والباب الجديد. من الشمال باب العمود وباب الساهرة. من الشرق باب الأسباط). والأبواب الخمسة الباقية مغلقة (هي: في الشرق الباب الذهبي وباب الجنائز، وفي الجنوب المنفرد والمزدوج والثلاثي)، وهي ذاتها أبواب للحرم القدسي.

خلال العهد العثماني، طرأت عمليات ترميم وتجديد على غالبية أبواب القدس. وكأمثلة:

❖ في زمن السلطان سليمان القانوني، جدد باب الساهرة (944هـ / 1537 م)، وباب الخليل (945هـ /1538م)، ونقش على حجر في واجهته « لا إله إلا الله إبراهيم خليله». كما جدد باب المغاربة وباب النبي داود (947 هـ / 1540 م). وتظهر على الثاني منهما ميزات عمارة عسكرية (فهو ضخم، مرتفع، وله برج حجري للمراقبة والحماية، ومزاغل لرمي السهام..). وبالمثل، جدد باب العامود فوق أنقاض باب يرجَّح أنه من العهد الصليبي. ورمم باب الأسباط (945هـ /1538م) وتظهر عنده ميزات حربية إسلامية عثمانية.

❖ استمرت أعمال ترميم سور القدس وأبوابها طيلة العهد العثماني. وفي زمن السلطان عبد الحميد الثاني، فتح الباب الجديد (في الجزء الشمالي الغربي لسور القدس) (1305هـ / 1887م)، حتى يسهل الدخول إلى القدس والخروج منها عبر هذا المكان.

❖ ثالثاً، أعمال الترميم والتجديد في الحرم القدسي الشريف:

تابع العثمانيون الاهتمام الذي أولاه من سبقهم من المسلمين للحرم القدسي، ومما قاموا به:

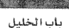
1 ـ ترميم جدران الحرم القدسي وأبوابه وفتح باب (ستنا مريم) في زمن السلطان سليمان القانوني.

2 ـ استأثرت قبة الصخرة بأول أعمال البناء



باب الخليل

باب الساهرة







باب النبي داوود

باب المغاربة



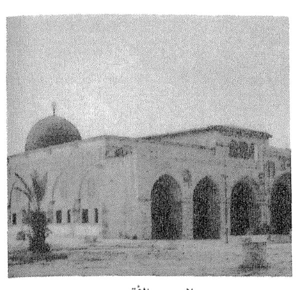
بوابة دمشق (بوابة العامود)

الضخمة التي أنجزها السلطان سليمان القانوني، لما للصخرة من مكانة روحية. وحسب نقش أزيل من موضعه في وقت لاحق فقد تم الفراغ في عام 935هـ/1528م من تجديد نوافذ هذا المبنى المثمن الشكل والبالغ عددها 36 نافذة والمزخرفة بقطع زجاجية. وبما أن التجديد قد أمر به السلطان سليمان فلا يمكن أن يكون قد اقتصر على النوافذ. لهذا يمكن اعتبار ذلك العام تاريخاً للترميم الشامل للمبنى. وبتكليف من السلطان تم إنجاز الترميم خلال

السنوات العشر التالية. وتم بعد ذلك تزيين الواجهات الخارجية بالقاشاني الملون على نمط الأبنية العظيمة في عواصم الدول. وقد اشتمل ذلك التزيين على قطع فسيفساء متعددة الألوان وبلاط زجاجي ملون ذي حافات غير مدببة، واستخدمت فيه أيضاً رسومات على بلاط تعلوه طبقة زجاجية شفافة.

ويمكن ربط زخارف الفسيفساء تلك بنقش مكتوب يعود تاريخه إلى عام 952هـ/1545م على الجهة العلوية من السقف خارج الباب الشمالي للمسجد والمرسوم تحت طبقة من الزجاج وعليه توقيع فنان فارسي يدعى عبد الله التبريزي، وهي توضح لنا المستوى الذي وصلت إليه زخرفة البلاط باهظة التكاليف. فبمساعدة أمهر مهندسي ذلك الوقت، تم تحقيق الهدف من زخارف الفسيفساء وهو إعادة البريق القديم إلى هذا المبنى. وهنا يتضح لنا السبب في حرص أوليا جلبي على ذكر الخطاط أحمد قرة حصاري (ت 963 هـ / 1556م) الذي زين بخطه الفسيفساء الخارجية، والذي عمل أيضاً في الجامع السليماني في استانبول، بل وحرص أيضاً على ذكر خوجا سنان كبير المعماريين العثمانيين ومهندس ذلك الجامع، وربط بينهما وبين التعميرات التي أمر بها السلطان في القدس.

وبناءً على استخدام أنماط فنية مختلفة في تصميم البلاط يمكننا الافتراض أن إنتاج هذه الفسيفساء الرائعة لم يمر عبر مرحلة واحدة وإنما عبر العديد من مراحل الانتاج. ومن الأدلة الصريحة على ذلك قبة السلسلة المنتصبة شرقي قبة الصخرة، حيث يوجد فوق المحراب نقش فسيفسائي مكون من سطرين ويبلغ طوله نحو 3 أمتار، وينص على أن قاشاني الفسيفساء تم تجديده بأمر من السلطان سليمان عام 969هـ/1562م. وتتكون بلاطات النقش من كتابة باللون الأبيض على أرضية بنية غامقة يعلوها زجاج شفاف، وهي تطابق من الناحية الفنية فسيفساء

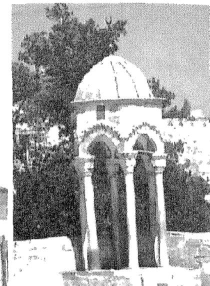


المسجد الأقصى

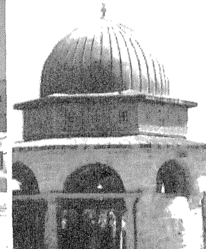
الباب الشمالي لقبة الصخرة. وعليه يمكننا القول إن تاريخ نقش الترميم في قبة السلسلة قريب من تاريخ صنع الرسومات على البلاط تحت زجاج شفاف في قبة الصخرة المجاورة.

وعلى الأرجح فإن المرحلة الأخيرة من صناعة القاشاني قد أعقبت مراحل التطور التي مر بها بناء المسجد السليماني في استانبول (في الفترة 957-964هـ/1550 - 1667م)، والتي تم فيها استخدام بلاط عليه رسومات متعددة الألوان لأول مرة. ومن المحتمل أن يكون المعمل نفسه الذي قام بصناعة فسيفساء تكية السلطان سليمان في دمشق قبل ذلك بقليل. في عام 967هـ/1560م. قد تم تكليفه بصناعة فسيفساء قبة الصخرة. وعلى ما يبدو فإن أعمال الترميم الجديدة في قبة الصخرة قد استكملت (عام 972هـ/1564م) بعد الفراغ من تغليف الأبواب الخشبية الشرقية والغربية بالبرونز بتكليف من السلطان سليمان.

ويمكن القول إن ترميم قبة الصخرة في زمن السلطان سليمان قد دفع أوليا جلبي إلى كتابة الملاحظة التالية: «ولما كان السلطان العثماني في هذا الزمان هو أكثر حكام العالم تشريفاً واحتراماً.. فقد جعل من هذا الصرح جنة لا مثيل لها على

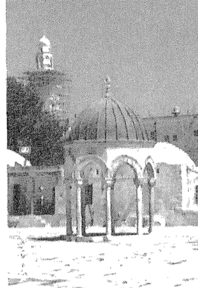


قبة الخضر عليه السلام





قبة السلسلة



قبة الأرواح

الأرض.. لأن السلطان وحده هو القادر على أن يكون مالكاً لبيت الله».

في سياق عمليات ترميم مبنى قبة الصخرة، تم إنشاء الباب الشمالي للمبنى (945هـ / 1538م) وإعادة تبليط المسجد وترميم القبة (949هـ/1542م) في زمن السلطان سليمان القانوني. وقد رمِّم مجدداً (1270هـ/1854م) زمن السلطان عبد المجيد، وأعيد إنشاء قسم كبير من السقف الخشبي للبناء مثمن الأضلاع، ورمِّم الرصاص وبُلطت أرضية المسجد بالمرمر وركبت شبابيك زجاجية ملونة، وصفحت جدران المسجد بالمرمر في القسم السفلي منه (1291 هـ/1874م) في زمن السلطان عبد العزيز. أما بلاط القسم العلوي فهو منذ زمن بنائه الأول. وفي زمن السلطان عبد الحميد الثاني، كتبت على القاشاني سورة يس الموجودة حالياً على واجهات التثمينة الخارجية.

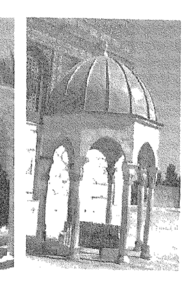
3 ـ تم في العهد العثماني بناء أو تجديد عدد من قباب الحرم، ومن ذلك: تجديد القاشاني(969 هـ/1516م) زمن السلطان سليمان القانوني في قبة السلسلة (التي أقيمت في العهود الإسلامية الأولى شرق مسجد قبة الصخرة). وتجديد قبة النبي (التي يعود تاريخها إلى الفترات الإسلامية المبكرة، في الموقع الذي قيل إن الرسول ﷺ صلى فيه بالأنبياء والملائكة). فأنشأ محمد بك صاحب لواء غزة والقدس محراباً مستطيل الشكل بين أعمدة، في زمن السلطان سليمان القانوني. ورممت القبة (1261 هـ / 1845 م) في زمن السلطان عبد المجيد بن محمود الثاني. ويتكون مبناها من 8 أعمدة رخامية تعلوها 8 عقود مدببة تتلوها رقبة مثمنة تقوم عليها القبة. وأنشئت قبة الشيخ الخليلي (1112 هـ / 1700 م). واستخدمت داراً للعبادة والتصوف واتخذها الشيخ الخليلي مقراً لقراءة الأوراد (الأدعية الصوفية) والاعتكاف فيها. يضم مبناها غرفة مستطيلة الشكل، مدخلها في جدارها الجنوبي، وفي داخلها كهف أقيم فيه محراب. كما أنشئت قبة أو إيوان عشاق النبي (شمالي ساحة الحرم) (1233 هـ / 1818م) في زمن السلطان محمود الثاني، وكانت ملتقى الصوفيين والزهاد الذين عرفوا بعشاق النبي (ص). وقبة يوسف آغا (في الجهة الجنوبية الغربية لساحة الحرم) (1092هـ/1681م) في زمن والي القدس يوسف آغا خلال حكم السلطان العثماني محمود الرابع. ويستخدم مبناها حالياً مكتب استعلامات وبيع تذاكر لزوار الحرم القدسي. ويبين الطراز المعماري لكل من

قبة الخضر وقبة الأرواح أنهما من العهد العثماني، ويرجَّح أنهما بنيتا في القرن 10هـ / 16م، وهما موقعان تذكاريان فقط، الأولى يضم مبناها 6 أعمدة رخامية فوقها 6عقود حجرية تشكل القاعدة المسدسة للقبة، والثانية يضم مبناها 8 أعمدة رخامية عليها 8 عقود تشكل القاعدة المثمنة للقبة.

4 - جرى خلال العهد العثماني ترميم المسجد الأقصى مرات عدة، فبالإضافة إلى ترميم قبة الصخرة أمر السلطان سليمان بترميم المسجد الرئيسي في الحرم/ المسجد الأقصى. ويشهد على ذلك نص مفقود كان يقع على إحدى نوافذه من الداخل ولكنه يحمل تاريخاً مغلوطاً (وهو عام 996هـ/1587م) يبين أن إتمام الترميم أنجز بعد أكثر من عشرين سنة على وفاة السلطان. ومن المرجح أن التاريخ الصحيح هو عام 936هـ/1529م، حيث إن تجديد النوافذ الزجاجية في قبة الصخرة قد تم في عام 935هـ/1528م. وعلى ذلك يمكن القول إن النص الزجاجي الفني المذكور في المسجد الأقصى قد تم إعداده مباشرة بعد إتمام أول أعمال الترميم التي أمر بها السلطان في الحرم.

أما أواخر عمليات ترميم المسجد الأقصى خلال العهد العثماني، فقد كان منها: الترميم الواسع الذي تم بعد زيارة والي صيدا للمسجد (1232 هـ / 1816م)، والترميم الذي جرى في زمن السلطان عبد المجيد (1838 ـ 1860م) الذي أنفق على أعمال ترميم الحرم وزخرفته 20 ألف ليرة عثمانية، والترميم الذي جرى في زمن السلطان عبد الحميد الثاني (1876 ـ 1908م) وأنفق عليه 30 ألفاً، عدا الأثاث الذي بلغ ثمنه نحو 10 آلاف ليرة، وجرى آنذاك فرش منبر المسجد بالسجاد الفارسي وأحضرت له سجاجيد أخرى للصلاة، وغير ذلك.

5 - تجديد «منبر برهان الدين» (الذي استخدم للخطابة والدعاء في الأعياد والمناسبات الإسلامية



قبة النبي — قبة يوسف

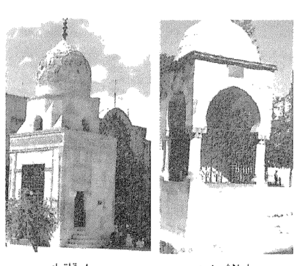
وصلاة الاستسقاء) (1259هـ / 1843م) بأمر الأمير محمد رشيد في زمن السلطان عبد المجيد بن محمود الثاني، حسبما هو مذكور في النقش التذكاري الموجود عليه. وعرف في القرن 8هـ/14م باسم «قبة الميزان»(...).

6 ـ أنشئت خلال العهد العثماني مساطب عدة في الحرم القدسي للصلاة والتدريس، وهي أمكنة مرتفعة قليلاً بنيت من الحجارة وبُلّطت سطوحها، ولبعضها محراب باتجاه القبلة، أبرزها: مسطبة سليمان (943هـ/1536م)، مسطبة علي باشا (1047هـ/1637م)، مسطبة الطين (1174هـ/1760م)

7 - إنشاء وتجديد سبل المياه، وأبرز ما جرى في هذا الشأن، أنه بعد ترميم الحرم القدسي وتجديد القلعة، أمر السلطان سليمان (عام 943هـ/1536م) بإنجاز مشروع معماري هام آخر، يهدف إلى تأمين وصول المياه من بركة السلطان الواقعة جنوب غرب المدينة إلى الأسبلة الخمسة التي تم إنشاؤها في الحرم القدسي وحوله. وتزودنا النقوش المنحوتة على تلك الأسبلة بمعلومات تفصيلية عن المراحل الزمنية لتلك الأعمال. وقد تم تجديد شبكة المياه وإنشاء الأسبلة في المدينة وفي داخل الحرم خلال وقت قصير مذهل لا يتجاوز الشهرين. وكما قال

أوليا جلبي فقد كان الهدف الرئيسي من هذه المنشآت تزويد الحرم القدسي بالمياه. ولكن الأسبلة التي تم بناؤها عند تقاطعات الطرق الهامة داخل المدينة تشير إلى تطوير واع للبنية التحتية للمدينة على يد السلطان سليمان. وهو ما يعكس الحرص على خدمة المواطنين والزوار على حد سواء. وهذه الأسبلة هي:

- ❖ سبيل قاسم باشا، قرب باب السلسلة، ويسمى أيضاً سبيل باب المحكمة، أنشئ (932هـ/1526م) في زمن قاسم باشا والي القدس خلال حكم السلطان العثماني سليمان القانوني. ويتكون من بناء حجري مثمن الأضلاع عليه قبة، تغطي جوانبه مظلّة خشبية واقية دائرية الشكل، وشماله بركة مربعة الشكل تتوسطها نافورة تسمى بركة النارنج تعود إلى العهد المملوكي.
- ❖ سبيل السلطان سليمان، في الجهة الشمالية لساحة الحرم قرب باب المجاهدين (العتم). أنشئ (923هـ/1517م) في زمن السلطان سليمان القانوني، ويحمل اسمه، وعرف أيضاً باسم سبيل باب العتم.
- ❖ سبيل البديري، في الجهة الغربية لساحة الحرم شرق باب الناظر. أنشئ (1153هـ/1740م) بإشراف مصطفى آغا قائمقام القدس في زمن السلطان محمود الأول. يقوم مبناه على قاعدة مربعة الشكل. يرتقى إليه بدرجتين. له ثلاث فتحات مقنطرة، وفوقه قبة.
- ❖ كما أنشئت في العهد العثماني أسبلة أخرى بسيطة التكوين، منها: سبيل باب حطة (في الجهة الشمالية لساحة الحرم على يسار الداخل من باب حطة) وسبيل باب المغاربة(في الجهة الجنوبية الغربية لساحة الحرم مقابل باب المغاربة). وجرى في زمن السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد، ترميم سبيل مياه قايتباي (في الجهة الغربية



سبيل الشيخ بدير سبيل قاتباي



سبيل قاسم باشا

لساحة الحرم) (1300هـ/1883م). ويعتبر هذا السبيل النموذج الوحيد والفريد من نوعه في المنطقة، ويعدُّ من أهم أسبلة القدس وفلسطين وبلاد الشام.

❖ **رابعاً، بناء أو تجديد مساجد خارج الحرم القدسي:**

- ❖ بناء «مسجد الطور» (على جبل الزيتون) (1517م) في زمن السلطان سليمان القانوني.
- ❖ تحويل «كنيسة العشاء الأخير» (في حي النبي داود) إلى مسجد ومقام النبي داود. وقد كان هذا العمل أول المشاريع المعمارية التي يمكن إثبات نسبتها إلى السلطان سليمان القانوني في القدس. وتشير إعادة البناء التي جرت في نطاق محدود جداً (وانتهت في الأول من ربيع الأول عام 930 هـ/ الموافق 8 كانون الثاني 1524م) إلى الهدف الرئيسي

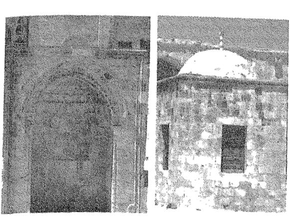
من برنامج البناء الضخم في القدس، وهو التأكيد على الهوية الإسلامية للمدينة المقدسة. ويؤكد النص المنقوش باللغة العربية في المقام على أن مبنى الكنيسة ودير الفرنسيسكان التابع له والذي يقع قبر الملك داود بداخله قد تم تحويله إلى وضع يتلاءم مع الاسلام. وهذا البناء عبارة عن بناء حجري من طابقين، سفلي فيه مسجدان (أحدهما كبير والآخر صغير وعلى جدرانهما آيات من القرآن الكريم) وعلوي فيه ردهة واسعة تقع فوق المسجد الكبير، على جدرانها بلاطة نقشت عليها ذكرى تنظيف المقام وتطهيره وعمله مسجداً بأمر من السلطان سليمان، بإشراف الشيخ أحمد الدجاني (936هـ/1529م). وبعد نحو 300 عام، جرى تجديد البناء (1233هـ/1817م) في زمن السلطان محمود خان.

❖ بناء «مسجد المولوية» (في حارة السعدية شمال غرب الحرم القدسي) (995هـ/1586م) بإشراف خداوند كاربك قومندار لواء القدس، وكان خانقاه (مكان إيواء وعبادة) لأتباع الطريقة المولوية. وتقع خارج المسجد ثلاثة أحواض، وقبر باسم الشيخ المولوي الحاج علي (1271هـ/1855م) وفي غرفة مجاورة ثلاثة قبور قديمة.

❖ بناء «جامع الحنابلة» تحت المدرسة السلطانية غرب الحرم (1020هـ/1661م) في زمن السلطان محمد الرابع.

❖ بناء «مسجد الشوربجي» (قرب باب العمود في الجزء الشمالي الغربي لسور القدس) (1097هـ/1686م) من قبل الحاج عبد الكريم الشوربجي، ووقف عليه أوقافاً، وعين له موظفين (سدنة). له مدخل صغير في واجهته الشرقية ومحراب من الحجر الأملس وقبة كروية الشكل مطلية باللون الأصفر. وقد جدّد عام 1990م.

❖ تجديد «الجامع العمري الكبير» (وسط النصف الغربي من المدينة القديمة جنوب كنيسة القيامة في المنطقة التي صلى فيها الخليفة عمر يوم دخوله



سبيل باب المغاربة   سبيل سليمان

القدس فاتحاً). وقد تم هذا التجديد (اعتباراً من 1255هـ /1839م) في زمن السلطان عبد المجيد.

❖ وجرت في أوقات مترفقة من العهد العثماني أعمال بناء وترميم مساجد أخرى، منها:

❖ بناء «مسجد طلسم الحيات» (في حارة النصارى وسط المنطقة الغربية للقدس القديمة) وهو حالياً محاط بالمحلات التجارية، وليس له مئذنة ولا دورة مياه.

❖ ترميم «مسجد المغاربة» (بمحاذاة باب المغاربة جنوب غرب الحرم القدسي)، ويستخدم حالياً متحفاً وإلى الجنوب منه مسجد النساء في الحرم القدسي.

❖ بناء «مسجد السيوفي» (في طريق الواد غرب الحرم القدسي) بجوار سوق القطانين، وفيه مقام يحمل اسمه، يدل طرازه المعماري على أنه بني في العهد التركي، وقد رمّم في السبعينيات، ويفتح حالياً في أوقات الصلاة فقط.

❖ بناء وترميم مساجد أخرى، أبرزها: مسجد عثمان، مسجد سويقة علون، مسجد المئذنة الحمراء، مسجد الشيخ جراح، جامع الملك الأفضل (جنوب كنيسة القيامة).

❖ خامساً، تثبيت القدس كمركز حضاري وتبلور أحيائها القديمة والجديدة:

ظلت القدس محصورة ضمن السور أكثر من ثلاثة قرون خلال العهد العثماني، وكانت أبوابها تغلق عند

الغروب، ولا يسمح للمتأخرين بالدخول. وفي عام 1275 هـ/1858م بدأ إحداث بوابة صغيرة (خوخة) في أبواب القدس تفتح للمضطرين.

لقد كان البرنامج المنتظم (الذي استغرق نحو عشر سنوات 938-947هـ/1531-1540م) لإعادة تفعيل مدينة القدس على يد السلطان العثماني سليمان الأول (القانوني) بمثابة قاعدة جديدة لمزيد من خطوات التطوير لتصبح المدينة مركزاً حضرياً. فقد كانت أجزاء واسعة من المنطقة السكنية داخل سور المدينة في بداية حكم السلطان، التي استقر فيها السكان الجدد، خراباً وكان لا بد من تعميرها. ومع نمو عدد السكان لم تقتصر الزيادة على نشاطات البناء فحسب، بل كان من نتائجه أيضاً توسيع نطاق التجارة والصناعة، مما أدى إلى تثبيت القدس كمركز حضري مستقل.

وتفيدنا إحصاءات دافعي الضرائب بأن فترة حكم السلطان سليمان شهدت نمواً متزايداً جداً في عدد سكان القدس. فبينما كان عددهم لا يتجاوز 4000 نسمة عام 932هـ/1525م ارتفع العدد إلى نحو 12000 نسمة في عام 961هـ/1553م. وإن ارتفاع عدد السكان إلى ثلاثة أضعاف ما كان عليه خلال 30 عاماً يعدُّ مؤشراً على الجاذبية الجديدة للمدينة، التي نتجت بشكل رئيسي عن برنامج التطوير واسع النطاق الذي أمر به السلطان سليمان وعن توفر عنصر الأمن فيها. وهكذا. كما قال أوليا جلبي. فإن السلطان سليمان القانوني كان بالفعل مجدد المدينة. يضاف إلى هذا أن التأكيد خلال العهد العثماني على المعاني الدينية للقدس، عبر القيام بإجراءات ترميم متواصلة للرموز الإسلامية فيها، ساهم بازدياد أعداد الزائرين إليها، في ظل نمو عوامل الجذب الحضارية للمدينة.

نفذت المشاريع العمرانية الكثيرة في العقود الأولى من العهد العثماني، كما ورد آنفاً، من قبل مهندسين وبنائين شاميين ومصريين. وتبين الدراسات المعمارية أنه حتى منتصف القرن 10هـ/16م، لم يتأثر البناء في القدس بفن العمارة العثمانية المعاصرة له في تركيا، بل خضع برنامج البناء برمته لمدرسة العمارة المملوكية الدارجة في دمشق وحلب والتي استخدمت في القرن السابق في عمارة القدس. فقد كانت حجارة البناء، التي تم تجديدها عدة مرات، والأفاريز المسننة التي تستخدم لتزيين إطارات الأبواب والأقواس والنوافذ تشكل العنصر الأساسي في الزخرفة. ويشير هذا النمط من الإطارات اللافتة للنظر إلى ارتباط وثيق بالمدرسة المعمارية الحلبية، ولا سيما الكنارات المسننة المطابقة والتي اتخذت نموذجاً ثابتاً منذ أوائل القرن 9 هـ الموافق للقرن 15 م وحتى نهاية العصر المملوكي.

خلال العهد العثماني، ولاسيما في عقوده المتأخرة، تبلورت في القدس القديمة (داخل السور) أربعة أحياء، لا تزال قائمة، هي: الحي الإسلامي (في الشمال الشرقي = نحو 300 دونم). الحي المسيحي (في الغرب = 180 دونماً). الحي اليهودي (في الجنوب، وقد توسع لاحقاً وصودرت نسبة 90٪ من منازله من الفلسطينيين = 116 دونماً). الحي الأرمني (في الجنوب الغربي = 135 دونماً). وبذلك شكلت هذه الأحياء نحو 84٪ من مساحة القدس القديمة البالغة نحو 871 دونماً (أي أقل من 1كم2). أما الحرم القدسي فيشغل مساحة تقدر بنحو 140 دونماً.

بتأثير النمو السكاني وانتقال أبناء المناطق المجاورة إلى القدس، وقدوم المهاجرين اليهود، بدأت تظهر المباني خارج السور (منذ أوائل الخمسينيات من القرن التاسع عشر) وشكلت أحياء جديدة، على مقربة من المدينة القديمة. وكان من أوائل الأحياء (المستوطنات) اليهودية التي أقيمت المدينة: حي زيمين موشيهس (عام 1850م في منطقة جورة العناب)، حي «مائة شعاريم» (في

منطقة المصرارة) وحي «ماقور حاييم» (في المسكوبية) عام 1858م.

في أواخر العهد العثماني أصبح عدد سكان القدس الجديدة نحو 35 ألف نسمة، أي ما يقارب عدد سكان البلدة القديمة الواقعة داخل السور. والمثير للانتباه أن هذا العدد الأخير ظل على حاله حتى الآن، بتأثير حركية السكان والسياسات الصهيونية، فيما ازداد عدد السكان العرب واليهود في القدس الجديدة (بشطريها الشرقي والغربي) إلى نحو 650 ألف نسمة. وأخذت مساحتها تتسع تدريجياً في العقود اللاحقة(حتى أصبحت القدس القديمة تشكل حالياً نحو 1٪ من مساحة القدس الكبرى).

❖ سادساً ـ تجديد قلعة القدس :

تقع القلعة في الجهة الغربية للقدس القديمة بجوار باب الخليل. وينسب بناؤها إلى هيردوس الملك العربي الأدومي بأبراجها الثلاثة التي لا تزال آثارها موجودة. وقد رممت في أوائل القرن 8 هـ / 14 م بعد طرد الصليبيين من المدينة المقدسة بوقت طويل، لكنها خربت في أوائل القرن 9 هـ/ 15 م، ولم تعد صالحة للاستخدام وأصبحت المدينة بلا قلعة تدافع عنها.

في زمن السلطان سليمان القانوني، ضمن جهوده الرامية إلى إعادة تفعيل النظام الدفاعي، بعد الفراغ من ترميم الحرم القدسي، جددت القلعة (938هـ/1531م) وأضيف خلال ذلك ممر شرقي للقلعة، وأخرجت من وضعها البائس بشكل نهائي. وفي إشارة إلى مجدد حصن المدينة تم نقش اسم السلطان على البوابة الجديدة، مع إطراء هدفه من البناء وهو أن يكون مصدر الأمان لأهل القدس.

وبعد ذلك(939هـ/1532م) تم تشييد مسجد في الزاوية الجنوبية الغربية من القلعة، فوق مسجد من العهد الأيوبي، وجُعل في مقدمته محراب مزخرف



محراب داوود

ومنبر بحيث تؤدى فيه صلاة الجمعة أيضاً. وبنيت مئذنة المسجد الأسطوانية فوق البرج الجنوبي للقلعة، ويستدل من الكنارات المسننة التي تزين المئذنة على أنها جزء من أعمال البناء التي بدأت في القدس عام 930هـ/1524م بأمر من السلطان سليمان. وقد جدد المبنى بعد خراب لحق به (1151هـ/1738م) في زمن السلطان محمود الأول بن مصطفى.

خلال الحرب العالمية الأولى استخدمت القلعة مخزناً عسكرياً للأتراك. ومنذ عام 1967، استولت عليها السلطات الصهيونية وحولتها إلى متحف لجمع تراث الأديان يدعى متحف القلعة.

❖ سابعا ـ المدارس القديمة في القدس:

خلال العهد العثماني، انسجمت مسيرة العلم في القدس مع خصوصية هذه المدينة ومكانتها في حياة

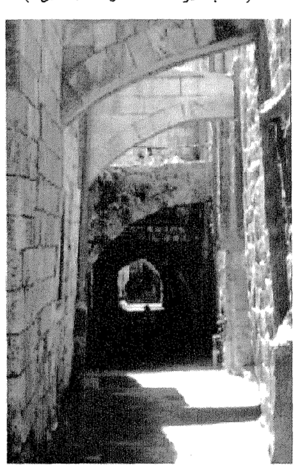
العرب والمسلمين، وظلت دور العلم فيها مركز إشعاع يمتد تأثيره إلى مختلف أنحاء العالمين العربي والإسلامي، وأنجبت المدينة مئات العلماء والفقهاء والقضاة والمحدثين والدعاة.

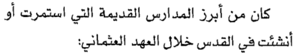
ويظهر تاريخ القدس أن هذه المدينة تميزت بوجود عدد كبير من المدارس القديمة التي قامت فيها خلال العهود المتعاقبة، على نحو يفوق العديد من المدن الأخرى. إذ في مساحة تقل عن كيلومتر مربع واحد، بنيت عشرات المدارس ودور العلم المختلفة، داخل الحرم القدسي وخارجه. وإنه لظلم كبير للعهد العثماني ألا يجري التوقف عند المغزى الكامن وراء كثرة عدد المدارس في ذلك العهد.

من المؤشرات على المستوى الذي ارتقى إليه التعليم في القدس، ذكر الرحالة أوليا جلبي (عام 1080هـ/1670م) أنه كانت في المدينة 40 مدرسة للبنين.. وفي أواخر القرن التاسع عشر، بينت الحولية الأولى لـ «نظارة المعارف العثمانية» في القدس أنه كان لمتصرفية القدس مدير معارف، وهو في الوقت ذاته موظف التفتيش، يساعده سبعة موظفين. وورد في تلك الحولية ذكر «المكتب الإعدادي» الذي ضم 81 طالباً (عام 1313هـ / 1895م) وجميعهم من المسلمين. وكانت الدراسة فيه ثلاث سنوات للمدرسة الرشدية/الابتدائية وسنتين للمدرسة الإعدادية. بالإضافة إلى 4 مدارس للطوائف العثمانية المسيحية. وبعد ذلك بثلاث سنوات (1316هـ / 1898م) كانت صورة التعليم في القدس تشمل وجود 103 طلاب يدرسهم 8 مدرسين في «المكتب الإعدادي»، و37 مدرسة للطوائف العثمانية من غير المسلمين (3 للروم و2 للأرمن و32 لليهود) وجميعها في المرحلة الإعدادية، و37 مدرسة أجنبية (19 للدول الأوروبية و18 لليهود الأجانب).

كانت المدارس في العهد العثماني المكان الطبيعي لتجميع المخطوطات، لاستعمالها في التدريس. ومن المعلومات المتوفرة في هذا الشأن، كان في المدرسة الدوادارية 27 مخطوطاً عام 938هـ / 1531م . وفي النطاق الفردي، كان مفتي الشافعية في القدس الشيخ محمد الخليلي (ت 1149هـ / 1736م) يقتني مكتبة تحوي نحو 5 آلاف مخطوط، وجد منها في تركته 220 مخطوطاً، ووصل من تلك المكتبة إلى مكتبة المسجد الأقصى عام 1913م نحو 400 مخطوط. ومن الواضح هنا أنه حين يجري الحديث عن هذه المخطوطات وسواها، يتعلق الأمر بالحركة العلمية وبدور المدارس في القدس، باعتبارها البنية التي تفرز هذا النوع من النشاط العلمي.

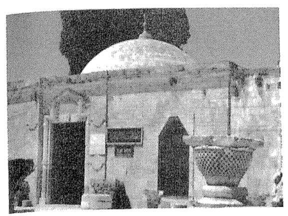
في العهود اللاحقة، أخذت المدارس القديمة في القدس تتوقف عن أداء دورها التقليدي، اندثر بعضها، وقسم منها صار مقارٌ لمدارس حديثة، وتحول بعضها إلى دور للسكن ترابط فيه جماعات من عائلات مقدسية، وجرى استخدام الباقي لأغراض مختلفة (مكاتب للأوقاف. مصادرات للاحتلال..).





كان من أبرز المدارس القديمة التي استمرت أو أنشئت في القدس خلال العهد العثماني:

- ❖ المدرسة النحوية، في الجنوب الغربي من صحن الصخرة المشرفة.
- ❖ المدرسة الأسعردية، فوق الرواق الشمالي للحرم.
- ❖ المدرسة النصيبية، في الجهة الشمالية من الحرم، غرب المدرسة الأسعردية.
- ❖ المدرسة الملكية (الجوكندارية)،في الرواق الشمالي للحرم، بين المدرستين الأسعردية والفارسية.
- ❖ المدرسة الأشرفية (السلطانية)، بين باب المطهرة وباب السلسلة في الرواق الغربي للحرم.
- ❖ المدرسة الجاولية، إلى الشمال الغربي من الحرم.
- ❖ المدرسة الأرغونية، في الرواق الغربي للحرم عند باب الحديد.
- ❖ المدرسة الجوهرية، غرب باب الحديد قرب المدرسة الأرغونية .
- ❖ المدرسة الحنبلية، عند باب الحديد (غرب الحرم).
- ❖ المدرسة الخاتونية، عند باب الحديد، شمال باب القطانين.
- ❖ المدرسة المنجكية، فوق الرواق الغربي للحرم شمال باب الناظر.
- ❖ المدرسة الأباصيرية، بجوار باب الناظر (غرب الحرم شمالاً).
- ❖ المدرسة البارودية، عند باب الناظر (غربي الحرم).
- ❖ المدرسة التشتمرية، عند باب الناظر.
- ❖ المدرسة البلدية، شمال باب السكينة (غرب الحرم).
- ❖ المدرسة التنكزية، قرب باب السلسلة، ويقوم قسم منها على الأروقة الغربية للحرم.
- ❖ المدرسة الجالقية، عند باب السلسلة (غربي الحرم).



مسجد المغاربة

- ❖ المدرسة الطازية، إلى الغرب من المدرسة الجالقية، في طريق باب السلسلة(غربي الحرم) تجاه تربة بركة خان.
- ❖ المدرسة الزمينية، غربي الحرم، فوق الإيوان الذي بباب القطانين، وبابها من داخل الحرم.
- ❖ المدرسة الطولونية، فوق الرواق الشمالي للحرم القدسي، يوصل إليها الدرج المستخدم للصعود إلى منارة باب الأسباط.
- ❖ المدرسة العثمانية، عند باب المطهرة (غربي الحرم)، مقابل سبيل قايتباي.
- ❖ المدرسة الفنرية، إلى الشمال من الرواق الشمالي للحرم القدسي.
- ❖ المدرسة الحسنية، قرب باب الأسباط.
- ❖ المدرسة الغادرية، بين حطة وباب الأسباط(شمالي الحرم).
- ❖ المدرسة القادرية، شمال ساحة الحرم إلى الغرب من باب حطة.
- ❖ المدرسة الكاملية، في طريق باب حطة.
- ❖ المدرسة الكريمية، عند باب حطة.
- ❖ المدرسة الأوحدية، عند باب حطة .
- ❖ المدرسة المزهرية، قرب باب الحديد (غربي الحرم).
- ❖ المدرسة الباسطية، قرب باب المجاهدين (العتم) فوق الرواق الشمالي للحرم.

❖ المدرسة الدوادارية، عند باب المجاهدين (العتم).
❖ المدرسة (أو الزاوية) الأمينية، قرب باب المجاهدين (العتم).
❖ المدرسة السلامية، قرب باب المجاهدين (العتم).
❖ المدرسة الفارسية، قرب باب المجاهدين (العتم).
❖ المدرسة المعظمية، مقابل باب المجاهدين (العتم).
❖ المدرسة الموصلية، عند باب المجاهدين (العتم).
❖ المدرسة الميمونية، قرب باب الساهرة.
❖ المدرسة الخنثنية، بجوار المسجد الأقصى من جهة الجنوب، خلف المنبر.
❖ المدرسة الوجيهية، قرب باب الغوانمة (أقصى غربي الحرم).
❖ المدرسة الناصرية (النصرية)، على برج باب الرحمة (من أبراج السور الشرقي).
❖ المدرسة الأفضلية، جنوب غرب الحرم عند حارة المغاربة، وكانت قديماً تعرف باسم «القبة».
❖ المدرسة المحدثية، بجوار الحرم قرب باب المغاربة.
❖ المدرسة البكرية، عند حد المسجد الأقصى من الخارج، خلف المدرسة الأسعردية.
❖ المدرسة البدرية، خارج الحرم في الحارة المعروفة بـ «الواد».
❖ المدرسة الصبيبية، خارج الحرم القدسي.
❖ المدرسة الحمراء، في حارة النصارى، فوق المسجد العمري.
❖ المدرسة الصلاحية، خارج الحرم في موقع يسمى صندحنه.
❖ المدرسة الجراحية، على بعد 2كم من سور المدينة القديمة إلى الشمال، في حي الشيخ جراح.
❖ مدارس أخرى: الشيخونية، الجهاركسية، اللؤلؤية، القرقشندية، المهمازية، السامطية، الحنفية، الرصاصية، الحكمية..

❖ ثامناً - الزوايا والأربطة والخانقاهات والخانات:

استمرت في العهد العثماني مقارّ سميت «الزوايا»، وهي أمكنة لرجال من الأتقياء، كانوا يجمعون حولهم جماعات من التلاميذ المريدين، وفيها مصلى. وكانت غالباً مؤسسات شخصية غير مرتبطة بالصوفية، حيث كان الاعتكاف في غرفة صغيرة أو منارة في المسجد أمراً عادياً للزهاد والعبّاد منذ فجر الإسلام.

وفي القدس تحديداً كانت هناك قرابة 35 زاوية مؤرخة، بعضها بني خلال العهد العثماني، وعدد كبير منها أجريت عليه أعمال ترميم أو تجديد، ومنها:

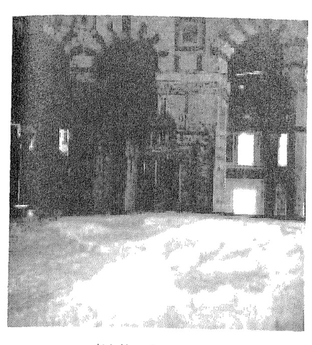
❖ زاوية الأفغان (الزاوية القادرية، قرب باب الغوانمة) أنشئت (1043 هـ/1633م) للأفغان من أتباع الطريقة القادرية. حالياً بعض غرفها مسكونة، وفيها مسجد ومكتبة ودار للقرآن وتقام فيها اجتماعات للعامة.
❖ الزاوية المجيدية(في حي النبي داود) أنشئت في عهد السلطان العثماني عبد المجيد الثاني (1255 - 1277هـ/ 1839 - 1860م).
❖ الزاوية القادرية، أنشأها (قبل 1115هـ/1703م) محمد باشا محافظ القدس.
❖ الزاوية الرفاعية (في ساحة الحرم قرب باب الغوانمة) يرجح أنها أنشئت في العهد العثماني.
❖ الزاوية المهمازية(قرب باب المجاهدين العتم)، جددت في العهد العثماني. تستخدم حالياً داراً للسكن وتعرف بدار الدويك.

وواصل العثمانيون طريق أسلافهم من المسلمين بإيلاء الاهتمام لمقارّ عرفت باسم «الأربطة»(أو

الـرّبـط) مـفـردهـا «ربـاط» وهـو فـي الأصـل بـيـت المجاهدين، ولكن الصوفيين استعملوا الكلمة على أساس أنهم كانوا يخوضون جهاداً روحياً. وفي القدس، لم تكن الأربطة تخدم هدفاً عسكرياً، بل كانت أماكن لإقامة الزوار والحجاج بعد تحريرها من الصليبيين، وأدت دوراً روحياً وتعليمياً واجتماعياً، وقدمت في العهد العثماني خدمات للفقراء والمحتاجين. وقد بني في هذا العهد رباط بيرم(في حارة الواد شمال غرب الحرم) (947هـ/1540م) باسم بيرم بن مصطفى جاويش الذي دفن فيه. ويتكون من مجمع يضم مسجداً ومدرسة لتعليم القرآن ومكتباً وعدة غرف لإيواء الزائرين تشغلها حالياً مدرسة دار الأيتام الإسلامية. وهناك علاقة على الأرجح بين إتمام بناء سور المدينة وإتمام رباط الأمير بيرم، وهنـاك نقشان تأسيسيان باسم واقف المبنى بيرم، ولكنهما لا يحتويان على أي معلومات عن سيرته، ومع ذلك فبإمكاننا الاعتقاد بأن هذا الأمير كان قد شارك في أعمال بناء السور التي انتهت في العام المذكور.

كما استمرت في العهد العثماني مقارّ سميت «الخانقاهات»، مفردها «خانقاه» وهي كلمة فارسية تطلق على المباني التي تقام لإيواء الصوفية الذين يحلون فيها للعبادة، وسميت في العهد العثماني «تكايا». وكانت بيوت الصوفية الكبيرة ذات مقام رسمي غالباً في الدولة، حيث تنفق عليها السلطات وتعين لها الشيوخ بمراسيم سلطانية. وقد استخدمت للتعليم الديني أيضاً. وتحدث الرحالة أوليا جلبي عن تكايا لسبعين طريقة (كيلانية، سعدية، رفاعية، مولوية..إلخ). ومن أبرزها:

❖ إنشاء «تكية خاصكي سلطان» (في عقبة المفتي على طريق باب الناظر شمال غرب الحرم) أنشئت (959هـ/1552م) باسم زوجة السلطان سليمان القانوني الروسية روكسيلانة. وكانت هذه التكية أكبر مؤسسة خيرية في فلسطين في العهد العثماني،



قبة الصخرة من الداخل

واستمرت تقوم بخدمات للفقراء والدراويش والمتعبدين والمسافرين لمئات السنين. تشرف عليها الآن دائرة الأوقاف الإسلامية، ولا تزال تقدم فيها خدمات إطعام وإعانات للمحتاجين.

❖ إنشاء الخانقاه المولوية(في حارة السعدية شمال غرب الحرم) أنشئت (995هـ/1587م) لأتباع الطريقة المولوية، بأمر من خداوند كاربك كومندان لواء القدس. وكانت لها أملاك واسعة وأوقاف، بقي منها داران تستعملان للسكن وأرض صغيرة وفيها مسجد تقام فيه الصلاة وقبور رجال دين من العهد العثماني. وتعرف أيضاً بالزاوية المولوية.

واستمرت خانات القدس بأداء عملها إبان العهد العثماني، وخلال زيارته للقدس(1082 هـ/1672م) تحدث الرحالة أوليا جلبي عن 6 خانات كبيرة في القدس. ومع أن بناء هذه الخانات يعود إلى ما قبل العهد العثماني، إلا أنه جرت في ذلك العهد عمليات تجديد لها، منها: تجديد خان السلطان(شمال غرب الحرم) الذي أنشئ (788هـ/1386م) في زمن الملك الظاهر برقوق، وهو يتكون من طابقين، وفيه مسجد صغير.

❖ تاسعاً - منشآت أخرى :

❖ الحمامات: ذكر الرحالة أوليا جلبي 6 حمامات في مدينة القدس هي: حمام ستنا مريم، حمام السلطان، حمام الشفا، حمام العين، حمام حمزة، حمام البطرك.

❖ المساجد ودور القرآن والحديث: تحدث الرحالة أوليا جلبي عن 240 محراباً (مصلى) و 10 دور للقرآن و 7 دور للحديث.

❖ معابد مسيحية ويهودية: ذكر الرحالة أوليا جلبي أن في مدينة القدس كنيستين للأرمن وثلاث كنائس للروم وكنيسين لليهود.

❖ أسواق: تحدث الرحالة أوليا جلبي عن كثرة أسواق القدس، وذكر منها: سوق السلطان، السوق الطويل(تباع فيه الأدوات المنزلية)، سوق الحلاجين، سوق الغلال، سوق الحرير، سوق البزازين، سوق الصاغة ..إلخ، وجميعها مسقوفة بالعقود المقتطرة ومرصوفة بالبلاط النقي. كما ذكر أن في القدس 2500 دكّان مبنية بالحجارة والعقود المقنطرة.

❖ أنشئت السكة الحديد التي تربط بين القدس ويافا على الساحل، خلال السنوات الممتدة بين 1889. 1892م، من قبل «شركة الخطوط الحديدية العثمانية». وجددت الطريق البرية بين القدس ويافا (1284هـ/1867م) في زمن السلطان عبد العزيز.

❖ جددت الطرق الداخلية والشوارع في القدس وأجريت ترميمات لواجهات المحلات(اعتباراً من 1302هـ/ 1885م).

❖ بني المشفى البلدي(في حي الشيخ بدر غربي المدينة/حي روميما حالياً) (1302هـ/1891م) في زمن السلطان عبد الحميد الثاني.

❖ بني «برج الساعة» فوق باب الخليل في الجزء الغربي لسور القدس احتفاء بالعيد 33 لجلوس السلطان عبد الحميد الثاني(عام 1909م). وكانت



في كل واجهة منه عند القمة ساعة كبيرة يراها السكان من مختلف الجهات. وقد هدم البريطانيون هذا البناء.

خاتمـــة :

تعتبر المعالم العمرانية العثمانية، وسواها، في القدس، بمثابة واحة تاريخية وشواهد خالدة، تنتشر في شتى أرجاء المدينة، وتنبئ عن تعاقب العهود الأصيلة والطارئة، والتطور الحضاري المستمر الذي شهدته المدينة على امتداد تاريخها.. في كل موقع منها ملحمة، وعلى حجارة آثارها بصمات غنية بقيمها ومظاهرها، زاخرة بالتنوع الذي يعكس ثراء مضامينها النبيلة، كجزء لا يتجزأ من تاريخ الأمة وحضارتها.

إنها ليست مجرد أبنية حجرية أو منشآت رخامية، ولا هي مجرد لوحات فنية منحوتة أو مرسومة، بل هي أعضاء في جسم الأمة تتغذى بدماء الحضارة الإسلامية، وتجسد حيويتها ودورها الإنساني، وتعدُّ في الوقت ذاته دليلاً على المكانة المركزية للقدس في حياة العرب والمسلمين، دينياً وثقافياً وسياسياً.

إن استمرار وجود الأوابد الأثرية والتاريخية في القدس يؤكد هذه الحقيقة، وهو ما يجعلها في حيِّز مخصوص من العقل والوجدان، تنغلق إزاءها منافذ النسيان. كما أنها تحرض التفكير والإرادة، للعمل على تحرير هذه المدينة من المحتل الدخيل، وترسيخ انتمائها الحضاري الأصيل.

المصادر والمراجع

بالعربية:

❖ أحمد فتحي خليفة، موسوعة بيت المقدس، قرص ليزري (نابلس/ فلسطين: مؤسسة سلسبيل للكمبيوتر) 1999م.

❖ دائرة الأوقاف الإسلامية، المسح الأثري لقسم الآثار (القدس) د.ت.

❖ المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، دليل الحرم الشريف (القدس:مطبعة بيت المقدس) د.ت. الأرجح 1357هـ/1938م.

❖ رائف نجم وآخرون، كنوز القدس (عمان: مطبوعات منظمة المدن العربية ومؤسسة آل البيت) 1983م.

❖ روحي الخطيب، تهويد القدس (عمان: لجنة إنقاذ القدس) ج1/1970م، ج2/1971م.

❖ عارف العارف، تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس (القدس: مطبعة دار الأيتام الإسلامية) 1955م.

❖ عارف العارف، المفصَّل في تاريخ القدس (القدس:منشورات مكتبة الأندلس)ط2 / 1986م.

❖ عبد القادر الريحاوي، تاريخ الحرم القدسي الشريف وآثاره، بحث مقدم إلى الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية (جامعة حلب) 1981م.

❖ عفيف بهنسي، المنشآت الأثرية في الحرم الشريف، بحث مقدم إلى الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية (جامعة حلب) 1981م.

❖ علي بركات، خطر التهدم الحضاري على الحرم القدسي، دراسة في كتاب زيوم القدسس الرابع (عمان) 1993 .

❖ عيسى محمود بيضون، دليل المسجد الأقصى المبارك (كفركنا/ فلسطين المحتلة: مركز التخطيط والدراسات) 1993م.

❖ فلسطين، بطاقات بريدية من مجموعة عز الدين القلق (القاهرة: المركز الجرافيكي العربي) د.ت.

❖ كامل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس (عمّان) 1981م.

❖ كامل العسلي، من آثارنا في بيت المقدس (عمّان) 1982م.

❖ مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل (عمان) 1973م.

❖ محمد أبو الفرج العش، المنشآت التذكارية في فلسطين، بحث مقدم إلى الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية (جامعة حلب) 1981م.

❖ محمد حسن شراب، بيت المقدس والمسجد الأقصى (دمشق: دار القلم) 1994م.

❖ مرغريت فان برشيم وسولانج أوري، مراجعة: د: شوقي شعث، القدس الإسلامية في أعمال ماكس فان برشيم (دمشق) 1994م.

❖ مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، عدة أجزاء (بيروت: دار الطليعة) 1973م.

❖ الموسوعة الفلسطينية، القسم العام (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية) 1984م.

❖ يحيى الفرحان، مدينة القدس(جامعة الدول العربية/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) د.ت.

❖ ابتسام اسكافي، الحمامات العربية والأسبلة في القدس، القدس المقدسية 8/2/1994م.

❖ ابتسام اسكافي، الزوايا والخانقاهات والرباطات في القدس، القدس المقدسية 2/3/1994م.

❖ ابتسام اسكافي، عشرات المساجد في البلدة القديمة، القدس المقدسية 21/3/1994م.

❖ ابتسام سكافي، الأماكن الأثرية في القدس، القدس المقدسية 1/4/1994م.

❖ ابتسام اسكافي، القباب في القدس بين الماضي والحاضر، القدس المقدسية 12/7/1994م.

❖ ابتسام اسكافي، المكتبات العربية في القدس، القدس المقدسية، 22/7/1994م.

❖ ابتسام اسكافي، المدارس العربية في القدس، القدس المقدسية 25 و26/8/1994م.

❖ خضر موسى الشهابي، من معالم القدس، رباط الكرد، القدس المقدسية 15/6/1999م.

❖ رزق صفوري، إنشاءات الملك المعظم عيسى في فلسطين، القدس المقدسية 6 و7/3/1998م.

❖ رزق صفوري، المماليك رفعوا راية الإسلام بمنشآتهم الدينية، القدس المقدسية 20/5/1999م.

❖ عباس نمر، بوابات الحرم الشريف، القدس المقدسية 31/1/1996م و1/2/1996م.

❖ عباس نمر، تكية خاصكي سلطان بالقدس، القدس المقدسية 14/3/1996م.

❖ عزام عبوشي، نظرة على باب العمود وباب الخليل في القدس، القدس المقدسية 19/2/1994م.

❖ عزام عبوشي، عروبة القدس عبر التاريخ الطويل، القدس المقدسية، 20/9/1994م.

❖ عزام عبوشي، مقام النبي داود في القدس، القدس المقدسية 26/9/1994م.

❖ فاتن الزمامرة، المدرسة التنكزية، القدس المقدسية 7/1/2002.

❖ محمد غوشة، الزاوية الهندية والمدرسة التنكزية، القدس المقدسية 13/5/1997م.

❖ محمد غوشة، ساعة القدس الدقاقة فوق باب الخليل، القدس المقدسية 6/12/1997م.

❖ محمد غوشة، باب العمود عمدة الأبواب في سور القدس الحزين، القدس المقدسة 29/12/1997م.

❖ محمد غوشة، حارات القدس القديمة، الشرق الأوسط اللندنية 26/1/1997م و6/10/1998م.

❖ مجلة «عمار» الكويتية/عدد خاص عن المسجد الأقصى ، ع30 ،كانون الثاني /يناير 1999م.

❖ القدس العثمانية.. قراءة في الجهود العمرانية، موقع مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية ـ فلسطين (www.islamic-aqsa.com)

❖ الاستيطان في مدينة القدس.. الأهداف والنتائج، موقع بوابة القدس : http://www.alqudsgate.com

. بالعبرية:

- إيلي شيلر وجدعون بيجر، يروشلايم/ هعيرهعتيكا = القدس/ المدينة القديمة (القدس: إصدار أريئيل) 1998م (بالعبرية).

- زئيف فيلنائي، يروشلايم بيرات يسرائيل/ هعيرهعتيكا= القدس عاصمة إسرائيل/ المدينة القديمة (القدس: منشورات آحي عوفيد) 1970 (بالعبرية).

- مئيرين دوف، يروشلايم بروئي هدوروت = القدس في مرآة الأجيال في (القدس: إصدار كارتا) 1991م، (بالعبرية).

- يهوشع برافر ،سيفر يروشلايم ،هتكوفاه هتسلبنيت فهأيوبيت = كتاب القدس، الفترة الصليبية والأيوبية (القدس: إصدار ياد يتسحاق بن تسفي)1991م(بالعبرية).

. بالإنجليزية والفرنسية:

- Encyclopaedia Judaica, Vol. 16 (Jerusalem; Keter Publishing House Jerusalem Ltd.) 1974.
- Kollek, T, et Pearlman, M. Jerusalem, Ville sacree de l'humaniteé Quarante siecles d'histoire (Paris: Fayard) 1968.
- Mazar, B. The Mountain of The Lord (NewYork) 1975.
- Mazar, B. and Davis, M. The Illustrated History of the Jews (NewYork: Harper and Raw) 1963.



قراءة في أدبيات الاجتماع الرابع عشر

للجنة تنسيق العمل الإسلامي:

تفعيل برامج العمل الإسلامي المشترك وتعزيزها

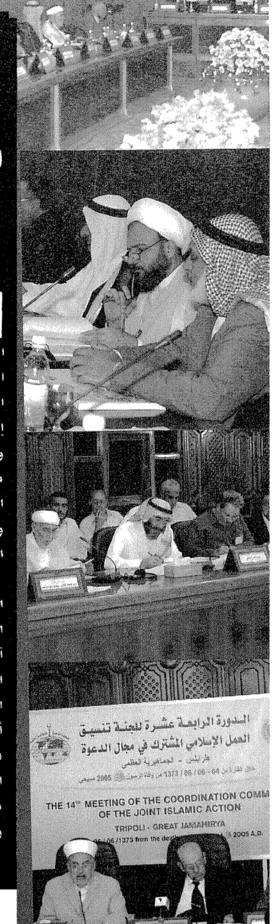


الدورة الرابعة عشرة للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة الإسلامية

تفعيل برامج العمل الإسلامي المشترك وتعزيزها

خلال الفترة من الرابع إلى السادس من شهر الصيف 1373 من وفاة الرسول ﷺ (4 ـ 2005/6/6 مسيحي) عُقدت بمقر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس مساء يوم السبت أعمال الاجتماع الرابع عشر للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة الإسلامية، بمشاركة أكثر من خمس وعشرين هيئة ومنظمة وجمعية إسلامية غير حكومية من قارات إفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية، وعدد من رؤساء وأعضاء المنظمات والهيئات والمؤسسات العاملة في مجال الدعوة الإسلامية، فضلاً عن عدد من أعضاء البعثات الدبلوماسية المعتمدة لدى الجماهيرية العظمى، ولفيف من العلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات وأمناء المراكز البحثية والعلمية بالجماهيرية العظمى، وعدد من المهتمين بهذا المجال.

وقد بحث المشاركون في الاجتماع عدداً من المحاور التي ركزت على استعراض تقرير الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي حول أنشطة الدعوة ولجنة التنسيق بين المؤسسات الإسلامية (مجالاته، ضروراته، آلياته)، بالإضافة إلى بحث وضع خطة عمل للتنسيق بين المراكز الإسلامية في العالم لرصد ما يكتب عن الإسلام سلباً وإيجاباً، والنظام العالمي الجديد ودور الإعلام بأنواعه في عرض صورة الإسلام، وذلك من أجل إيجاد دور أكثر فاعلية لمشاركة المنظمات الإسلامية غير الحكومية في خطط عمل منظمة المؤتمر الإسلامي، إلى جانب بحث قضايا وآليات الحوار مع الآخر بهدف صياغة رؤية إسلامية موحدة، والعمل على تحديد مظاهر وأبعاد الإسلاموفوبيا وإيجاد آليات لمواجهتها، وكذلك المسلمون والغرب، بين الخوف على الهوية والخوف منها، فضلاً عن مناقشة



الخطاب الإسلامي بين الأصالة والتطوير، وبحث واقع العالم الإسلامي، والتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين وسبل مواجهتها، واستراتيجية العمل الإسلامي، والعمل على وضع معايير لقبول أعضاء جدد في لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة.

وقد غطت أوراق العمل والمداخلات التي قدمت على مدى ثلاثة أيام بقية نقاط جدول الأعمال من خلال محاور رئيسية هي :

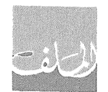
- التنسيق بين المؤسسات الإسلامية : مجالاته، ضروراته، آلياته.
- الحوار مع الآخر.. نحو رؤية إسلامية موحدة.
- الإسلاموفوبيا : المظاهر، الأبعاد، آليات التعامل.
- الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة.
- التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين.

وقد اتسمت مناقشات اللجنة بالاستفاضة في إدراك واعٍ لأبعاد التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، والتأكيد على ضرورة أن ترتقي أساليب العمل الإسلامي إلى مستوى تلك التحديات في جوانبها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه اللجنة تأسست بمبادرة من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالتعاون مع منظمة المؤتمر الإسلامي، وذلك انطلاقاً من حرصها على ضرورة الاهتمام بالتنسيق بين المنظمات والهيئات والمؤسسات الإسلامية غير الحكومية العاملة في الحقل الإسلامي، حتى لا تتكرر الجهود ولا تتبعثر الإمكانيات.

يُذكر أن مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي انعقد بغينيا كوناكري في دورته الثالثة والعشرين قد أصدر عدداً من التوصيات التي من شأنها تنفيذ استراتيجية العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة والتي دعا فيها إلى تنسيق العمل الإسلامي المشترك المطلوب بين الهيئات والمنظمات الإسلامية الشعبية والرسمية، والاهتمام البالغ بتكوين الدعاة الأكفاء الذين يستجيبون لجميع متطلبات العصر والاستمرار في تدريبهم وتزويدهم بكل ما يحتاجون إليه من مواد ثقافية وعلمية وذلك عن طريق توحيد وتطوير مناهج إعداد وتدريب الدعاة لمؤسسات التعليم ومراكز للدعاة، والاستفادة من تجربة وخبرة المنظمات الإسلامية التي قامت بتنظيم مخيمات شبابية إسلامية والتنسيق بينها وفق برامج مدروسة، بالإضافة إلى الاهتمام بالمرأة المسلمة والعناية الفائقة بها في تشكيل جمعيات النساء المسلمات وتثقيف المرأة المسلمة، ثقافة إسلامية رائعة لتأخذ دورها المطلوب في المجتمع المسلم.

وتعميما للفائدة، نقدم إلى القارئ الكريم عرضاً لبعض أوراق العمل والدراسات والأبحاث التي قُدِّمت في هذا الاجتماع..



نحو مزيد من دور فاعل للمنظمات غير الحكومية



هارون طه سينغويا *



في مثل هذه المؤتمرات يمكننا محاربة الجهل المتصل بالأحداث العالمية. يبيّن لنا المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم أن العداوة والفرقة بين المسلمن تأتيان أساسًا من الجهل والابتعاد عن المبادئ الإسلامية. عليه فإن انعدام الوحدة والعداوة يأتيان بسبب الجهل كما رأينا ذلك بوضوح. ولهذا كان بديهيًا أن يعلن أعداء الإسلام في مؤتمراتهم وتجمعاتهم علنًا ما يلي:

«إذا كنت تريد أن تهزم المسلمين، فخذ منهم قرآنهم، وبهذه الرسالة يُعلم أعداء الإسلام بعضهم البعض، أن أيسر وسيلة للتفريق بين المسلمين وهزيمتهم تكمن في إرجاعهم إلى حالة الجهل. فإذا بقى القرآن بينهم وبين أيديهم سيحصلون على العلم العقدي الذي يذكرهم بالأحكام وبرسالة نبيهم، وبالتالي يعمل على توحيدهم حول عقيدة قوية متسقة».

ويعتبر التضامن والتعاون والتآزر بين المسلمين بعضهم ببعض أهم العناصر الأساسية لبناء مجتمع إسلامي قوي وموحد. فلو ينظر المسلم المخلص بتمعن

* الأمين العام لاتحاد المجالس الإسلامية بوسط وجنوب وشرق افريقيا

إلى وضع المسلمين بعامة عبر أجزاء العالم المختلفة، يدفعه ذلك بدون أدنى شك إلى العمل بنشاط لإرساء الوحدة بينهم. وإذا زاد التمعن في الوضع ما قبل أو بعد تجديد الدعوة إلى الإسلام بواسطة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام لدفعه ذلك أيضًا إلى إلقاء مزيد من الضوء على دعائم الوحدة بين المسلمين.

المنظمات العالمية غير الحكومية:

يمكن تعريف المنظمات غير الحكومية بأنها هيئات غير ربحية، وغير سياسية تُكمّل عمل الدولة غير أنها تستقل عنها (بأول 1991، نارفين، 1987) حيث هناك منظمات عالمية غير حكومية ومنظمات قومية أو وطنية غير حكومية. فالمنظمات القومية أو الوطنية هي المنظمات غير الحكومية التي تبرز داخل حدود وطنية لدولة معينة وتقوم بنشاطاتها فيها. وأما المنظمات العالمية غير الحكومية فهي المنظمات التي تبرز داخل حدود قومية وتمتد نشاطاتها إلى جهات عمل أخرى خارج دولتها الأصلية. (براون وكورتن 1991). وهذه الأخيرة تكون لها رؤية خارجية.

وأما في السياق الإسلامي، فإن فكرة المنظمات غير الحكومية تعتبر ظاهرة جديدة بالمقارنة مع القارة الأوروبية مثلاً التي بدأت سيطرة نفوذ المنظمات غير الحكومية فيها إلى القرن التاسع عشر، إذ إن المنظمات الإسلامية غير الحكومية على وجه الخصوص بدأ بروزها في الثمانينيات والتسعينيات ومعظمها برزت في وقت كانت الأقطار الإسلامية تمر بأزمات سياسية واقتصادية حادة. وقد تأسست كمنظمات تحتية عاملة في مجال الغوث والانماء.

التحديات التي تواجه المنظمات الإسلامية والخطوات العلاجية التي يمكن اتخاذها:

تأسست المنظمات الإسلامية غير الحكومية لمساعدة المهتدين الجدد في العالم في القرن الثالث وتأسس بعضها لتكوين نواة للبعثات الدينية لنشر الدعوة الإسلامية على مستوى العالم. بينما تأسست

تعاون متميز بين الجمعية والمنظمة

في الجلسة الافتتاحية لأعمال الدورة الرابعة عشرة للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة الإسلامية ألقى الأستاذ أكمل الدين إحسان أوغلي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي كلمة حيا في مستهلها قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية على جهوده المتواصلة التي يبذلها من أجل خدمة الإسلام والمسلمين في مختلف أرجاء المعمورة قاطبة، معرباً عن شكره وتقديره العاليين لهذه الجهود، مشيدا بالدعم الذي قدمته وتقدمه الجماهيرية العظمى لتحقيق أنشطة المنظمة في المجالات كافة وفي مختلف الميادين.

وأكد أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي على أهمية دعم وتعزيز التعاون القائم بين المنظمة وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، مستعرضاً في هذا الخصوص بعض الخطط والبرامج التي وضعتها المنظمة لمواجهة التحديات التي تواجه الإسلام والمسلمين في العالم، داعياً إلى تكاتف جهود المنظمات والمؤسسات والجمعيات كافة العاملة في مجال الدعوة الإسلامية لمواجهتها، مؤكداً أن هذا المجال يقتضي اليوم - إضافة إلى الدعوة للإسلام - دعم كيان الإسلام نفسه الذي صار مستهدفا أكثر من أي وقت مضى، والدفاع عن المسلمين الذين يُراد بهم طمس ثقافتهم وتغيير هويتهم وتشويه صورة دينهم وتحريف مبادئه، داعيا إلى ضرورة إحداث تغيير في مضامين العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة، بتوسيع مداه وغاياته وأولوياته، والخروج من إطار الاقتصار على شؤون الدعوة التقليدية إلى ميادين العمل الجديدة التي يفرضها التعامل الجدي مع الواقع.



الأخرى في شكل حركات مثل التيجانية، والقادرية في غرب إفريقيا. ورغم تأسيس هذه الحركات فإنها انشغلت بأمور الدعوة وإزالة الشرك وسط الأفارقة التقليديين.

وقد بدأ ظهور المنظمات الإسلامية غير الحكومية بعد 1971مسيحي، ببروز رابطة العالم الإسلامي والوكالة الإسلامية الإفريقية، واتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب أفريقيا، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تأسست سنة 1972 مسيحي، وجمعية المشاريع الخيرية الإسلامية. وتعد هذه جملة المنظمات الإسلامية غير الحكومية المعلنة. إلى جانبها يوجد الكثير منها غير المعلنة على المستويين العالمي والمحلي والتي تم تأسيسها على الأسس والمبادئ الإسلامية. يقول بروك مان (54: 1978): كشأن المنظمات غير الحكومية الأخرى لم تبدأ المنظمات الإسلامية العالمية غير الحكومية المنظمات غير الحكومية أو الأهلية. ولكن مع موجة العولمة فقد أضحى هناك حاجة كبيرة إلى تفسير السياسات نظرًا إلى أن أسباب تأسيسها قد استنفدت صلاحيتها. فعلى هذه المنظمات أن تركز بصفة عاجلة على القضايا التي تناسب الزمن الحديث.

ومقابلة لخطة عمل منظمة المؤتمر الإسلامي كمنظمة عالمية غير حكومية، يجب على المنظمات غير الحكومية استثمار جهدها الأوفر في القطاع الوظيفي للمنظمات العالمية. وتمثل هذه ذلك الجزء في عداد تنظيم النشاطات المتصلة بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والتقنية والإنسانية مثل المشاكل التي يمكن وصفها باختصار بالمسائل غير السياسية. يبدي إنيس كلاود (1968) بعض الملاحظات الآتية:

«النشاطات الوظيفية متصلة بصفة عاجلة وواضحة بنحو هذه القيم:

الازدهار، الرفاهية، العدل الاجتماعي والحياة الجيدة، وتجنب الحرب وإزالة الأمن الوطني. إذ الحكومات الوطنية عادة ما تجتمع لتنفيذ نشاطات متصلة بصفة مباشرة بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والتقنية والإنسانية».

فهناك شعور قوي بأن المنظمات الإسلامية غير الحكومية لم تخدم بصفة فاعلة وبما ترضي تطلعات منظمة المؤتمر الإسلامي. حيث الغرض الأساسي لمنظمة المؤتمر التعاون مع الدول الأعضاء فيما يتعلق

بالشئون السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فسياسيًا لم يتم سوى تسجيل نجاح يسير نظرًا إلى أن معظم الدول الإسلامية كانت تواجه مشاكل في التعاون السياسي - فحمدًا لله - على أن هذا التعاون أخذ يتحسن ونسأل الله أن يستمر الاتجاه بالإيجابية التي هو عليها. فهذه المشكلة أثرت كثيرًا في عمل المنظمات غير الحكومية على مستوى العالم. فيجب على المنظمات الإسلامية أن تعمل من أجل التعاون بين الأعضاء عبر الحوار، وتبادل الزيارات، ودعم الأخوة الإسلامية والتضامن.

فمن وجهة النظر الاقتصادي، هناك تزايد في شعبية المنظمات العالمية مثل منظمة الموتمر الإسلامي لدى الحكومات ووكالات العون الرسمية الذي يأتي ردًا على التطورات القريبة في التفكير الاقتصادي والسياسي. فالسياسات الإنمائية والتحويلات في مجال العون الإنساني قد طغت عليها سياسات وأجندة جديدة تؤكد دور القطاعات غير الرسمية مثل المنظمات العالمية، فالصورة العامة للوضع هي أن المنظمات العالمية مثل منظمة المؤتمر العالم الإسلامي ينظر إليها الآن نظرة حسنة لدى وكالات العون الرسمية وكوسيلة ناجمة عن المشاكل الإنمائية حيث تنظر الوكالات الرسمية إلى المنظمات غير الحكومية بمنزلة «طلقة سحرية» تطلق في أي اتجاه وفي أي وقت بدون أدلة كثيرة، وما زلنا نعايش هذا الاستهداف فعلى دول أعضاء موتمر العالم الإسلامي العمل على دعم القاعدة الاقتصادية لهذه المنظمات لمقابلة تطلعات منظمة المؤتمر.

منظمة المؤتمر العالم الإسلامي منظمة عالمية غير ربحية يجب أن تكرس وقتها لتحسين حياة المحتاجين في الدول النامية. فيجب على المنظمة مساعدة آلاف الناس ليصبحوا أخصائيين في الزراعة، رجال أعمال، عمالاً مهرة وأعضاء قياديين في مجتمعاتهم، كما ينبغي أن تركز على مهارات العمل القائمة بالمجتمعات الكبيرة والمتصلة بشبكة التدريب على مستوى العالم، وتأسيس مؤسسات مستقلة في دول مختلفة. وينبغي

مسيرة يجب أن تستمر وتتعزز

ومن جانبه حيا أمين عام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في كلمته في الجلسة الافتتاحية قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، ومؤسس هذه الجمعية، على رعايته واهتمامه المتواصل بالمسلمين، ونشر الدين الإسلامي، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة في مختلف أرجاء المعمورة.

وقال : يشرفني أن أنقل إليكم تحيات قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية الذي يحرص على متابعة نشاط الجمعية حتى في رحلاته الخارجية، ويجسد منهج الدعوة في رحلاته ولقاءاته مع المسلمين وغير المسلمين، ويتناول مسألة الدعوة والتعريف بالإسلام بين المسلمين وغير المسلمين، ويوليهم العناية والاهتمام الكبير، ويأتي الناس ليهتدوا على يديه بأعداد كبيرة. مشيرا إلى أهمية هذا الاجتماع الذي يأتي في ظروف بالغة الحساسية بالنسبة للأمة الإسلامية، واستعرض في كلمته مسيرة لجنة تنسيق العمل الإسلامي منذ تأسيسها، موضحا دعم الجمعية لتلك المسيرة التي يجب أن تستمر وتتعزز ببرامج تُنفذ على أرض الواقع، وما استضافة الجمعية لاثنين من اجتماعاتها إلا دليل على الاهتمام بهذه اللجنة، ودعم برامجها، وتفعيل اللجان المنبثقة عنها. معربا في ختام كلمته عن ترحيبه بالمشاركين في أعمال هذا الاجتماع على أرض الجماهيرية العظمى، متمنيا لهم النجاح والتوفيق للخروج بتوصيات هادفة تحقق مستقبل الدعوة الإسلامية.

على المنظمة دعم الإنماء وتطوير الموارد البشرية، من خلال إقامة مراكز التدريب الحرفي والمهني، وبرامج الأمن الغذائي، وبرامج المقاولة والأعمال، وخدمات تطوير الأعمال، وخدمات بيوت الأموال الصغيرة، وإعادة تأهيل المناطق المتضررة من الحروب، وخدمات دعم الإنماء، والمرأة. فإذا ما تم ذلك فسيساعد في تأسيس الدعاية المضادة في شكل جهاد دبلوماسي.اجتماعيا، فالمنظمات الإسلامية غير الحكومية لا تؤكد أهمية الخدمات في المجالات الاجتماعية مثل التعليم والصحة، وهذا مبني على حقيقة أن معظم هذه المنظمات تركز أكثر جهدها في التغير الديني دون النظر في الحاجات الاجتماعية اللصيقة بالمجتمعات المحلية فهذه المنظمات تضع جل جهدها في بناء المساجد وفي بعض الأحيان تبني مسجدين في محلة واحدة دون أن تعبأ بالحاجات الاجتماعية المصاحبة مثل التعليم والصحة والإنماء الصناعي لتوفير فرص التوظيف التي يمكن أن تدعم التضامن والأخوة الإسلامية بين أعضاء دول منظمة المؤتمر الإسلامي. فينبغي على المنظمات الإسلامية غير الحكومية أن تركز على القضايا والمسائل أكثر من تركيزها على بناء المساجد. عليها أن تستثمر مواردها في المدارس، والمؤسسات التعليمية والمستشفيات على سبيل المثال، وأن توسع في نشاطاتها لتصل المجتمعات المحلية حتى تخلق الأثر في حياة ورفاهية الناس. ففي عديد من مناسبات هذه المنظمات الإسلامية العالمية غير الحكومية تركز جهدها في المدن حيث ينتفع من برامجها قلة من الناس. فالحاجة موجودة لكي تتبنى هذه المنظمات مدخلاً أوسع وشاملاً لدعم أعمال منظمة المؤتمر الإسلامي.

فاليوم نعيش في قرية عالمية حيث معيشة الإنسان أصبحت حقيقة ضاغطة، وحالة حقيقية لوضع الإنسان. و هذا الوضع قد عمل على ربط شعوب العالم بنحو إنساني لم يسبقه مثيل، فالمنظمات شبه المستقلة نحو منظمة المؤتمر الإسلامي يتوقع منها أن تحل المشاكل التي لا تستطيع دول شعوب العالم المستقلة حلها. فعبر التنسيق مع المنظمات الإسلامية ينبغي أن تحافظ على شبه هذه الاستقلالية.

وينبغي على المنظمات الإسلامية أن تتعاون في عمل تطوير المعارف المشتركة وفهم الأشخاص من خلال وسائل الإعلام، وأن تدخل بهذا الصدد في اتفاقيات تحافظ على التعاون المتنامي وتعمل على نشر المعرفة وحفظ التراث الإسلامي العالمي من خلال الكتب والأعمال الفنية.

علاقة منظمة المؤتمر والمنظمات الإسلامية غير الحكومية يجب أن تبنى على نظرية وظيفية تخاطب النقص المؤسسي لأنظمة الدول القومية.

ويجب على المنظمات غير الحكومية أن تكون قنوات للعون الفني المتنوع، وأن تساعد الدول النامية في مجال الاستثمار. ومشكلة منظمة المؤتمر الحالية هي أنها منظمة شبه حكومية تتعامل مباشرة مع الحكومات وتقدم الكثير من مساعداتها إلى الحكومات التي لا تحتضن أو تتقبل القيم الإسلامية.

فعلى سبيل المثال فإن الدول العلمانية ذات الأغلبية المسيحية تجد أنها ستصدر أصواتًا تستفسر عن مغزى عضويتها في المنظمة، حيث لا ترى فائدة تذكر للمنظمة وفي الحال أن المنظمة تتعامل مع حكوماتها. فمثل هذا العون يعد صاروخًا منحرفًا نظرًا إلى أنه كثيرًا ما يتم صرفه في الشئون التي لا تعود على الإسلام والمسلمين بفائدة.

عليه ينبغي على منظمة المؤتمر الإسلامي إعادة توجيه مساعدتها عبر المنظمات الإسلامية غير الحكومية العاملة وسط المجتمعات لتنظيم مناطق أعمالها، وفوق ذلك فإن الحكومات يسود فيها الفساد الإداري، فقضية الدولة أصبحت غير فاعلة فقد أخذت المنظمات غير الحكومية مثل المنظمات الإسلامية تكتسب أهمية نسبية في العلاقات الدولية في العالم الحديث، وتعد هيئات مثالية في تنظيم أعمال

المنظمات العالمية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي. لذا فإن التمثيل الأساسي لاستيفاء أعمال الحكومات عبر المنظمات غير الحكومية التي ليس لها أدنى مصلحة وفي الحال أن شعوب الدول أصبحت أكثر تجردا لمقابلة خطة عمل المنظمات العالمية مثل منظمة المؤتمر.

فعلاقة منظمة المؤتمر والمنظمات الإسلامية غير الحكومية يجب أن تبنى على نظرية وظيفية تخاطب النقص المؤسسي لأنظمة الدول القومية. فأخذ يتضاءل أداء الحكومة كدولة ودورها كوكالة قائمة بما يجب أن تقوم به في تطوير الاقتصاد والصحة الاجتماعية للأسر الإنسانية، مما يعمل على تضعيف أثر الأداء في أعمال المنظمات الإسلامية غير الحكومية، وعمل المنظمات غير الحكومية يجب أن يبنى على النظرية الوظيفية أو مدخل السلام. ويعد هذا جزءًا من النشاطات المنتظمة التي تتصل بالمسائل الاقتصادية والاجتماعية والتقنية والإنسانية. مثل: مشاكل ذات طبيعة غير سياسية في مبناها ومتصلة بصفة واضحة بقيم الازدهار، الرفاهية، العدل الاجتماعي والحياة الجيدة أكثر من اهتمامها بمنع الحروب وإزالة الأمن الوطني، فيجب على المنظمات الإسلامية أن تعيد تعريف نطاق عملها بما يتناسب والروح الصادقة لتطلعات منظمة المؤتمر الإسلامي.

ويجب على الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي وأجهزتها الأساسية أن تبدأ في إعادة توجيه قنوات مساعداتها المتعددة للمنظمات الإسلامية غير الحكومية ومساعدة هذه المنظمات في مخاطبة قضية تقديم الخدمة وتسهيلها للمواطنين. فتبقى مسألة تقديم الخدمة في دول أعضاء المؤتمر مسألة أولوية في أجندة التنمية، كما لا تزل الدول الأعضاء تتصف بمستوى عال من الفقر على المستويين القومي والأسري ناهيك عن سوء المؤشرات التعليمية. وتشمل هذه المؤشرات مستوى الطلاب خارج المدارس، المرافق التعليمية السيئة، اكتظاظ المدارس بالطلاب والتطوير السيئ للمنهج، وتدني روح معنويات المعلمين،

نشر الثقافة الإسلامية بصورتها الصحيحة

كما ألقى الشيخ محمد علي التسخيري أمين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران كلمة في الجلسة الافتتاحية أثنى فيها على الجهود التي تبذلها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في نشر الإسلام، وتقديم المساعدات الإنسانية للمحتاجين كافة، وتسييرها للقوافل، ودعمها للبرامج التعليمية والثقافية والصحية في ربوع العالم، ودعوتها إلى إقامة الحوارات الهادفة والبناءة، معربا عن شكره العالي لثورة الفاتح العظيم التي أسست للعالم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي نشرت دعوتها في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وقامت بأدوار كبيرة وعظيمة في مجال خدمة الإسلام والمسلمين، ونشر الثقافة الإسلامية بصورتها الصحيحة.

الدفاع عن المسلمين ونصرة قضاياهم المصيرية

كما ألقى الأستاذ رجاء ظافر الحق الأمين العام لمؤتمر العالم الإسلامي كلمة في الجلسة الافتتاحية، عبّر فيها - باسم المشاركين في هذا الاجتماع - عن الشكر والامتنان لمنظمة المؤتمر الإسلامي وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، على المجهودات التي يقومان بها من أجل نشر الدين الإسلامي الحنيف بتعاليمه السمحة، والدفاع عن الإسلام والمسلمين، ونصرة قضاياهم المصيرية، والتصدي المستمر لمحاولات بعض الدوائر بث الكراهية ضد الإسلام والمسلمين، وإلصاق التهم بالإسلام لتشويه صورته. مؤكداً أننا نعول كثيراً على هذا الاجتماع في أن يكون كنقلة نوعية في عمل هذه اللجنة واللجان المنبثقة عنها.

والخدمات التعلمية، وسوء إدارة المؤسسات التعليمية والصحية في هذه الدول. حيث تؤثر كل هذه مجتمعة في دول أعضاء المؤتمر. ويتحتم على المنظمات الإسلامية غير الحكومية أن تنهض لمخاطبة هذا الاختلال عوضاً عن التركيز على التعاون الداخلي بين الحكومات التى كثيرًا ما توجّه مساعدتها إلى غير أصحابها المستهدفين.

المسلمون على مستوى العالم يواجهون التمييز من قبل حكوماتهم. وهذا التمييز ناجم عن الجهل بالإسلام وناتج عن التوجهات الثقافية الوافدة التي تحط من شأنهم فيساء ترجمة الإسلام على ما يناقض تعاليم القرآن والسنن الصحيحة لنبي الإسلام. ففي دول أعضاء المؤتمر الإسلامي حيث المسلمون هم الأقلية يواجهون تحديات جبارة. أولها: الجهل بالإسلام الذي يقود إلى الخوف والوصم بالعار وعدم الثقة. فما يرتكبه القلة من المسلمين المتشددين يتصف به الجميع، بل وتتسبب في التشكيك حتى في ولاء المواطنين المسلمين لهذه الحكومات، كما يترتب عنه سوء المعاملة وصيرورة ضحايا التحامل.

المسلمون على مستوى العالم يواجهون التمييز من قبل حكوماتهم. وهذا التمييز ناجم عن الجهل بالإسلام وناتج عن التوجهات الثقافية الوافدة التي تحط من شأنهم فيساء ترجمة الإسلام على ما يناقض تعاليم القرآن والسنن الصحيحة لنبي الإسلام.

إن صورة المسلمين كمتشددين وأصحاب عنف يستديمها الإعلام (الغربي) الذي يتعمد أساسًا نقل الصور السلبية عن الإسلام والمسلمين ويتعاظم الأمر بعامل جهل هذا الإعلام بحقيقة الإسلام والمسلمين، ولذا يجب على المنظمات الإسلامية غير الحكومية أن تركز جهدها على الدعاية المضادة، في شكل مطبوعات ومنشورات، وبث معلومات مصححة عبر شبكة المعلومات، والإذاعة، والتلفاز، وعبر كافة أشكال الإعلام الأخرى لإزالة المعلومات الخاطئة، وكافة المنظمات غير الحكومية عليها أن تجاهد لضمان أن حرياتنا المدنية لا يتعرض لها شيء. حيث إن منجزاتنا التي تجعلنا بعين الاعتبار جزءًا من القرية العالمية، في ظل هويتنا كمسلمين كثيرًا ما يُستَولىَ عنها ويساء فهمها. المنظمات الإسلامية غير الحكومية كغيرها من المنظمات قد دخلت كلاعبين جدد في ميادين العمل السياسي العالمي والقومي. فيجب أن تكثف من جهدها في اقتفاء الجهاد الدبلوماسي، وليتم ذلك من خلال مضاعفة الوعي الإسلامي و توفير أرضية قوية وصلبة للنهوض بالأمة الإسلامية. كما ينبغي أن تنخرط هذه المنظمات في بناء المدارس الإسلامية والمساجد والمراكز الصحية، ومراكز الأيتام التي تستهدف الشباب ليتدربوا على التعاليم والقيم الإسلامية.

وتقوية لعمل المنظمات الإسلامية غير الحكومية، يجب على دول أعضاء الموتمر الإسلامي إعادة تنظيم أوضاعها لتحقيق الإدارة الفاعلة للشئون الإسلامية، فكثير من هذه النشاطات في وضع بدائي وتفتقر إلى الكفاءة الإدارية والتنظيمية والحاجات المالية التي تساعدها في تنفيذ البرامج. فيجب أن تتنوع خصائص المنظمات غير الحكومية من الغوث والعمل الخيري إلى المداخل الإنمانية في مجمل نشاطاتها، كأن تدخل في نشاطات الإنتاج الصناعي الصغير، والزراعة، والصحة، والتعليم، وإشراك المرأة في النشاطات الإنمانية، والاهتمام بالبيئة وحقوق الإنسان، كما يجب أن يتطلع عمل دول أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي إلى المنظمات الإسلامية غير الحكومية والعمل على إعادة تعريف حدودها وطرق عملها.

ثمة مشكلة أخرى مهمة تتعلق بالمنظمات الإسلامية غير الحكومية فإنها تواجه مشكلة الاعتماد على المنظمات المانحة. فتعتمد على المنظمات العالمية المانحة لتشغيل معظم برامجها في دول أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي. فهذا الاعتماد المالي يساوم موقفها

كمنظمات عاملة في مجال التغيير الإنمائي. وحتى مثل هذا الاعتماد نجد أنها أحيانًا يكون محدوداً وتحصل عليها المنظمات الأكثر تنظيمًا وأحيانًا بواسطة. فوفق إحصائيات منظمة الأمم المتحدة الإنمائية، تعتمد 100٪ من المنظمات الإسلامية غير الحكومية العاملة في أوغندا في تمويلها على التبرعات الخارجية. ويعد هذا أكبر تحد يواجه المنظمات الإسلامية. فإن اعتماد المنظمات الإسلامية على دعم المانحين لا يقدم الإنماء الاقتصادي نظرًا إلى أنه متقطع وغير منساب، كما أن المشاريع المقامة كثيرًا ما تفتقر إلى الاستمرارية. فعلى المنظمات الإسلامية غير الحكومية أن تركز جهدها على إقامة مشاريع قادرة لتدعيم التسيير الذاتي في المستقبل، في شكل المشاريع الزراعية والتجارية وعلاقات داخلية تضمن ربطها بالأسواق الخارجية العالمية. ومن شأن هذا العمل أن يساعد المنظمات الإسلامية غير الحكومية على تجاوز مشكلة الاعتماد الكلي على المانحين. فنعم إن المنظمات الإسلامية غير الحكومية تواجه ضوائق مالية لتسيير أعمالها في مختلف دول أعضاء المؤتمر الإسلامي، حيث جل معظمها في الدول النامية.

والمشكلة الأخرى هي أن المنظمات الإسلامية غير الحكومية تكافح من أجل الاستقلال. والكفاح من أجل الاستقلال لا يتم فقط في المستوى المحلي بل يتم أيضاً في المستوى العالمي ومعظم هذه المنظمات عرضة للاستقلال حيث تعمل أحيانًا كمنظمات ثقافية بدون أغراض إسلامية واضحة، وكل هذه المنظمات تنتظم تحت وزارة الداخلية في كل بلد فهي التي تتولى الإشراف على نشاطاتها. ومعظم هذه المنظمات تمّ حلها من قبل حكوماتها فهي تواجه مشكلة تحديد المصير؛ لذا يجب أن تعيد المنظمات الإسلامية تحديد وجهتها ونطاق عملها غير المتعارض مع الحكومات المستضيفة. كما عليها أن تتكيف مع الوضع حتى تخدم الأقليات المسلمة.

ومع تزايد اشتراك المنظمات الإسلامية غير الحكومية في التنمية، أخذت تنظر إليها الحكومات

نكبر فيكم استمرار دعمكم منظمة المؤتمر الإسلامي

وجه المشاركون في أعمال الدورة الرابعة عشرة للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي، برقية إلى الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في ختام أعمالهم فيما يلي نصها :

إننا نحن المشاركين في الدورة الرابعة عشرة للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي، إذ نختتم أعمال دورتنا هذه في هذا البلد المسلم المضياف وبرعاية كريمة من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وهي العضو المؤسس والداعم لهذه اللجنة، نعبر لكم شخصيا عن بالغ امتناننا لمواقفكم المدافعة عن الإسلام دينا وثقافة وحضارة، وعميق تقديرنا لعطائكم الفكري والثقافي في إطار التعريف بالإسلام ودوره في الحضارة الإنسانية، ونكبر فيكم استمرار دعمكم منظمة المؤتمر الإسلامي من أجل الاضطلاع بدورها الذي أنشئت من أجله، وندعو الله سبحانه وتعالى أن يمن عليكم بالصحة والعافية من أجل الاستمرار في هذا الدور الريادي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بمنزلة تهديد لسيطرتها ورد لفشلها وقد زاد هذه الحقيقة من التشكيك القائم بين الدولة والمنظمات غير الحكومية.

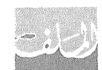
(كلارك 1991): ويلاحظ كلارك أيضاً أن العلاقة تتعاظم أحيانًا وتتسم بالشك وعدم المصداقية، وأن بعض المسئولين الحكوميين متخوفون من الاعتبار الذي تحظى بها هذه المنظمات لدى الوكالات المانحة وبالتالي يأتي من هنا التنافس غير الصحي. كما أن من جهتها تفتقر المنظمات الإسلامية غير الحكومية إلى الإلمام بمداخل أولويات برامج الحكومة نظرًا للسرية التي تحيطها والتهميش الذي يتم للجماعات المختلفة. هذا ولا يتضح أيضاً بجلاء من أية مصادر تحصل هذه المنظمات على جل مواردها، فقط ما هو مؤكد أن بعض النشاطات التي تقوم بها تجد التمويل ممن يساندونها عقديًا (باريا، 1196مسيحي).

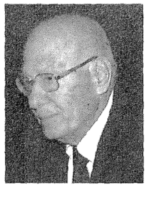
فالعلاج الآخر لفعالية عمل المنظمات الإسلامية غير الحكومية في خطة منظمة المؤتمر يكمن في تقوية دور العملية الديمقراطية في دول أعضاء المؤتمر الإسلامي ولاسيما بواسطة المنظمات التحتية التي ينظر إليها، وتعتبر عربة للعملية الديمقراطية والمكونات الأساسية لازدهار المجتمع المدني. وإذا نظرنا إلى هذه المنظمات كعربة للعملية الديمقراطية فمن الأهمية بمكان النظر إليها مقابل الجدال الحديث القائم المتعلق بتحول العملية الديمقراطية والإصلاحات الاقتصادية في دول أعضاء المؤتمر الإسلامي.

فالمشكلة الكبيرة بالمنظمات الإسلامية غير الحكومية تكمن في مشكلة العضوية والتنظيم. فجل دول الأعضاء التي تشكل عضوية المؤتمر تفتقر إلى عنصر الالتزام، فالأعضاء يفشلون في الإيفاء بإسهاماتهم؛ مما يستوجب على المؤتمر العمل على تنظيم المنظمة ومقدراتها الإدارية، كما أن المنظمات الإسلاية الضعيفة التي عادة ما تنسحب أو تلعب دورًا ضئيلاً إزاء ما يطرأ من القضايا الدفاعية عند التنفيذ أو التعرض للعوائق تعمل على إيجاد حل لما يواجهها من مشاكل التسلسل الإداري فيما يتعلق باتخاذ القرار. تحصل المنظمات الإسلاية غير الحكومية على دعمها من إسهامات الأعضاء وهذا يعرضها لمخاطر الوقوع في آفة الاعتماد المالي العائق لاستمرارها. وتتابع هذه المنظمات السياسات الصارمة المفروضة من رئاساتها التي تبعد عنها آلاف الأميال وإن كانت هذه السياسات عديمة الجدوى للمجتمعات التي تعمل فيها هذه المنظمات. ويعد هذا أكبر تحدٍّ في أن بعض هذه السياسات لا يُناسب المجتمعات التحتية، وفي بعض الأحيان لا تعيد الأمل إلى الجماهير المحلية. عليه يجب أن تعمل منظمة المؤتمر على تقوية عضوية الدول الأعضاء للإيفاء بإسهاماتها السنوية لدعم الانسياب الجيد لعمل المنظمات الإسلامية. كما أن على المنظمة أن تعيد النظر في هيكلها الإداري ليتناسب نظامه والأنظمة الإدارية.

تتبوأ المنظمات غير الحكومية عالميًا مركز الوسط في التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لكل شعوب العالم. وتعتبر المفضلة إزاء ما يتعلق بالعملية الإنمائية في العالم الذي تشكل دول المؤتمر الإسلامي جزءًا منه.

ختامًا: تتبوأ المنظمات غير الحكومية عالميًا مركز الوسط في التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لكل شعوب العالم. وتعتبر المفضلة إزاء ما يتعلق بالعملية الإنمائية في العالم الذي تشكل دول المؤتمر الإسلامي جزءًا منه. وإن كثيرًا من المنظمات العالمية الشبيهة بالمؤتمر قد أتت وذهبت ولكن سيبقى المؤتمر ما بقيت الطبيعة الفوضوية المعقدة والمتزايدة في النظام العالمي التي تتطلب وجود المنظمة للتعامل معها. ويجب استيعاب دور المنظمة الذي يمليه عليها العالم ويكمله عمل المنظمات غير الحكومية العالمية والمحلية والإسلامية.





حول التنسيق بين المنظمات الإسلامية

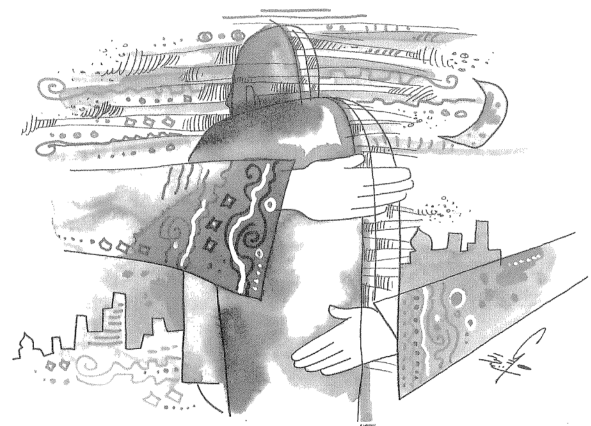
كامل الشريف *

مقدمة

تعتبر المنظمات الإسلامية العاملة في ميادين الدعوة، أو الإغاثة الإنسانية، ـ بحق ـ الشرايين الباقية للوحدة الإسلامية لأنها تتصل اتصالاً مباشراً بجماهير المسلمين في مدنهم، وقراهم، ومزارعهم، وتبدو أهمية هذا الدور في الظرف الحاضر حيث تواجه الحكومات والمؤسسات الرسمية ضغوطاً مختلفة من بعض القوى الأجنبية، التي تراقب كل تحرك يتجه نحو الوحدة فلا يكاد يبقى من علائم وحدة المسلمين إلا ما تؤديه المنظمات الإسلامية الشعبية، ولذلك تتجه إليها سهام الأعداء ومؤامراتهم، وتقوم حملات التحريض عليهم بتهمة العنف والإرهاب بقصد تعطيل نشاطهم في البلاد الإسلامية. ومن هنا يصبح من الضروري تحصين الحكومات الإسلامية، وإمدادها بالمعلومات الصحيحة والتعاون معها لتوضيح مرامي هذه الخطة الماكرة وأهدافها. ولا شك أن منظمة المؤتمر الإسلامي التي تجتمع فيها كل الحكومات الإسلامية تعتبر مظلة مواتية للتنسيق بين تلك المنظمات من ناحية، والدفاع عنها تجاه الحكومات الإسلامية، والتخفيف من تلك الضغوط بالحوار المباشر مع القوى الدولية النافذة، لتبيان دور المنظمات الإسلامية الشعبية في محاربة الجوع والمرض في الدول الفقيرة، لا سيما وأن هذه المنظمات لا تقتصر مساعداتها على المسلمين وحدهم، ولكن تتم للفقراء والمحتاجين بصرف النظر عن أديانهم أو انتماءاتهم العرقية أو السياسية.

إن أنشطة المنظمات الإسلامية الشعبية تدخل كلها في ميدان العمل الخيري وتعمل على توسيع مداه وآفاقه، فإنشاء المسجد والمكتبة، والمركز ووضع المصحف والكتاب في متناول المسلم والمسلمة، وتقديم المنح الدراسية للناس عموماً، واتصال

* الأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة



الدعاة القادرين بالمسلمين في منازلهم وأماكن عملهم يزيد من الترابط بين المسلمين، ويقوّي لديهم نزعة الخير والعمل الصالح. والقرآن الكريم ينبه في مواضع كثيرة لهذه الأعمال التي تتشابك لتكوّن شخصية المسلم المتكامل، والمجتمع المسلم المنسجم، كقوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة فُصّلت: الآية 33]

غير أنه حين نحاول تسليط الضوء على المساعدات المباشرة للفقراء والجياع والمرضى، فإن هذا الجانب يجب أن يحظى باهتمام كبير أشرنا إلى طرف منه.

لقد ربط القرآن الكريم بين الزكاة والصدقات بكل أنواعها وبين المطر في أكثر من موضع، فقال سبحانه:

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ [سورة البَقَرة: الآية 265]

فإنفاق المال ابتغاء مرضاة الله يثبت النفس ويدعم الإيمان، ويحمل للمجتمع المسلم ما يحمله المطر للأرض من الخير والنماء.

حاجة الشعوب الإسلامية:

إن ظروفاً تاريخية كثيرة تضافرت لتجعل المسلمين من أكثر الشعوب فقراً وانحطاطاً، فقد حرص المستعمر الأوروبي بتسمياته المختلفة على إبقاء الأقطار الإسلامية تحت نير الجهل والتخلف ليضمن خضوعها تحت سيطرته، ويربط كيانها السياسي والاقتصادي بعجلته، ويجعل منها حقلاً للمواد الخام والعمالة الرخيصة التي تغذي مصانعه، وتزيد في إنتاجه، وحين تراخت قبضة الاستعمار السياسي عن أكثر البلاد الإسلامية بسبب تفاعلات دولية معروفة، قامت بعض الشعوب الإسلامية تحاول استكمال سيادتها واسترداد شخصيتها المفقودة، وجاء رد القوى الاستعمارية إمعاناً في الظلم

والطغيان، وقد ترتب على ذلك مجابهات ومعارك دامية خلفت وراءها الملايين من الأرامل والمشردين، بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية وزحف الصحراء والجفاف في بعض بلدان العالم الإسلامي وخصوصاً في أفريقيا السوداء، حيث يطلق على أقطار الساحل اسم «الأرض المحروقة» بفعل الجفاف والتصحر.

وفي البوسنة التي خرجت تّوا من حرب ضروس على سبيل المثال تجاوز عدد اللاجئين إلى أقطار المجاورة المليون نسمة، أما الهجرة الداخلية فقد أحصيت بحوالي نصف المليون، وما جرى في كوسوفا هو شاهد آخر على المؤامرة وذيولها، ذلك أن سياسة التطهير العرقي التي مارسها النظام الحاكم في يوغوسلافيا، قد تسببت في هجرة ما لا يقل عن مليون فرد إلى الأقطار المجاورة، مع ما يصاحب هذه الكوارث من الأمراض، والعلل الاجتماعية.

وقد صاحب هذه الحملة العدوانية على امتداد العالم الإسلامي، حملة أخرى في ظاهرها الرحمة... وفي باطنها مسخ العقائد، وإشاعة الكفر والإلحاد، وإبعاد المسلم عن دينه، ونعني بذلك حملة التبشير الاستعماري التي انطلقت من البداية في ركب الاستعمار ولا تزال تركب أمواجه.

لقد رسخت فكرة العمل الخيري الإسلامي وشمخت تلك النبتات الغضة لتصبح أشجاراً باسقة واسعة الظلال، وخرجت منها فروع كثيرة، في كل اتجاه. والعبرة التي نأخذها من التجربة الكبيرة هي أن يوطن كل منا نفسه على عمل الخير ولا يستهين به مهما بدا صغيراً متواضعاً، ذلك أن النهر الطامي يبدأ بقطرات تنهمر هنا وهناك، والقرآن الكريم يريد للمؤمن أن يكون الخير جزءاً من طبيعته، فيلقي البذور كلما واتته الفرصة، ولا ينتظر النتائج فالأمور بيد الله وحده:

تدنيس المصحف الشريف.. نشر لثقافة العداء وعدم التسامح

أصدرت لجنة تنسيق العمل الإسلامي في ختام أعمالها بياناً حول تدنيس المصحف الشريف من قبل المحققين الأمريكيين بمعتقل غوانتنامو قالت فيه :

لقد تناقلت وسائل الإعلام الأمريكية والعالمية مؤخراً أنباءً عن إقدام سجانين ومحققين أمريكيين بتدنيس المصحف الشريف في معتقل غوانتنامو وأمام أنظار السجناء بغرض امتهانهم واستفزازهم والضغط عليهم نفسياً، وتنوعت تلك الممارسات بين تمزيق القرآن والدوس عليه والرمي به في دورات المياه، وقد اعترفت الإدارة الأمريكية أخيراً بتلك الممارسات المشينة من قبل جنودها ومحققيها.

ولجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي إذ تستنكر هذه التصرفات غير المسئولة، فإنها تنبه إلى التداعيات الخطيرة لمثل تلك الأعمال اللا أخلاقية، وإلى ما توفره من أرضية لتنامي ظاهرة الإرهاب والتصرف، وما تشيعه من ثقافة العداء وعدم التسامح، واللجنة تضم صوتها إلى أصوات كل دعاة الحق والسلام في العالم الذين أدانوا هذا التصرف واستهجنوه، وتطالب الإدارة الأمريكية بإجراء تحقيق فوري حول تلك الإهانات للمسلمين وكتابهم المقدس، وتقديم المسؤولين عنها للمحاكمة والاعتذار عن تلك الممارسات رسمياً.

وتؤكد اللجنة على ما ورد في البيانين الصادرين عن معالي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي بالخصوص، وإن الموضوع بأبعاده المختلفة سيعرض على المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية في صنعاء بالجمهورية اليمنية.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: الآية 23 ـ 24]

وهذه الآية الكريمة تقع في سورة إبراهيم «الذي وفّى» وأعطاه ربه كلمات خير فأتمهن، ومن هذه الكلمات خرجت شجرة التوحيد التي تستظل بها شعوب وأمم شتى.

أهمية العمل الموحد:

لقد أولت المنظمات الإسلامية اهتمامها دائماً بالمرحلة الدقيقة الراهنة التي يمر بها العالم الإسلامي سواءً بالهجمة السياسية والإعلامية الظالمة التي تحركها دوائر معينة في الغرب ضد الإسلام ديناً وحضارة، أو بحالة التمزق الداخلي والصراعات الفكرية والمذهبية التي تهدر طاقات المسلمين وتعرقل وحدة الأمة لمواجهة تلك الحملة الضارية. إن أول ما يجب أن يلتزم به المسلمون إزاء هذه الحملات العدوانية الظالمة هو أن يزدادوا تقرباً من الله تعالى وامتثالاً لأوامره ونواهيه، وأن يضعوا ثقتهم في وعده سبحانه:

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾
[سورة المجادلة: الآية 21]

وحين يحاول فيه الأعداء استغلال الخلافات القائمة بين بعض المسلمين أو افتعالها لإشعال الفتنة وإضعاف الصف الإسلامي، فإن العاصم من ذلك هو التمسك بكتاب الله وسنة رسوله والانصياع لأمر الله القائل:

﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾
[سورة الأنفال: الآية 46]

وإن المنظمات الإسلامية لتهيب بالمسلمين حكاماً وشعوباً أن يذكروا مسؤوليتهم العظمى أمام الله وأجيال الأمة فيعملوا على تجميد الخلافات أياً كانت أسبابها، وأن يقاوموا عوامل اليأس والقنوط، وأن يكونوا على استعداد لتقديم أي تضحية مهما عظمت للدفاع عن عقيدتهم وأوطانهم، كما فعل الأسلاف العظام، حين واجهتهم المحن والصعاب:

﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾
[سورة آل عمران: الآية 174]

وفي الوقت الذي يمد فيه المسلمون الواعون أيديهم لتأكيد التعايش وتعزيز الثقة وحسن الجوار بين شعوب العالم التزاماً بأمر الله القائل:

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [سورة المائدة: الآية 2]

فإنهم يؤكدون أن الإسلام قادر ـ بحول الله ـ على حماية نفسه كما فعل في تاريخه الطويل، لأنه يلتزم الحق ويرفض الظلم والعدوان.

لقد رسخت فكرة العمل الخيري الإسلامي وشمخت تلك النبتات الغضة لتصبح أشجاراً باسقة واسعة الظلال، وخرجت منها فروع كثيرة، في كل اتجاه. والعبرة التي نأخذها من التجربة الكبيرة هي أن يوطن كل منا نفسه على عمل الخير ولا يستهين به مهما بدا صغيراً متواضعاً.

لقد اتفقت كلمة عدد كبير من المنظمات الإسلامية العالمية على وضع صيغة للتنسيق بينها قبل خمسة عشر عاماً، ومن هذا الاتفاق برز المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة الذي أتشرف بتمثيله في هذا الاجتماع المبارك، وقد نجح المجلس إلى حد كبير في تحقيق التنسيق بين أعضائه في مجالات كثيرة، كما تحققت له تجارب هامة في هذه الحقول، وحين أشير إلى المجلس الإسلامي العالمي وتجربته وإنجازاته فإنني أحب أن أؤكد حقيقة هامة نقتنع بها دائماً، وهي أن العالم الإسلامي كيان جغرافي واسع يموج بعشرات الألوف من المنظمات الشعبية، ويستوعب مؤسسات كثيرة للتنسيق، ونحن في المجلس يسعدنا أن تقوم محاولات أخرى للتنسيق والتعاون، ونبدي استعدادنا الكامل للتعاون معها، والانتساب

إليها بكل حماس انطلاقاً من هذه القناعة، شريطة ألا يقع أي تناقض بين هذه المجهودات، وإنما يسعى كل فريق إلى أن يكمل عمل أخيه، وأن يكون رديفاً له، وأن يملأ أي فراغ قد يقع نتيجة لاختلاف الظروف الجغرافية، أو السياسية.

إن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة تقوم بمسعى واسع للتنسيق بين المنظمات الإسلامية الشعبية، وقد دعتني مشكورة للإسهام في هذه المساعي والانضمام إليها فلبيت الدعوة شاكراً، وقدمت كل ما تحقق لدى المجلس الإسلامي العالمي من تجارب في هذا الميدان، وقد وقع الاهتمام به لدرجة أن النظام الأساسي لهذا التشكيل اشتمل على فقرة تنص على التنسيق مع المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة باعتبارها المؤسسة القائمة للتنسيق التي سبقت في خوض هذا الميدان، واكتشاف ما يحيط به من مشكلات، وإنني أنتهز فرصة هذا الاجتماع لأشد على يد معالي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي ومساعديه ولأمحضهم كل تأييد ودعم في هذا المسعى الحميد. وإن أكثر ما أكتبه في هذه الورقة إنما هو مستوحى من تجربة المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة التي رافقتها لأكثر من خمسة عشر عاماً.

ولذلك فإن واجب المنظمات الإسلامية أن تضع منهاج عمل تتعاون من خلاله القوى الإسلامية الرسمية والشعبية، وتعمل على تكثيف اتصالاتها بالقوى الخيرة في الغرب وفي كل مكان لإيجاد صيغة للعمل المشترك من أجل بناء عالم متماسك يخلو من التهديد والعنف ويقوم على العدل والسلام والثقة المتبادلة على النحو التالي:

أولاً ـ الأزمة الراهنة

1 ـ لو افترضنا صحة النظرية القائلة بأن القيادات العليا المسؤولة في الغرب لا تعادي الإسلام، ولا تعمل ـ بقصد ـ للإضرار بالشعوب الإسلامية، لكننا

التنسيق الخيري بين المؤسسات والجمعيات الإسلامية

قدَّم الدكتور صالح بن سليمان الوهيبي الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي ورقة بحثية تناول فيها (التنسيق الخيري بين المؤسسات والجمعيات الإسلامية) وقصرها على منطقة الخليج العربي، منطلقاً من أن تنسيق العمل الخيري أصبح أمراً ضرورياً خاصة بعد أحداث 11 / 9، التي أعلنت بعدها أميركا حرباً لا هوادة فيها على كثير من مظاهر الحياة الإسلامية كالنشاطات الدعوية والثقافية والخيرية في داخل أميركا وخارجها، مشيراً إلى أنه قد زادت في هذا الوقت حاجة المسلمين إلى خدمات هذه الهيئات والمؤسسات الإسلامية، ولم تبق تلك المؤسسات الخيرية قادرة على تغطية حاجات إخوانهم، يضاف إلى ذلك سعي الدول الغربية المتنفذة إلى اتهام بعض المؤسسات الإسلامية الخيرية ومحاولة تضييق الخناق عليها ووصمها بالإرهاب ودعم أعمال العنف والتطرف، حرصا على إغلاقها إن استطاعت إلى ذلك سبيلا، وهذا ما نتج عنه تقليص نشاطها. ويؤكد الدكتور الوهيبي في ورقته أنه إذا كان الحديث ـ فيما سبق ـ عن تنسيق العمل الخيري أمرا مهما، فقد أصبح التنسيق الآن أمرا ملحا لمواجهة كل التحديات. ومما يُحمدُ لمنظمة المؤتمر الإسلامي اهتمامها بتنسيق المناشط الإسلامية منذ عدة سنوات، وكان من نتيجة ذلك إنشاء لجنة تنسيق العمل الإسلامي. ويتناول الباحث في المحور الأول من بحثه بعضا من تجارب التنسيق الناجحة، في حين يخصص المحور الثاني للحديث عن معوقات التنسيق والعقبات التي تحول دونه وتعوق مسيرته، أما المحور الثالث فيصوغ فيه بعض التوصيات التي يعتقد أنها تساعد في تحقيق التنسيق بين الجمعيات الخيرية من جهة، ومن جهة أخرى تساعد في تخطي العقبات والقيود المفروضة على العمل الخيري.

تعتقد بأن عملاء الصهيونية العالمية قد تسربوا من زمن طويل في الأجهزة السياسية والاقتصادية والإعلامية، وقد وجدوا في أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 فرصتهم السانحة لتحريك مواجهة عالمية دامية بين المسيحية والإسلام، لضرب الإسلام أولاً باعتباره ديناً يدعو إلى مقاومة الاستعمار الصهيوني وما يمارسه من عدوان جائر على الشعب الفلسطيني المسالم، واغتصاب أرض آبائه وأجداده: وكذلك إضعاف الديانتين الإسلامية والمسيحية، في المدى الطويل، انسجاماً مع الموقف اليهودي الرافض للديانتين، الحريص على هدمهما معاً.

2 ـ إن الهجوم الشامل على الإسلام والتركيز المعادي على الحكومات الإسلامية والمنظمات الشعبية المعتدلة المعروفة بالحرص على التعاون والتفاهم العالمي إنما يؤكد النوايا الشريرة التي أشرنا إليها، كما أنه سوف يؤدي ـ حتماً ـ إلى تغذية التطرف المقابل في الجانب الإسلامي، وإضعاف القوى المعتدلة، ويهيِّئ مناخاً مواتياً لتعميق الصدام الذي تحرص الصهيونية العالمية على إثارته خدمة لأغراضها المبيتة.

3 ـ إن الهجمة المعادية ـ إذن ـ تستهدف الإسلام كدين وحضارة، خدمة للخطة الصهيونية حتى لو تظاهرت بغير ذلك، وهذه الخطة تعتمد استراتيجية المراحل وفق القناعات والتحالفات اللازمة لكل مرحلة، ويظهر أن المرحلة الأولى هي الحرب على الإرهاب باعتباره شراً أجمع عقلاء الأمة الإسلامية على فساده وضرره، ومنافاته لروح الإسلام، ومن الممكن محاربة عناصر إسلامية معتدلة كثيرة في إطار الحملة على الإرهاب.

حتى إذا فرغت المرحلة الأولى وحققت أغراضها، بدأت المرحلة الثانية وهي الضغط من خلال الوجود العسكري والنفوذ السياسي، للسيطرة على الثروات الطبيعية والتحكم في الصناعات والأسواق التجارية، ثم تأتي مرحلة ثالثة تستهدف الثقافة والعبادة، والتعليم والتقاليد، ونمط أنظمة الحكم التي لا تتفق مع أهداف الخطة المعادية.. وهكذا، ولا شك أن من الخطأ القاتل أن يتصور أي طرف عربي أو مسلم أنه بمأمن من شرور هذه الخطة لأنه سيكون إحدى ضحاياها في مرحلة من المراحل ومن الحكمة أن يتعاون مع إخوانه في دحرها من البداية. ومن هنا تبدو أهمية التنسيق بين المنظمات الإسلامية الشعبية في نطاق منظمة المؤتمر الإسلامي.

في الوقت الذي يمد فيه المسلمون الواعون أيديهم لتأكيد التعايش وتعزيز الثقة وحسن الجوار بين شعوب العالم؛ فإنهم يؤكدون أن الإسلام قادر ـ بحول الله ـ على حماية نفسه كما فعل في تاريخه الطويل، لأنه يلتزم الحق ويرفض الظلم والعدوان.

4 ـ لقد عبَّرت المنظمات الإسلامية دائماً عن اعتقادها الجازم بأن الإسلام دين الله الذي تعهد ـ سبحانه ـ بحفظه والدفاع عنه كما يعد القرآن الكريم:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: الآية 9]

وأنه الدين الذي يعترف بكل الرسالات وكتبها المقدسة، ويدعو إلى الألفة والتعاون بين بني البشر، فإذا تجاهل الأعداء هذه الحقائق الواضحة وأصروا على مهاجمته والكيد له فإن الله سوف يسخر له من المؤمنين من يتصدى لحملة الشر ويضحي بالغالي والنفيس في سبيل الله، تصديقاً لوعده سبحانه:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [سورة غافر: الآية 51]

ولقد شهد التاريخ صدق هذا الوعد حين تعرضت ديار الإسلام لحملات عدوانية باغية، خرج منها

الإسلام قوياً عزيزاً، ولا شك أن الحملة الراهنة سوف تلقى المصير الذي ينتظر كل معتد باغ، غير أن قادة المنظمات الإسلامية يأملون أن يحتل العقل والحكمة مكانهما في السياسة الدولية الراهنة حتى تتغلب لغة الحوار، ويبدأ البحث السلمي في علاج المشكلات وتحديد المصالح المشتركة ومجالات التعاون الإيجابي.

وقد قام المجلس الإسلامي العالمي باتصالات واسعة من خلال إحدى لجانه وهي المنتدى الإسلامي العالمي للحوار، واللجنة الإسلامية العالمية لحقوق الإنسان، كما شارك من الوفود الكثيرة التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي إلى الدول الأوروبية، والولايات المتحدة الأمريكية، لهذا الغرض والتي أسفرت عن نتائج هامة في طريق التقريب بين الحضارات المعاصرة.

ثانياً ـ الإطار العام لمنهج العمل:

1 ـ يوجد في العالم الإسلامي على المستوى الرسمي والشعبي مؤسسات عامة، وأفراد من ذوي القدرات العلمية والمالية الكبيرة، يعملون لخدمة الإسلام، وتبيان مبادئه الصحيحة، وموقعه الإيجابي البناء من تعاون الشعوب والحضارات ـ كل بأسلوبه ـ التزاماً بالمنهج الرباني الذي يؤكد وحدة الجنس البشري ويدعو أفراده للتعاون على الخير. وأول واجبات التنسيق الذي يجب أن تُمارسه منظمة المؤتمر الإسلامي هو التعرف على هذه القدرات والطاقات، والتنسيق بين جهودها وتوزيع الأدوار بينها وفق خطة موحدة، منعاً لإهدار القوى وتضارب الأعمال.

2 ـ يعتبر ميدان الإعلام أحد أهم الميادين التي تنطلق منها الهجمة المعادية للإسلام، وقد أصبح من المعروف تحكم عملاء الصهيونية في أجهزة الإعلام المسموع والمشاهد، وسيطرتهم على الصحف، وشركات السينما ودور النشر، مما

الحوار مع الآخر.. نحو رؤية إسلامية موحدة

ومن جهته قدَّم الأستاذ مصطفى أحمد سيسي، عضو لجنة التنسيق والأمين العام للجنة الوطنية للإعداد للمؤتمر الدولي للحوار الإسلامي المسيحي، والمرشد العام لجمعية الأخوة الإسلامية في جمهورية السنغال، بحثا بعنوان (الحوار مع الآخر نحو رؤية إسلامية موحدة) استهله بتقديم أسمى آيات التقدير والعرفان إلى الأخ القائد معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، على ما قدمته الجماهيرية العظمى منذ قيام ثورة الفاتح العظيم من خدمة للإسلام والمسلمين ونصرة القضايا الإسلامية وكل القضايا المشروعة ذات الصلة بحقوق الإنسان.. مشيراً إلى أن اختياره لهذا العنوان جاء لدعوة المسلمين إلى التحلي برحابة الصدر في معالجة الأمور المشتركة مع الآخر، خاصة في هذا الوقت الذي يتعرض فيه الإسلام إلى هجمات شرسة. وقال : إن المتغيرات الدولية التي ظهرت بعد انتهاء الحرب الباردة جعلت الأمة الإسلامية تمر بمنعطف خطير في كل الميادين السياسية والثقافية والعسكرية، مؤكدا على أهمية أن تتخذ الحركات الإسلامية الحوار بديلا لجميع الوسائل الأخرى في الدعوة الإسلامية.

الجمع بين الأصالة والمعاصرة سبيلنا الوحيد إلى المحافظة على هويتنا

كما قدَّم الأستاذ محمود محمدي عراقي / رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية بإيران، ورقة بحثية عنوانها (الجمع بين الأصالة والمعاصرة سبيلنا الوحيد إلى المحافظة على هويتنا) أشار في مستهلها إلى أن كل المدارس الفكرية تُقرّ ـ دون شك ـ بوجود عناصر ثابتة في الإنسان إلى جانب

يسمح لهم بتوجيه حملة ضارية من الكذب والتشويه الذي يجد صداه بين البسطاء من الناس، ولذلك يصبح من أهم الواجبات المنوطة بمنظمة المؤتمر الإسلامي، تنظيم الدعوة بين الحكومات والمؤمنين الأثرياء، لإنشاء مؤسسات إعلامية كبيرة تملك الوسائل الفنية الضرورية، وإعداد برامج ومناهج يضعها العلماء والخبراء من المسلمين وغيرهم باللغات الحية لتوضيح صورة الإسلام، وإبراز مبادئه النبيلة التي تعمل لخير الإنسانية ولسعادتها التزاماً بالتوجيه الرباني:

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾
[سورة الأنبياء: الآية 18]

3 ـ إن الحملة الشاملة ضد الإسلام قد كشفت نقصاً كبيراً في العمل الإسلامي المشترك، وهو ميدان جمع المعلومات الصحيحة عن دوافع هذه الحملة وأهدافها، والمؤسسات أو الأشخاص الذين يوجهونها، والمقالات والمواد والنشرات التي تنقل أفكارهم، والعناصر الإيجابية التي تتحدث في هذه القضايا، وجمع المعلومات عن العالم الإسلامي وما تتفاعل فيه من الآراء والنظريات، وكل ذلك يظهر الحاجة الماسة إلى أن تقوم المنظمة بإنشاء مركز للمعلومات يتولى رصد الأنشطة المختلفة وحفظها، وتصنيفها، والتعليق عليها، وإصدار نشرات أو مجلات تحمل الآراء الإسلامية بهدف إيجاد تيار فكري موحد تستفيد منه المنظمات الإسلامية في جهودها للدفاع عن الإسلام، وتبيان حقائقه ومبادئه.

4 ـ توجب المرحلة الراهنة تفعيل مؤسسات العمل العربي والإسلامي المشترك، سواء من المنظمات والمؤسسات الرسمية والشعبية التي تشكل كيانات للعمل الجماعي ودعمها، كالبنك الإسلامي للتنمية أو المنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم



وغيرها. كما يجب المضي قدماً في إحياء مواثيق التعاون العربي والإسلامي في كافة المجالات العسكرية والسياسية والقضائية والتجارية، كمعاهدة الدفاع المشترك، ومحكمة العدل العليا، والأسواق المشتركة، والاتفاقات المتعلقة بالتعاون في مجالات الصناعات الحربية، وتسهيل حركة البضائع والأيدي العاملة بين الدول العربية والإسلامية. وليس هناك مؤسسة يمكن أن تقوم بهذا الدور كمنظمة المؤتمر الإسلامي التي تنتمي إليها جميع الدول الإسلامية.

5 ـ لا شك في أن المرحلة الراهنة على ما فيها من سلبيات معروفة قد أثارت اهتمام الناس وتساؤلاتهم عن الإسلام، مما يحتم وضع أساليب مدروسة للدعوة تهدف إلى توضيح حقائق الإسلام، وتتضمن الرد على الشبهات والأراجيف، وتوجب المرحلة إعادة النظر في مفردات الخطاب الإسلامي الصحيح، والبعد عن الإفراط والتفريط، والقيام بحملة واسعة للتأليف والترجمة والنشر على نطاق واسع، مع تكوين الدعاة القادرين على تبليغ الدعوة للشعوب المختلفة باللغات الحية المتداولة بينهم.

6 ـ من الواضح أن هناك عملية استغلال واسعة لقضية الإرهاب وحوادث 11 سبتمبر، لتحقيق أهداف أبعد من حرب الإرهاب، يتضح ذلك من حملة الاتهام على الدول والعناصر المعتدلة، والضغط لتغيير برامج التعليم الديني ومحاولة إلصاق الاتهام بالمقاومة الوطنية الشريفة في فلسطين، ولما كانت الحكومات والمنظمات الإسلامية قد أعلنت مواقفها الرافضة للإرهاب في غير لبس أو التواء، فقد أصبح ضروريًا عقد اجتماعات إسلامية وعربية على أعلى المستويات لوضع تحديد منصف للإرهاب تلتزم به الدول العربية والإسلامية وترفض التسليم بالموازين المشبوهة الظالمة التي

وجود عناصر متحركة فيه. الثبات في طبيعة الكائن البشري يتطلب دائماً تشخيص دائرته كي لا يختلط بالجانب المتحرك، ويؤدّي بالتالي إلى الركود والجمود باسم المحافظة على الثوابت، وهكذا الجانب المتحرك المتغيّر لا بدّ من تشخيصه كي لا يؤدّي الإفراط فيه إلى الانفلات وضياع الهويّة والشخصيّة الإنسانية. مضيفاً أننا اليوم نستشرف ـ بإذن الله ـ مستقبلاً تستأنف فيه أمتنا حركتها الحضارية، وكلّ الظروف القاسية المرّة التي نمرّ بها هي في اعتقادنا مخاض لابدّ منه لصحوتنا ولعودتنا إلى أنفسنا وهويتنا، وإلى ممارسة دورنا المطلوب على ظهر الأرض، باعتبارنا أبناء الرسالة الخاتمة. وهذه المرحلة تتطلب أكثر ما تتطلب الابتعاد عن الإفراط والتفريط، واتخاذ جانب الاعتدال والوسطية في أعمالنا ومشاريعنا، ومن هذه المتطلبات المحافظة على عنصري (الأصالة والمعاصرة) في مواقفنا وتخطيطنا.

ويوضح الباحث أنّ السير في اتجاه مستقبلنا الحضاري سوف لا يكون مفروشاً بالزهور دون شك، فهو طريق ذات الشوكة، وأخطر عقبات هذا الطريق هو ما يُرادُ لنا أن نقع فيه من انفعال. فأعداء مسيرتنا الحضارية المستقبلية سوف يثيرون في الأجواء ما يدفعنا إلى حالات انفعالية في مواقفنا السياسية والفكرية والاقتصادية، ونشاهد اليوم بوضوح هذا الدفع نحو الانفعال ضمن إطار المواقف السياسية والإعلامية والثقافية والتعليمية، من هنا فإن تنسيق العمل الإسلامي يجب أن يتجه أول ما يتجه نحو وقاية المسيرة من ردود الفعل التي يراد أن ننزلق فيها. مضيفاً: مما لاشك فيه أننا حين ندعو إلى الاعتدال والوسطية فإننا لا نتخذ هذا الموقف استجابة لما يحيط بنا من ظروف وضغوط، بل ننطلق من صميم منهجنا الإسلامي الذي جعلنا أمة ﴿وسطاً﴾ ودعانا ﴿للتي هي أقوم﴾ ونهانا عن ﴿الشطط﴾ و﴿الزلل﴾ وأمرنا بالحكمة

تعمل لأغراض خفية لا علاقة لها بالإرهاب، والتي تؤثر سلباً في نشاط المنظمات الإسلامية الخيرية والدعوية لصالح الصهيونية والتبشير الاستعماري.

ثالثاً ـ مقترحات عملية:

1ـ عقد لقاءات متخصصة لوضع الخطط التنفيذية في المجالات التي يتفق عليها.

2ـ القيام بزيارات إلى الدول الإسلامية لنقل محتويات هذه الخطة والتداول بشأنها مع القادة والمسؤولين قبل أن تصبح منهجاً يلتزم به الجميع.

3ـ القيام بزيارات إلى الدول الأجنبية لتبيان حقائق الإسلام وحرص المسلمين على السلام والعدل والتعاون، في كل ما يعود على الإنسانية بالخير والاستقرار.

4ـ إيجاد جهة مركزية بإشراف منظمة المؤتمر الإسلامي تتولى التنسيق في حوار الحضارات، ووضع القواعد الشرعية التي تحكمه وتحدد أهدافه ووسائله والقائمين به من الجانب الإسلامي.

5ـ إنشاء مركز رئيسي للمعلومات يتولى رصد ما ينشر عن الإسلام سلباً وإيجاباً، وتحديد العلماء والخبراء المسلمين القادرين على الرد، ومتابعة التيارات الفكرية في الحضارات المختلفة، وتصنيف المعلومات وإعادة بثها لتستفيد منها الحكومات والمنظمات الإسلامية.

6ـ إنشاء مركز رئيسي للإعلام تكون مهمته الاتصال بأجهزة الإعلام المختلفة، والتعاون مع رجال الإعلام، وإعداد برامج تبين موقف الإسلام لنشرها عبر هذه الأجهزة والقنوات.

7ـ التعاون مع مؤسسات العمل المشترك كجامعة الدول العربية وغيرها، لإنشاء صحيفة أو أكثر وإذاعة وقناة فضائية موجهة إلى الغرب تدافع عن القضايا الإسلامية، وتنقل مبادئ الإسلام وقيمه وأخلاقه باللغات المختلفة.

8ـ رفض كل المحاولات لإضعاف التعليم الديني في مراحل التعليم المختلفة، وضرورة تنبيه الدول الإسلامية لخطورة هذه المحاولات وتشكيل هيئة مركزية لتقوية مناهج التعليم الديني وإرسالها إلى الوزارات المختصة عبر منظمة المؤتمر الإسلامي.

9ـ تعزيز التنسيق بين الأجهزة الرسمية والشعبية العاملة في المجالات الإسلامية وخصوصاً التنسيق مع المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، بوصفه الهيئة التي تمارس التنسيق اليومي بين المنظمات الشعبية الإسلامية.

الحملة الشاملة ضد الإسلام قد كشفت نقصاً كبيراً في العمل الإسلامي المشترك، وهو ميدان جمع المعلومات الصحيحة عن دوافع هذه الحملة وأهدافها، والمؤسسات أو الأشخاص الذين يوجهونها، والمقالات والمواد والنشرات التي تنقل أفكارهم، والعناصر الإيجابية التي تتحدث في هذه القضايا.

وقدَّم الباحث نماذج لبعض المجالات التي يمكن أن يتم فيها التنسيق بين المنظمات الإسلامية، وهذه المجالات هي:

1. التعليم والدعوة: (لجنة التعليم والدعوة في الأزهر الشريف):

أ ـ توفير المعلومات عن المدارس والمعاهد والمناهج ومراكز التدريب التابعة للمنظمات الإسلامية للإفادة من هذه المعلومات في التخطيط المشترك.

ب ـ عمل إحصاءات بالمنح الدراسية والبعثات المقدمة من المنظمات الإسلامية بهدف تفادي الازدواجية وضمان عدالة التوزيع.

ج ـ مسح شامل لعدد الدعاة ومراكز توزيعهم، والامتيازات الممنوحة لهم وأساليبهم في العمل والعقبات التي تعترضهم، والإفادة من هذه

المعلومات في إعادة التوزيع والإفادة من التجارب المختلفة.

د ـ حصر مراكز تدريب الدعاة، ومعرفة مناهجها، للتوصل إلى منهج موحد يقوم على الفهم الصحيح للإسلام، وتشجيع منهج الاعتدال والدعوة الحكيمة.

هـ ـ التعاون على تنظيم خطة مشتركة لتوزيع الكتب النافعة باللغات المختلفة، وفتح مجال الاستفادة المتبادلة بين المنظمات المختلفة، التي تتفاوت فيها الإمكانيات والقدرات.

2. الإغاثة العامة: (لجنة الإغاثة العامة ـ هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ـ جدة ـ المملكة العربية السعودية)

أ ـ جمع المعلومات عن الشعوب والجماعات الإسلامية المحتاجة ووضع هذه المعلومات تحت تصرف المنظمات الإسلامية المعنية بالإغاثة لتعينها على وضع الخطط لنشاطها.

ب ـ عقد اجتماعات دورية بين تلك المنظمات لإطلاع بعضهم على نشاط بعض والاتفاق على الأولويات وتوزيع الأعمال وخصوصا في حالات الطوارئ.

ج ـ توحيد الأجهزة الإدارية في مناطق العمل بهدف منع الازدواجية، وتوفير النفقات وإيجاد قيادة جماعية تضمن حماية العمل، وذلك بالتفاهم مع السلطات المحلية.

د ـ الاستفادة الموحدة من التجمعات والمؤتمرات الدولية وانتهاز الفرص لإظهار عمل المنظمات الإسلامية والتعاون مع الغير بما يخدم مبادئ الإسلام والخير العام للإنسانية.

هـ ـ عمل مؤسسات ومشاريع مشتركة وخصوصاً مشاريع تنموية بين المنظمات الإسلامية تسهم في تنمية المجتمعات الإسلامية المحتاجة، حيث إن من الصعب على منظمة واحدة القيام بمثل هذه المشاريع التي تتطلب أموالاً طائلة.

والتدبّر والتعقّل. وفي هذا السياق يشير الباحث إلى أن الانفعال في اتخاذ الموقف بين (الأصالة) و(المعاصرة) مشهود اليوم على الساحة الإسلامية، على أثر خطة شاملة نشهد معالمها في كل الساحات السياسية والعسكرية والاقتصادية. ومن مظاهر هذا الانفعال باسم التمسك بالأصالة بروز النظرة المتخلفة للإسلام هنا وهناك، وإثارة التعصّب المقيت الخالي من التفكير، وعزل المرأة عن المجتمع، واستباحة دماء الأبرياء، وتكفير هذا وذاك، وأمثال ذلك من الصور المؤلمة التي أساءت إلى الإسلام إلى حدّ كبير.

ومن مظاهر الانفعال باسم التمسك بالمعاصرة هذه الضجّة المشهودة اليوم على كلّ ثوابتنا الإسلاميّة، وهذه المراجعة المنفعلة لكل ما يرتبط بهويتنا وشخصيتنا الإسلاميّة.

ويوضح الباحث أننا لا نشك في أن هذا الانفعال ينطلق أكثر ما ينطلق من واقعنا المتخلّف، ومن الوقفة التي أصابت مسيرتنا الحضارية منذ قرون، ولكن لا نشك أيضاً في أن وراء هذه المواقف المنفعلة خطّة عالميّة يُراد لنا بها أن نقع في هذا الانفعال إفراطاً أو تفريطا، كي نبتعد عن أهدافنا وعن مسيرتنا الحضارية.

ويقترح الباحث ـ في هذا المجال ـ التنسيق بين الجمعيات والهيئات والمؤسسات الإسلامية؛ لإعلاء الصوت الأصيل المعاصر، فهو الصوت الذي يجب أن يتبلور اليوم لتقديم النموذج الإسلامي الذي ينأى عن الجمود والتقليد الأعمى، كما ينأى في الوقت نفسه عن الهزيمة والذوبان. وحريٌّ بنا ونحن نواجه التحدّي الكبير في محاربة أصالتنا الاسلامية باسم التغيير والإصلاح والتجديد، أن نقدّم رصيدنا العلمي والعملي الذي هو خير دليل على أن رسالتنا الإسلاميّة رسالة إنسانية متطوّرة متجدّدة إصلاحية على الدوام في إطار أصول الفطرة الإنسانية.

3 ـ الشباب: (لجنة الشباب ـ الندوة العالمية للشباب ـ الرياض)

نظراً لأهمية عنصر الشباب وما يحيط بهم من أخطار تفرضها طبيعة العصر وتحدياته، لا بد من العناية بالشباب في هذا الإطار :

أ ـ التنسيق بين المنظمات العاملة في ميدان الشباب لتوجيه الجيل الجديد نحو الإيمان بالله، والالتزام بأخلاق الإسلام وآدابه والعمل لوحدة الأمة الإسلامية والاهتمام بقضاياها.

ب ـ لتحقيق الهدف الكبير المشار إليه آنفاً لا بد من إقامة مؤتمرات وندوات للتعارف بين قادة الشباب المسلم، وتأكيد هذه الأهداف والالتقاء عليها.

ج ـ إقامة مخيمات في بلاد مختلفة تضم قادة الشباب الإسلامي، للعيش في كنف هذه المعاني العظيمة والاتصال بالشعوب الإسلامية المختلفة لتقوية الشعور بوحدة الأمة الإسلامية ونقل هذه المعاني إليها.

د ـ تشجيع التأليف والنشر باللغات المختلفة، والتنسيق بين المنظمات في هذا الحقل الهام بهدف توسيع دائرة العمل، وتحديد الأولويات لإمداد الشباب بالثقافة الإسلامية الواسعة.

هـ ـ توجيه الشباب نحو التخصصات العلمية التي تحتاج إليها الأمة الإسلامية، خصوصا وهي تقف على أبواب ثورة شاملة في عالم التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات.

توجيه الشباب نحو التخصصات العلمية التي تحتاج إليها الأمة الإسلامية، خصوصا وهي تقف على أبواب ثورة شاملة في عالم التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات.

4 ـ الإعلام: (لجنة الإعلام ـ مؤتمر العالم الإسلامي ـ كراتشي)

تمثل قضية الإعلام بجوانبها السلبية والإيجابية حقلا بالغ الأهمية للمنظمات والمجتمع الإسلامي بصورة عامة، فانفجار ثورة المعلومات يحمل أخطاراً كبيرة على المسلمين شباباً وشابات، إلا أنه يمنح فرصاً واسعة لمن كان مستعدا لذلك، أما ميادين النشاط فمنها:

أ ـ التنسيق بين أقسام الإعلام في المنظمات الإسلامية، وتنشيط قيام أجهزة معنية بهذا النوع من النشاط في المنظمات التي لا تملك هذه الأجهزة.

ب ـ تشجيع المنظمات الإسلامية على امتلاك الأدوات الحديثة للاتصال كالانترنيت والـ e-mail وغيرها.

ج ـ التعرف على أبعاد الحملة الإعلامية المعادية للإسلام، ورموزها وكتابها، وكذلك على المفكرين المعتدلين، وإيجاد خطة لوضع المعلومات الصحيحة أمامهم.

د ـ انتهاز الفرص لجميع محرري الصحف وكتاب الأعمدة المعروفين بالميول الإسلامية والوطنية الصادقة، وتشجيع هذا النوع ليؤدي دورا أكبر في توعية المجتمعات الإسلامية.

هـ ـ جمع ممثلي الدوريات التي تصدر عن المنظمات الإسلامية للبحث معهم في وسائل تقوية هذه المجلات وتوسيع دائرة تأثيرها.

5 ـ المعلومات والمتابعة: (لجنة المعلومات والمتابعة ـ رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة)

إن وضع المعلومات الحديثة بين يدي المنظمات الإسلامية أمر لا غنى عنه في التنسيق والتخطيط المشترك، وتشمل المعلومات هذه الميادين: ـ

أ ـ انفتاح المنظمات الإسلامية بعضها على بعض، والتعرف على ميادين الأنشطة المختلفة يساعد على فكرة التنسيق بكل أبعادها التي أشرنا إليها.

ب ـ تحضير دراسات وإحصاءات عن القضايا الإسلامية، والمناطق المتأثرة بالحروب والفتن الداخلية، وعوامل الطبيعة يعين المنظمات

الإسلامية على الدخول في العمل الإغاثي والدعوي بصورة فعالة.

ج ـ إقامة مركز معلومات رئيسي ومراكز فرعية، تتلقى التقارير والمعلومات، وتصنفها، وتعيد بثها على المنظمات الإسلامية من خلال نشرات أو دوريات تغطي المجالات المذكورة.

د ـ تعويد مبعوثي المنظمات وخصوصاً الدعاة على الاهتمام بتجميع المعلومات، والإحصاءات، والحقائق، عن الشعوب والجماعات الإسلامية التي يعملون بها وإرسالها إلى مراكز المعلومات.

هـ ـ أما بالنسبة للمتابعة فإن الأمل أن تتبلور الفكرة أكثر بحيث تصبح جهازاً يتعاون مع الأمانة العامة مع منظمة المؤتمر الإسلامي في متابعة لتنفيذ المشاريع المشتركة، وملاحقة المنظمات الإسلامية الراغبين في التعاون على تلك المشاريع.

6 ـ النشر: (لجنة النشر ـ وزارة الأوقاف المصرية ـ القاهرة)

هناك حركة نشر واسعة في المنظمات الإسلامية تستحق التقدير، والمطلوب مزيد من التعاون لتحقيق الأغراض المتوخاة منها ضمن هذا الإطار:

أ ـ اختيار بعض الكتب التي تصدر عن المنظمات الإسلامية، وتظهر فيها فوائد خاصة، والعمل على ترويجها بين المنظمات وخصوصاً بين الدعاة.

ب ـ وضع كتب خاصة باللغة العربية، واللغات الأجنبية، تتضمن السياسة الإسلامية «الوسيطة» في الدعوة لتنشر بين المنظمات الإسلامية، وذلك لتكوين تيار فكري موحد يعتمد المرونة والاعتدال.

ج ـ التأثير في الدوريات والمجلات التي تصدر من المنظمات الشعبية المتعاونة في خطة التنسيق، وذلك من خلال المؤتمرات والندوات المتخصصة، بهدف الالتزام بالمنهج الذي يتقرر لهذه الإصدارات.

د ـ تعريف المسلمين بقضاياهم الأساسية (فلسطين ـ

وبما أن المشاريع التي ظهرت في القرن الماضي محاولة الجمع بين الأصالة والمعاصرة كثيرة ومتنوعة، فإن الباحث يكتفي بذكر نموذج منها وهو مشروع الجمهورية الإيرانية باعتباره محاولة معاصرة للجمع بين صيانة الهويّة والتجديد الحقيقي. ثم يدون الباحث عددا من المقترحات.

❖❖❖

وتجدر الإشارة إلى هناك أبحاثا وورقات عمل أخرى قُدِّمت خلال هذا الاجتماع إلا أن إدارة تحرير التواصل لم تتمكن من الحصول على نسخ منها،

ومن هذه الدراسات والأبحاث :

*** العالم الإسلامي.. تأملات وهواجس مستقبلية للدكتور محمود جبريل.**

*** الإسلاموفوبيا واستجابة المسلمين للأستاذ محمد عريف .**

*** التنسيق بين المؤسسات الإسلامية : آفاق ومتطلبات وآليات، للأستاذ محمد صديقي .**

وربما سنقدم للقارئ الكريم هذه الأوراق في أعداد قادمة.

التقرير والتوصيات الصادرة عن الدورة الرابعة عشرة للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي

طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

(4 ـ 6 يونيو 2005م)

تنفيذاً للقرارات الإسلامية الصادرة عن مؤتمرات القمة، ووزراء الخارجية وبخاصة القرار رقم 9/40 – ت(ق.إ) حول أنشطة الدعوة وتفعيل لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك

كشمير ـ الشيشان ـ تركستان، وغيرها) في كتب توضع خصيصاً ويكتبها خبراء في هذه القضايا.

7 ـ التمويل والاستثمار: (لجنة التمويل والاستثمار ـ الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ـ الكويت)

يعتبر التمويل هو العمود الفقري لأعمال الدعوة والإغاثة، ومع أن هناك إقبالاً على الخير من جانب المحسنين كما أسلفنا، إلا أن هذا الإقبال لا يقاس بنظيره في الغرب مما أعطى المؤسسات التبشيرية تفوقا كاسحا، كما أن موقف الحكومات الإسلامية وبعض الدول لا يزال سلبياً لأسباب مختلفة أيضاً لا مجال هنا للخوض فيها، لهذه الأسباب وغيرها لا بد من إعطاء عناية للناحية المالية ـ الاستثمارية ـ والمنظمات الإسلامية وذلك باستخدام هذه الوسائل:

أ ـ دراسة القدرات المالية لدى المنظمات الإسلامية والنصح لها بوسائل مبتكرة لتعزيز تلك القدرات وتعميقها.

دراسة القدرات المالية لدى المنظمات الإسلامية والنصح لها بوسائل مبتكرة لتعزيز تلك القدرات وتعميقها.

ب ـ الإشارة إلى أنواع الاستثمارات المأمونة من خلال دراسات يقوم بها الخبراء المختصون.

ج ـ وضع مشاريع استثمارية مشتركة تساهم فيها المنظمات الإسلامية وغيرها، وذلك لتشجيع التعامل المالي وفق المبادئ الإسلامية على أن تستخدم المشاريع في التنمية المأمونة ويعاد توزيع أرباحها على المنظمات المساهمة.

د ـ تعزيز القدرة المالية للمنظمات الإسلامية عن طريق الاشتراكات والتبرعات والوقفيات ورصد أجزاء قليلة من أرباح المشاريع، كي تقوم الأمانة العامة بواجبها الواسع في الميادين المشار إليها.

8 ـ الأقليات الإسلامية: (لجنة الأقليات الإسلامية ـ رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة)

أصبح وجود جاليات إسلامية في البلدان الأجنبية حقيقة ثابتة، وتتفاوت ظروف هذه الجاليات ومدى تمتعها بحقوقها المدنية واستقرارها من بلد إلى آخر، غير أنها تعني استقرار الإسلام في بلدان مختلفة مع ما يتبع ذلك من مؤثرات أو نتائج سلبية وإيجابية، ومن المأمول فيه أن تصبح هذه الجاليات منارات للدعوة، والتعاون المثمر مع الأقطار التي تعيش فيها، ولكي يتحقق ذلك لا بد من توفّر شروط كثيرة وفق هذه المبادئ والمرتكزات:

أ ـ لا بد من مساعدة الجاليات الإسلامية على الاستقرار، والحياة الآمنة، في المجتمعات الجديدة، وفق الدساتير والقوانين المعمول بها في تلك المجتمعات، وتلمس العقبات التي تحول دون ذلك والتعاون لإزالتها، بالاتصالات والحوار، بعيداً عن العنف وإشاعة الكراهية، باعتبار أن الوقت جزء من العلاج.

ب ـ عقد الندوات والاجتماعات بين الجاليات الإسلامية نفسها، بهدف إشاعة الوعي، وقيم الوسطية والاعتدال، والأساليب السلمية للعيش في البيئات الأجنبية، ونشر الكتب والدراسات التي تساعد على ذلك.

ج ـ مساعدة الجاليات في إنشاء مدارس ومؤسسات اقتصادية وأندية اجتماعية تعينهم على الحفاظ على دينهم وكيانهم الخاص، وثقافتهم، وأخلاقهم، والتأثير الإيجابي في المجتمعات الأجنبية عن طريق التواصل، والإرشاد، والقدوة الحسنة.

د ـ مساعدتهم على إنهاء الخلافات السياسية أو المذهبية، أو الحزبية، التي قد تظهر عندهم بفعل العوامل السلبية، وتشجيع إقامة اتحادات محلية يكون واجبها الأول رعاية مصالح الجاليات بعيداً عن التطرف الوطني، أو المذهبي.

هـ ـ دراسة المشكلات الفقهية التي تعترض حياتهم في بيئات ذات أغلبيات غير إسلامية عن طريق العلماء المختصين، والمجامع الفقهية، حتى يتحقق

الانسجام بين التزام المسلم بدينه وبين ظروف حياته اليومية.

9 ـ المرأة.. والطفل: (اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل ـ القاهرة)

لا يخفى ما تحظى به قضية المرأة المسلمة بالذات من اهتمام على مستوى العالم، وهو اهتمام سلبي يقوم على الاتهام والتشويه، بالإضافة إلى اشتداد الحركات المطالبة بالحرية المنفلتة للمرأة، وانعكاس ذلك على المرأة المسلمة، وقيام مؤتمرات إقليمية وعالمية ووضع مواثيق دولية حول هذه القضية، وما يقال عن المرأة يقال عن الطفل المسلم، الأمر الذي يوجب التنسيق بين المنظمات الإسلامية لإيجاد حركة نسوية إسلامية تلتزم بالإسلام وأخلاقه، وتكون قادرة على مواجهة هذه التيارات.

وقد تحددت وسائل منها:

أ ـ ضرورة التنسيق بين الأقسام النسوية في المنظمات الإسلامية، والتطور نحو وضع خطة موحدة ومنهج واضح يحكم العمل النسوي الإسلامي.

ب ـ لفت انتباه المنظمات الإسلامية عموماً لأهمية قضية المرأة المسلمة، والضرر الذي يلحق بصورة الإسلام من الاستمرار في تجاهلها، والدعوة إلى إنشاء أقسام نسائية في كل المنظمات الإسلامية، ووضع ميزانية لها.

ج ـ تشجيع حركة التأليف والترجمة بلغات مختلفة في قضايا المرأة المسلمة والطفل. لإبراز هذا التيار المؤمن الفاضل أمام التيارات المنحرفة.

د ـ تنسيق المشاركة في المؤتمرات الإقليمية والدولية بتمثيل واحد، أو ضمن خطة موحدة، ومحاولة التأثير في قرارات تلك المؤتمرات بما يعزز التيار النسوي الإسلامي.

هـ ـ حيث إن المرأة المسلمة تحمل النصيب الأكبر من العناء الذى تفرضه الحروب العدوانية والفتن الداخلية، وهي وأطفالها معرضة أكثر من غيرها

الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي التاسع، الذي انعقد في الدوحة بدولة قطر، في الفترة من 12 إلى 14 من نوفمبر 2000، والقرار رقم 10/1 (ق.إ) حول ذات البند الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي العاشر الذي انعقد في بوتراجايا بماليزيا في الفترة من 16 إلى 17 من أكتوبر 2003، والقرار رقم 31/1ـ د الصادر عن المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية في دورته الحادية والثلاثين الذي انعقد في اسطنبول بالجمهورية التركية في يونيو 2004، حول أنشطة الدعوة، وتنشيط لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك، وإدراكاً لحاجة المؤسسات والجمعيات والهيئات الإسلامية الشعبية والرسمية العاملة في مجال الدعوة إلى تنسيق أنشطتها بغية تجنب الازدواجية في العمل وتداخل الجهود وتبديدها، وذلك في إطار عمل إسلامي مشترك أكثر فعالية.

وبناء على الدعوة الموجهة من البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلى، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، عقدت الدورة الرابعة عشرة للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي دورتها الرابعة عشرة في مدينة طرابلس، بالجماهيرية العربية الليبية وذلك في الفترة من 27 إلى 29 من ربيع الآخر 1426هـ الموافق 4 ـ 6 يونيو 2005، باستضافة كريمة من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

1ـ شارك في أعمال هذه الدورة الهيئات والمنظمات الإسلامية الأعضاء في لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك (مرفق قائمة بأسمائها).

2 ـ وقد حضر افتتاح أعمال الدورة أعضاء من السلك الدبلوماسي الإسلامي المعتمد في طرابلس، وممثلو بعض المنظمات الدولية، وجمع من المثقفين والمهتمين بالعمل الإسلامي، ورؤساء الجامعات الليبية والمراكز البحثية،

للظروف الصعبة في مخيمات اللاجئين التي تديرها الوكالات الأجنبية التنصيرية، فإن واجب المنظمات الإسلامية النسائية أن تنسق جهودها وتتعاون لتقديم يد المساعدة والعون في المجالات المعيشية والصحية والثقافية داخل تلك المخيمات.

و ـ مع أن حقوق المرأة والطفل واضحة في الشريعة الإسلامية، وهي من مفاخر تلك الشريعة الغراء، إلا أن النظرة القبلية والتقاليد كثيراً ما تفرض نفسها في بعض البلاد للحد من تلك الحقوق، وواجب المنظمات الإسلامية النسائية، أن تنتبه للحقوق الشرعية وتدعو إليها بالحكمة والموعظة الحسنة.

10 ـ حقوق الإنسان: (اللجنة الإسلامية العالمية لحقوق الإنسان ـ الكويت ـ والقاهرة)

يعتبر موضوع حقوق الإنسان من أبرز العناصر التي تستغل في الحملة المعادية للإسلام، والزعم الباطل بأن تجاهل حقوق الإنسان هو جزء من عقيدة المسلمين وتاريخهم، ولذلك أصبح لزاماً العمل على التصدي لهذه الحملة بأساليب علمية مدروسة وفق المحاور التالية:

أ ـ رصد هذه الناحية في الحملة المعادية والرد عليها، وتوضيح أن الإسلام يشمل مبادئ متكاملة تضمن كرامة الإنسان وحريته على أساس عبادة الله الواحد الذى كرَّم الإنسان واصطفاه.

ب ـ عقد المؤتمرات والندوات العلمية حول هذا الموضوع ونشر دراساتها وأبحاثها باللغات المختلفة.

ج ـ المشاركة في المؤتمرات الدولية بعلماء وخبراء مختصين، وتقديم أبحاث ودراسات توضح مدى إسهام المسلمين قديما وحديثا في تأكيد كرامة الإنسان.

د. تنظيم الاتصال بالدول الإسلامية وكسب ثقتها حتى تتعامل مع أجهزة المنظمات الإسلامية المختصة بهذا الموضوع، والتأكيد على أن المنظمات لا تتدخل في الشؤون الداخلية، ولا تعتمد أسلوب التشويه وإشاعة السوء ولكن تعتمد الأسلوب الإسلامي في النصح المباشر وغير المعلن، لأن شعار الإسلام هو:

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود: الآية 88]

هـ ـ دراسة القضايا العاجلة حيث تتعرض الشعوب الإسلامية والأفراد للظلم والاضطهاد من بعض القوى الأجنبية وتكليف محامين متخصصين للدفاع عنهم وفق السياسة الموضوعة في البعد عن التشهير والاختلاق، وإشاعة الكراهية والحقد بين الناس.

ضرورة لفت انتباه المنظمات الإسلامية عموماً لأهمية قضية المرأة المسلمة، والضرر الذي يلحق بصورة الإسلام من الاستمرار في تجاهلها، والدعوة إلى إنشاء أقسام نسائية في كل المنظمات الإسلامية، ووضع ميزانية لها

11 ـ حوار الحضارات: (المنتدى الإسلامي العالمي للحوار ـ جدة ـ المملكة العربية السعودية)

من أبرز مظاهر التعامل الدولي الراهن الميل إلى الحوار في مجالات مختلفة ومنها الحوار بين أهل الأديان والحضارات المختلفة، ولهذه الظاهرة أسباب إيجابية منها الرغبة في التفاهم، وتفادى الحروب، والبحث عن قواسم مشتركة، إلا أن فيها إمكانات واسعة للاستغلال السلبي، ومحاولة تأثير كل فريق في الآخر في النواحي السياسية والاقتصادية والفكرية، ومهما يكن من أمر فإن من المستحيل إيقاف هذه الظاهرة أو منعها. ولا بد من التفكير في أسلوب للتحكم فيها، وإحاطتها بالشروط الفقهية، والضمانات العملية لتحقيق المصلحة الإسلامية، وفق هذه المرتكزات:

أ ـ مع أن أسس الإسلام الدينية ومبادئه الأخلاقية متينة راسخة بحيث يمكن عرضها باطمئنان، إلا أننا نرى تحاشي البحث في الأمور العقائدية منعاً للحرج وإثارة المشاعر إلا حين يقع تهجم على

الإسلام أو مساس بمبادئه فإن الرد الحكيم والعلمي يصبح واجباً ولا بد من الاستعداد له.

ب ـ يجب أن يتركز الحوار على تحديد النظرة إلى الأمراض الصحية والخلقية التي تهدد المجتمع المعاصر، ورسم الخطط المشتركة لمواجهتها، مثل الإلحاد، وزعزعة الأسرة، والكحول، والإدمان، والشذوذ، وغيرها، مع الأخذ بعين الاعتبار أن العالم الإسلامي هو الطرف المتلقي، وأن أكثر هذه الأوبئة نبتت في الغرب، ولذلك يصبح من الحكمة التعاون مع المفكرين ورجال الدين في الغرب الذين تسوؤهم هذه العلل.

ج ـ إن مشكلة الأقليات الدينية والعرقية أصبحت سبباً لمنازعات وحروب كثيرة، تؤثر ـ سلباً ـ في الجاليات والجماعات الإسلامية، ولما كانت الأقليات في ديار المسلمين تتمتع بضمانات وحقوق كفلتها دساتير الدول المختلفة، فمن المفيد توعية الأقليات الإسلامية بحقوقها الدستورية وإحاطتها بجو من الألفة والتسامح حتى تستطيع أن تستقر وتصبح جزءا من المناخ الوطني.

د ـ إن هناك قضايا إسلامية عادلة كفلسطين، وكوسوفا، والبوسنة، والشيشان، وغيرها، يقع الاعتداء فيها متلبسا بدوافع دينية، ومن المفيد أن ننتهز فرص الحوار لكسب الأنصار والأصدقاء إلى جوار حق الشعوب الإسلامية المشروع في الاستقلال والعيش بكرامة داخل أوطانها.

12 ـ التنسيق في المؤتمرات الدولية: (الأمانة العامة للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ـ القاهرة)

بناءً على تجارب سابقة قام بها المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة في مجال التنسيق بين المنظمات الإسلامية الأعضاء في المجلس في المؤتمرات الدولية وخصوصاً في بكين (عام 1995) وفي اسطنبول (عام 1996) وفي جنوب افريقيا عام........ فقد

وأساتذة وطلاب كلية الدعوة الإسلامية.

3 ـ وقد افتتحت أعمال الدورة بتلاوة مباركة من آي الذكر الحكيم.

4 ـ ألقى بعدها معالي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي، كلمة حيّا فيها قائد الثورة الليبية العقيد معمر القذافي على ما يبذله من جهود من أجل نصرة الإسلام والمسلمين في مختلف أصقاع المعمورة، مؤكداً على عمق التعاون القائم بين منظمة المؤتمر الإسلامي وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، مستعرضاً الخطط والبرامج التي وضعتها المنظمة لمواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في الألفية الثالثة، داعياً إلى تكاتف الجهود لمواجهتها (مرفق الكلمة).

5 ـ وقد اعتبر المشاركون في الدورة كلمة الافتتاح التي ألقاها معالي الأمين العام البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي وثيقة رسمية.

6 ـ وتحدث الشيخ محمد علي تسخيري، الأمين العام لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية، رئيس الدورة الثانية عشرة للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك، مشيراً إلى التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في كافة المجالات، مؤكداً على أهمية وضع السبل الكفيلة بمواجهتها.

7 ـ وباسم أعضاء اللجنة تحدث معالي الأستاذ محمد رجا ظفر الحق، الأمين العام لمؤتمر العالم الإسلامي بكراتشي معرباً عن شكره وتقديره لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وأمينها العام على استضافتها هذه الدورة، مبرزاً جهودها في خدمة قضايا الدعوة في مختلف أنحاء العالم، كما عبّر عن شكره لمعالي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي على دعوته لعقد هذا الاجتماع الذي نعول عليه في أن يكون بمثابة نقلة نوعية في عمل هذه اللجنة واللجان المنبثقة عنها.

أصبح بالإمكان وضع خطة للتنسيق وخصوصاً في المؤتمرات الدولية. وبناءً على ذلك لا بد من ملاحظة الآتي:

أولاً - أهمية هذه المؤتمرات:

لا يخفى أهمية هذه المؤتمرات الدولية وفائدتها الكبرى للدعوة الإسلامية حيث تلتقي أعداد ضخمة من المسؤولين الرسميين ورؤساء المنظمات غير الحكومية من شتى بقاع الأرض، علماً بأن التنظيم الجيد والتعاون بين المنظمات الإسلامية يمنح المسلمين فرصا واسعة، لتوضيح حقائق الإسلام، وتكوين نواة قوية يجتمع حولها أهل الإيمان والفضيلة والخير من جميع الأديان حتى يصبحوا تياراً قوياً مؤثراً كما حدث في مؤتمر بكين للمرأة، ومؤتمر اسطنبول للإسكان. ومؤتمر كوبنهاجن ومؤتمر التنمية المستدامة في جنوب أفريقيا.

وتبدو أهمية هذه اللقاءات في المرحلة الراهنة حيث يتعرّض الإسلام والمسلمون لحملة ظالمة تستهدف العقيدة والأوطان، وتترتب عليها قرارات سياسية وعسكرية ضد الدول الإسلامية، ناهيك عن الحملة الباغية ضد المنظمات الإسلامية الدعوية والخيرية، بهدف تحريض الحكومات الإسلامية ضدها والتضييق على مواردها ونشاطها الإسلامي خدمة للتبشير والصهيونية وإبقاء العالم الإسلامي ساحة فارغة للاستغلال الديني والسياسي، وكل ذلك وغيره يوضح أهمية اللقاءات الدولية للمنظمات الإسلامية لتوضيح موقف الإسلام البناء من المشكلات العالمية وهدفه في تحقيق الأخوّة العالمية والتعاون والسلام القائم على العدل، وشرح القضايا الإسلامية العادلة وعلى رأسها قضية فلسطين. كما تبدو أهمية التعاون والتنسيق في نطاق منظمة المؤتمر الإسلامي.

ثانياً - خطوات لا بد منها:

أ - الاتفاق على ضرورة الإسراع في التسجيل بالقسم الاقتصادي والاجتماعي في الأمم المتحدة حتى تكتسب المنظمة الإسلامية صفة العضوية وبالتالي تصبح مؤهلة للمشاركة في هذه المؤتمرات الدولية.

ب - لا بد من التعاون والمشاركة في عقد دورات لتدريب الأعضاء على المشاركة في المؤتمرات الدولية ومعرفة أساليبها في العمل.

ج - انتقاء أعضاء ثابتين للمشاركة المستمرة بهدف اكتساب خبرة في هذه المؤتمرات والتعرّف على قياداتها وبرامجها، مع توفّر مؤهلات معينة في الأفراد المرشحين من أهمها إتقان لغة أجنبية كالإنجليزية أو الفرنسية.

من أبرز مظاهر التعامل الدولي الراهن الميل إلى الحوار في مجالات مختلفة ومنها الحوار بين أهل الأديان والحضارات المختلفة، ولهذه الظاهرة أسباب إيجابية منها الرغبة في التفاهم، وتفادى الحروب، والبحث عن قواسم مشتركة.

د - استنفار المنظمات المتخصصة المعنية كلجنة المرأة والطفل ولجنة حقوق الإنسان، ولجنة الحوار، ولجنة التعليم والدعوة حتى يكون لها مشاركة في المؤتمرات من خلال المنظمات المسجلة.

هـ - ابتكار المواضيع والشعارات العامة الهادئة التي تسمح بتحقيق تعاون للخير العام مع المؤسسات الإنسانية غير الإسلامية في تلك المؤتمرات.

و - إجراءات إدارية للمشاركة في المؤتمرات الدولية:

على قياس ما تم في المؤتمرات الدولية السابقة عن طريق المجلس الإسلامي العالمي لا بد من هذه الخطوات:

1 - تخطر الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي بعزم المنظمة على المشاركة في المؤتمر المذكور مع اسم من يمثلها من الموظفين المدربين على المشاركة في المؤتمرات.

2 - ترسل إلى الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي نسخة من وثائق التسجيل في المؤتمر المذكور من قبل المنظمة حتى تتأكد الأمانة العامة من عدد المنظمات المشاركة.

3 ـ تبلغ المنظمة العضو الأمانة العامة في وقت مبكر عن أماكن وجود وفد المنظمة كعنوان الفندق ورقم المكتب أو المسكن إن وجد.

4 ـ تحضر المنظمات الأعضاء وثائق خاصة بموضوع المؤتمر باللغة العربية والإنجليزية على الأقل، مع الحرص على توضيح موقف الإسلام من القضية موضوع المؤتمر. كذلك لا بد أن تتعرض الأوراق الإسلامية للقضايا العامة موضوع المؤتمر.

5 ـ تشارك المنظمة العضو في الاجتماعات التحضيرية التي تعقدها الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي لوضع خطة التنسيق في المؤتمر المذكور وكذلك لاستعراض وثائق المؤتمر التي توضع من قبل الأمم المتحدة، ومثال ذلك ما قامت به اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل بين يدي مؤتمر قمة بكين.

6 ـ ترصد كل منظمة مشاركة مبلغاً من المال لتضعه تحت تصرّف الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي للإنفاق على الأمور الإدارية.

7 ـ حيث إن اتجاهات المؤتمر تتحدد في الاجتماعات التحضيرية للمؤتمر التي تجري قبل مدة طويلة فمن المفيد أن تشارك المنظمات الإسلامية في الاجتماعات التحضيرية.

13 ـ لجنة فلسطين والقدس: (المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس ـ عمان ـ الأردن)

تعتبر قضية فلسطين ورمزها الأكبر القدس ومسجدها الأقصى المبارك قضية المسلمين الأولى وهمهم الرئيسي، وهي ـ بحق ـ منطقة الصراع الحقيقي بين الحق والباطل، وبين الإسلام وعناصر المؤامرة العالمية على العقيدة والأوطان، ويحيط بها من الجانب العالمي والقومي تيارات عاملة كثيرة تستحق العناية والتنسيق حتى لا تتعارض أو تقع الازدواجية التي تهدر الأموال والطاقات:

أ ـ إصدار الكتب، والنشرات، والمطبوعات باللغات العربية والأجنبية لتوضيح الحقوق العربية والإسلامية

8 ـ ثم تحدث معالي الدكتور محمد أحمد الشريف،أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية فنقل إلى المشاركين تحيات وسلام الأخ العقيد معمر القذافي الذي يجسد منهج الدعوة في رحلاته ولقاءاته مع المسلمين وغير المسلمين، مشيراً إلى أهمية هذا الاجتماع الذي يأتي في ظروف بالغة الحساسية بالنسبة للأمة الإسلامية. واستعرض في كلمته مسيرة لجنة التنسيق منذ تأسيسها، موضحاً دعم الجمعية لتلك المسيرة التي يجب أن تستمر وتتعزز ببرامج تنفذ على أرض الواقع، وما استضافة الجمعية لاجتماعين من اجتماعاتها إلا دليل على الاهتمام بهذه اللجنة ودعم برامجها وتفعيل اللجان المنبثقة عنها، مؤكداً على ثقته في قيادة البروفسور أوغلى من أجل تعزيز أواصر العمل الإسلامي المشترك باعتباره أول أمين عام للمنظمة يأتي من خلفية ثقافية بعد مسيرة عمل فكرية ثقافية استمرت ما يزيد عن ربع قرن.

9 ـ وقد اعتمد أعضاء اللجنة جدول الأعمال التالي:

- استعراض تقرير الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي حول أنشطة الدعوة ولجنة التنسيق.
- التنسيق بين المؤسسات الإسلامية ـ مجالاته، ضروراته، آلياته.
- وضع خطة عمل للتنسيق بين المراكز الإسلامية في العالم لرصد ما يكتب عن الإسلام سلباً وإيجاباً.
- النظام العالمي الجديد ودور الإعلام بأنواعه في عرض صورة الإسلام.
- من أجل دور أكثر فاعلية للمنظمات الإسلامية غير الحكومية في خطط عمل منظمة المؤتمر الإسلامي.
- الحوار مع الآخر ـ نحو رؤية إسلامية موحدة.
- الإسلاموفوبيا ـ المظاهر والأبعاد وآليات المواجهة.

في فلسطين ودحض المزاعم الصهيونية.

ب ـ إقامة المعارض التي تشتمل على أفلام، ومجسدات، وصور، تؤكد الحقوق العربية والفلسطينية في فلسطين، ونقل تلك المعارض لعرضها في الدول الإسلامية والأجنبية.

ج ـ إقامة موقع (إنترنت) خاص بفلسطين، ينقل المقالات، والأخبار، والحوادث، من وجهة النظر القومية الفلسطينية.

د ـ تسجيل أراضي الأوقاف وصيانتها، والتعاون في إقامة مشاريع تجارية أو سكنية عليها للمحافظة عليها، وتفادي مصادرتها من قبل العدو بحجة الفراغ والتقادم.

هـ ـ مساعدة الأسر المحتاجة من جراء حرب الحصار التي يشنها العدو الصهيوني ضد أبناء الشعب الفلسطيني، سواء بالعون المالي أو العيني كالأدوات الصحية وغيرها.

و ـ العمل على بناء ما هدمه العدوان الصهيوني من مساكنهم، ومزارعهم، ومدارسهم، ومؤسساتهم.

منهج التنسيق بين المنظمات الإسلامية من خلال اللجان المتخصصة أثبت نجاحاً كبيراً، لأن اللجان تقوم على أساس التخصص في كل مجال، وكذلك لتضييق دائرة البحث والدراسة بين عدد محدود من العاملين، في كل حقل من هذه الحقول، وتوجيه القدرات المالية والإدارية في مجالات محددة .

ز ـ تبني القضية الفلسطينية بكل أبعادها في المؤتمرات الدولية، ووضع الخطط للتنسيق بين الوفود العربية في تلك المؤتمرات والندوات.

ح ـ تبني قضايا اللاجئين الفلسطينيين في المهاجر العربية، والأجنبية، ومساعدتهم في مجال العيش والتعليم، والإقامة.

14 ـ لجنة أفريقيا: (منظمة الدعوة الإسلامية ـ السودان)

تحتل افريقيا مكانة خاصة في السياسة العالمية، وتحيط بها مؤتمرات كثيرة، لتغيير شخصيتها الوطنية، وعزلها عن المناخ العربي ـ الإسلامي، وتجد الصهيونية والتبشير الاستعماري مجالهما الواسع للتآمر على الشعوب الإسلامية فيها، ومن هنا تبدو أهمية وضع خطط خاصة لأعمال الدعوة والإغاثة في أفريقيا وفق هذه المرتكزات:

أ ـ تشجيع المنظمات الإسلامية على رصد مبالغ كافية في ميزانياتها لدعم الدعاة المسلمين المؤهلين وتكثيف جهودهم في الأقطار الأفريقية.

ب ـ حصر أعداد الدعاة المؤهلين في أفريقيا، والتأكد من التوزيع العادل في البلدان الأفريقية ومنع الازدواجية وسوء التوزيع.

ج ـ عمل دورات تدريبية للأئمة والوعاظ في أفريقيا، لإمدادهم بالمعلومات الصحيحة ومساعدتهم على التعرف على ظروف الأقطار والبيئات المختلفة.

د ـ رصد النشاط التبشيري والصهيوني، ووضع الخطط لمقاومة تأثيرهما الضار في الشعوب الأفريقية.

هـ ـ عقد الصلات الودية مع الحكومات الوطنية في أفريقيا، وتوعيتها بأصالة الأخوة الإسلامية ـ الأفريقية منذ فجر التاريخ.

و ـ وضع خطة منسقة للبعثات التعليمية من البلدان الإسلامية لأفريقيا، وإشراك الحكومات العربية والإسلامية في وضع هذه الخطة.

ز ـ الإسهام النشيط في أعمال الإغاثة الإنسانية والمشاركة في اجتماعات اللجان المعنية بالإغاثة لتنسيق الجهود في هذا الميدان.

15 ـ لجنة الفكر والتأصيل: (وزارة الأوقاف السودانية)

بالرغم من حداثة تشكيل هذه اللجنة، وعدم اكتمال الإجراءات الإدارية لإعلانها، فإن الأمل يبقى قائماً في أن تساعد على استكمال التوجيه الفكري الأصيل لعملية التنسيق بين المنظمات الإسلامية المتعاونة، وفق هذه الخطوات:

أ ـ معالجة التناقضات الفكرية التي توجد في المنظمات

الإسلامية، وفق منهج الوسطية والاعتدال الذي يلتزمه منهج التنسيق بذلك بإبراز الفكر الإسلامي الأصيل من مصادرة الشرعية الموثوقة.

ب ـ عقد الندوات المتخصصة بين العلماء الشرعيين ونظرائهم من العلماء في التخصصات الإنسانية، والقانونية، والطبية، لإبراز المنهج الإسلامي الذي يحيط بكل هذه المجالات.

ج ـ إصدار النشرات والكتب التي تحمل المنهج الإسلامي الصحيح، ونشرها بين المنظمات الإسلامية بهدف تشجيع التيار الفكري الموحد.

د ـ التصدي للقضايا الجديدة الطارئة أمام الشريعة الإسلامية وإيجاد الحلول الإسلامية لها عن طريق العلماء والأكفاء الملتزمين من كل التخصصات.

ويؤكد الباحث في الختام أن منهج التنسيق بين المنظمات الإسلامية من خلال هذه اللجان المتخصصة قد أثبت نجاحاً كبيراً، لأن اللجان تقوم على أساس التخصص في كل مجال، وكذلك لتضييق دائرة البحث والدراسة بين عدد محدود من العاملين، في كل حقل من هذه الحقول، وتوجيه القدرات المالية والإدارية في مجالات محددة. ولا ندعي أن هذا المنهج هو أحسن المناهج، ولكن نوصي باعتماده حتى يمكن العثور على ما هو أفضل منه.

مضيفًا: لقد حرصت في كل اجتماعات هيئة رئاسة المجلس الإسلامي العالمي وهيئته التأسيسية أن أوصي إخواني بضرورة تقسيم ميزانياتهم وقدراتهم المالية على هذه الأنشطة والاهتمام بدعم اللجان والمشاركة في أعمالها بهدف إقامة الكيان الإسلامي الموحد القادر على مواجهة التحديات، وأستطيع القول إن الاستجابة لهذه الدعوة قد تطورت مع السنين تطوراً كبيراً، لكنها لم تصل ـ بعد ـ إلى مرحلة الكمال التي نتمناها بسبب عوائق عملية وسياسية معينة، ولكن أعتقد أن عنصر الوقت والصبر والمثابرة كل ذلك كفيل بالتغلب على ما بقي من الصعوبات.

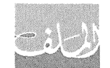
❖ المسلمون والغرب بين الخوف على الهوية والخوف منها.
❖ الخطاب الإسلامي بين الأصالة والتطوير.
❖ العالم الإسلامي، تأملات وهواجس مستقبلية.
❖ التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين وسبل مواجهتها.
❖ وضع معايير لقبول أعضاء جدد في لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة.

10 ـ ووفقاً لذلك فقد استعرضت اللجنة تقرير الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي حول أنشطة الدعوة وتفعيل لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك والذي اشتمل على نبذة تاريخية لتأسيس اللجنة ودوراتها المختلفة ونتائج اللجان المنبثقة عنها، كما تعرض التقرير لإستراتيجية العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة وآليات تطبيقها. وقد عبّر المشاركون عن ارتياحهم لما ورد في التقرير وتمّ اعتماده بدون ملاحظات.

11 ـ وقد غطت أوراق العمل والمداخلات التي قدمت على مدى ثلاثة أيام بقية نقاط جدول الأعمال من خلال محاور رئيسية حول:

❖ التنسيق بين المؤسسات الإسلامية، مجالاته ـ ضروراته ـ آلياته.
❖ الحوار مع الآخر نحو رؤية إسلامية موحدة.
❖ الإسلاموفوبيا المظاهر ـ الأبعاد ـ آليات التعامل.
❖ الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة.
❖ التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين.

12 ـ وقد اتسمت مناقشات اللجنة بالاستفاضة في إدراك واعٍ لأبعاد التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، والتأكيد على ضرورة أن ترتقي أساليب العمل الإسلامي إلى مستوى تلك التحديات في جوانبها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.





المسلمون والغرب
بين الخوف على الهوية والخوف منها

د. محمد بشاري *

«الإسلام» و«الغرب» و«الدين» و«الهوية» و«التسامح» و«العلمانية» و«الصدام» و«الإصلاح» و«السلام» و«الحداثة» و«الديمقراطية».. إلخ، مفاهيم ضمن أخرى، أصبحت محور أغلب الندوات واللقاءات التي نظمت خلال السنين الأخيرة، سواء داخل أو خارج العالم الإسلامي.

وقد يكون مفهوم الهوية من أكثر المفاهيم إثارة للجدل والنقاش خلال هذه الفترة، ليس عند العرب والمسلمين وحسب، ولكن حتى عند الغربيين، ويكفي أن نسترجع ردود فعل النخب الفرنسية مؤخراً، وذلك على هامش اندلاع معاركة الحجاب، حتى يتبين لنا ثقل هذا المفهوم في هذه المرحلة، بل إن مفهوم الهوية كان المفهوم الأكثر إثارة في المعركة بعد مصطلحي الدين والعلمانية، وقد تم هذا في الغرب، ومن هنا يمكن أن نستخرج دلالات لا حصر لها من جراء تفكيك المقصود بـ«المسلمين والغرب: بين الخوف على الهوية والخوف منها».

وقبل التوقف التفصيلي مع بعض هذه الدلالات والأسئلة المعلقة والمرتبطة بعنوان هذه المداخلة، يبقى ضروريا للغاية، حتى نكون على بينة من أمرنا، الاتفاق في حدود أدنى على الأقل، على أرضية مفاهيمية خاصة بمفهومي «الهوية» و«الغرب».

تحديد مفهوم «الهوية»

«الحفاظ على الهوية» و«التشبث بالهوية» و«الإشفاق على الهوية» و«محاولات محو الهوية».. شعارات وعناوين لا يخلو منها أي خطاب رسمي أو إيديولوجي في الساحة العربية والإسلامية، وتبرز هذه الشعارات المشروعة تارة أو المزيفة تارة أخرى، في حقبة الأزمات التي تهدد هذه المجتمعات أو تلك الإيديولوجيات.

وبالنسبة للعالم الإسلامي على الخصوص، وإذا استحضرنا فقط حجم الضغوط والإكراهات والمتغيرات التي برزت مباشرة بعض تاريخ 11 أيلول (سبتمبر) 2001، فإنه من الطبيعي للغاية أن يكون مفهوم الهوية أحد المفاهيم الأكثر تداولا لدى صناع القرار السياسي في الدول الإسلامية - إضافة بطبيعة الحال إلى المفاهيم الأخرى التي افتتح بها هذه

* الأمين العام للمؤتمر الإسلامي الأوروبي ورئيس الفيدرالية العامة لمسلمي فرنسا ونائب رئيس المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية.

المداخلة. ويكفي أن نذكر الحضور أنه حتى تحرير هذه الكلمات، سقطت أفغانستان والعراق واغتيل رفيق الحريري في لبنان، وتوجد مجموعة دول عربية وإسلامية مستهدفة بشكل مباشر أو غير مباشر من التهديدات الأمريكية، حتى لا نقول التهديدات الغربية.

وغني عن البيان أن إكراهات «من العولمة تقف بشكل رئيسي وراء ترديد أهل الشرق لمفهوم الهوية، خوفاً عليها من مؤامرات الغرب لطمسها، حتى يتسيد علينا بهويته، وتجسد في العلمانية الخطر الأكبر على منظومة الأفكار» [1].

من التعاريف شبه المتفق عليها حول مفهوم الهوية، يمكننا إدراج التعريف التالي: «هي مجموعة من الملامح الثقافية الأساسية والثابتة، تميز الجماعة عمن عداها، بحيث إن تجاهل واحد أو أكثر منها يؤدي إلى تصدع كيان الجماعة الأدبي».

وهناك تعريف آخر أورده أحد الدعاة [2]، ومفاده أن الهوية هي «اتجاه شخصية الأمة المتميزة وقوامها الكيان المعنوي والمادي المتميز للفرد والجماعة، إن على مستوى المذهبية والإيديولوجية أو على مستوى الممارسة والسلوك، عن سواه».

نأتي لمقاربة فلسفية لمفهوم الهوية، صدرت عن الباحث التونسي فتحي التريكي، الذي يرى أن الجدوى من إعادة صياغة سؤال «من نحن؟» تتمثل في تفادي السقوط في الفلكلورية التي قد تؤدي إما إلى التمجيد والنرجسية الفارغة، أو إلى التعصب والعنصرية. وفي كلتا الحالتين ستكون النتيجة هي التقهقر، والتطرف فكراً وثقافة واجتماعاً. فالهوية التي نحن بحاجة إليها بالنسبة إلى الدكتور فتحي التريكي، لا بد من أن تتعالى عن هذه المنظومة الثقافية الضيقة ولا بد أن يأخذ تصورها صبغة الانفتاح والحركة كي لا تؤدي في واقع الأمر إلى استبعاد الآخر. لذلك فإن استنطاق مفهوم الهوية أمر ضروري وأيضا تحديد مجالاته وتمظهراته ونجاعته في راهن الفكر العالمي الذي يعتقد في العولمة والكونية. [3]

13 ـ وتأسيساً على مداولات اللجنة، وما عكسته الأبحاث والمداخلات والمناقشات تم استخلاص التوصيات التالية:

أولاً ـ التنسيق والحوار:

1 ـ التأكيد على الاستمرار في جهود التنسيق بين الهيئات والمنظمات الإسلامية العاملة في حقل الدعوة تحت مظلة منظمة المؤتمر الإسلامي، وتعزيز التواصل بينها والعمل على توحيد مواقفها وخاصة في قضايا الحوار الثقافي والديني، وتبادل المعلومات الضرورية حيال ذلك بما يبلور موقفاً إسلامياً واحداً حيال القضايا العالمية.

2 ـ تشجيع ودعم اللقاءات الحوارية في ظل احترام متبادل للخصوصيات العقدية وحرص كل الأطراف على أن تسود القيم الدينية والأخلاقية حياة مجتمعاتنا البشرية، وبذل مزيد من الجهود لتجاوز الأشكال النظرية للحوار إلى برامج عمل مشتركة تشيع ثقافة الحوار بين الأجيال الناشئة نظرياً وعملياً.

3 ـ تعزيز منهج الخطاب الإسلامي في وسطيته واعتداله وانفتاحه، ومراجعة مفرداته بما يتفق وعالمية الدعوة إلى الإسلام الذي يدعو إلى الخير والعدالة والسلام والتعايش مع الآخرين.

4 ـ الاهتمام بالمسلمين في دول المهجر، وتعزيز التواصل معهم واستثمار جهود الكفاءات من بينهم، وتوظيف علاقاتهم في المجتمعات التي يعيشون فيها من أجل تصحيح صورة الإسلام السمحة، وإبراز إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية.

ثانياً ـ ظاهرة الكراهية والتخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا):

5 ـ التأكيد على أن ظاهرة الإسلاموفوبيا

كما يحدد المفكر نمطين لفهم قضية الهوية. الأول فهم ذاتي أفرز موقفين متكاملين إزاءها: موقف صادر عن البلدان التي طورت ثقافتها وأعطتها صبغة عالمية وكونية ويتمظهر هذا الموقف في إرادة الهيمنة والاستغلال والتمركز اقتصاداً وسياسة وثقافة، وموقف صادر عن الثقافات الأخرى العرقية التي كثيراً ما تأخذ صبغة الدفاع عن الذات فتنظم نفسها للصمود. ولعل صامويل هنتنغتون في كتابه حول «صدام الحضارات» يعني بتأكيده على هذه الصراعات أن الهويات لا يمكن أن تأخذ غير هذه الصبغة التوترية وأن محرك التاريخ يكمن في صراع الهويات.

أما النمط الثاني لفهم قضية الهوية، فيتعلق بالفهم الموضوعي الذي يحاول إقرار تناظر وتناسق بين الهوية والعقل في صبغته المنفتحة والكونية في الآن نفسه، وهو فهم يأخذ بعين الاعتبار ثوابت الوجود ومتغيراته ويفتح الوجود على الحياة بتغيراتها ومفاجآتها ونضالها وتواترها، فالذات في هذا الفهم مؤسسة للعقل وللوعي المتحرك والمتواصل أي إنها تتحدد بتاريخيتها. وتاريخيتها هي الفعل في الوجود والانتزاع عن قيوده. وهذا التفسير يبرر الأدوار التي قام بها مفهوم الهوية، حيث إنه لعب دوراً في إيقاظ وعي الشعوب، وتماسكها بما يدفعها لتحقيق ذاتها، كما أنه، على صعيد آخر، أدى إلى تناحرها وتدمير متبادل لإنجازاتها، عبر محاولة كل شعب تسييد هويته.

وأخيراً، وجب التذكير بأطروحات علماء الأنثروبولوجيا التي تفرق بين الهوية القانونية والهوية السياسية والهوية الثقافية، وهذا ما أفرز قوانين الميز العنصري مثلاً، لأنه عندما يفرض القانون تمييزا ثقافياً فإن هذا التمييز يصبح شيئاً قائماً. وكقاعدة عامة، فإن الهويات الثقافية مجمع عليها بالاتفاق والتراضي طوعا لا كرها ويمكن أن تكون متعددة. لكن عندما يصادق القانون على هذه الهويات، تتغير طبيعتها وتصبح قانونية وسياسية.

ونستحضر هنا تقييماً جاداً لأحد الباحثين الأفارقة، ومفاده أن الكتاب الذين يشتغلون على حقوق الأقليات يميلون غالباً إلى أن يسلموا بوجود الأغلبية والأقلية كمعطى. ويفترضون أن الهوية الثقافية يجب أن نجد لها تعبيراً سياسياً. وإذن فإن الأقليات الثقافية (أي الأقليات الجماعية الإثنية) ينبغي أن تصبح لا محالة أقليات سياسية. ويطالب محمود ممدني، المعني بهذه الرؤية الجادة، أنه بدلا من أن نعتبر الهويات الجماعية كمعطيات، فإنه علينا الاجتهاد في أن ننظر إلى عملية تكوين الجماعات من الوجهة التاريخية [4].

غني عن البيان أن إكراهات زمن العولمة تقف بشكل رئيسي وراء ترديد أهل الشرق مفهوم الهوية، خوفاً عليها من مؤامرات الغرب لطمسها، حتى يتسيد علينا بهويته، وتجسد في العلمانية الخطر الأكبر على منظومة الأفكار.

نختتم هذه الاستشهادات حول مفهوم الهوية بالتأكيد على مسلمة متفق عليها لدى الجميع، ومفادها أن قيام أي مجتمع يبقى مرهونا بوجود أساس عقدي أو مذهبي، وطبيعي أن تختلف ماهية هذا الأساس من مجتمع إلى آخر لاختلاف بنيته الفكرية ومضمونه التصوري مما يفرز منظومة للقيم والمبادئ والمثل والمعايير تحدد أنماط التفكير وألوان السلوك لدى أفراد المجتمع الواحد، وهو ما يمنحه، حسب أحد الباحثين، هويته الحضارية بما تمثله من منطق ومنظور وأسلوب ممارسة يتميز بها عما سواه من المجتمعات ويتفرد.

تحديد مفهوم الغرب

في دراسة مطولة منشورة عام 1992، طرح المفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما السؤال التالي: «هل ما زال لمقولة الغرب معنى في ظل الأوضاع الحالية؟» وكان جوابه أنه على الرغم من حقيقة وجود قيم ومصالح ومؤسسات مشتركة جامعة بين الفضاءات الداخلة في مفهوم الغرب، فإن الخلافات لم تفتأ تتعمق وتتزايد بين هذه الفضاءات إلى حد التباين الجوهري في

الرؤية والتوجه، مما سيكون له الأثر الحاسم في العلاقات الدولية. ويرى فوكوياما، أن رهان هذا التباين يتعلق بنمط التعامل مع القضايا الدولية، إذ ترى المجموعة الأوروبية أن الولايات المتحدة تميل إلى الانسحاب من التزاماتها إزاء العالم، وتتجه نحو نمط الأحادية والنزوع الإمبراطوري.

وبرأي العديد من المتتبعين، فقد كان من الخطأ دائماً وضع كل الدول والشعوب الغربية في سلة واحدة. لكن الصحيح أيضاً أن الولايات المتحدة الأمريكية، ومجموع الدول التي تحتل شمال وغرب القارة الأوروبية، كان من الممكن أن تعتبر كتلة واحدة يجمعها ميراث ثقافي وقيمي مشترك. وقد تعزز هذا المشترك خلال الحرب الباردة وما استدعته هذه الحرب الطويلة من وقوف هذه الدول معا ضد الخطر السوفياتي، والدفاع عن النظام الديمقراطي الليبرالي.

ولم ينظر بقية العالم فحسب إلى مجموع هذه الدول باعتبارها غرباً، ولكن هذه الدول قدمت نفسها للعالم وخطت سياساتها تجاه قضاياه الرئيسية كذلك. وحسب تقييم هام للباحث بشير موسى نافع[5]، فقد تبلور مفهوم الغرب ورؤية العالم له في حقبة صعود حركة التحرر الوطني في العالم الثالث وانفجار العديد من نقاط الصراع التي خلفها نظام الاستعمار المباشر، ونظرا إلى أن أغلب الدول الغربية كانت أصلا من الدول الإمبريالية - بل إن بعضها أقام في أجزاء من آسيا وأفريقيا أنظمة إمبريالية غاية في البشاعة واللاإنسانية - ولأن الاتحاد السوفيتي استنّ سياسة للتقرب من العالم الثالث، فقد سادت الوضع الدولي - وخاصة بين شعوب آسيا وإفريقيا - نزعة معادية للدول الغربية، تحولت شيئاً فشيئاً إلى نزعة معادية للغرب ولفكرة الغرب، لرفاهة الغرب بسبب سيطرته على مقدرات العالم وموروثه الإمبريالي.

ترى المؤرخة الفرنسية صوفي بسيس في كتابها «الغرب والآخرون: قصة تفوق»[6]، أن الأسطورة المؤسسة للغرب تشكلت على مرجعية يونانية - رومانية، مقصية بذلك كل المصادر الشرقية أو غير المسيحية مبنية على فرضيات لا أساس لها في الواقع العملي، وهي فرضيات أشاعتها بعض المنابر الإعلامية التي تعادي الإسلام أو تجهل حقيقته مما يستدعي مضاعفة الجهود على كل المستويات الإسلامية من أجل التعريف بالإسلام ديناً وثقافة وحضارة، وربط عرى التعاون الإعلامي والثقافي مع المنابر الإعلامية الغربية الصادقة والمحايدة من أجل توضيح صورة الإسلام.

6 - دعم جهود منظمة المؤتمر الإسلامي في تفعيل المرصد الذي أنشئ في إطارها لمتابعة وتحليل ما ينشر عن الإسلام سلباً وإيجاباً، وتنسيق الجهود التي تتصدى لظاهرة الإسلاموفوبيا وتوفير الإمكانات المادية والبشرية اللازمة لكي يضطلع ذلك المرصد بالدور الذي أنشئ من أجله.

7 - استثمار المنابر الإعلامية الغربية المحايدة، وربط صلات معها، واستثمار آلياتها الإعلامية في التعريف بالإسلام وحضارته، مع السعي لإقامة مؤتمرات وورش عمل مع هيئات ومنظمات غربية حول قضايا إسلامية بما يحقق اطلاع الشرائح المثقفة في المجتمعات الغربية على حقيقة الإسلام وحجم إسهاماته في حضارة العالم.

توصيات عامة:

8 - إيلاء قضايا المرأة المسلمة أهمية خاصة، وتأكيد حصولها على الحقوق التي منحتها إياها الشريعة الإسلامية الغراء، ومقاومة ضغط التقاليد والأعراف التي تخالف الشريعة الإسلامية، وتكبل مسيرة المرأة المسلمة ومشاركتها في كافة مناحي الحياة في ضوء المساواة التي يقرها ديننا الحنيف.

9 - إيلاء مزيد من الاهتمام لقضايا الشباب



الأخرى (المصرية،الهندية، الإسلامية..) للحضارة الأوروبية. وتبعا لهذه الأسطورة، فإن أوروبا وارثة الإغريق وروما هي حصرا مسيحية، ولا يوجد أي نفوذ آخر «ليلوثها». أما الباحث الموريتاني السيد ولد أباه[7]، فيرى أن مقولة «الغرب» تبدو بديهية لا لبس فيها، تستخدم على نطاق واسع، في الأوساط السياسية الأميركية والأوروبية منظور الفاعلية الإجرائية (توطيد التحالف الاستراتيجي القائم منذ الحرب العالمية الثانية). وفي الأوساط الثقافية لإعطاء مضمون قيمي موحد لنماذج تلتقي في عدة خصائص جامعة (القيم المتولدة عن الثورات الصناعية والتقنية والسياسية الحديثة).

كما تستخدم بالمعنى ذاته في الخطاب العربي - الإسلامي الرائج منظور الوعي بالهوية الخصوصية والقطيعة إزاء الآخر المهيمن (الامتداد الصليبي، الاستعماري المتجسد راهناً في أميركا من حيث هي نقطة اكتمال الغرب).

فما هي حدود «الغرب» المفهومية والتاريخية والإقليمية التي تميزه في خصوصيته وتفرده؟ هل تكون الجذور الإغريقية ـ اللاتينية التي شكلت مهاده الفكري الأصلي؟ أم هي الخلفية الدينية اليهودية ـ المسيحية، التي لا يخفى أن حقل انبثاقها هو التقليد التوحيدي الشرقي الذي شكل الإسلام خاتمته؟ أم أن «الغرب» هو مفهوم ينتمي إلى عصور الحداثة والتنوير التي كانت خاصة بالمجال الأوروبي وامتداده الأميركي، وقد أفضت إلى صياغة نموذج مجتمعي وحضاري متكامل قوامه القيم الفردية والإنسانية، والممارسة الديمقراطية التعددية، والليبرالية الاقتصادية، وتلك هي السمات المشتركة اليوم بين مكونات هذا الفضاء الغربي الأوسع؟

الأسئلة المعلقة في الإشكالية

بعد الاستشهاد بمجوعة من التعاريف الخاصة بمفهومي «الهوية» و«الغرب»، نتوقف مع مجموعة أخرى من الأسئلة نعتبرها هامة وضرورية، وتستحق وقفات تأمل، لأنها تضع جميع هذه التعاريف على المحك، أو لأنها تنزلنا من سماء التنظير والتأمل نحو أرض الواقع والعمل. وسوف نلخص مجمل هذه الأسئلة في النقاط التالية:

❖ عن أي هوية نتحدث بالضبط، وهل يمكننا التمترس بالهوية في عالم أصبح بفضل التطور التقني والفيض المعرفي العلمي متقارب الحدود متفتحا ومتداخل العناصر والهويات؟

❖ هل تنتمي روسيا بزخمها التاريخي الكثيف وتراثها المسيحي العريق إلى الفضاء الأوروبي، الذي غالبا ما تقصى منه لأسباب أيديولوجية واستراتيجية ظرفية؟

❖ وصف أحد الأوروبيين مشهداً يتجمع فيه عدد

من أفراد قبيلة عربية حول جهاز تلفزيون ياباني الصنع ويعرض فيلماً أمريكياً بالمحير نظراً، وكان السؤال الجوهري في الوصف كالتالي: «من يغزو من في هذا المشهد؟» هل تغزو التكنولوجيا اليابانية المتطورة هذه القبيلة العربية؟ هل تغزو الثقافة الأمريكية هذه القبيلة العربية؟ أم بالعكس؟ أي أن القبيلة العربية هي الغازية من حيث الواقع إذ تحصل على أحدث المنتجات التكنولوجية العالمية مقابل قليل من المال مقارنة بالجهد البشري العالمي في المجال التقني الذي أنتج جهاز التلفزيون المتطور إلى هذا الحد. [8]

❖ وأخيراً، ما المقصود بالضبط عندما نتحدث عن «الغرب»؟ وحتى عندما نتفق فيما بيننا على أن المراد هنا يجمع الغرب الديني (المسيحي واليهودي) والغرب السياسي والغرب الثقافي والغرب الاقتصادي والغرب البيئي.. إلخ، فأي غرب ضمن هؤلاء يعنينا أكثر في الخطاب؟ ولنأخذ حالة الغرب الثقافي مثلاً، حتى لا نتيه مع دهاليز الخوض في طبيعة الغرب الديني، ولنقتصر فقط على الحالة الفرنسية، حتى لا نتيه مرة أخرى مع الحالات الثقافية الأخرى (الأمريكية والبريطانية والألمانية.. إلخ)،

فعن أي غرب ثقافي فرنسي نتحدث؟ هناك ثقافة مؤسسة «لوموند دبلوماتيك» وهناك ثقافة تيار «الفلاسفة الجدد» الذي أنتج فلاسفة فرنسيين يتضامنون مع الشيشان مثل الفيلسوف الفرنسي أندريه غلوكسمان، وهناك أيضاً أسماء أخرى في نفس التيار تتضامن مع الكيان العبري ضد حقوق الفلسطينيين، مثل المفكر برنارد هنري ليفي.

❖ كيف يتسنى تصنيف اليابان التي نجحت في استنبات نفس مكونات وآليات النموذج التحديثي الأوروبي ـ الأمريكي من داخل أرضيتها الثقافية الاجتماعية المتميزة الخاصة.

حتمية التعارف ونهاية التصادم

أمام التحديات التي تتعلق بالمسلمين أنفسهم، أو تمس الأقليات الإسلامية، أو في تداعيات العلاقة بين المسلمين

المسلم لكونه يمثل مستقبل الأمة ويشكل امتداداً لحضارتها، وذلك بإفساح المجال لإسهاماته الفكرية وإتاحة الفرصة أمامه للإبداع، وربط الصلة بين المؤسسات الشبابية في العالم الإسلامي من خلال إقامة المخيمات وتنظيم الأنشطة الثقافية والرياضية المشتركة، وفتح مجالات واسعة للحوار بين التنظيمات والمؤسسات الشبابية في العالم الإسلامي.

10 ـ تعبر اللجنة عن قلقها من الضغوط التي تمارس على العمل الخيري الإسلامي والمؤسسات التعليمية تحت ذرائع مكافحة الإرهاب، وتحذر من الانعكاسات السلبية لذلك التوجه، وتناشد دوائر صنع القرار في الدول الإسلامية الاستمرار في تشجيع العمل الخيري، وحماية المؤسسات التعليمية من الضغوط الخارجية.

11 ـ اهتمام الدول والمنظمات الإسلامية بتشجيع الفنون التي تهذب الأذواق ولا تخالف قيم الفضيلة أو الدين في دول العالم الإسلامي وإقامة مهرجانات ومعارض، ووضع حوافز وجوائز تنمي روح الإبداع في مجالات الفنون المختلفة، ودعم الاشتراك في المسابقات الدولية.

12 ـ التصدي لظاهرة الفقر والجهل باعتبارهما من أخطر التحديات في المجتمعات الإسلامية، والتأكيد على القيم الإسلامية في التكافل الاجتماعي، وتشجيع الهيئات الخيرية التي تسعى إلى تنمية المجتمعات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم.

13 ـ دعم منظمة المؤتمر الإسلامي والمؤسسات المنبثقة عنها والمنتمية إليها، بما يمكنها من الاضطلاع بالمهام الملقاة على عاتقها على أفضل وجه في المرحلة الدقيقة التي يمر بها

والغرب، نحن مخيرون اليوم، بين اتجاهين اثنين:

❖ تبني خيار الصدام مع الغرب كما تروج لذلك العديد من التيارات الدينية والسياسية في العالم الإسلامي والعالم الغربي، ونتحدث عن الأصوات التي تختزل العالم في منطق أهل الإيمان وأهل الكفر ودار الإسلام ودار الحرب عند البعض منا، أو ممن يختزلون العالم في منطق الأبيض والأسود أو شعار «أنتم معنا أو مع الإرهاب».

❖ وإما تبني خيار مغاير، يأخذ بعين الاعتبار المتغيرات والاختلاف والتنوع والتعقيد الذي يميز العالم بأسره، وليس فقط العالم الإسلامي والعالم الغربي، على ألا يخرج هذا الشعار الذي يتأسس عليه هذا الخيار عن مقاصد الآية الكريمة المؤسسة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحُجرات: الآية 13]

ومع أننا لسنا علماء تفسير أو فقهاء أو مفسري حديث، فالواضح أن الخطاب الرباني هنا موجه إلى الناس أجمعين، وليس إلى المؤمنين من المسلمين، أو إلى المسلمين فقط. وهذه إشارة ربانية لم نحسن ترويجها للآخر الغربي[9] أو للآخر غير المسلم بصفة عامة.

«كيف يمكننا تحديد الهوية من دون السقوط في عملية استبعاد الآخر؟» يجيب فتحي التريكي بأنه يبدو أن الواحدية التي تقطن كيان الهوية هي التي تفرض هذا الاستبعاد، وهي التي تحول الآخر إلى عدو يجب القضاء عليه، ذلك ما دعا بعضهم إلى تعويض تصور الهوية بمفهوم جمعي يؤكد على التنوع والتعدد ويقضي على الواحدية. والحق أن هذا الجواب، وعلى أهميته ومقدرته التفسيرية، لا يصل إلى مستوى الأجوبة المؤسسة في النصوص الدينية عندنا نحن كمسلمين، وضمن هذه النصوص الآية القرآنية التي استشهدنا بها من قبل أو الحديث النبوي الشهير الذي يجعل التقوى بمثابة الفارق الجوهري المميز بين عمرو وزيد، بصرف النظر عن دين ومذهب وهوية عمرو وزيد.

لا خيار لنا سوى التمسك بباب الحوار مع الغرب، شئنا أم أبينا، وكذلك الأمر مع الناطقين أو ممثلي الغرب. وكما نطالب المسؤولين الغربيين بأن يتدخلوا من أجل الإسهام الفعلي وبشكل مباشر في تصحيح صورة الإسلام والمسلمين لدى الشارع الغربي، فإننا مطالبون أيضا بأن نزيح تلك الصورة النمطية التي تختزل الغرب في حضارة الظلم والاستعلاء والإمبريالية والاستعمار والكفر والإلحاد!

وكما أن هذه الأوصاف تكاد تلصق على الغرب السياسي ـ كما نقرأ في أدبيات بعض التيارات والجماعات، وليس هذا مقام تفنيد أو تقييم هذه الرؤى ـ فإنه علينا استحضار العقلاء الغربيين المحسوبين على الغرب الثقافي والاجتماعي ونجد ضمن هؤلاء مجموعة من الأسماء الفكرية المدافعة عن القضايا العربية والإسلامية، لن يكون آخرها المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي والسياسي البريطاني جورج غالاوي، والإعلامي الفرنسي إيناسيو راموني. وهذه عينة بسيطة تعبر عن غرب آخر، غير ذلك الذي نختزله في الأوصاف القدحية السالفة الذكر.

عوض أن نتحدث عن الخوف من الهوية أو من تشويه الهوية بحكم استحقاقات العلاقة مع الغرب، فالأحرى أن نتأمل ما نقوم به نحن فيما بيننا اتجاه هذه الهوية .

وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا إذن لا نسارع بإقامة جسور الاتصال مع هذه الجموع من الشرفاء والمثقفين في أوروبا وأمريكا؟ ولماذا نحن عاجزون حتى عن مخاطبة أحزاب البيئة في أوروبا وأمريكا، مع علمنا المسبق بأن العديد من هذه المنظمات والهيئات البيئية، تناصر القضايا العربية وقضايا العالم الثالث العادلة، ويكفي أن نعلم بأن بعض برامج هذه الأحزاب كان يتضمن الدعوة لفرض ضريبة تؤول حصيلتها إلى مساعدة المجتمعات الفقيرة في دول العالم الثالث.

هناك مجموعة من الشواهد التاريخية التي تثبت أن تخوف مسلمي اليوم من الهوية ومن التحديات الكبيرة التي تواجهها، لا يعدو أن يكون هاجسا

مفاهيمياً، ومن بين أهم الشواهد إقرار المستشرقين قبل المسلمين بأن القارة الأوروبية، وبالتالي الغرب، أفاد من علاقاته بالإسلام وأهله في مواطن اللقاء كلها، وكون النهضة الأوربية بدأت منذ القرن العاشر بفعل الشروع بحركة الترجمة والنقل عن العربية عبر الأندلس وصقلية، والتي قام بها العلماء العرب والمسلمون لكثير من المعارف التي كانت سائدة آنذاك، لنصل إلى تأسيس حضارة عريقة في الأندلس شملت مظاهر الحياة كافة من علوم وصناعات وفنون ومظاهر سلوك، بحيث أصبحت الأندلس من الحواضر الإسلامية المرموقة.

هذا مثال حي من التاريخ المتوسط، واليوم، وبالرغم من ضخامة حجم التحديات والإكراهات والضغوط، وبالرغم من أن التاريخ لا يكرر نفسه، إلا أننا نملك كامل المقومات لمجابهة هذه التحديات، وعوض أن نتحدث عن الخوف من الهوية أو من تشويه الهوية بحكم استحقاقات العلاقة مع الغرب، فالأحرى أن نتأمل ما نقوم به نحن فيما بيننا اتجاه هذه الهوية، دون حضور الفاعل الغربي، ونتوقف في هذه النقطة الهامة مع نموذج واحد فقط، ويتعلق بموضة أغاني «الفيديو كليب» في الساحة العربية.[10]

لا نعتقد أنه يصعب علينا استحضار الخلاصات التي يمكن أن يتوصل إليها أي باحث مسلم أو غربي قرر أن ينجز دراسة حول صورة المرأة العربية في الفيديوكليب عربي، وواضح أن هذه الصورة، والتي لن تخرج عن أحط ما يمكن أن يسقط فيه الإنسان الذي كرمه الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [سورة الإسراء: الآية 70] تتقاطع بشكل كبير مع الصورة المروجة عن المرأة العربية وعن العربي والمسلم عموما في أجهزة الإعلام الغربية، والتي نتهمها بالانحياز والتضليل والتشويه. ولكن الفارق الجوهري هنا، أننا نسقط في نفس الخلاصات، أي أننا نساهم نحن أيضا في إنتاج صور غير مشرفة ومنحطة من خلال ظاهرة «الفيديو كليب»، وبالرغم من ذلك، نطالب من الغرب أن يكون منصفاً معنا وألا ينتج هذه الصور المنحطة والمشوهة!

العالم الإسلامي،وتقديم الدعم المادي والمعنوي اللازم لتنفيذ هذه التوصيات.

14- دعم البرامج التربوية العلمية والثقافية للأقليات الإسلامية في العالم بما يحافظ على هويتها الثقافية، وانتمائها الإسلامي، وبما يجعل من أعضائها مواطنين صالحين في المجتمعات التي يقيمون فيها، في ظل احترام كامل لقوانين تلك المجتمعات. وتعبر اللجنة عن امتنانها للدول التي اتخذت خطوات ملموسة لتنظيم أوضاع الأقليات الإسلامية فيها بما يحقق تلك الغايات.

15 - حث هيئات الإغاثة الإسلامية والمؤسسات الخيرية في العالم الإسلامي على المبادرة بتقديم إسهاماتها المادية لضحايا كارثة تسونامي في كافة المناطق المتضررة من الإعصار، والعمل على كفالة الأيتام والمشردين وتوفير الرعاية الصحية والاجتماعية والتعليمية لهم.

16 - تعرب اللجنة عن استنكارها الشديد للمجازر التي ترتكبها إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني، وما يترتب عليها من مآس وويلات تصيب الشيوخ والنساء والأطفال، وتدعو الدول الإسلامية إلى أن تقف وقفة حازمة إزاء هذه الاعتداءات.

هذا مثال بسيط جداً، يبين تحديات كبرى أمام مفهوم الهوية، بعيداً عن الهواجس المشروعة التي يمكن أن نستحضرها عندما نضيف العالم الخارجي (أي احتكاك المسلمين بالغرب)، ويبين أن الأزمة الحقيقية تكمن في ذواتنا نحن قبل أزمة عقلية غربية أو مؤامرات أجنبية.

يبقى في الأخير التأكيد على دور المنظمات والهيئات الإسلامية، ونخص بالذكر لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك، وأيضاً ثقل الأقليات الإسلامية في الغرب، في تفعيل دور الحوار ومحاولة الوصو ل إلى تفاهم مشترك وحوار موضوعي، خاصة وأن القواسم المشتركة بيننا وبين الغرب، وزيادة على القواسم الدينية (الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والحساب والجنة والنار)، هناك قواسم تتعلق بكرامة الإنسان وأهليته للمسؤولية وحقه في الحرية والاختيار، والإيمان بقيم العدل والمساواة وفضائل الأخلاق.

لا خيار أمام هذه الهيئات والمنظمات في علاقتها بالآخر سوى تفعيل قنوات الحوار، بالرغم من صدور ملاحظات ومؤاخذات وحتى انتقادات على أشكال الحوار ونتائجه، ولكن، علينا التشبث بهذا الخيار، لقطع الطريق على خيار الصدام الذي يروج من قبل العديد من الأصوات المتطرفة في الشرق والغرب على حد سواء.

نحن نمتطي سفينة واحدة، تضم مختلف الأعراق والديانات والجنسيات، ومطالبون بتفعيل خطاب واقعي جديد لصياغة العلاقة الحضارية بين الإسلام والغرب، أو علاقة تقوم على النفع المتبادل واحترام ثقافة الآخر، والعمل سوياً لخير الإنسان والإنسانية.

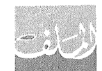
هذا هو التحدي الأكبر، والجهاد الأكبر.

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة التوبة: الآية 105]

المراجع

1. العلمانية ومفهوم الهوية. كمال غربال. موقع مجلة «الحوار المتمدن» الإلكترونية. مقال مؤرخ في 2005/5/19.
2. المسلمون وأسئلة الهوية. حسن الوراكلي. منشورات جمعية البعث الإسلامي. تطوان. المغرب. الطبعة الأولى 2000.
3. انظر كتاب «الحداثة وما بعد الحداثة». تأليف مشترك بين عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي. دار الفكر. دمشق/بيروت. الطبعة الأولى2003.
4. السلالة، العشائرية والهويات في إفريقيا. محمود مدني (كاتب من أصل أوغندي يدرس الأنثروبولوجيا السياسية بجامعة كولومبيا في نيويورك)، والبحث منشور في كتاب يحمل عنوان «مفاهيم عالمية: من أجل حوار بين الثقافات». سلسلة تشرف عليها نادية التازي. المركز الثقافي العربي. بيروت. الطبعة الأولى 2005 ص 123.
5. كيف تغير «الغرب» في الوعي العربي بعد 11 سبتمبر؟ بشير موسى نافع. موقع إسلام أون لاين. مقال مؤرخ في 2004/9/4.
6. L'Occident et les autres. Histoire d'une suprématie. Sophie BESSIS. Edition la Découverte. Paris. 340 pages 2001.
7. هل لمقولة «الغرب» بمعنى؟ السيد ولد أباه. الشرق الأوسط. لندن. 2004/7/15.
8. الغريب أن هذه القبيلة والتي تعيش حياة ثقافية اجتماعية بدائية (خاصة في مسائل الأخذ بالثأر والانتقام والقتل) تحظى بوصول إنتاج ثقافي عالمي.. يعبر عن فكر إنساني متطور، عبر ذلك الجهاز الصغير إلى خيمتها دون أدنى عناء! انظر مقال سعيد أبو غنام تحت عنوان «الخوف من الغرب وثقافته». في موقع «الحوار المتمدن». مؤرخ في 2005/1/12.
9. ليس هذا وحسب، فإذا تأملنا نتائج استطلاع للرأي أجري لمصلحة مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية (كير) أنجز في شهر تشرين الأول (أكتوبر) 2004، نجد أن 26 في المائة من الأمريكيين يرون بأن «الدين الإسلامي يعلم العنف والحقد»، مقابل 29 في المائة منهم يرون بأن «المسلمين يعلمون أطفالهم الحقد تجاه غير المؤمنين»، بينما يقول الله تعالى: ﴿وما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالَمينَ﴾ (سورة الأنبياء. الآية 107)، والسؤال الذي يفرض ذاته في هذا المقام هو كالتالي: كيف أصبحت صورة الإسلام. بصفته ديانة أرسلت رحمة للعالمين. لصيقة باعتقاد ربع الشعب الأمريكي بأنه دين «يعلم العنف والحقد»!
10. تزامن تحرير هذه الورقة مع تنظيم مسابقة ملكة جمال العالم لعام 2005، وقد تميزت بمشاركة أغلب الدول العربية والإسلامية!





النظام العالمي الجديد ودور وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة في عرض صورة الإسلام

الدكتور أحمد العوايشة*

المبحث الأول: تعريف النظام العالمي الجديد

ذكر بعض العلماء مجموعة من التعريفات للنظام العالمي الجديد من أبرزها:

1- هو تعبير عن طموح نحو إيجاد نظام سياسي عالمي تهيمن عليه أو تفرض فيه قوة وحيدة أو تحالف قوى ينطلقان من مصالحهما المادية أساساً ونظرتهما الفلسفية على أكبر قدر ممكن من دول العالم وشعوبه. والنظام العالمي الجديد هو آخر الأنظمة العالمية شمولية حيث برز بوضوح بعد انهيار الاتحاد السوفيتي[1].

2 ـ هو آلية لممارسة سياسة للتأثير تنطلق لترتكز على المصالح التي تسعى إليها أو تدافع عنها مجموعة القوى العظمى، وفي مرحلتنا الراهنة تمحورت هذه القوى العظمى في الولايات المتحدة الأمريكية[2].

3 ـ هو اصطلاح للسياسة بدأ استخدامه بشكل واسع في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات في القرن العشرين المنصرم، وبالتحديد مع ظروف التفكك للاتحاد السوفيتي، حيث اقترن بالعولمة ليعبّر عن انتقال عمليات السلام ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات بين المجتمعات البشرية بحرية ودون قعود، لكنه ومن الناحية العملية: يعبّر عن اتجاه للهيمنة على مقدرات العالم من طرف واحد (أمريكا) أو ما يسمى بالقطب الواحد[3].

4 ـ وعرّف بعضهم النظام العالمي الجديد بأنه في أكثر

* كلية الشريعة ـ الجامعة الأردنية

(1) الحمداني، فراس، العولمة استعمار القرن الحادي والعشرين، www.uofislam.hostme.com، ص7.

(2) المصدر نفسه ص7.

(3) العبيدي، سعد، الحرب النفسية في النظام الدولي الجديد واتجاهات التحصيل في المنطقة العربية والإسلامية، مجلة النبأ، عدد 55، ذو الحجة: 1421هـ، آذار، 2001م، ص3، www.annabaa.org/nba55

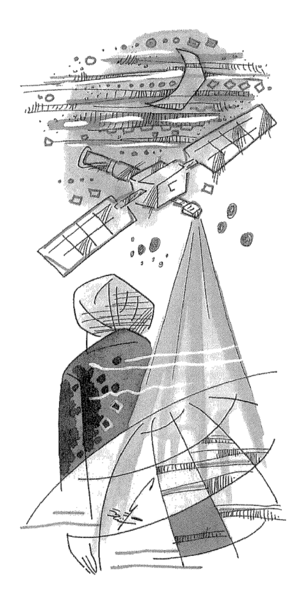
وانظر: تشومسكي، نعوم، النظام الدولي الجديد = القديم، ترجمة صفوان عياش، فصلت للدار والنشر، الطبعة الأولى، 1421هـ، 2000م، ص20-24.

معانيه عموميةً: عبارة عن مفهوم تحليلي وصفي يشير إلى مجموعة من المعايير والإجراءات والمؤسسات التي تعطي المجتمع الدولي نمطاً وهيكلاً في أي وقت معين[4].

من خلال ما تقدم نلاحظ أنه لا يوجد تعريف واضح للنظام العالمي الجديد، حيث تستخدم عبارة «نظام عالمي جديد» بصورة عامة بدون تعريف واضح، وإن كانت الأفكار تختلف حول المضمون، حيث تتجه معظم التعريفات إلى الاشتراك في مهام صنع السلام بأنماطها المختلفة في مختلف بقاع العالم المتوفرة، وتهدف هذه المهام إلى الحفاظ على إعادة القانون والنظام، وذلك بردع العدوان ووقفه ورفع الاضطهاد عن المضطهدين، وتخفيف معاناة المدنيين وتعزيز حقوق الإنسان والحقوق المدنية، ولذلك يمكن تعريف النظام العالمي الجديد باعتباره نظاماً دولياً تتصرف فيه الولايات المتحدة وحلفاؤها معاً تحت غطاء الأمم المتحدة للحفاظ على السلام أو تحقيقه عن طريق تعزيز القانون والنظام الدوليين ضد المعتدين خارقي القانون والطغاة من وجهة نظرهم[5].

المبحث الثاني:
نشأة النظام العالمي الجديد

يرى بعض العلماء أن مصطلح النظام العالمي الجديد ظهر على الصعيد الأكاديمي أول مرة بداية الستينيات عندما استعمله المحامي الأمريكي المتقاعد، كرنفينك كلارك المستشار الفاعل لعدد من وزراء الخارجية في البيت الأبيض في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي لكنه رغم الظهور



(4) مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - مصر - هاتف: 2025786037، فاكس ميلي: 2025786833 أو 2025786023. www.web2.ahram.org.eg/acpss/2001/1/Red18.htmx.

(5) المصدر نفسه، وانظر، طالب، محمد سعيد، النظام العالمي الجديد والقضايا العربية الراهنة، الطبعة الأولى -6/1994، الأهالي للنشر والتوزيع، ص22-23.

المذكور لم يدرج تعبيراً عاماً في الفكر السياسي إلا بعد ثلاثين سنة على وجه التقريب، وكان أول من استخدمه في معناه الحالي غوربت شوف 1989 وجورج بوش 1990 والأمم المتحدة 1991م[6].

وباختصار يمكن القول: إن النظام العالمي الجديد مصطلح لا يحمل في طياته أي جديد سوى محاولة الأمريكان استغلال انهيار الاتحاد السوفيتي في تعديل ميزان الصراع بينهم وبينه، وكذلك استثمار التخلخل الحاصل في الوضع الدولي آنذاك لإضافة المزيد من معايير القوة في كفّة ميزانهم للصراع مع قوى أخرى بعد الاتحاد السوفيتي[7].

وقد بشّر الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وبعد حرب الخليج الثانية بما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذي كرس الآلة العسكرية الضخمة لتأديب الخارجين على هيمنة الولايات المتحدة، واستخدام التكنولوجيا العسكرية المبرمجة في أسلوب الحرب عن بعد ـ إذا صح التعبير ـ دون أن يدفعوا بجنودهم في أتون الحرب بشكل مباشر، ثم توظيف الأمم المتحدة في خدمة هذا النظام الجديد حتى أضحت الأمم المتحدة الولاية الحادية والخمسين من الولايات الأمريكية، أي أن الصراع هنا صار صراعًا عسكريًّا وسياسيًّا في آن واحد[8].

المبحث الثالث:
أسباب ظهور النظام العالمي الجديد

نستطيع أن نلخص أسباب ظهور هذا النظام العالمي الجديد في الأمور التالية:

....

(6) العظم، صادق، ما هي العولمة، ورقة بحث مقدمة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1996م.

(7) الحرب النفسية في النظام الدولي الجديد، سعد العبيدي، مرجع سابق، ص4.

(8) قرقز، مجدي، التدافع الحضاري بديلاً عن الصراع، المنار الجديد، عدد:17، صادره عن التجمع الإسلامي في أمريكا الشمالية بالتعاون مع دار المنار الجديد، ص 2-6 www.almanar.net انظر: النظام العالمي الجديد من منظور تاريخي، مرجع سابق،ص1 ـ3.

كلمات شكر:

1 ـ أعربت اللجنة عن امتنانها العميق لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وللجماهيرية العربية الليبية لاستضافتها هذه الدورة على أرضها.

2 ـ أعربت اللجنة عن فائق تقديرها للبروفسور أكمل الدين إحسان أوغلى، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي للجهود الموصولة التي يبذلها معاليه للدفع بالعمل الإسلامي المشترك نحو آفاق رحبة وواعدة للأمة الإسلامية. وتبارك اللجنة مسيرة معالي الأمين العام التي ينتهجها في تحقيق الإصلاحات في المنظمة وتجديد هياكلها وأساليب عملها بغية الارتقاء بأدائها للوصول إلى مصاف المنظمات الدولية الفاعلة.

3 ـ قرر الاجتماع إرسال برقية شكر إلى قائد ثورة الفاتح من سبتمبر العقيد معمر القذافي على الدعم القيم الذي يقدمه إلى منظمة المؤتمر الإسلامي والدفاع عن القضايا التي تهم العالم الإسلامي.

4 ـ أعربت اللجنة عن بالغ شكرها للدكتور محمد أحمد الشريف أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية على مساهمته الإيجابية ومشاركته الفاعلة التي كان لها الأثر الفعال في إنجاح أعمال هذه الدورة.

5 ـ تعرب اللجنة عن عميق تقديرها وامتنانها وقبولها للعرض الكريم الذي تقدم به معالي الشيخ يوسف جاسم الحجي، رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بدولة الكويت لاستضافة أعمال الاجتماع الخامس عشر للجنة في القاهرة.



1ـ أدرك الغرب عمق أزمته العسكرية والثقافية والاقتصادية، وأحسّ بالتفكك الداخلي وبعجزه عن فرض سيادته بالقوة.

2ـ أدرك استحالة المواجهة العسكرية والثقافية والاقتصادية مع دول العالم الثالث التي أصبحت جماهيرها أكثر صحوة وأكثر حركة وصقلا وفهماً لقواعد اللعبة الدولية .

3ـ أدرك الغرب أنه على الرغم من هذه الصحوة فإن هناك عوامل تفكك بدأت تظهر في دول العالم الثالث، حيث ظهرت بعض النخب المحلية المستوعبة تماماً في المنظومة القيمية والمعرفية والاستهلاكية الغربية يمكنه أن يتعاون معها ويجندها، وهي نخب يمكن أن تحقق له من خلال السلام والاستسلام - ما فشل في تحقيقه من خلال الغزو العسكري، فلكل هذا أدرك الغرب إمكانية اللجوء إلى الإغواء والإغراء بدلاً من القمع والاستفادة من التفكك لضرب التماسك بدلاً من الهجوم التدميري المباشر، وبذا يحل الغرب إشكالية عجزه عن المواجهة، ويتخلى عن مركزيته الواضحة وهيمنته المعلنة ليحل محلها هيمنة بنيوية تغطيها ديباجات العدل والسلام والديمقراطية التي ينقلها بعض الحكام والمثقفين بحسن نية أو بسوء طوية.

4 ـ تراجعت الهيمنة العسكرية الغربية بسبب ظهور دول ضاربة وقوة نووية غير خاضعة للهيمنة الغربية مثل كوريا الشمالية والصين وباكستان.

5ـ أدت مرحلة الحرب الباردة بين الدولتين العظميين إلى إرهاق متبادل لهما نتيجة الدخول في سباق تسلح لا نهاية له، خصوصاً وأن تطوير تقنية السلاح أصبح مسألة مكلفة للطرفين بشكل لا يطيقه أي منهما، وعلى الرغم من انتصار الولايات المتحدة فإن النزيف قد أثر فيها، وقد أصبحت الحروب الحديثة أمراً مكلفاً للغاية يتطلب تمويلاً ضخماً.

6ـ تراجع المركزية الغربية على المستوى الثقافي لظهور كتلة العالم الثالث وظهور الصحوة الإسلامية فيها

بسبب تزايد الوعي بالذات الإسلامية و أزمة الغرب الذي لم يعد نموذجاً جذاباً ناجحاً كما كان في الستينيات.

7ـ لم يعد الغرب واثقاً تماماً بنفسه كما كان الأمر من قبل، حيث تمر الحضارة الغربية في أزمة عميقة مع تفشي النسبية الثقافية وظهور مراكز اقتصادية وعسكرية وثقافية أخرى في العالم ومع تفاقم الأزمة الاجتماعية (الجريمة ـ تفكك الأسرة ـ الإيدز ـ المخدرات ـ الإباحية)؛ ولذا لم يعد قادة العالم الغربي قادرين على الحديث عن تفوق الجنس الأبيض كما كان عهدهم في الماضي القريب.

8ـ ومع هذا لاحظ الغرب أن ثورة المعلومات والنظام الإعلامي الجديد ـ بأقلامه وكتبه ومرئياته ومراكز بحوثه ـ لديهما مقدرة هائلة على الاختراق لنقل المنظومة القيمية الغربية إلى كل أرجاء العالم بعد أن كانت محصورة إلى حد كبير في الغرب.

9ـ أدرك الغرب أنه ظهر في العالم الثالث نخب محلية تنتمي (اسماً) إلى شعوبها ولكنها (فعلاً) من ناحية الرؤية والتطلعات والأحلام وأسلوب الحياة تنتمي إلى العالم الغربي، ومن الملاحظ أن تصاعد الوعي الديني والقومي صاحبه أيضاً تصاعد في معدلات العلمنة والترشيد والأمركة في كل أنحاء العالم، وتم اختراق كثير من أعضاء النخب الثقافية والسياسية، كما تم الاستيلاء على كثير من أبنائهم وبدأ الحلم الأمريكي يتسرب إلى قطاع لا بأس به من الجماهير، وبالجملة فقد اخترقت المنظومة القيمية الغربية أحلام كثير من الناس وعقولهم في دول العالم الثالث من خلال وسائل الإعلام المختلفة دون اللجوء إلى القوات العسكرية، وقد أسهمت ثورة المعلومات في هذه العملية.

10ـ لاحظ العالم الغربي أن ثمة قضايا جديدة لا يمكن مواجهتها إلاّ في إطار عالمي، وهو ما يتطلب التعامل مع حكومات العالم الثالث، فثمن التقدم لم يعد مجرد تلويث نهر أو إصابة مجموعة من الناس ـ مثلا ـ بداء الكبد، فقد بدأ الناس يسمعون اليوم عن ظواهر ذات طابع كوني مثل: سخونة الغلاف الجوي وثقوب الأوزون. وفي عصر الإمبريالية الغربية كان الإنسان الغربي يصدر للشرق فواتير التقدم وينساها، أما الآن فإن ثقوب الأوزون لا تعرف الفرق بين الشرق والغرب وتذكر ـالإنسان ـ بالدمار الذي يحيط بالجنس البشري وقل مثل ذلك عن المخدرات التي تزرع في منظمة الإشعاع النووي في تشيرنوبل، ولذا فهي تنمو بسرعة سرطانية تجد طريقها إلى كل أرجاء المعمورة. [9]

11ـ وبالجملة نرى أن النظام العالمي الجديد المزامن لعصر الاستهلاكية الحالي يرى أنه من الضروري ترشيد العالم بأسره وتحويله كله إلى حالة المصنع والسوبر ماركت؛ ولذا فلا بد أن تتقدم شعوب الأرض بما فيه الكفاية لتصبح شبه منتجة، شبه مستهلكة، فالبدوي في صحراء الجزيرة العربية مثلاً والهندي الأحمر في براري أمريكا والقروي في صعيد مصر يشكلون عائقاً أمام النظام العالمي الجديد المتمثل في الاستهلاكية العالمية، فهم ليسوا بحاجة إلى الهمبرغر أو الفيديو ومن ثم لا يمكن تجويعهم أو حرمانهم أو الضغط عليهم، فهم يشكلون عائقاً في نظام يشبه الآلة ولا يتحمل الثغرات، ويجب أن تكون أجزاؤه جزءاً من الكل الآلي، فمثل هؤلاء الفقراء مستقلون قادرون على الحفاظ على بنيتهم الثقافية والدينية وقيمهم المطلقة وعلى اتزانهم مع الذات ومع الطبيعة، وهذا أمر يهدد النظام العالمي؛ ولذا لا بد أن يتقدم الجميع حتى يدخلوا جميعاً في النظام العالمي،

(9) المسيري، عبد الوهاب، أسباب ظهور النظام العالمي الجديد، ص2ـ6



ويتم هذا من خلال بيع الأحلام الوردية عن الرخاء الاقتصادي وتعظيم اللذة أو الوعد بها، والتصعيد المستمر للرغبات الجنسية والاستهلاكية وهو تصعيد يتم من خلال البث التلفازي والإنترنت ووسائل الإعلام الداخلية والخارجية، ولكن هذا التقدم يجب أن يتم تحت مظلة البنك الدولي وصندوق النقد الدولي داخل إطار النظام العالمي الجديد الذي تحكمه بنية التفاوت والمنظومة القيمية الاستهلاكية، ولذا يجب ألاّ يسمح بإدخال التنمية المستقلة لأنها تحدث ثغرة في النظام العالمي، فهي قد توقف توسع الشركات متعددة الجنسيات وقد تعوق التنمية تحت مظلة البنك الدولي، أما التنمية في إطار النظام العالمي الجديد فإنها ستضمن أن تكون شعوب العالم الثالث نصف منتجة ونصف مستهلكة حتى يستمر اعتمادها المذل على الغرب، ولا شكّ أن عمليات تصعيد التوقعات الاستهلاكية ـ وعمليات التسخين ـ الاستهلاكية الجنسية التي تتعرض لها شعوب العالم الثالث ستجعل تحقيق أي تراكم رأسمالي بعيد المنال، وستبدد الطاقة الجهادية عند هذه الشعوب أولاً بأول وتختفي الرغبة بالسمو في الجهاد لا قدر الله[10].

12 ـ والاستهلاكية العالمية لا يسودها إلا قوانين العرض والطلب وتعظيم المنفعة المادية واللذة الحسية التي تؤدي إلى سيادة حالة المصنّع في العالم بأسره. هذه الاستهلاكية العالمية وجدت أن من مصالحها أن تفتح الحدود وأن تختفي القيم حتى يفقد الجميع أي خصوصية تجنبهم أن يصبحوا آلة إنتاجية استهلاكية وقطع غيار في الوقت نفسه.

ومن هنا كان الحديث عن الديمقراطية بطريقة انتقائية، فهي أداة النظام الاستهلاكي العالمي في فتح الحدود وإضعاف الدول القومية المركزية الصغيرة حتى يتسنى لهذا النظام الاستهلاكي العالمي ترشيد البشر وإزالة أي عوائق إنسانية أو أخلاقية [11].

---

(10) المرجع نفسه،ص6 ـ7.

(11) المصدر نفسه،ص7.

المبحث الرابع:
مخاطر النظام العالمي الجديد
النظام العالمي الجديد بلا أخلاقيات ولا قواعد ولا معايير

لا يقتصر الحديث عن النظام العالمي الجديد على التفكير المستمر بقيادة الولايات المتحدة للعالم، ولكنه يشير إلى أن هذه القيادة تفتقر إلى القيم والمبادئ والأخلاقيات والأعراف الدبلوماسية التي كان يقوم عليها النظام الدولي السابق، ولا يخدع أحد نفسه بالقول: إن تلك القيم والمبادئ والأخلاقيات كانت هي القوة المحركة بالفعل لعلاقات التنافس والصراع بين القوتين العظميين (الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة) إلا أن تلك القيم والاعتبارات كانت تشكل على الأقل مرجعية يحرص كلا الطرفين على النظر إليها لتقييم أفعاله وللغمز من قناة الطرف الآخر إذا تصرف خارج إطارها، أما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي فإن الولايات المتحدة تشعر بأنها تتصرف في شؤون العالم على هواها دون أي اعتبار للقوانين الدولية والقيم والاعتبارات والأعراف الدبلوماسية التي كان يقوم عليها النظام الدولي السابق، كما أنها تملك الجرأة والوقاحة على تجاوز القواعد المتعارف عليها في العلاقات بين الدول فتقرر عقوبات، وتشن أعمال عدوان، وتخطط لاغتيال رؤساء دول، وتقود انقلابات، وترفض الالتزام بالمعاهدات الدولية لتقول: إن العالم خاضع لسيطرتها العشوائية وإن هذه السيطرة تقوم على مبدأ واحد هو الخضوع لإرادة القوة العظمى ومصالحها[12].

1 ـ ومن الجدير بالذكر أن الولايات المتحدة قفزت إلى وضع هذا القانون على مرحلتين:

الأولى: خلال حرب الخليج حيث زعمت أن قيادتها العالم سوف تتحلى بالمسؤولية وتحرص على الالتزام بأخلاقيات وقواعد أفضل من الأخلاقيات والقواعد التي كانت سائدة من قبل (احترام حقوق الإنسان واحترام سيادة الدول، والحرص على تطبيق المقررات الدولية) وهو زعم كانت الغاية منه تغطية الأغراض الاستراتيجية الكامنة وراء الحرب ضد العراق.

2 ـ بعد أحداث 11 سبتمبر قررت الولايات المتحدة الكشف عن هيمنة سافرة لا تراعي تلك القواعد والأخلاقيات، زاعمة أن التهديد الذي تتعرض له الولايات المتحدة خطر إلى درجة أنه يتطلب من الجميع الامتثال إلى المعايير الأمنية والاستراتيجية التي تضعها الولايات المتحدة. وفي سياق تلك المعايير فإنها تملك وحدها الحق في الأخذ أو عدم الأخذ بأية قواعد في قبول أو رفض أية قوانين وفي احترام أو عدم احترام أية مؤسسة دولية. وفي هذا السياق جاء تقسيم العالم إلى دول خير ودول شر ليؤكد الحقيقة التالية وهي أن الولايات المتحدة هي المرجعية الوحيدة لوضع المعايير، وأن هذه المعايير ستظل من دون تحديد ولا تعريف كما تظل غامضة لدرجة لا تسمح لأحد أن يستوضح طبيعتها إلاّ من خلال الإصغاء إلى ما تقرره واشنطن[13].

إن النتيجة الرئيسية الأهم في النظام العالمي كما تراه الولايات المتحدة هي أنه يلغي دور المؤسسات الدولية وفي مقدمتها مؤسسة الأمم المتحدة كما يلغى قواعدها وأخلاقياتها واعتباراتها الدبلوماسية، وليس من الغريب على هذا الأساس أن تتحول هذه المؤسسة الدولية إلى شاهد زور يعجز

---

(12) الجلبي، برهان، العالم بعد 11 سبتمبر، إرهاب العالم ووسائل أخرى، نظام دولي جديد بلا أخلاقيات ولا قواعد ولا معايير، ص1.
wwwww.balagh.com/monouat/9001/jk7.htm
وانظر: النظام العالمي الجديد والقضايا العربية الراهنة، محمد طالب، ص23، مرجع سابق، وانظر: النظام الدولي الجديد = القديم: نعوم تشومسكي، ترجمة صفوان عياش، ص42 ـ 36 مرجع سابق.

(13) الجلبي، برهان، العالم بعد 11 سبتمبر، إرهاب العالم ووسائل أخرى، نظام دولي جديد بلا أخلاقيات ولا قواعد ولا معايير.
wwwww.balagh.com/monouat/9001/jk7.htmص1 ـ2، وانظر: النظام العالمي الجديد والقضايا العربية الراهنة، ص11 ـ17، محمد طالب .

عن القيام بأدنى واجباته ما دامت الولايات المتحدة لا تريد لهذه الواجبات أن تمضي قدماً، والموقف من مجزرة جنين شاهد حي على ذلك.

إن شعارات الخير لا تمثل امتداداً لسياسات النفاق فحسب ولكنها تستهدف أيضاً احتلال موقع معنوي لا يمكن للآلة الحربية أن تمارس عملها من دونه. وجميع العالم اليوم يخضع لهذا التصنيف الجديد حيث تفترض الإدارة الأمريكية أنها تمثل قوى الخير وتمنح نفسها الحق في خلع ألقاب الخير بدرجات متفاوتة على حلفائها بينما تخلع ألقاب الشر بدرجات متفاوتة أيضاً على خصومها وأعدائها، وفي مقابل دول (محور الشر) التي تضم العراق وإيران وكوريا الشمالية فقد صنفت الإدارة الأمريكية كوبا بعد زيارة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر إليها بأنها من دول (ما بعد الشر) وذلك لحرصها على الدفاع عن سياستها الخارجية المستقلة بعد أن انتهى مبرر الصدام السياسي المباشر[14].

المبحث الخامس: أخطار النظام العالمي الجديد على العالم الإسلامي

وعلى هذا الغرار يقول معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن: إن دولاً مثل الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية تقع في خانة دول (ما بعد الخير) لأن مثل هذه الدول وإن كانت ما تزال دولاً صديقة إلا أنها تستخدم صداقتها للولايات المتحدة لتغطية طموحاتها الخاصة، ولأنها تملك المبررات السياسية والمقدرات المادية للحصول على أسلحة دمار شامل التي يمكن استخدامها بصورة مباشرة أو غير مباشرة ضد إسرائيل أو لتهديد المصالح الأمريكية في المنطقة[15].

وبطبيعة الحال فإن إسرائيل جزء لا يتجزأ من (محور الخير) وذلك لأنها الحليف الاستراتيجي الأهم للولايات المتحدة و(الخير القادم من مجازر جنين وقتل الأبرياء في المخيمات الفلسطينية، وقصف الطائرات لها واستهداف سيارات الإسعاف لمنع نقل الجرحى إلى المستشفيات، كل هذه الأعمال هي جزء من أعمال (الخير) لأنها تخدم الهدف الاستراتيجي الأمريكي، ولأن الولايات المتحدة هي وحدها التي تملك الحق في منح صكوك الغفران عن أية أعمال ترتكب في خدمة (الخير) الأمريكي، وفي ظل هذه (البابوية) الأمريكية الجديدة لا حاجة إلى قرارات دولية ولا إلى قانون ولا إلى هيئة أمم متحدة يمكن أن تتحول إلى (جمعية خيرية) لتوزيع المساعدات الطارئة على ضحايا أعمال (الخير) التي تمارسها الطائرات الأمريكية والإسرائيلية في هذا المكان أو ذاك، وعندما تتحول القوات الأمريكية إلى بديل لقوات السلام التابعة للأمم المتحدة، فإن التهديدات ضد العراق واليمن والصومال وغيرها من الدول العربية والإسلامية والعالمية تنذر بشن حروب دون اللجوء إلى الأمم المتحدة[16].

لقد حاول بوش الأب أن يستخدم الأمم المتحدة كغطاء لعرض هذا النظام العالمي، ولتبرير كل تبعات الحرب ضد العراق في حين يخوض بوش الابن حرباً في إطار المواجهة الحضارية المزعومة بين الاسلام والغرب معتمداً على منطلق القوة، ومفترضاً أن القوة هي منطق العدل وأن زعامة أمريكا للعالم أهم من الحوار مع أي أحد في هذا العالم، وإن التمعن في مبادئ النظام العالمي الجديد بنسخته الجديدة يشير إلى أن هذا النظام لا يمثل تهديداً مباشراً لدول معينة فحسب ولكنه يشكل خطراً جوهرياً على كيان وصلاحية

(14) الجلبي، برهان،العالم بعد 11 سبتمبر، إرهاب العالم ووسائل أخرى، نظام دولي جديد بلا أخلاقيات ولا قواعد ولا معايير. wwww.balagh.com/monouat/9001/jk7.htm ص2-3.

(15) نقلاً عن العالم بعد 11 سبتمبر، ص3. مرجع سابق.

(16) المرجع نفسه،ص3.



وشرعية الأمم المتحدة أيضاً، كما أنه يشكل تهديداً للدول الإسلامية والعربية وعلى كيان الحكومات العربية بصورة جماعية لأنه يستهدف بطريقة أو أخرى زعزعة نظام القيم الإسلامي وتشويه صورة الإسلام وذلك بالنظر إليه على أنه مصدر للشر[17].

وهناك أخطار للنظام العالمي الجديد يمكن تلخيصها على النحو التالي:

1- تفترض الولايات المتحدة أن قدراتها العسكرية والاقتصادية تؤهلها لأن تكون حضارة القرن ومن ثمّ فإن هذه القوة تعطيها الصلاحية لفرض ما تشاء لخدمة مصالحها، ذلك في إطار نزعة فوقية تمهد لنشوء نموذج جديد للاستعمار، والقوة هي القانون الوحيد الذي تعتمده الولايات المتحدة في سياساتها المختلفة.

2- تفترض الولايات المتحدة أن قيم الحضارة الغربية وبمبادئها متفوقة على القيم الأخلاقية والإسلامية، وأن الانتساب إلى محور (الخير) يتطلب من الدول العربية والإسلامية التخلي عن قيمها ومفاهيمها وقبول القيم الغربية.

3- وبما أن معيار الصداقة الوحيد مع الولايات المتحدة الموقف من الكيان الصهيوني تفترض الولايات المتحدة أن القبول بهيمنتها تفرض على المجتمع العربي والإسلامي القبول بهيمنة هذا الكيان أيضاً.

4 - وبما أن المجتمع العربي والمجتمع الإسلامي غير متطورين صناعياً إجمالا ويعجزان عن الاعتماد على نفسيهما فإن فرص الكيان الصهيوني (المتطور صناعياً) لاستغلال موارد العالمين العربي والإسلامي تعني نهاية لكل فرص التطور الممكنة في المستقبل.

5 - وبما أن واردات معظم الدول العربية والإسلامية تعتمد على تصدير المواد الخام فإن إزالة الحواجز والقيود الاقتصادية وإتاحة الفرصة للاستثمارات

(17) المرجع نفسه، ص4

الخارجية في مجال الطاقة تستهدفان إزالة سيادة الدولة على سوق تلك المواد.

6 ـ الولايات المتحدة هي صاحبة السيادة والمتمتع الوحيد بحق الهيمنة وبالتالي فلا سيادة ولا استقلال لأي دولة تحاول أن تتمسك باستقلالها وبحقها في اتخاذ قرارات استراتيجية أو اقتصادية رئيسية، وفي المقابل لا تملك الدول العربية والإسلامية بوضعها المزق الحالي الكثير من أدوات التأثير في السياسة الأمريكية فهم إما أعداء غير قادرين على هزيمة السياسات الأمريكية أو أصدقاء أكثر من اللازم يعتمدون على أمريكا للحفاظ على أمنهم واستقرارهم[18].

المبحث السادس :

مهمة الإعلام الإسلامي بشكل عام

أولاً ـ نشر الدعوة الإسلامية:

وفي هذا الميدان ما زال على المسلمين أن يجاهدوا في سبيل الله ودينه جهاداً متصلاً غير متوان ولا متواكل، لأن الدنيا كلها تعيش مرحلة ضياع وحيرة وانكفاء وجاهلية وإلحاد وعبادة أفكار أو أشخاص، و لا تختلف كثيراً عن عبادة الأوثان والأصنام. فالعمل الإعلامي الإسلامي ينبغي أن يكون له دوره في إضاءة القلوب الضالة، وتنوير العقول التي غشيتها الجهالة وأعمتها المادية الحسية المثيرة للغرائز والمطلقة للنزوات والاندفاعات الحيوانية لأن هذا الدور هو نوع من أنواع الجهاد، وسيجزي الله القائمين عليه، أجر المجاهدين والصديقين إن شاء الله تعالى.

ثانياً ـ التصدي للحملات التي يتعرض لها الإسلام:

ولنا في ذلك تجارب منذ صدر الإسلام حتى هذا اليوم بالذات... فخصوم ديننا بدءاً من اليهودية واتصالاً بالصليبية، وكل ما أفرختا، من نحل وأشكال وتنظيمات أو أفكار واتجاهات،وإن اختلفت مسمياتها وتباينت صورها اتحدت في عداوتها للإسلام، لأن الكفر ملة واحدة، وهي الآن تتجلى في الصهيونية والصليبية والعلمانية والبهائية والوجودية وغيرها من الأفكار الضالة والمذاهب المنحرفة التي لم تتوقف محاولاتها المستمرة عن الهجوم على الإسلام، والعمل على الدس الكاذب والتزوير المتعمد للقرآن الكريم، وتزييف المعلومات والأخبار المتصلة بالإسلام وتاريخه وبرسول الله محمد ﷺ وسنّته الشريفة وسيرته العطرة، إن هذه المحاولات التي لم تنقطع في يوم من الأيام والتي يبدو أنها لن تنقطع ما دام هناك شر يتربص بالخير ويحترب معه تفرض على الإعلام الإسلامي أن يعد خططه ويرسم مناهجه لمجابهة مستمرة لا تتوقف، سلاحنا فيها الحق وعدتنا فيها إيمان بالله لا يتزعزع إن شاء الله تعالى .

ثالثاً ـ إبراز الدور الرائد الذي قام به الإسلام في إخراج الإنسانية من الظلمات إلى النور.

إن الإعلام الإسلامي في طليعة القوى التي ينبغي أن تجاهد من أجل توعية البشرية على كل صعيد وفي كل نطاق ليفتحوا عيونهم ويعودوا إلى جادة الهدى والرشاد، ويتمثل ذلك في إبراز دور الإسلام في إخراج الإنسانية من الحيرة والتخبط والضياع في الجاهلية التي كانوا يعيشون في ظلها، حيث كانت المطامع الفارسية والرومانية وما نتج عن هذه المطامع من حيرة وتخبط وضياع بين دعوات مادية وتحلل أخلاقي وانهيار سلوكي وصراع طبقي أشبه ما تكون بالمطامع الصليبية والصهيونية في العالم الإسلامي اليوم. وكما كان للإسلام فضل في إنقاذ البشرية من الضلال والتخبط الذي كانت تعيش فيه قبل أكثر من خمسة عشر قرنا فإنه الأجدر في تخليص الإنسانية من هذا البلاء الذي تعانيه وحمايتها من الأخطار التي تهدد وجودها.

---

(18) المرجع نفسه،ص4 ـ5.



رابعاً - تجميع الطاقات الإسلامية:

إن تجميع الطاقات الإسلامية فكراً وثقافة وعلما واقتصاداً وسياسة وقوى بشرية، وحشدها في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين أمر ضروري، لمجابهة الأخطار التي يتعرضون لها معاً انطلاقا من قوله تعالى:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾
[سورة الفتح: الآية 29]

فالتراحم بين المسلمين، والتساند والتعاضد في مجابهة المخاطر التي تحل بهم، والأعداء الذين يكيدون لهم، واجب لا مناص منه، ولا بد للإعلام الإسلامي أن يتولى مهمة التبصير به، والدعوة إليه، فلا ينبغي أن نترك خصومنا، ينفردون بنا أفراداً أو جماعات أو شعوباً ليذهبوا بريحنا، ويطفئوا نور الله فينا، بل لا بد أن نتصدى لهم، يداً واحدة وقلباً واحداً وصفاً قوياً متماسكاً، لا ينفذ إليه الخور، أو ينتابه الضعف. وبالتآخي بأخوة الإسلام والتعاون بين المسلمين، أفراداً وشعوباً ودولاً، نستطيع أن نستعيد للإسلام مكانته على الأرض ونستطيع أن نقف بالمرصاد لكل المخاطر التي تهددنا من شرق أو غرب، وهنا يأتي دور الإسلام في حمل هذه المهمة العظيمة والترويج لها بين أفراد الشعوب الإسلامية[19].

من خلال ما تقدم نجمل أبرز وسائل الإعلام ودورها في عرض صورة الإسلام .

أولاً - دور الكتاب في عرض صورة الإسلام:

يعتبر الكتاب وسيلة مهمة للدعوة في عصرنا الحاضر، والمطلوب هو كيف نحسن استعمال هذه الوسيلة في تبليغ رسالة الله؟ وإن حسن استعمال الكتاب فيما نرى يعني اختيار المادة المناسبة لكل نوع من القراء واختيار اللغة والأسلوب المناسب لهم وإخراج الكتاب إخراجاً جيداً جذاباً، وتيسير الحصول عليه بسعة النشر والإعلان والسعر المناسب، وإن أهم

(19) انظر الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية (النظرية والتطبيق) أبحاث ووقائع اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد بالرياض تاريخ3 شوال 1396هـ/6 أكتوبر 1976م، ط3، ص 455 ـ 457. الأستاذ : فيصل حسون.

ما يجب أن نعنى بنشره بهذه الطريقة هو :

1 ـ القرآن الكريم

إن كتابنا الأول من حيث المادة المفيدة هو كتاب ربنا، وهو وسيلتنا الأولى والعظمى لتبليغ رسالات الله إلى الخلق جميعا فالله سبحانه وتعالى خالق الخلق جميعاً هو الأعلم بما يصلح للناس وما يصلحهم، وهو العليم بالحقائق التي يحتاجون إليها لهدايتهم والأساليب المناسبة لإيصالها إلى قلوبهم. وإن الدعوة الإسلامية تعني العودة إلى الله ولا نجد شيئا يعرّف الناس بالله تعالى ويصل قلوبهم به مثل كلامه سبحانه وتعالى؛ ولذلك فإن واجبنا تجاه كتاب ربنا سبحانه وتعالى يقوم على الأمور التالية:

أ ـ العناية بنشر المصاحف التي تحمله إلى الناس بلغته العربية التي أنزله الله تعالى بها، ذلك أن القرآن الكريم هو غذاء المسلم الروحي الذي لا غناء له عنه، ولذا يجب أن تكون المصاحف متوفرة لديهم توفر الماء والهواء. ولا بد من التنويه في هذا المجال بالعمل العظيم الذي قامت به المملكة العربية السعودية، وذلك بإنشاء مؤسسة عظيمة كبيرة بمدينة الرسول ﷺ هي مجمع الملك فهد للقرآن الكريم الذي نسخ المصحف الشريف نسخاً جيداً وأخرجه في مصاحف جميلة، ووزع منه الآلاف المؤلفة، وما يزال يوزع ونشكر كذلك الدول العربية والإسلامية التي سارت على هذا النهج الكريم كالأردن ومصر وسوريا وغيرها من بلاد العرب والمسلمين

ب ـ العناية بترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة دقيقة يشرف عليها نخبة من العلماء المسلمين الموثوق بدينهم وعلمهم، تنقل إلى كل قارئ غير عربي أكثر ما يمكن نقله من معانيه، وإننا نكون مقصرين في حق إبلاغ رسالة الإسلام إلى الناس إذا لم يتيسر لهم جميعا الاطلاع على هذه المعاني مهما كانت لغاتهم لأن رسولنا ﷺ أرسل إلى الناس كافة وإن رسالته الشريفة لن تبلغهم إذا لم يطلعوا على معانيها منقولة إلى لغاتهم. ولابد من الإشارة إلى دور مجمع الملك فهد في نشر تراجم معاني القرآن الكريم بما تيسر من لغات العالم بحسب أهميتها .

ج ـ العناية بنشر التفاسير التي يفهمها ويستفيد منها العلماء وطلاب العلم، ونشر تفاسير تيسر لعامة الناس فهم كلام الله تعالى بلغاتهم المختلفة من خلال تعليقات تيسر للقارئ فهم المعاني التي ترجمت إلى لغته .

2 ـ السيرة النبوية : إننا بحاجة شديدة إلى كتب جديدة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تجمع بين ما كان مفرقا من وقائع السيرة وشمائل صاحبها عليه الصلاة والسلام، وتعتمد في هذا كله على الأحاديث والآثار الصحيحة ثم تصوغ ذلك كله صياغة أدبية جذابة فيأتي الكتاب بمنزلة القصة التي تشوق قارئها وتشد انتباهه.

3 ـ ومن تمام الاهتمام بالسيرة النبوية الاهتمام بالسنة النبوية كلها مثل الاهتمام بالصحاح والمسانيد والمصنفات والسنن وغيرها من كتب السنة الشريفة ليتمكن طلبة العلم الشرعي من الإفادة منها والعناية بها دراسة وتحقيقا وشرحا وفقها.

4 ـ ما يقال عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم يقال عن حياة أصحابه رضوان الله عليهم، هؤلاء الصحابة الكرام الذين حملوا هذا الدين بعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبلوا بلاءً حسناً في نشره والدفاع عنه، فواجبنا يقضي أن نعرف الناس جميعاً ولا سيما أولادنا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرتهم العطرة خصوصا الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم أجمعين، كما أن هناك مجالات أخرى نستطيع أن نعنى بنشر كتيبات عنها تتحدث عن الأخلاق والقيم والقادة العظام والشخصيات المهمة من الرجال والنساء في تاريخ الأمة الإسلامية العام أو في التاريخ الخاص بكل أمة من أمم المسلمين الذين يمكن

أن نعدّهم قدوة للمسلمين في أي مجال من مجالات الحياة السياسية والعلمية والعسكرية في تاريخنا القديم والحديث مما يكون تأثيره عظيما في الناس خصوصاً الأطفال والشباب منهم، كما ينبغي أن نعنى بنشر كتيبات في أركان الإسلام وأركان الإيمان والإحسان وكتيبات تعرف بالعلوم الإسلامية المختلفة كعلوم القرآن والفقه والحديث والأصول وغيرها وكتيبات تتحدث عن قضايا إسلامية معاصرة كقضية الحكم بما أنزل الله تعالى وهدي الإسلام في مسائل الاجتماع والاقتصاد وغيرها. كما أننا محتاجون إلى كتب تناقش قضايانا المعاصرة على مستوى علمي رفيع، ومعلوم أن لكل زمان مشكلاته العامة التي تهم أبناءه بغض النظر عن بلادهم ولغاتهم، ولا يجوز أن نجعل كل كتاباتنا في القضايا المعاصرة ردود فعل لما يكتبه الغربيون بل يجب أن نعنى بالكتابات الأصيلة في كل المجالات الحديثة، مجالات القضايا التي تثيرها العلوم الطبيعية وقضايا السياسة العالمية والعلاقات الاقتصادية، وقضايا العلاقة بين الجنسين، وقضايا القيم الأخلاقية وهكذا. ولا بد من الإشارة إلى أنّ الكتاب الإسلامي الحديث يواجه عدداً من المعوقات المتداخلة، بعضها ذاتي، وبعضها خارجي:

1 ـ فمن المعوّقات الذاتية: الأفكار المتطابقة في المؤلفات الحديثة، ولا يعيب الناس أن تكون بينهم وحدة فكرية، إنما الخطأ في انعدام التنوع والإبداع وهو خطأ أشاع روح التقليد والمحاكاة، فمعظم المؤلفات الحديثة يبدأ بالضوابط والقيود والكوابح، في أمة قهرتها القيود والضغوط.

2 ـ ومن المعوّقات الخارجية: أن الكتاب الإسلامي يعيش اليوم في عصر التلفزيون والإذاعة والصحافة، وهذه أجهزة تنافس الكتاب منافسة قوية حادة، ولا يستطيع الكتاب الإسلامي أن يعيش بين هذه الأجهزة، إلاّ إذا كان عميقاً قوياً متجدداً، يقدم للناس ـ للصفوة ـ على الأقل ـ ما لا تجده في تلك الأجهزة، ومن العدل تقدير ما قدمه الكتاب الإسلامي الحديث من فكر أصيل فأبطل به شبهة ورسخ به حقيقة، وما المآخذ التي ذكرت إلا تحديد لنقص قوم قادرين على التمام[20].

ثانياً ـ دور الصحافة في عرض صورة الإسلام:

يأتي دور الصحف والمجلات الإسلامية في الساحة الإعلامية المعاصرة في الطليعة، ذلك أن هذه الوسيلة الإعلامية من أنفع الوسائل وأجداها من الوجهة التوجيهية والدعوية، وهي مما يكون بمتناول اليد بكل سهولة، ولذلك فإن تطوير هذه الوسيلة وتقريبها إلى المجتمعات الإسلامية وأفرادها يعتبران من حاجات الأمة الأكيدة، فهي لسان حال الحياة الإسلامية وترجمان الحضارة الإسلامية التي يحدب عليها الإسلام ويحرص على تعميمها على جميع المستويات العلمية والسياسية والاجتماعية، ولكن كان من خبث المناوئين للإسلام أن يضيقوا الخناق على الصحافة الإسلامية، ويمثلوها أمام العالم بأنها صحافة أصولية عاجزة عن مسايرة الركب الصحفي الراقي الذي أصبح اليوم موضع الإعجاب والتقدير الكبير لدى الناس، ويضعوا في طريقها العراقيل، إما بتسليط جهات استغلالية عليها وإبعادها عن روح الموضوعية والهدف السامي، وإما بطرحها في السوق كسلعة تجارية يساومها الأحزاب والجماعات وتجار الصحافة من الانتهازيين والعملاء، وهكذا تفقد الصحافة الإسلامية تميزها، وتتخلى عن الواقعية، ولا تبالي بما للقلم المسلم من قيمة ومسؤولية.

إن الصحف والمجلات الإسلامية ولا سيما الصحف اليومية التي تنتمي إلى الإسلام تحمل مسؤولية كبيرة في مجال التغطية الإعلامية ووضع الواقع الإعلامي على المستوى العالمي أمام القراء

(20) انظر المرجع السابق: ص311، وانظر مجلة صوت الأمة العدد: (3)، المجلد28، شوال 1416هـ، مارس، 1996م، ص27 ـ31، مقال: وسائل الدعوة إلى الإسلام في عصرنا بقلم أ. د. جعفر شيخ إدريس.

والمهتمين بالاطلاع على الأخبار ومجريات الأحداث بكل حياد ومن غير انحياز طبقي أو عنصري أو قومي، ذلك أن الإعلام العالمي السائد اليوم بعيد كل البعد عن منهج العدل والعرض الواقعي، ومن شأنه أن يهول ما يريد تهويله من أخبار وقضايا ويجعل القضايا المهمة، والأحداث الخطيرة في طي التعتيم الإعلامي ولا سيما الأنباء التي لها علاقة بالمسلمين والعالم الإسلامي، أو بما جرى ويجري ضدهما في الغرب من وضع مخططات معادية تعبث بالفكر الإسلامي وتبعث الكراهية والمقت في النفوس نحو الأمة الإسلامية ورسالة الإسلام.

إن المجهودات التي تقوم بها الصحف والمجلات الإسلامية في العالم الإسلامي اليوم من إبراز الجوانب الحيوية ومعالجة قضايا الأمة الإسلامية والتعليق على الأحداث والوقائع التي تحدث في بلاد المسلمين هي مساع مشكورة، لأن صحافتنا الإسلامية تفضح مراوغات الصحافة الانتهازية المادية التي تعمل جاهدة لتشويه صورة الصحوة الإسلامية وتسعى إلى تشويه الحقائق المتعلقة بالإسلام، وإسدال الستار على واقع الإسلام ونظمه، وواجب الصحافة الإسلامية اليوم هو إبراز النواحي الإنسانية الحية التي جاء بها الإسلام والمحافظة على القيم الخلقية والمثل الإسلامية في جميع مراحل الترتيب والطبع والنشر والتوزيع، وعلى الصحافة الإسلامية دور كبير لمواصلة نشاطها من خلال سرعة التنفيذ الإعلامي وتوظيف أجهزته الإعلامية المختلفة، وذلك لبيان الحقائق والأرقام والإحصاءات الدقيقة، لكي تستطيع أن تقاوم ذلك التعتيم الإعلامي الذي تقوم به وسائل الإعلام المغرضة في البلدان المادية.

ومن واجب الصحف والمجلات الإسلامية أن تقوم بتصحيح مسيرة الإعلام وتجلي الحقيقة بروح موضوعية في كل عمل إعلامي مصحوب بالمظاهر الخلابة من التحقيق والتزيين، والصور والألوان والاستطلاع لكي يمكنها فضح مخططات الغرب المعادية للإسلام والمسلمين ومن معهم من القوى المتآمرة وإبراز مبادئ الإسلام الرحيمة وقيمه الأخلاقية العظيمة بطريقة حضارية يقبل عليها أبناؤنا ويتقبلها أعداؤنا نملأ من خلالها الفراغ النفسي والإيماني والأخلاقي الذي يعانون منه [21].

ثالثاً- دور الإذاعة في عرض صورة الإسلام:

كانت درجات الصوت في الإذاعة في العصور الماضية تتفاوت بين الخفيض والمتوسط والجهوري وهي درجات محكومة بقوة الصوت المحدودة، أما اليوم فقد تغير الحال،حيث تضاعف مدى الصوت بلايين المرات، وامتد حتى اخترق القارات ونفذ إلى سكانها.

هذا التقدم العلمي لوظائف الحواس يقدم إلى الدعاة وسائل جديدة تعينهم على أداء رسالتهم،بعد أن كان الطغاة والخائفون من الحقيقة يمنعون الدعاة من تبليغ كلمة الله إلى الناس، فجاء المذياع ليبلغ دعوة الله إلى الناس الذين لم تبلغهم الدعوة الإسلامية من خلال الإرسال الإذاعي القوي المبثوث بمختلف اللغات واللهجات، أو على الأقل - تبعث فيهم فطرة البحث عن الحقيقة فتكون وظيفة الدعاة - من ثم - تثبيت الاقتناع والدخول في تفاصيل العبادة والسلوك.

ولا شك أن هذا العمل الإيجابي في استثمار الإذاعة في الدعوة إلى الله يفيد الإسلام، ويحفظ طاقة المسلمين من أن تضيع في جدل: موجزه ما مصير الذين لم تبلغهم الدعوة، أهم هالكون أم ناجون؟

في هذه اللحظة يموت خلق كثير من بني آدم، وفي كل

---

(21) انظر مجلة البعث الإسلامي: عدد(6)، ج: (43)، ص3، الإعلام الإسلامي ودور الصحف والمجلات الإسلامية: سعيد الأعظمي، وانظر الصحافة في ضوء الإسلام، د. مصطفى الدميري، ص 137، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ص 137، وص141.

يوم، وكل ساعة، وكل ثانية، يموت كثير من الناس -إلا من رحم الله - على سوء الخاتمة وعلى الكفر والضلال.

ومن الرحمة بالبشر إنقاذهم من هذا المصير، وسرعة الإنقاذ توجب سرعة الوسيلة أي استخدام الإذاعة في خطبة الهداية.

والمؤذن يثاب بمدى صوته، كما قال رسول الله ﷺ: (لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا أنس ولا شيء، إلا شهد له يوم القيامة)، وكذلك الداعية يثاب بمدى صوته، وبعد بلاغه ودعوته.

رابعاً - دور التلفزيون في عرض صورة الإسلام:

لقد اقتحم التلفزيون الجدران والأسوار، واتصل بالناس وهم في بيوتهم، وتستطيع الأسرة أن تستمع إلى محاضرة أو تشاهد فيلماً أو تطلع على حدث عالمي، أو تتابع مناظرة فكرية، دون أن تنتقل من مكانها، وهذا تيسير ثقافي لم يحدث في التاريخ البشري المكتوب وغير المكتوب. ومن التمييز التلفزيوني اختيار الوقت واختصار المتاعب وإلغاء الامتيازات الثقافية التي كان الكهان والنبلاء يحتكرونها، وتعميم المعرفة بين الناس.

والتلفزيون ينقل نفرة الحجيج من عرفة أو ينقل لقطات من بدائع الله في الكون، من خلال رحلات الفضاء، فيشرك المشاهدين في نعمة الدين، ونعمة الإعجاب بخلق الله تعالى، وينقل الجريمة والعنف والشخصيات المشوهة نفسياً وأخلاقياً، فينقل التخلف ويصيب المجتمع بهذه البوائق.

إن إدراك هذا الواقع يوقد في العزم رغبة في تحويل التلفزيون إلى أداة تسهم في تمكين الدين في الأرض، وتحسين مستوى الانسان.

ومما يزيد هذه الرغبة توهجاً الإدراك بأن أثر التلفزيون يتعمق ويمتد أكثر في طائفتين من الناس :

1 - الأميين.

2 - الأطفال.

وأسباب التأثير مشتركة بين الطائفتين تقريباً وهي: الانهيار وفقدان الحصانة الثقافية وعدم القدرة على الانتقاء والاختيار.

والأمة الإسلامية تنتمي كلها - بلا استثناء - إلى العالم الثالث، فإذا أخذ الوطن العربي كمثال من العالم الإسلامي، تبين مدى أثر التلفزيون في الأميين والأطفال، ومن هنا ينبغي المسارعة إلى تحويل التلفزيون إلى وسيلة خير وهدى تحمي هذه الجموع من التأثير السيئ بل تجعل التلفزيون جهاز تعليم ناجح لمحو الأمية ويعجل بإنضاج الأطفال نفسياً وفكرياً، ويحرر العقل المسلم من قيود الخرافات والبدع ويعرض صورة مؤثرة في نفوس المشاهدين عن مبادئ الإسلام وتشريعاته وقيمه الأخلاقية المختلفة [22].

خامساً - دور القنوات الفضائية في عرض صورة الإسلام:

إن الإعلام بوسائله التقنية الحديثة، دخل طوراً جديداً من التأثير والنفوذ في حياة الأمم والمجتمعات نتيجة التقدم التقني الذي شهدته هذه الوسائل المعروفة بوسائل الإعلام الجماهيري في العقود الأخيرة من القرن العشرين. وذلك بعدما ارتبطت أجهزة التلفاز بالقنوات الفضائية التي تبث برامجها عبر الأقمار الصناعية، فلم يعد بثها محصوراً في مكان أو حدود سياسية، أو بقعة جغرافية، بل أصبحت تتخطى الحدود، وربما تجاوزت كل وسائل الرقابة، ودخلت جميع البيوت دون استئذان، وملأت فراغها بهدوء تام، وأصبح للقنوات الفضائية أثر كبير في صياغة ثقافة الأسرة، وتكوين عاداتها وتقاليدها نظراً لما تتمتع به من حرية الحركة، والتجوال بين أفرادها، من خلال برامجها الثقافية والتربوية والترويحية.

ومن هنا تبرز أهمية البث الفضائي المباشر في

(22) انظر الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية،ص307.

عرض صورة الإسلام لعمارة الكون بالعدل والخير والسعادة ويتم ذلك بعدة أمور منها:

1 ـ التشجيع على فهم الدين فهماً صحيحاً، وتصحيح المعتقدات الخاطئة، والأفكار المنحرفة والمفاهيم المشوهة والبدع المضللة التي انتشرت بين الأغلبية من عامة المسلمين بسبب جهلهم بالدين، وابتعادهم عن كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ، وعن منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، ولا شك أن الفضائيات من أقدر الوسائل الإعلامية على أداء هذه المهمة لأنها تخاطب معظم فئات المجتمع.

2 ـ الترغيب في أداء العبادات المفروضة، والتحذير من مغبة الإهمال فيها، وما يترتب عليه من خسائر دنيوية وأخروية، وبيان ما تحقق للإنسان من طمأنينة نفسية، وسعادة قلبية، ولذة إيمانية، وينبغي التركيز بصفة خاصة على الصلوات الخمس بنقل شعائرها على الهواء مباشرة من المساجد المختلفة في بلاد المسلمين.

3 ـ طرح الحلول للقضايا العصرية التي تتعلق بشؤون المرأة،وحقوق الإنسان، ومشكلات الشباب ومعاملات المال والاقتصاد، أو ما يستجد من استكشافات علمية ومخترعات حديثة بأسلوب مشوق معتمد على الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح والحقائق العلمية بأمانة ومصداقية.

4 ـ تكثيف البرامج والأسئلة والاستفسارات العلمية على الهواء مباشرة واختيار نخبة من العلماء المتمكنين بعلوم الشرع، وحسن مخاطبة الناس بأسلوب علمي جذاب لتوجيه الناس في أمور دينهم ودنياهم .

5 ـ الإسهام في التقويم الخلقي للناس ولا سيما الشباب وتعديل سلوكهم بما يتلاءم مع حقائق الإسلام لصنع أجيال مؤمنة بربها، وإرساء قواعد الحق والفضيلة، وغير ذلك من القيم الإيمانية التي يدعو إليها الإسلام ويستعان في هذا الباب بإنتاج برامج مرئية هادفة تزرع في النفوس تلك القيم[23].

6 ـ إنتاج البرامج الدرامية من المسلسلات، والتمثيليات، والأفلام والمسرحيات التي تبرز جانباً من جوانب الحضارة الإسلامية وتحث على الالتزام بخُلُق من الأخلاق الإسلامية السامية، بحيث لا تخرج عن الضوابط الشرعية، والقيم الدينية، وتخلو من كل ما يخالفها من الفن البذيء والفاحش والرخيص.

7 ـ إنتاج البرامج المسلية والمشوقة للأطفال، كبرامج الصور المتحركة الهادفة التي يمكن تضمينها قصة من قصص التاريخ الإسلامي، أو موقفاً من مواقف الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين والسلف الصالح، لتكون بديلاً صالحاً نافعاً عوضاً عن الأفلام الكرتونية الغربية، التي لها آثار سلبية ضارة على أطفال المسلمين وأطفال العالم أجمعين.

8 ـ الحرص على إبراز عالمية الدعوة الإسلامية وقدرتها على مواكبة روح العصر، وتحقيق السلام، والتعاون، والتعايش بين البشر، وضمانتها لحقوق الإنسان في أرقى صورها ومعاداتها للتمييز العنصري، والتطرف والتعصب، والتأكيد على أن الإسلام يحترم أديان أهل الكتاب بأصولها الربانية قبل التحريف.

9 ـ كشف زيف المسميات التي أساءت إلى الإسلام والمسلمين والتي يتعمد الإعلام الأجنبي إطلاقها لأغراض خبيثة هدامة، مثل إطلاقه صفة (الأصولي) أو (الإرهابي) أو (المتطرف) على المسلم، ومعلوم أنه يوجد فرق كبير بين الأصولية الإسلامية التي هي دعوة للعودة إلى الجذور

(23) انظر مجلة البعث الإسلامي: العدد الثاني، شوال، 1423هـ، ج48، ص52 ـ57، بحث بعنوان دور القنوات الفضائية وقدرتها الإعلامية في حياتنا المعاصرة، أ.د.محمد نعمة الله الندوي، وانظر مجلة البيان، العدد143، رجب، 1420هـ ، نوفمبر 1999م، ص80.

والأصول والتمسك بمبادئ الدين وبين الإرهاب الذي هو ظاهرة عالمية لا علاقة لها بالإسلام الذي جاء لمحاربة الإرهاب واقتلاع جذوره من الأرض، وطلب من جميع اتباعه التصدي للإرهاب ومحاربته لأنه لا علاقة له لا من قريب ولا من بعيد بالإسلام .

10 ـ التصدي للغزو الثقافي الأجنبي وحماية الأجيال الصاعدة من إغراءات هذا الغزو ودعوته المفتوحة للانحراف والإباحية والعنف.

11 ـ تطوير البرامج الدينية وتبسيطها ضمن خطة شاملة تعيد النظر في الأساليب المتبعة حالياً، وتبتكر الجديد في مجال مخاطبة المتلقي، ولا سيما الشباب باتباع أحدث الأساليب، وأكثرها تشويقاً وإثارة حتى تتحول إلى عوامل جذب وتحقق الأهداف المرجوة.

سادساً ـ دور الإنترنت في عرض صورة الإسلام:

إن الإنترنت من أقوى وسائل الاتصال حتى إنه ليكاد يطغى على وسائل الإعلام الأخرى بما يتصف به من المزايا المتمثلة في سرعة الاتصال وقلة التكلفة، والكم الهائل من المعلومات المتوفرة ونقل الملفات والمعلومات،مما جعله وسيلة مهمة للدعوة، بل هو من أنفع وسائل الدعوة، وأكثرها نجاحاً، حيث يسهل الإنترنت للداعية الاتصال بالمئات، وربما الآلاف من الناس بصورة فعالة، وفي نفس الوقت يوفر كثيراً من وقته وماله وجهده، وقد اتجهت جهود المسلمين منذ منتصف عقد التسعينيات إلى الاستفادة من هذه الوسيلة الجبارة لإدخال الاهتمامات الدينية، والسياسية والثقافية في شبكة المعلومات، وهذا من الواجبات الملزمة للمسلمين في هذا العصر، فكما يحرص أهل الديانات والاعتقادات والمذاهب الباطلة على نشر زيفهم وينفقون في سبيل ذلك الأموال الكثيرة فمن باب أولى أن يحرص المسلمون على نشر أفكارهم الصحيحة في العقيدة والسلوك، وأن يصححوا المفاهيم ويردوا على الطعون والأباطيل التي يروجها أعداء الله ضد المسلمين، وأن يقدموا الحلول الشرعية النافعة لمشكلات الإنسان المعاصر.

ومن أهم خدمات الإنترنت البارزة التي يمكن تسخيرها في عرض صورة الإسلام ما يلي :

1 ـ الدعوة إلى الله عن طريق البريد الإلكتروني وهي تقوم على محورين أساسين:

أ ـ أن يوجه المسلم الرسائل الشخصية المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى، إلى الأشخاص الذين تعرف عليهم مسبقاً عبر الشبكة أو اللقاء في مكان، أو مؤتمر، أو اجتماع، أو خلال سفر من الأسفار، وينبغي أن تكون الرسائل مشتملة على ما يتناسب مع عقولهم، إرشاداً وتوجيهاً وتبصيراً أو بدحض شكوكهم وشبههم أو بحل مشاكلهم في ضوء تعاليم الإسلام.

ب ـ تطبيق فكرة دليل المهتدين الدعوية، وهذه الفكرة تجربة دعوية ناجحة من حيث المبدأ وخصوصاً إذا توفرت فيها العناصر الكافية إذ تقوم على إرسال رسائل منتظمة إلى المشتركين في القائمة البريدية.

ويستخدم دليل المهتدين موقع WWW.EGROOPS.COM الذي يقدم خدمة قوائم البريد المجانية، ويمكن لأي شخص الذهاب إلى ذلك الموقع وإنشاء قائمة بريدية خاصة مجاناً، ويمكن من خلال هذه القائمة البريدية إضافة العناوين البريدية لعدد غير محدود من الناس، ومن خلال عنوان معين يكون خاصاً بالقائمة، يقوم المستخدم لهذا الموقع بإرسال رسالة دعوية واحدة تصل إلى جميع المشتركين في القائمة.

2 ـ منتديات الحوار: الحوار الهادئ المتزن، المدعوم بالحجة والإقناع من أهم مرتكزات الدعوة وأجدى أساليبها لأن الإنسان مجبول بفطرته على النقاش والحوار والجدال قال تعالى:

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [سورة الكهف: الآية 54]

ومن أمثلة هذه المنتديات: إسلامك. أو أرجي. WWW.Islamic.org.uk.discussions فارس. نت www.Faras.net/saha

3 ـ ومنها إنشاء المواقع الإسلامية ونشر قصص المسلمين الجدد وأقوالهم وأقوال غير المسلمين عن الإسلام.

وفي نهاية هذا البحث المتواضع أدعو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد قدمت مادة علمية ، فإن وفقت فمن الله تعالى، وإن قصرت فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله تعالى ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





الحوار مع الآخر

نحو رؤية إسلامية موحدة

الدكتور الشيخ عكرمة صبري*

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطاهرين المبجّلين وصحابته الغر الميامين المحجّلين ومن تبعهم واقتفى أثرهم وسار على دربهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد فإن ديننا الإسلامي العظيم لم يضق ذرعًا بالأديان السابقة بل أقرّ التعددية وتعامل مع أتباع الديانات الأخرى بتسامح ومحبة بعيدًا عن التعصب والتشنج والمعاداة .

فالمسامحة هي المساهلة من التسهيل. وسمح بمعنى أعطى. ويقال: في الحق مسمح أي متسع ولا مجال للباطل.

ويعتبر التسامح من القيم الرفيعة من العناصر الإنسانية الإيجابية التي تقوّي الروابط بين الناس، وتشيع فيهم الألفة والمودة والمحبة والوئام. ومن أبسط صور المسامحة: أن يُسقط الشخص حقه ويتنازل عنه تجاه غيره. أو أن يطلب المعتدي المسامحة من المعتدى عليه فيستجيب الأخير لطلبه. فالمسامح بعمله هنا قد بدّل الكراهية إلى المحبة، والعداوة إلى الألفة. وهذا ما نلمسه ونلحظه على أرض الواقع في مراسم الصلح التي تحصل بين العائلات حين ينشب بينها خلاف.

المحور الأول:

حث الإسلام على التسامح

يدعو ديننا الإسلامي العظيم إلى القيم الخلقية الرفيعة، التي منها الصفح والعفو والمسامحة بشكل عام فيقول الله عز وجل:

﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [سورة الحجر: الآية 85]

ويقول رب العالمين في آية أخرى:

﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التّغابُن: الآية 14]

وهناك عشرات الآيات الكريمة التي تدعو إلى ذلك .

قد يتوهم البعض أن التسامح يأتي عن ضعف واستكانة واستسلام!! وهذا توهم خاطئ مغاير

---

* المفتي العام للقدس وفلسطين / خطيب المسجد الأقصى المبارك

للحقيقة. فالتسامح ينطلق من القوة والمقدرة، وكما هو معلوم ومعروف أن العفو يكون عند المقدرة، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الشورى: الآية 40]

ويقول عز وجل في آية أخرى:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [سورة الشورى: الآية 43]

فالذي يعفو ويصفح يكون قوي العزيمة ضابط الأعصاب كاتم الغيظ، ويقول رب العالمين:

﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: الآية 134]

فالقرآن الكريم يشجع على العفو والصفح والمسامحة فيما بين الناس في عشرات الآيات الكريمة. ولا تخلو آية كريمة تتضمن عقوبة إلا وفيها حث على العفو والصفح والمسامحة.

المحور الثاني:

المبدأ العام للتعامل مع غير المسلمين

لقد وضع القرآن الكريم المبدأ العام لتعامل المسلمين مع غيرهم، وذلك من خلال قوله عز وجل:

﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾
[سورة الممتحنة: الآيتان 8 و9]

ويفهم من هاتين الآيتين الكريمتين أن أهل الكتاب بشكل خاص وغير المسلمين بشكل عام يقسمون إلى قسمين:

أ ـ قسم مسالم وهم الذين يعرفون بأهل الذمة.

ب ـ قسم معادٍ وهم الذين يعرفون بالمحاربين.

والذي يعنينا هنا القسم الأول، وقد جرى الاصطلاح الإسلامي على إطلاق اسم (أهل الذمة) على المواطنين من غير المسلمين في الدولة الإسلامية بناءً على «عقد الذمة» وهو عقد بين الدولة الإسلامية من جهة وغير المسلمين من جهة أخرى يتم بمقتضاه قيام الدولة بحمايتهم أي أنهم يصبحون في عهد المسلمين وأمانهم.

والحكمة من مشروعية هذا العقد: أن يقف أهل الذمة على محاسن الإسلام عن طريق مخالطتهم واحتكاكهم بالمسلمين. وهذا مظهر من مظاهر التسامح في الإسلام مع المخالفين في العقيدة ولا بد من تأكيد أن إطلاق (الذمة) على غير المسلمين ليس منقصة بحقهم ولا امتهانًا ولا احتقارًا لهم، بل هو تكريم لهم وتشريف. هذا وقد نعم أهل الذمة في ظل الدولة الإسلامية بحقوق غير موجودة في أي نظام وضعي دنيوي. وقد انفرد ديننا الإسلامى العظيم عن سائر الأديان والأنظمة والقوانين بقدرته على ترسيخ مبدأ التعددية في المجتمع الإسلامي. ويعجز أي نظام آخر عن توفير الحقوق للرعايا المخالفين له في الدين. هذا وقد توالت وصايا الرسول الأكرم ﷺ بأهل الذمة، وتكررت أوامره بالإحسان إليهم، وحفظ حقوقهم والبر بهم. كما تكررت نواهيه عن إيذائهم وظلمهم والاعتداء على حرياتهم الدينية فيقول ﷺ: (ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة)[1] وقال ﷺ في حديث نبوي شريف آخر: (ألا من قتل نفسًا معاهدة له ذمة الله وذمة رسوله فقد خفر بذمة الله فلا يروح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة

1- رواه أبو داود والبيهقي عن صفوان بن سليم عن عدد من أبناء الصحابة عن آبائهم.

2- رواه ابن ماجه والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن الصحابي الجليل أبي هريرة - رضي الله عنه -.

سبعين خريفًا)[2] وقال ﷺ في حديث ثالث: (من آذى ذميًا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة)[3] وأوصى رسولنا الأكرم ﷺ بأقباط مصر خيرًا بقوله: (إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا فإن لهم ذمة ورحمة)[4] والتزم الخلفاء الراشدون وولاة الأمر والقادة الإسلاميون بالهدي النبوي فعاملوا أهل الذمة معاملة حسنة وأحاطوهم بالرعاية والعناية. كما تكلفت الدولة الإسلامية الإنفاق عليهم وتأمينهم عند العجز والفقر والعوز. ويظهر ذلك جليًا بما كتبه القائد الصحابي الجليل خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ في صلح الحيرة ـ في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فقد جاء في نص الصلح: (وجعلت لهم أيما شيخ ضعيف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيًا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام...)[5] وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) وفي رواية (بم استعبدتم الناس...) قال ذلك حين اعتدى ابن عمرو بن العاص والي مصر على الفتى القبطي. ثم قام أمير المؤمنين بمعاقبة المعتدي. كما بلغ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قمة السماحة والرأفة مع أهل الذمة حيث أنفق على مساكين أهل الذمة من بيت المال. وبالرغم من أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أصيب بطعنة من رجل من أهل الذمة ـ وهو أبو لؤلؤة المجوسي ـ فإن ذلك لم يمنعه من أن يوصي الخليفة الذي سيأتي من بعده، وهو على فراش الموت بقوله: «أوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ أن يفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم»[6].

كما سار على هذا النهج الخلفاء الأمويون والعباسيون فقد تولى أهل الذمة عددًا من المناصب الإدارية والمالية بالإضافة إلى حضور المجالس والندوات التي كان الخلفاء يعقدونها للعلماء والشعراء بمن فيهم النصارى واليهود بمختلف التخصصات. ففي عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان الأموي أُسندت الإدارة المالية إلى أُسرة مسيحية ظلت تتوارث فيما بينها تلك الإدارة وهي أسرة سرجون بن منصور الرومي[7].

المحور الثالث:

الحرية الدينية والتعبدية

لقد منح ديننا الإسلامي العظيم أصحاب الديانات الأخرى حرية العقيدة والديانة والعبادة، وقد انفرد الإسلام بهذه الميزات، وتقوم هذه الحرية على الأسس الآتية:

1ـ إن الأنبياء والمرسلين جميعهم إخوة لا تفاضل بينهم في النبوة والوحي، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

[سورة البَقَرَة: الآية 136]

وفي آية أخرى

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [سورة البَقَرَة: الآية 185]

ويقول في آية ثالثة

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النِّسَاء: الآية 152]

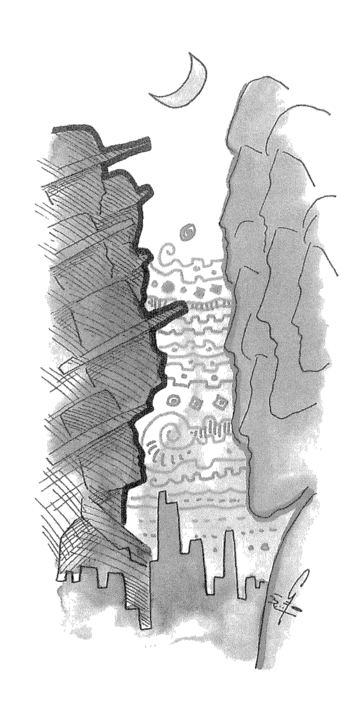
3- أخرجه الخطيب البغدادي والسيوطي عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - بسند حسن.

4- رواه أحمد عن الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري -رضي الله عنه -.

5- كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة 155-156.

6- كتاب إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني جزء 5 صفحة 162.

7- كتاب تاريخ خليفة بن خياط جزء 1 صفحة 276.



2 ـ لا يجوز الإكراه على العقيدة كما لا يجوز إكراه أحد على ترك دينه بل لابد من الإقناع والرضا، والله عز وجل يقول:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾ [سورة البقرة: الآية 256]

ويقول في آية أخرى بصيغة الاستفهام الإنكاري:

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: الآية 99]

3 ـ أن تكون المناقشة والمجادلة مع أصحاب الديانات الأخرى بأسلوب حسن وبالحكمة فيقول رب العالمين:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة آل عمران: الآية 64]

ويقول في آية أخرى:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾ [سورة النحل: الآية 125]

ويقول في آية ثالثة:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْۖ﴾ [سورة العنكبوت: الآية 46]

4ـ إن أماكن العبادة لأصحاب الديانات الأخرى محترمة ومصونة ولا يجوز الاعتداء عليها، والله عز وجل يقول:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ﴾ [سورة الحج: الآية 40]

وترك الحرية لهم بممارسة شعائرهم الدينية وعباداتهم وصلواتهم في المجتمع الإسلامي فلا تهدم لهم كنيسة ولا يكسّر لهم صليب حيث إن ديننا الإسلامي العظيم يؤمن بالتعددية في المجتمع الإسلامي، فقد ثبت أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين دخل بيت المقدس

8- كتاب (تاريخ دمشق الكبير) لابن عساكر جزء 1 صفحة 241.

(15هـ/635م) قد تعهد لمواطنيها النصارى بإبقاء خمس عشرة كنيسة مع الحرية التامة في ممارسة عباداتهم[8]، وكتب تاريخ الحضارة حافلة بذلك للتأكيد على التسامح الإسلامي.

5 ـ ترك الحرية لهم فيما أباحت لهم أديانهم من الطعام والشراب، وإعطاؤهم الحرية في قضايا الأحوال الشخصية والعائلية من الزواج والطلاق والنفقات والميرات وغيرها، وصيانة حقوقهم وحفظ كرامتهم، فقد ثبت أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أمر بإعطاء أهل الذمة، ممن لا يستطيعون العمل، مرتبًا شهريًا من بيت المال وأسقط عنهم الجزية، كما ثبت عنه أنه سمّى الجزية التي كان يستوفيها من نصارى العرب بالصدقة[9].

المحور الرابع: مواقف حضارية تدل على التسامح

هناك عشرات المواقف الحضارية التي تدل على التسامح في الإسلام، وذلك من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأقوال المأثورة التي تحث على العفو والصفح والرفق واللين والمسامحة ، وتنفّر من الغلظة والعنف، أذكر باقة منها على سبيل المثال لا الحصر.

1 ـ قال سبحانه وتعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [سورة آل عمران: الآية 159]

وهذه الآية الكريمة توضح الأسلوب القديم للدعوة الى الله، والخطاب في هذه الآية الكريمة موجّة إلى الرسول ﷺ، ويشمل جميع أتباعه .

2 ـ قال عز وجل موجهًا خطابه إلى موسى وهارون عليهما السلام:

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [سورة سورة طه: الآيتان 43 و44]

فقد قال أحد الصالحين تعقيبًا على هاتين الآيتين: يا رب، إن كان هذا قولك لفرعون الذي طغى وبغى وجمع وادعى وقال: أنا ربكم الأعلى!! فماذا نقول: لمن يسبّحونك بالغداة والآصال؟

3 ـ العفو العام الذي أصدره رسولنا الأكرم محمد ﷺ يوم الفتح الأعظم 8 هـ بحق أهل مكة رغم أنهم تآمروا عليه وآذوه قائلا لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء[10].

القرآن الكريم يشجع على العفو والصفح والمسامحة فيما بين الناس في عشرات الآيات الكريمة ، ولا تخلو آية كريمة تتضمن عقوبة إلا وفيها حث على العفو والصفح والمسامحة.

4 ـ قال الرسول ﷺ: (من يحرم الرفق يحرم الخير كله)[11].

5 ـ قال رسول الله ﷺ: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)[12].

6 ـ (إن هذا الدين يُسْر ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسدّدوا وقاربوا وبشروا)[13].

7 ـ ثبت أن أحد المواطنين كان يفدُ إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، وبعد مدة افتقده عمر فسأل عنه فقالوا له: يا أمير المؤمنين إنه يتابع شرب الخمر. فكتب له رسالة قال فيها: سلام عيك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب ذو الطول لا إله إلا هو إليه المصير. ثم قال عمر لأصحابه: ادعوا الله

9- كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة 136.

10- سيرة ابن هشام جـ6 صفحة 274 وتاريخ الطبري جـ3 صفحة 61.

11- رواه مسلم عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

12- رواه مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

13- رواه البخاري والنسائي عن الصحابي الجليل أبي هريرة.

لأخيكم أن يُقبل بقلبه ويتوب الله عليه. فلما استلم الرجل الرسالة أخذ يقرؤها ويردد عباراتها ويقول: قد حذرني الله عقوبته ووعدني أن يغفر لي فلم يزل يرددها على نفسه ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع ـ أي تاب فأحسن التوبة ـ فلما علم عمر بتوبة الرجل قال: «هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخًا لكم زلّ زلة فسددوه ووثقوه وادعوا الله له أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه». وهذا أسلوب من أساليب الهداية والمسامحة فلم يحاسبه على فعلته بل أعطاه فرصة للتراجع والتوبة وفتح صفحة جديدة .

8 ـ ورد عن الشريف الرضي أن غلامه قد سكب عليه الماء من قبيل الخطأ، فظهر على الشريف الرضي آثار الغضب وعدم الرضا فاستدل الغلام بالآية الكريمة:

﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [سورة آل عمران: الآية 134]

فقال الشريف الرضي: كظمت غيظي. فقال الغلام... والعافين عن الناس. فقال: عفوت عنك. ثم قال الغلام: «والله يحب المحسنين» فقال: اذهب فأنت حر. أي حرره من العبودية.

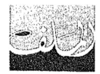
الخاتمة

من خلال المقدمة والمحاور الأربعة ألقيت الضوء بإيجاز بشأن (معاملة المسلمين مع غيرهم ـ المبادئ والتطبيق) لنؤكد أن ديننا الإسلامي العظيم هو دين حضاري إنساني شمولي عالمي، هو دين الرأفة والرحمة والتسامح. فالمعاملة الحسنة في الإسلام ليست نظرية خيالية، ولا قيمة هوائية، كما أن الدين الإسلامي ليس حبرًا على ورق، وإنما هو دين عملي واقعي إيجابي، فتطبيق فكرة العدالة والتسامح في أي مجتمع تعطي أكلها من زرع الثقة والمحبة والطمأنينة بين أفراده وجماعاته في كل زمان ومكان. وينبغي أن نغرس هذه القيم الرائدة الرفيعة في نفوس أبنائنا فلذات أكبادنا، كما ينبغي أن ننقل ذلك عمليًا إلى آفاق العالم، فلم يدخل الناس في دين الله أفواجًا إلا بهذه القيم. وعلى العلماء العاملين والدعاة المخلصين أن يبذلوا الجهد في سبيل إبراز هذه القيم للعالم أجمع.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم .
2- تفسير القرطبي.
3- تفسير الكشاف للزمخشري.
4- تفسير المراغي.
5- صحيح البخاري.
6- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني.
7- صحيح مسلم .
8- سنن أبي داود.
9- مسند الإمام أحمد.
10- الخراج لأبي يوسف.
11- سيرة ابن هشام.
12- تاريخ الطبري.
13- تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر.
14- تاريخ خليفة بن خياط .
15- النظم الإسلامية للدكتور صبحي الصالح .
16- الرسالة الخالدة للأستاذ عبد الرحمن عزام .
17- روح الدين الإسلامي للأستاذ عفيف طبارة .
18- التربية في الإسلام للدكتور الشيخ عكرمة صبري.
19- اليمين في القضاء الإسلامي للدكتور الشيخ عكرمة صبري.
20- قصة الحضارة للمستشرق وول ديورانت.
21- الدعوة إلى الإسلام للمستشرق توماس أرنولد.





الحوار مع الآخر

نحو رؤية إسلامية موحدة

د . عبد الرحمن ابداح*

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد.

فإنه لا يخفى على ذي بصر تنامي الإحساس بأهمية هذا الموضوع على مستوى عالمي بسبب الانفتاح الحضاري الذي أتاحته وسائل الاتصال الحديثة، وضرورات التبادل الثقافي التي تقتضي تحديد مساحة مشتركة للحوار الإنساني تقوم على الاعتراف بالآخر ليس لإلغائه ولكن للتواصل معه والاستفادة منه.

ومما يؤسف له أن بعض أطراف الحوار في بحثها عن الذات لا تجد ذاتها إلا من خلال الإساءة إلى الآخر ومحاولة إقصائه وتشويه صورته ، أما نحن معشر المسلمين فإن الاعتراف بالآخر وإكرامه واحترامه وحماية حقه جزء من عقيدتنا وديننا. ويستفاد من نصوص قرآنية كريمه أن الحوار مع الآخر ليس مطلوبًا فحسب ولكننا مطالبون بالدعوة إليه والحث عليه.

يقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ...﴾ [سورة آل عمران: الآية 64]

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [سورة طه: الآيتان 43 و 44]

هذا الاعتراف غير المسبوق وغير الملحوق بالآخر يتحول في الحياة الإسلامية إلى ممارسة واقعية تنطلق من كرامة العنصر الإنساني ووحدة الجنس البشري ، كما بدا ذلك واضحًا في الدولة الإسلامية التي لم تلغ التعدديات والتنوعات حيث ضمت الفارسي والحبشي والرومي تمامًا مثلما ضمت القرشي دون أن يرى أحد لنفسه ميزة على الآخر إلا بالتقوى.

واستطاعت نظرية الحوار في الإسلام أن تتألف كبار العتاة والمعارضين والمناوئين على مستوى الأفراد والقبائل والدول وذلك عن طريق استلطاف النفوس بالمياسرة والمسامحة، وتأليفها بالمقاربة والمساهلة بعيدًا عن الكلمة القاسية الجارحة أو اللفظة النابية ، يزين ذلك كله العفو عن الهفوات والمسامحة بالحقوق

* الأمين العام المساعد لشؤون الدعوة والتوجيه الإسلامي / وزارة الأوقاف ـ الأردن

والابتعاد عن الحماسة الفائرة وردود الفعل الغاضبة، وإحكام السيطرة على العاطفة لكي تظل مع الحق وللحق.

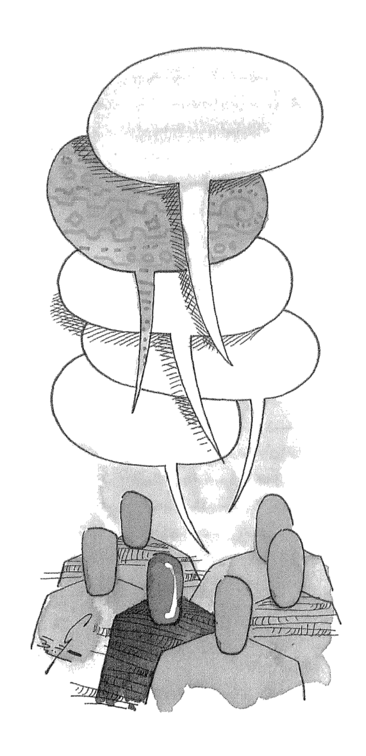
ويمكن التعرف على جانب مشرق للحوار مع الآخر من خلال معاملة المسلمين لأهل الكتاب، حيث سمحت الشريعة بمصاهرتهم:

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [سورة المائدة: الآية 5]

وأكل طعامهم

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [سورة المائدة: الآية 5]

وتأمين حمايتهم في أبدانهم وأعراضهم، ونستذكر في هذا الباب موقف ابن تيمية رحمه الله في وجه التتار حينما أرادوا إطلاق سراح أسرى المسلمين فلم يرض إلا بافتكاك أسرى النصارى، حيث قال: (وإنهم أهل ذمتنا ولا ندع أسيرًا من أهل الذمة ولا من أهل الملة).



الحوار لغة واصطلاحًا:

الحوار لغة: نقول حاوره محاورة وحوارًا أي جاوبه، وتحاوروا: أي تراجعوا الكلام بينهم، والحوار هو الرجوع، والحوار حديث يجري بين شخصين.

الحوار اصطلاحًا: حديث يجري بين طرفين، يسوق كل منهما ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطرف الآخر في منطقه وفكره بنية إظهار الحق، وتقريره.

أهمية الحوار مع الآخر وثمرته وغايته:

يغدو الحوار في هذا الزمان من ضروريات الحياة وضمان استمرارها لأن به تزول الحواجز وتنكشف الطريق، ويسهل الوصول مع الآخر إلى قاعدة ثقافية مشتركة لاستيعاب الواقع، والتطلع نحو المستقبل من خلال تنمية القواسم المشتركة والجوانب الإيجابية بعيدًا عن الهيمنة أو الإقصاء والاختراق.

والمتأمل في بعض النصوص القرآنية المباركة يجد فيها مشهدًا متكاملاً لكل أساليب الحوار وموضوعاته على مستوى حوار الذات وحوار الآخر، بغية الوصول إلى الإنسان، وما يتبع ذلك من تزكية للنفس، وصقل

للمواهب وشحذ للهمم، وتوسيع دائرة التفاهم وتنمية الخبرات، وترسيخ الاتجاه نحو الشفافية والانسجام الحضاري، إضافة إلى تحقيق الوفاق بين أبناء الأمة الواحدة والتفاهم المشترك بين الشعوب على قاعدة الكرامة والعدالة والمساواة.

ولقد تحملت النبوات كل أصناف الأذى والإساءة في سبيل حماية الحوار وتأمين أجوائه وفتح قنواته، حتى إن المواجهة والعنف إنما شرعا لتأمين حرية الحوار وحماية العقيدة، وليس لإكراه أحد على الإيمان والدين، ذلكم أن المواجهة العمياء هي عودة إلى حياة الغاب وشريعة المخلب والناب.

ولقد أدرك خصوم الإسلام هذه الحقيقة، وأيقنوا أن الحرية والحوار هما المناخ السليم لامتداد الإسلام وانتشاره فعملوا على تأزيم الحياة الإسلامية بمختلف الأساليب والوسائل لإغلاق الطريق أمام الحوار، ثم استفزازنا بعد ذلك ودفعنا إلى الانفعال والغضب والعنف، ليقال وراء ذلك ها هم المسلمون وهذه هي طريقهم في الحوار.

ومما يؤسف له أن تقع بعض مؤسسات العمل الإسلامي في هذا الشرك متوهمة أن المواجهة هي السبيل الأمثل الذي يختصر المسافة ويحقق الغاية لتكشف فيما بعد أنها لم تحقق غاية ولم تختصر مسافة وأنها بهذا أساءت إلى نفسها وإلى الإسلام الذي تحمله وتذب عنه.

منطلقات الحوار:

اللغة هي الركيزة الأساس في الحوار والتفاهم والتواصل الإنساني. ولهذا لابد في الحوار مع الآخر من مكنة في اللغة ومعرفة بأساليب البيان والبلاغه فيها، وما يتضمن ذلك من تشبيه واستعارة وكناية وغير ذلك. ولا بد من معرفة لغة الآخر لنتمكن من فهم وجهة نظره، وإيصاله ما نراه نحن، وهذا يقتضي أن تجتهد في ترجمة الكتب الإسلامية إلى اللغات الأخرى، وترجمة كتب الثقافات الأخرى إلى لغتنا وفي الحقيقة تجدنا بحاجة إلى حوار مع الذات قبل الحوار مع الآخر لتجاوز حالة الجمود والتعصب، وعدم المبالاة بالآخر ظنًا منا أنه ليس عنده شيء وليس له وجود.

والحوار مع الذات لابد أن يسلم الإنسان إلى خير، وهو بحد ذاته مفتاح الحوار مع الآخر بدءًا من الأسرة والعلاقات التي تحكمها وتحكم علاقاتها مع من حولها من الجيران والأرحام وصولاً إلى مجتمع الأصحاب والمدرسة والجامعة والناس أجمعين، ذلك أن التعايش يقتضي شعورًا بأن كلاً منا يكمل الآخر وليس نقيضًا ولا ضداً له بالضرورة، وبهذا نستطيع الوصول إلى الآخر والتفاهم معه إذا رغبنا في الاتفاق على وسائل ضبط اجتماعي وتراكم معرفي، وتبادل للخبرات وبلورة للقيم الخلقية واكتشاف وسائل تنمية محضة مستدامة.

على أن الاعتراف بالآخر ضرورة لا بد منها إذا رغبنا في الانفتاح عليه والاستفادة منه، والوصول معه إلى خير يرفع حياتنا ويباركها ويزكيها بعيداً عن الاستكبار عليه أو الذوبان فيه، وذلك اتباعًا وانسجامًا مع نصوص القرآن الكريم التي منها قوله تعالى:

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون: الآية 6]

﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [سورة الشورى: الآية 15]

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة سبأ: الآية 24]

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [سورة الحجرات: الآية 13]

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [سورة الزمر: الآية 18]

ونحن بهذا لا نعادي الثقافات ولكننا نناقشها ونجادلها ونحاورها في محاولة معها للوصول إلى نقاط مشتركة يمكن أن ترسخ الحوار وتزيده ألقًا، وذلك لكي يتنامى الشعور بأننا على هذه الأرض لسنا مجموعة أضداد ولكننا بشر نألف ونؤلف ونمضي نحو الأفضل انطلاقًا من هذه العوامل المشتركة.

مقتضيات الحوار:

يقتضي الحوار مع الآخر معرفة بلغته كما أسلفت،

وفي هذا يقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾
[سورة إبراهيم: الآية 4]

كما يقتضي معرفه بخلفيته والبيئة التي شكلت ثقافته وفكره، والتجارب التي مر بها والمؤثرات الجانبية التي أسهمت في تكوين نظرته إلى الكون والحياة والإنسان، فكل هذه الأشياء تعد عوامل مساعدة في توجيه الحوار وتحديد مساراته.

ولا يجوز أن نتعامل مع من نحاوره على أنه وعاء يتلقى المعلومات مستسلمًا، وإنما نعامله على أنه شريك محاور معين على إنضاج الفكرة والوصول بها إلى كمالها، بعيدًا عن التعصب لغير الحق.

والحوار مع الآخر يقتضي حضوره، لا أن يكون الحوار بغيابه أو الوكالة عنه أو الوصاية عليه أو معه من خلال خصومه، وذلك من باب إنصافه وإتاحة فرصة له مكافئة لفرصة غيره لكي لا يوسم الحوار بالهيمنة والتسلط والإذعان، الذي يعد نوعًا من الإرهاب الخفي الذي يتم من خلاله تمرير ما يريد الطرف القوي في الحوار.

وقد يكون الحوار مع الآخر حوارًا مع الذات حين يغيب الآخر ويستدعى للحوار من لا يمثلونه، وهنا يفقد الحوار هدفه وطعمه، وينتهي الأمر إلى ما يريده القوي في المعادلة، ثم تتحول النتائج إلى هيمنة تزيد المشاكل تعقيدًا، وتستجر الطرفين نحو المواجهة والصراع.

وإنك لتجد كثيرًا من الحوارات إنما يحددها الآخر حسب أجندته السياسية أو الفكرية وأولوياته الاستراتيجية، فتراها حافلة بالشكل والمظهر ولكنها خالية من مضمون الحوار ومحدداته، حيث تبدو وكأنها مناسبات فقط للدفاع عن النفس، وكأننا في قفص الاتهام والناس حولنا حمائم وحملان بريئة .

ولهذا لا بد أن يتم تحديد عناوين الحوار ومحاوره وهدفه باتفاق الطرفين لئلا يستدعى الآخر فقط لملء المربع المرسوم له مسبقًا، يدفعه إلى ذلك تأثره بهالة الطرف الآخر أو قوته أو الخوف منه.

ولا بد للمحاور أن يشعر بالحرية والأمن ليكون كلامه وموقفه نابعين من صميم قناعاته ووجدانه وليس من المؤثرات الجانبية المحيطة به .

وكذلك لا بد أن يشعر المحاور بالاحترام فلا يصح لأحد طرفي الحوار أن يغتال شخصية الآخر أو يسيء إليها أو أن يتجه بالحوار نحو الشخصنة لإظهار فضله على غيره كأن يتحدث عن نفسه أو عن مزاجه أو مؤهلاته وخبراته الشخصية.

على أن الحوار إنما يكون بين طرفين تدفعهما نية صادقة للوصول إلى الحق وتبين الواقع والصدق، ومن هنا فلا يحسن بالمتحاورين أن يكونا يائسين أحدهما أو كلاهما من نتائج هذا الحوار، لأن اليأس المسبق سيترك ظلالاً كئيبة على الحوار ولن يساعد على التقدم خطوة واحدة إلى الأمام.

ولا بد للحوار من مرجعية يتفق عليها الطرفان ويرجعان إليها للفصل فيما تشابه والتبس من الأمر، ولقد تكون أعلى المرجعيات وأغلاها عند الحوار مع الذات في الحياة الإسلامية أن نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أما في الحوار مع الآخر فإنه إن كان فاقدًا للإيمان بهذه المرجعية فيمكن الرجوع به إلى مقررات العقل والمنطق وما أجمع عليه الناس دون نكير ما لم يتعارض مع نص شرعي.

وفي الحوار مع الآخر لا بد من المرونة والمسايرة، فقد سمح النبي عليه السلام لوفد نصارى نجران بأن يصلوا في المسجد النبوي الشريف صلاتهم، وعندما همّ قوم بمنعهم قال دعوهم. وما من شك في أن الشدة والقسوة في الحوار تخلق في النفس ضيقًا وتوترًا، وتقمع الرغبة في مواصلة الحوار والاستزادة منه. ويحسن أن ينعقد الحوار في جو هادئ يعين على التفكير السليم بعيدًا عن الصخب والضجيج الذي تضيع معه الفكرة في زحمة التهويش والانفعال، يقول تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سورة سبأ: الآية 46]

ولا يصح أن نأتي للحوار بمقررات سابقة محسومة في نفوسنا سلفًا لأن في هذا نوعًا من المراوغة والخداع. ولابد أن نسلك في الحوار المنهج العلمي القائم على صحة النقل وتقديم الدليل والمعلومة الصحيحة يقول تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [سورة الإسراء: الآية 36]

آداب الحوار:

سبق الحديث عن بعض هذه الآداب في ثنايا البحث ولكنني أضيف إليها هنا ما يلي:

1 ـ عفة اللسان وحفظه عن الطعن أو الغمز أو الإساءة ولو بكلمة إلى الآخر، وحفظ سائر الجوارح عن إبداء أية حركة يفهم منها الهمز أو اللمز الظاهر أو المبطن تصريحًا أو كناية.

2 ـ حسن الاستماع والإصغاء يقول الله تعالى:

﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [سورة طه: الآية 13]

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [سورة الزُمَر: الآية 18]

وقد كان عليه السلام قدوتنا في هذه الشأن وغيره يقول تعالى:

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [سورة المجادلة: الآية 1]

3 ـ التواضع ولين الجانب وتجنب الحديث عن النفس، حيث يحاول بعضهم إطالة الحديث حول نفسه ليأخذ بها غيره، وهذا نوع انسحاب مبطن من ميدان الحوار وعلامة إفلاس.

4 ـ الانتباه للحديث وعدم تحقيره أو التقليل من شأنه ومواجهة الآخر بالمودة والاحترام يقول سبحانه وتعالى:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾

[سورة الشُعَرَاء: الآيات 221 ـ 223]

5 ـ إفساح المجال للآخر ليعرض وجهة نظره ودليله إيمانًا بمبدأ تكافؤ الفرص والعدالة والمساواة.

منهجية الحوار:

إن اختلاف وجهات النظر ليس عيبًا علميًا، ولا خطأ منهجيًا بل هو خطوة جادة في الطريق لتصحيح المفاهيم والوصول إلى الحقيقة، لذلك لا بد أن يكون المحاور مستعدًا للاقتناع بالنتائج ولو خالفت رأيه، لأن التعصب المسبق للفكرة يجعل الحوار عديم الجدوى فاقد الأهمية، ولا بد للمحاور من احترام العقل والمنطق وعدم المكابرة بإنكار ما يتوصل إليه من نتائج محسوسة لا تقبل المراء، وليحذر صاحبنا المحاور من الوقوع في التناقض كما وقع مشركو مكة عندما وصفوا النبي صلى الله عليه وسلم مرة بالسحر ومرة بالجنون لأن التناقض في هذا واضح، وهو أيضًا واضح في قولهم كما جاء في القرآن الكريم:

﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾

[سورة القَمَر: الآية 2]

لأن السحر لا يستمر.

ومن منهجية الحوار أن يبنى على خطة واضحة تتحدد فيها معالم الحوار وأهدافه، وآلياته التي منها: صحة المعلومة، والاستعانة بذوي الخبرة، واعتماد المنهج العلمي المبني على التفكير والتحليل والاستنباط وتجنب القفز على المراحل النقاشية وذلك بهدف الوصول الهادئ السليم إلى الهدف.

شروط الحوار:

لابد أن بعض هذه الشروط مضى في ثنايا البحث ولكنني أؤكد هنا على بعض الشروط التي لابد من مراعاتها فمن ذلك:

1 ـ التخلي عن الأنانية.

2 ـ أن يكون المحاور صاحب نظر مستقل، لا أن يردد مواقف وكلمات غيره دون فهم.

3 ـ احترام التخصص العلمي والخبرة.

4 ـ أن يكون المحاور طالبا للحق متجردا من الهوى.

5 ـ أن يكون سريع البديهة، حسن الاستشهاد بالآيات والأدلة.

6 ـ المحاورة تكون مع أهل العلم فلا يحاور الجهلاء

يقول تعالى:

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [سورة الإسراء: الآية 107]

أي أن الله تعالى أغناكم عن محاورة الجهلاء بإيمان العلماء.

معوّقات الحوار

معوّقات الحوار كثيرة ولكن أهم هذه المعوّقات ما يلي:

1 ـ المعوّقات الشخصية: مثل الثرثرة والإطناب واللف والدوران وعدم الوضوح في العرض، وغياب الأدلة والبراهين وإخفاء الحقيقة وسرعة الغضب والتعصب الشديد.

2 ـ المعوّقات الموضوعية: ومنها الضوضاء والتشويش، تباين المفاهيم، واختلاف الأجيال وهذه معوّقات عامة ولكن هناك معوّقات أخرى تبرز عند الحوار في الموضوعات ذات الصبغة الدينية من ذلك :

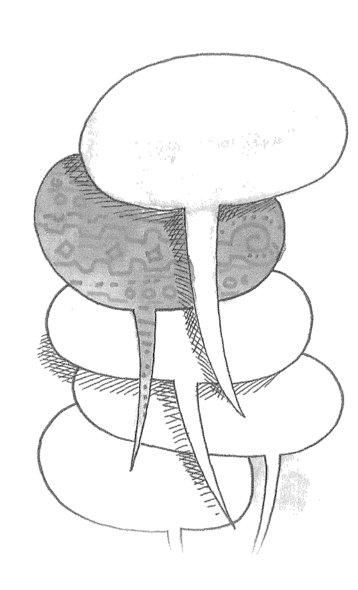
1 ـ اتباع منهج حر في تفسير النصوص الشرعية، بما يتضمنه ذلك من انتقائية وجهل بأصول الاستنباط وأدواته.

2 ـ أخذ المعرفة عن طريق السماع، مع جهل بالأدلة والبراهين حتى أوصلت مثل هذه المعارف أصحابها إلى التقليل من شأن الأئمة الأعلام تحت مظلة (هم رجال ونحن رجال).

3 ـ العزلة عن المجتمع، فالذي يعتزل المجتمع كأنه يعلن الحرب عليه والكراهية له، وعدم القدر على التعايش معه والتأثير به يقول عليه السلام : (الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم).

أولويات الحوار مع الآخر في هذه المرحلة

1 ـ رغبة في حماية الأمة من مخاطر التبعية يحسن بالحوار أن يتجه نحو مصالح الأمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية على نحو يؤهلها للثبات في وجه التحديات وإثبات وجودها والقيام بدورها الإنساني الرفيع.

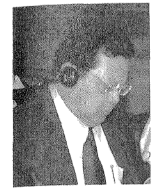


2 ـ تشخيص أزمة الإنسان المعاصر وبيان إفلاس الحضارة في حل المشكلات الإنسانية، وأنه لابد في سبيل الوصول إلى سلام عالمي شامل من اتباع منهج الله تعالى الذي تظهر فضائله ومزاياه في كل باب من أبواب الحياة.

3 ـ الحوار بين العروبة والإسلام للتأكيد على علاقة تكاملية اندماجيه بينهما، فالعربية هي لبوس ديننا، ووعاء ثقافتنا ولغة كتاب ربنا وسنة نبينا، وإن العرب هم عصبة الإسلام وحملته إلى البشرية كلها.

والله ولي التوفيق .





الحوار مع الآخر

من أجل نهج إسلامي موحد

أبو بكر محيي الدين*

بالرغم من وصول العالم إلى أعلى مستويات التقدم التكنولوجي والعلمي نراه محملاً بالعديد من المشاكل العتيقة. نرى الحروب هنا وهناك ونرى خطر الحرب النووية يلوح في الأفق. نرى الصدامات المستمرة بين الشعوب والأفراد على أساس النزاع الديني والقومي واللغوي والاقتصادي في كل وقت وفي كل مكان من العالم. لقد غاب السلام وذهبت القناعة وقلّ حس الحفاظ على البيئة ورعايتها وتهمشت مسائل مثل العدالة والتسامح والحوار مع الآخرين الذين لهم وجهات نظر مختلفة وأديان مختلفة نظرا لتلك النظرة المادية العالمية التي أثرت بطريقة كبيرة في الأثر الديني في مجتمعاتنا المعاصرة.

وفي هذا المضمار فإنه من الأهمية بمكان التركيز على دور الدين في نشر سلام ووئام عالميين. إن الحوار بين ديانات العالم عظيم الأهمية بمكان من أجل العمل على فهم الروح الحقيقية التي تدعو إليها الأديان التي يعتنقها ويدين بها الناس في مختلف أنحاء العالم والتي تدعو إلى الحب والاحترام المتبادل والتسامح والعفو والرحمة ومراعاة حقوق الغير والوئام والسلام والأخوة والحرية بغض النظر عن الطريقة التي يمارس بها أتباع كل دين دينهم.

لقد كان الدين دائماً هو الأساس المتين للحضارة الإنسانية، ذلك الهدي الإلهي والهداية الحقة من الله سبحانه وتعالى التي قد أضاء نورها عن طريق آلاف الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى إلى الأمم القديمة. لقد جاءت رسالاتهم سواء كانت مكتوبة أو غير مكتوبة مراعية لظروف الناس الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والفكرية آنذاك.

إن ذلك النور الإلهي الذي أوحى به الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى أنبياء الله آدم ونوح وموسى وإبراهيم وداود وعيسى عليهم السلام قد نسيه الناس أو حرفوه، ومنهم من كفر به وقت نزوله أو بعد حين مسببا صراعات حتمية في المجتمع حيث إن الإنسان في الأساس مخلوق ذو قيم أخلاقية والذهاب ضدها ذهاب ضد فطرته أدرك أم لم يدرك. إن الهدي الإلهي الذي أوحى به الله تعالى إلى نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان من نفس النبع ونفس النبراس

* رئيس جمعية الدعوة الإسلامية بسنغافورة

الذي أوحى به من قبل جاء خاتما لها.

نحن كمسلمين ندرك أن الشرائع التي جاء بها الرسل قبل النبي محمد ﷺ قد تم تحريفها إلى درجات معينة ولكن عند شروعنا في الحوار مع أهل تلك الشرائع علينا أن نتجنب توجيه النقد اللاذع لهم، الأمر الذي قد يأتي بنتيجة عكسية ورد فعل غير محمود منهم.

قال عز من قائل:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة الأنعام: الآية 108]

الإسلام والحوار مع الآخرين:

إن وجود القيم الأخلاقية العامة في جميع الأديان والحضارات يدل على حقيقة وحدة المصدر، قد يختلف إيلاء الأولوية لكل قيمة من تلك القيم باختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فعلى سبيل المثال توقير الأم يأخذ شكلاً زائدا عن الحد قد يصل إلى الغلو عند شعوب الشرق الأقصى بينما هو عند المسلمين من تقوى الله.

يؤمن المسلمون بجميع الرسل والأنبياء والكتب التي جاءت على مدى تاريخ البشرية. بل إن الإيمان بهم من أسس الإسلام وعليه فالمسلم تابع حقيقي لسيدنا إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل عليهم السلام. وهذا إعلان منا عن وحدة الناموس الذي أتت منه الديانات وأن الدين هو الشيء الجامع والموحد لكل الناس على طريق الأخوة.

قال تعالى في محكم تنزيله:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

[سورة العنكبوت: الآية 46]

يعلمنا القرآن الكريم الطريقة والأسلوب الذي يجب اتباعه في الحوار.

ركائز الحوار مع الآخرين :

هناك بديهيات عامة تسهل للمسلمين القيام بحوار مع أنفسهم ومع الآخرين. ويضمن هذا الآتي :

- ❖ الله سبحانه وتعالى واحد لكل شيء. قد تختلف تسميات الآخرين ولكن يظل هو الواحد الذي يرجعون إليه. وإن وجدت بعض الاختلافات المفهومية.
- ❖ الكون واحد سواء كان هناك عالم واحد أم عوالم مختلفة.
- ❖ قانون الطبيعة واحد.
- ❖ الناس عائلة واحدة.
- ❖ أصل المخلوقات واحد.
- ❖ الرسل والأنبياء والحكماء والذين كانوا معلمين أرسلهم الله في أنحاء مختلفة جاءوا من نبع واحد.
- ❖ الوحي الذي هو أساس الدين الحق واحد وإن مختلف الرسالات السماوية جاءت من نفس المصدر الإلهي، والإسلام هو خاتم تلك الرسالات.

قال الله تعالى في محكم تنزيله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[سورة الحجرات: الآية 13]

... عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ:

(الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله) (مسند الحارث : زوائد الهيثمي).

وعنه ﷺ أنه قال: (...الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إنما الفضل بالتقوى..) (المبسوط للسرخسي).

وعنه ﷺ أنه قال: (...لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى...) «مسند أحمد».

الحب والرحمة والتسامح والمغفرة أسس الحوار:

يدعو الدين إلى الحب والرحمة والعفو والتسامح سواء في الإسلام أو المسيحية أو اليهودية أو أية ديانة غيرها، وأود هنا الحديث قليلا عن تلك القيم الإنسانية العامة.

الحب شيء جوهري في أي إنسان. إنه الضوء

الألم، القوى العظمى التي تقاوم كل قوة، فهو يسمو بالروح التي تتشبع به ويهيئها لرحلة الخلود، إن الذين منّ الله عليهم بالمعرفة من خلال الحب يبذلون قصارى جهدهم من أجل زرعه في نفوس الآخرين، يهبون حياتهم من أجل هذا الواجب المقدس ويصبرون على أي صعب في هذا السبيل وحتى آخر لفظة نفس....

الإيثار وحب الغير ذلك الشعور الإنساني النبيل الذي يولد الحب. من عنده القدر الأكبر من هذا الحب فهو البطل الإنساني الأعظم الذي قد استأصل أي شعور شخصي من الكراهية والحقد أمثال هؤلاء من الأبطال تظل ذكراهم حتى بعد الموت. تلك النفوس النبيلة التي تشعل كل يوم مصباحًا جديدًا من الحب في دنياهم، والذين يجعلون قلوبهم نبعًا للحب والإيثار يجلهم الناس في الدنيا ويلقون الجزاء في الآخرة...

الحب هو أقرب الطرق الموصلة إلى قلوب الناس، إنه أسلوب الأنبياء، ومن يقتف هذا المنهاج فهو محبوب مقبول حتى وإن لم يستجب له البعض، إنه عندما يدخل إلى قلوب الناس عن طريق الحب لن يعوقه أي شيء في الوصول إلى هدفه.

الحوار مع الآخرين: الطريقة السنغافورية

الحوار الفعال لا يأتي به كل إنسان، خرج العلاّمة العليم الصديق وبعد أن اطلع بتعمق على الفكر الغربي ومختلف الديانات في رحلاته حول العالم قبل الحرب العالمية الأولى من أجل الدعوة إلى الوئام والسلام، وقد زاد من عزمه اندلاع الحرب العالمية الأولى، وقد أسس جمعية الدعوة الإسلامية عام 1932م كي تكون منطلقًا لرحلاته حول العالم، وفي عام 1949م عمل على جمع القادة المسلمين مع ممثلي الديانات المسيحية والبوذية والهندوسية والسيخية واليهودية والمجوسية في سنغافورة لاعباً دورًا محوريًا في تأسيس منظمة الوئام الديني في سنغافورة وجوهور والحديث يطول في هذا المقام بالنظر إلى مجال القيم الإسلامية. وقد رأست منظمة الوئام الديني هذه 2004م، وقد قمنا بالعديد من الإنجازات بالدعم الجوهري من جمعية الدعوة الإسلامية التي منها:

1 ـ مؤتمر منظمة الوئام الديني من أجل نشر الوئام الديني والقومي الذي ساهم فيه علماء كبار عرفوا وجهات نظرهم في سبيل نشر الوئام الديني والقومي الذي يعتز به كل سنغافوري.

2 ـ برنامج دراسات الوئام الديني الذي تعقده منظمة الوئام الديني في مدرسة إدارة الأعمال التابعة للجمعية بانتظام مما يعمل على فهم وجهات نظرات الآخرين. وقد كانت هناك تعليقات بناءة عند الحديث عن الإسلام خلال هذا البرنامج. وستبدأ المرحلة الثانية منه في أسرع وقت.

3 ـ كرنفال السلام والوئام الديني الذي ساهم فيه أناس من مختلف الأجناس والأديان باذلين قصارى جهدهم في تنظيم هذا الكرنفال لجمع التبرعات من أجل جهود السلام والوئام الديني التي تقوم بها منظمة الوئام الديني.

تضم منظمة الوئام الديني اليوم تسع ديانات مختلفة في سنغافورة يعملون سويا من أجل نشر السلام والوئام، ولكن سنغافورة لا تأخذ السلام والوئام كشيء مسلم به معا مع المبادرات الفردية وجهود المنظمات غير الحكومية في هذا المضمار فقد أعلنت الحكومة خلال فترة رئيس الوزراء السيد لي كوان يو لائحة الحفاظ على الوئام الديني التي انبثق عنها المجلس الرئاسي للحفاظ على الوئام الديني من أجل الإشراف على تلك الأمور، كما تعمل منظمة الثقة القومية على المستوى الشعبي من أجل نفس الأهداف. واليوم نرى قراءة نص «إعلان الوئام الديني» في حفلات الوئام القومي والديني شيئًا مألوفًا في سنغافورة.

تدعو جمعية الدعوة الإسلامية بسنغافورة وغيرها من المنظمات الإسلامية الأخرى بانتظام الممثلين من المنظمات غير الإسلامية لمشاركتهم الإفطار في شهر رمضان الكريم ومشاركتهم الاحتفال بالعيدين وزيارة المراكز الإسلامية والمساجد وتنظيم حفلات الشاي

والحوارات، وبالمثل فإن المنظمات غير الإسلامية تدعو المثلين من المسلمين لمشاركتهم احتفالاتهم حيث يحضرونها غير مفرطين في توحيدهم أو عقيدتهم. تراهم إذا حانت الصلاة في أي مناسبة ما يذهبون وبكل هدوء كي يؤدوا صلاتهم بطريقة جميلة غير لافتة للأنظار، والآن إن منظمة الوئام الديني سوف تعد كتابا بعنوان «الآداب الدينية» كي يفهم الناس الحساسيات الدينية للآخرين ويحترموها..

إن الخدمات الإنسانية لغير المسلمين هي من الحوار، الكلام وحده ليس كافيًا، على المرء أن يتكلم ويعمل في نفس الوقت.

إن خدمة عباد الله من العبادة بغض النظر عن الجنس والدين، علمنا رسول الله ﷺ أن ننشر الرحمة بين مخلوقات الله تعالى عامة...

... عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)...

مبدأ الدعوة بالحال

اتبعت جمعية الدعوة الإسلامية منذ السبعينيات وبطريقة تدريجية أسلوب الدعوة العملية حيث أسست العديد من دور الخير التي منها دار الإصلاح لتهذيب مدمني المخدرات سابقاً، ودار المسنين، وملجأ الأيتام ودار التمريض إلى جانب برنامج توزيع الوجبات الجاهزة المجانية على البيوت، والعيادة الطبية وقسم الاستشارات القانونية وقسم النصح والإرشاد وبرنامج توزيع التموين الجاف على المحتاجين.

دور الخير وخدمات الجمعية هذه مفتوحة للجميع دون التفرقة على أساس الجنس أو اللغة أو الدين.

حيث تشجع الحكومة السنغافورية التعاون مع المنظمات غير الحكومية مثل الجمعية في مختلف نواحي المجتمع الرياضية والخيرية والإصلاحية والتعليمية والثقافية تلك التي تخدم الأمة والمجتمع، يأتي هذا التعاون فيما يسمى بالطريقة الثلاثية بين الحكومة والمنظمات غير الحكومية والناس حيث توفر الحكومة الإعانات بحسب عدد الأفراد بناء على النفقات والقوى العاملة والمصاريف الإدارية التي تقدمها المنظمات غير الحكومية.

يأتي الدعم المادي إلى الجمعية من الزكاة والصدقات بالإضافة إلى الدعم الآتي من المؤسسات، والكنائس والمعابد وغيرها من المنظمات، هذا لأن أنشطة الجمعية واضحة وغير محدودة ومفتوحة للجميع.

هناك مقوله تقول: حب الوطن من الإيمان.

أثمرت جهود المسلمين الرواد في سنغافورة التي تمثل الأقلية المسلمة فيها 15٪ من نسبة السكان في تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي في مرحلة ما قبل الاستقلال عندما وافق البرلمان السنغافوري على تأسيس لائحة إدارة شؤون المسلمين التي انبثق عنها المجلس الإسلامي السنغافوري والمحكمة الشرعية وسجل الزواج الإسلامي.

لقد أدركت الحكومة السنغافورية أهمية وجود مثل هذه المؤسسات من أجل خير المسلمين، الذين هم معظمهم من الملايويين أهل البلاد الأصليين. وتعمل المنظمات الإسلامية في سنغافورة تحت قيادة المجلس الإسلامي السنغافوري جاهدة على إزالة ما تسببه قلة من الحائدين عن الطريق الذين قد أساءوا إلى الإسلام ببعض تصرفاتهم.

يؤمن المسلمون بالتعددية الثقافية والحوار الديني من أجل الوئام والسلام.

قال الله تعالى في محكم تنزيله:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: الآية 99]

وقال عز من قائل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة البقرة: الآية 62]

وقال عز من قائل:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
[سورة الأنعام: الآية 108]

وقال تعالى:

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج: الآية 40]

نزلت الآية السابقة بعد 14 عاماً من العمل السلمي في وجه الطغيان مبيحة الدفاع عن حرية الدين، وانظر إلى السرّ في ترتيب أماكن العبادة هنا وذكر المساجد في نهايتها، لقد كفل القرآن الكريم حقوق الأقلية من النصارى وغير المسلمين حتى وفي أصعب وأحرج الأوقات عندما تم العدوان عليهم في المدينة... المعارض الإسلامية من طرق الحوار حيث نعرض اللوحات والكتب والمطبوعات والتحف والعروض الحية والخطوط والأعمال التقليدية. والأفلام بالإضافة إلى محاضرات في مختلف النواحي الإسلامية والعروض الإسلامية التي تنظمها الجمعية في أماكن مركزية مثل منطقة شينتاون (China Town) ومدرسة إدارة الأعمال التابعة للجمعية، كما تقيمها أيضاً في جوهر وسرواك وماليزيا وبروناي.

والجمعية الآن بصدد إنشاء معرض عن دور المرأة في الماضي والحاضر والمستقبل هذا العام مما سيعمل على إبراز دور ومكانة المرأة في الإسلام ويمكن الآخرين من المقارنة. ويتزامن تنظيم هذا المعرض مع الاحتفال الثالث عشر بمسابقة الأم المثالية على الدرع الذي أهداه فخامة رئيس سنغافورة. تلك المسابقة التي تشترك فيها الأمهات من مختلف الجنسيات والديانات وهي فرصة للتركيز على خلق بر الوالدين وهي أيضاً من طرق التواصل مع الآخرين.

نهج موحد

نحن نمتلك عوامل الوحدة لكن الاستراتيجية تختلف باختلاف الظروف. وقد تحدثنا عن المثال السنغافوري كأقلية مسلمة وكيفية تحقيق الحوار مع الآخرين من خلال العديد من القنوات مثل مبادرات الوئام الديني والأنشطة الاجتماعية والجهود العامة والانخراط في المجتمع، واحترام الآخرين ورعاية حق الجار وحب الأمة، والعمل على تحقيق الأخوة الإنسانية والسلام والعدالة.

خاتمة

لنا أن نجعل الحوار مع الآخرين عبادة حيث إن المسلم دائمًا في معية الله عز وجل حتى نحقق هدفنا وننجح في مساعينا.

عندما يُرى المسلمون أنفسهم للآخرين أنهم واضحون خيرون سوف يحبهم ويساندهم الجميع ليس فقط المسلمون ولكن غير المسلمين أيضاً.

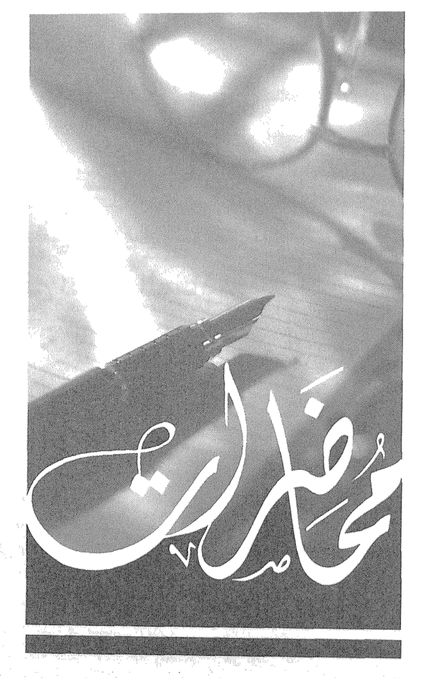
إن الإسلام بكل وضوح هو دين الوسطية والاعتدال، ذلك الهدي الإلهي الذي يرقى بالإنسان وحضارته ويسمو بها يوما بعد يوم. الإسلام عنده الكثير من العطاء للحاضر والمستقبل يأتي بطريقة فعالة. وبالحكمة والموعظة الحسنة.

قال عز من قائل:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل: الآية 125]

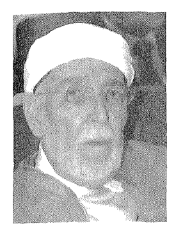
المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم .
2- الحديث الشريف.
3 - الحلال والحرام في الإسلام للشيخ يوسف القرضاوي (الكويت: أي.أي.أف .إس .أو: 1993).
4 - حسين حليم إيسيك ، الاسلام والمسيحية (اسطنبول: وقف إخلاص: 1995).
5- إيان إس . مرخان وتينو روباريل، مواجهة الدين (أكسفورد: Black Well Publisher Ltd: 2001).
6- نحو سلام ووئام عالميين (جمعية الدعوة الإسلامية بسنغافورة: 2005).
7- ضرورة الحوار الديني: منظور إسلامي: فتح الله جولين.



مقاصد الشريعة الإسلامية
ودورها في تقويم مناهج الفتوى في العالم المعاصر





مقاصد الشريعة الإسلامية ودورها في تقويم مناهج الفتوى في العالم المعاصر *

الشيخ محمد الحبيب بالخوجة **

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

إخوتي الأعزاء، أبنائي الأفاضل ..

هذه مناسبة أسعد بها شخصياً، لأنني ألتقي فيها نخبة رجال الفكر الذين يُعِدّون أنفسهم لمهام كبيرة ولأعمال جليلة في مستقبل الأيام بإذن الله، وحضوركم في كلية الدعوة الإسلامية، وطلبكم العلم بها، والاتصال الذي يتكرر مع عدد من الأساتذة المقيمين أو من الأساتذة الزائرين؛ يجعلنا نتحفز إلى أن نقوم بطريقة إعدادية لملكاتنا، تعيننا - بإذن الله - على تحقيق الهدف الذي نريد الوصول إليه.

التواصل العلمي بين العلماء والفقهاء

إن قضية الاتصال العلمي بين العلماء والفقهاء ليست جديدة، بل هي قديمة، وأستطيع أن أقول بأن أهل المغرب أنفسهم كانوا يذهبون إلى الحج عن طريق الجزائر وتونس وليبيا، ثم يفضون إلى البلاد المصرية أو الشرق، ثم إلى الحرمين الشريفين. وهؤلاء كثر، وخير من يمثل هذه الطائفة في القرن السادس الهجري هو (محمد بن عمر بن الرُّشَيْد) صاحب الرحلة المشهورة والمعروفة بـ (ملء الوفاض) سجل فيها ما حصل عليه من علوم وأفكار وآراء ...الخ، من خلال تنقله من بلد إلى بلد، وقد ظل في تونس أكثر من سنة ونصف السنة في الذهاب، وسنة ونصف السنة في العودة. وفي كل بلد كان يجلس إلى علمائه في المساجد التي يفد إليها الطلاب، وكان يفيد من علم المشرق، لكنه لا ينسى حظه في كونه مغربيا، فيقدم الكثير مع التعليق إلى أساتذته ليريهم أن (بني عمك فيهم رماح). هذه الرحلة - التي ذكرتها الآن - تقع في خمسة أجزاء أصدرتُ منها ثلاثة، وليس موضوعنا هنا أن نتحدث عن هذه الرحلة، لكن موضوعنا هو الأخذ عن الشيوخ، والأخذ عن الشيوخ قد يكون مفصولاً بفترة زمنية طويلة، فنحن بالنسبة للموضوع الذي نريد الحديث عنه وهو

---

* محاضرة ألقيت في كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس، بتاريخ: 27 من شهر الحرث 1372 من وفاة الرسول ﷺ (27 من نوفمبر 2004 مسيحي).

** أمين عام مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي / جدة.

قضية (مقاصد الشريعة) أرى أن العلماء الموجودين الآن ليس لهم ضلع كبير في علم مقاصد الشريعة، لأننا منذ زمن طويل خلطنا بين علم أصول الفقه وعلم مقاصد الشريعة.وأنتم تعلمون أن علم أصول الفقه هو (علم يُطلب عن طريقه معرفة الطرق الاستنتاجية للأحكام الشرعية من المصادر الأساسية) فاستنتاج الأحكام له طرق ومناهج واتجاهات، وهذه هي التي تسمى بعلم الأصول. أما علم المقاصد فهو شيء آخر، علم المقاصد هو (البحث عن الحكمة أو عن العلة أو عن السبب الذي يدفع بالناس إلى معرفة ما هو هذا الحكم وما هي طبيعته وكيف نكيفه) فذلك إذا هو المجال العلمي بالنسبة لمقاصد الشريعة. وقلت إن الناس لا يعرفون هذا العلم اليوم لأنه جديد بالنسبة إلينا، جديد لأن غبار السنين تراكم على هذا الموضوع، وكان لا بد من إحيائه، فرأيت أنه من الفائدة ومن الضروري أن أشير إلى بعض المصادر التي ينبغي أن تثبتوها في أوراقكم للرجوع إليها عند الحاجة.فعلم مقاصد الشريعة أول ما بدأ يظهر ويكتب فيه الناس كتابة قليلة وليست كثيرة، ولكنها إيماءات، وأول الغيث قطر ثم ينهمر، فإذا بعالم كبير من علماء مصر، هو الذي بدأ بهذا العمل، وهو شافعي، ورجل متميز في تحقيقاته وأنظاره؛ هذا الرجل هو عبد الملك الجويني المعروف بإمام الحرمين (توفي عام 478 هـ) وقد كان رجل فقه على المذهب الشافعي، وكان متكلماً يعرف علم الكلام، وكان أصولياً لا تتغيب عنه طرق الاستنتاج والاستنباط للأحكام من النصوص الأساسية في الشريعة الإسلامية، قرآناً أو سُنة، أو إجماعاً أو قياساً. هذا الرجل وضع كتاباً ما زال معروفاً ومتداولاً إلى الآن وقد طبع مرتين هو كتاب (البرهان) ويقع فيه جزأين، وهو مفيد جداً لمن يقف عليه، لكن لا بد أن تكون وقفة متميزة فيها شيء من التدبر والتتبع للآراء والأفكار التي أفاضها على طلابه في ذلك الحين، عن طريق الدرس وعن طريق هذا الكتاب .

علم المقاصد يتناول البحث عن الحكمة أو العلة أو السبب الذي يدفع بالناس إلى معرفة ما هو هذا الحكم. وما هي طبيعته؟ وكيف نكيفه ؟

وأما العالم الثاني الذي أعتبره تابعاً له ومضافاً إلى مدرسته؛ فهو الفيلسوف والعالم الشهير الإمام الغزالي (توفي سنة 505 هـ) وعندئذ فبينهما نحو 23 عاما، لحق الغزالي بالجويني وكان فقيهاً فيلسوفاً عالماً يبحث عن كثير من الأشياء التي تناولت علم مقاصد الشريعة، نذكر منها كتاب (شفاء الغليل) وكتاب (المنخول) وكتاب (المستصفى) وهو من أشهر كتبه، لأنه طبع عدة مرات، وكان ذائعاً بين الناس. والغزالي نعرفه من خلال الكثير من كتبه الأخرى مثل (تهافت الفلاسفة) ومثل تعليقاته على الحركة الفكرية الفلسفية في عصره التي كانت تحارب الدين وتميل إلى الإلحاد، فكان الغزالي من أحسن العلماء الذين تعمقوا في هذه الجوانب، ويكفي أن نعلم بأن عمله هذا استطاع أن يضع به خطوة جديدة في علم مقاصد الشريعة، تضاف إلى ما ورد في (كتاب البرهان).

وبعد نحو قرن ونصف جاء دور العز بن عبد السلام (سلطان العلماء) وهو عالم وفقيه معروف، مجاهد يذود عن عقيدته وفكره واتجاهاته وميوله، ولا يخشى أحداً، وكانت له حرمة بين العلماء خاصة، وإن كان أهل السياسة يقدرونه ويبجلونه ويحترمونه.هذا الرجل وضع كتاباً يعتبر هو الأول من حيث التقعيد لعلم مقاصد الشريعة، وهو كتاب (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) وقد طبع هذا الكتاب أيضاً طبعتين.

من بعده جاء عَلَمٌ آخر، لا أستطيع أن أقول تلميذه ولكن أقول معاصره، هو الإمام القرافي الفقيه المالكي (توفي سنة 685 هـ) وكان هذا الرجل من أوسع الناس درساً، وأكثرهم نفعاً، بما أصدره من الكتب والرسائل التي اشتغلت بأصول الفقه، كما اشتغلت بالمقاصد، لأن المقاصد عبارة عن لمحات تأتي في كتاب أصول

الفقه، لأن الناس لم يكتبوا من قبل في علم مقاصد الشريعة. من بين هذه الكتب الكتاب المشهور جداً، الذي لا يمكن لواحدٍ منا أن يستغني عنه وهو (كتاب الفروق) للقرافي، وقد طبع عدة مرات، وهو يقع في مجلدين، وهو يجمع ما تشابه من الأحكام في الظاهر ليقوم بتعليلها وبيان محتواها، والاستدلال على أنها مختلفة وليست متشابهة، وذلك من خلال درسه للقاعدتين المعروفتين، والإشارة إلى ما تختص به كل قاعدة من هذه القواعد. وإلى جانب هذا له كتاب في علم الأصول واسع جدا، لكنه لم يطبع إلا طبعة واحدة فيها أخطاء كثيرة من الناشر ومن المطبعة، هذا الكتاب هو (نفائس الأصول) ويقع في نحو تسعة أجزاء. وكتاب (تلقيح الفصول) وهو كتاب مدرسي كنا نقوم بحفظه ودراسته.

وبعد هؤلاء الأئمة الثلاثة يأتي عالم بارز، قد غطى على السابقين، وهو الإمام الشاطبي (توفي سنة 790 هـ) بعد أن قدَّم للعلم الإسلامي مجموعة مؤلفات إلى الآن لن تجد لها نظيراً، لعل أبرزها كتاب (الموافقات) الذي طبع أكثر من خمس مرات، وعُلّقَ عليه، ونُظِمَ شعراً. وله دراسات وبحوث ترتبط بالمسائل التي احتوى عليها. فهذا الكتاب يعتبر من أجود الكتب وأحسنها، وإن كانت فيه بعض الثغرات التي تدلل على ضعف الإنسان وما يحصل منه من أخطاء أو اضطراب في بعض الأحيان، لأن الإنسان لا يمكن أن يكون كاملاً، وينبغي أن يبحث عن الكمال.

والباحث الذي جاء من وراء الشاطبي، بعد حوالى خمسة قرون أو أكثر، هو الشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور (توفي سنة 1394 هـ) وقد وضع كتابه المعروف في التفسير (التحرير والتنوير) كما أنه وضع كتاب (مقاصد الشريعة). وهذا الكتاب ليس بحوثاً جمع بعضها إلى بعض كما فعل الشاطبي؛ ولكنه كتاب علمي يبدأ بمقدمة وينتهي بنتائج، ثم هو مرتب على حسب المعاني والمحاور التي ينبغي أن يشتمل عليها الكتاب. وهنا لا بد أن أشير إلى أن الشيخ ابن عاشور ـ رحمه الله ـ ناقش هؤلاء جميعاً الذين تقدموه، وذكر بعض ملاحظاته على ما قدموه، ولكنه يعترف بأنه استفاد منهم، وأن لهم الفضل في تكوين هذه المدرسة، ثم هو بعد أن يعرّف بالمقاصد التعريف العلمي، حيث إن تعريف المقاصد لم يكن موجودا قبل الشيخ ابن عاشور، لأن الناس تعرضوا للمقاصد من حيث الدلالة اللغوية، فالمقصد معروف في اللغة وسيأتي الحديث عنه، أما المعني الاصطلاحي فهذا لم يقم به أحد، والكتَّاب المعاصرون الذين تحدثوا عن علم المقاصد ذكروا هذا، وقالوا إن الشيخ ابن عاشور هو الوحيد الذي أتى بتعريف للمقاصد تعريفاً اصطلاحياً، لكنه قسّم تعريفه إلى نوعين ـ وسيأتي هذا ـ واقترحوا أن يكون التعريف بشكل من الأشكال، وأوردوا هذه الأشكال في كتبهم، إلا أنها لا تستقيم. والذي دعا الشيخ ابن عاشور إلى وضع تعريف أو تعريفين أو ثلاثة للمقاصد، وذلك بحسب موضوعاتها؛ هو أن هناك المقاصد العامة، والمقاصد الخاصة، وهناك المقاصد في المعاملات. وكل نوع من هذه المقاصد يتميز عن غيره بمسائل دقيقة وملاحظات علمية، من شأنها أن تضع يد الباحث على الأشياء الضرورية التي ينبغي ألاّ تغيب عنه.

كان الاجتهاد في الماضي اجتهاداً فردياً، لأن العلماء كانوا قادرين على الرجوع إلى مصادر التشريع بسهولة، ولم تكن هناك الحاجات الاضطرارية والمضطربة التي نشاهدها في عصرنا الحاضر، والتي تدعونا إلى أن ننظر في القضايا المستجدة، والمسائل التي لا علم لنا بأحكامها في الماضي.

علم مقاصد الشريعة الإسلامية

والشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور في كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية) ـ بعد أن أتى بالمقاصد ـ أتى بشيء لم يأت به غيره، حيث ذكر أن المقاصد الشرعية ثابتة بالكتاب والسنَّة، وأتى بما

يؤيد ذلك من آيات القرآن والأحاديث النبوية، ثم أفاض ـ بعد ذلك ـ في ذكر حاجة الفقهاء أو العلماء ـ وهو الذي تضمنه العنصر الثاني المقترح في المحاضرة ـ إلى علم مقاصد الشريعة، وهذه الحاجة تدلنا ابتداءً على أن القواعد أو الأحكام أو الضوابط التي يشير إليها ليست موجودة، أو على الأقل ليست موجودة بالنسبة لكل حكم شرعي، أو ـ على الأقل ـ لأن هذه القواعد تظلل الموضوع من أطرافه المختلفة المتعددة، وتنتهي به إلى أن يقول (هذا مقصد). وهنا تأتي الحيرة الكبرى، ويبرز السؤال: هل كل ما يتوصل إليه العلماء ويقولون هذا مقصد.. (الزكاة مقصد، الحج مقصد، القصاص مقصد...إلخ) هي مقاصد مقبولة ؟؟ أبدا!!!

فمن المقاصد ما هو ارتجالي، وهو الذي يأتي على ألسنة الناس من غير وعي أو تفكر أو تدبر، وهناك موضوعات أو مقاصد يقبلها الشرع . فالمقاصد التي لا يقبلها الشرع لا تعد مقاصد، وينبغي أن نطرحها وأن نبتعد عنها، لأنها قد تحوّلُ الحكم من ظاهرة إلى أخرى وتفسده فلا يكون حكماً شرعياً. أما العمل الذي قام به الشيخ ابن عاشور فهو أنه تتبع عمل السلف (الصحابة ومن تبعهم والفقهاء والعلماء) ثم أتى بمدارس فقهية خمس، وقال إن هؤلاء هم الذين بعثوا المقاصد، وطريقتهم هي كذا وكذا وكذا...، بالنسبة لكل مدرسة أو طريقة. ثم تعرض بعد هذا إلى المقاصد نفسها، باعتبار كونها عامة مثل الصبر والسماحة والعدل وما إلى ذلك من الأوصاف التي أمر الشارع بالتزامها والإقبال عليها وعدم التفريط فيها، لأن التفريط فيها تفريط في الدين، ولأن البعد عنها بُعدٌ عن المنهج السليم، فيكون على الناس أن يعرفوا ما هي، وهي ـ من الناحية العامة ـ مدركة بالحس وبالعقل، ولا نحتاج فيها إلى إقامة دليل. لكن هناك مقاصد أخرى نبه عليها الشارع وذكرها إزاء الأحكام الشرعية، لتكون دليلاً عليها، وسبيلا إلى تحقق المقصود من هذه المقاصد.

هنا نجد أنفسنا ننتقل مع الشيخ ابن عاشور من المقاصد العامة كالتي أشرت إليها، والمقاصد الخاصة التي يُعنَى بها الفرد وحده وتعنيه في ذاته وشخصه دون غيره، أنا أتعاقد معك أو أجري عملية من عمليات الاقتصاد أو التجارة ومثلها من هذه العمليات التي أقوم بها معك، والتي أحرص على نجاحها ، كل ذلك لماذا ؟ الجواب: من أجل بلوغ مقصد معين، وهذا المقصد يعنيني أنا باعتباري متعاقداً معك، ويعنيك أنت باعتبارك الطرف الثاني في هذا التعاقد، وإذا التقى الطرفان (الأول والثاني) انكشفت لنا وللدارس المعاني الكثيرة للمقصد الواحد.

أرى أن العلماء الموجودين الآن ليس لهم ضلع كبير في علم مقاصد الشريعة، لأننا منذ زمن طويل خلطنا بين علم أصول الفقه وعلم مقاصد الشريعة.

طرق ومناهج الاستفادة من المقاصد

وإلى جانب هذا هناك طرق للاستفادة من المقاصد، بمعنى أنه عندما يأتي إنسان ويقول: هذا مقصد شرعي، نقول له: من أين لك هذا ؟ وكيف توصلت إليه؟. هنا نجد طريقة السلف التي ذكرها الشيخ ابن عاشور لكنه لم يأخذ بها، مبينا أن المنهج الذي استخدم من طرف السلف ـ رضي الله عنهم ـ لا يمكن تطبيقه في كل مقصد من المقاصد، فهو يوجد أحياناً ويتخلف أحيانًا أخرى. فالجمع بين هذه الأحكام الشرعية التي ورثها الناس من السلف الصالح عن الرسول ﷺ (كانت تأتيهم عن طريق القرآن) وعن طريق الحديث وعن طريق الجواب الذي يقوله الرسول ﷺ لأمته، عندما يُسأل عن قضية من القضايا .... فكل ذلك يختمر في الذهن، فيصبح قاعدة أو ـ إن شئتم ـ يصبح مقصداً معتبراً في الشريعة. لكن يبقى الكثير من المسائل التي لم يسألوا فيها الرسول ﷺ، ويبقى كثير من المسائل التي ظهرت فيها اجتهادات الصحابة أو التابعين، وعندئذ فهي ليست دقيقة جداً، ولذلك لم يعدها الشيخ ابن

عاشور من أبواب المقاصد.وهنا نجد أن الطرق التي أشار إليها الشيخ ابن عاشور هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أصول التشريع ، أو في معظمها، وهذا يشمل الأوصاف الشرعية، أو أوصاف الشريعة، ثم غايات الشريعة العامة، ثم المعاني التي تفيد تفريعاً عن تلك المقاصد من الصور التي لم تذكر، لأنها تحتاج إلى شيء من التوسع، ثم ما نسميه الحِكَم، فالمقصد أساساً هو الحكمة، عندما نقول الآن ـ مثلاً ـ ما هي الحكمة في تحريم الخمر؟ فهذا مقصد، وعندما نقول ما هي فائدة المرابحة ؟ فهذا مقصد، ونقول ـ مثلاً ـ لماذا يحج الناس في كل سنة ويكررون هذا الحج؟ وهناك من لا يكتفي بالفرض فقط؟ نجد كذلك جواباً عن هذا، فكل الأجوبة المتصلة بالأحكام الشرعية هي مقاصد، باعتبار أنها هي التي تثير الالتزام بهذا الحكم أو الخضوع له.

وإلى جانب هذا تعتبر من المقاصد الأعمالُ والتصرفاتُ المقصودة لذاتها، والتي تسعى النفوس لتحصيلها بمساع شتى، أو تحمل الأحكامُ على السعي إليها، فيكون ذلك امتثالاً منا للحكم الشرعي لتحقيق ذلك المقصد.ومن جانب آخر تحكيما لما اختاره العقل وقضى به وبصحته، وامتثالاً لحكم الشريعة، لأنها هي التي دعتني إلى السعي لمعرفة تلك المقاصد، والقرآن الكريم يشير دائماً إلى هذا الجانب العظيم الذي هو التدبر .. كيف نتدبر القرآن ؟ وكيف نقوم بدراسته ؟ ففي هذه الدراسة وفي ذلك التدبر وقوف على هذه المسائل الدقيقة والمهمة.

بجانب ذلك، نجد في المعاملات مقاصد هي موارد الأحكام، المتضمنة للمحاسن والمفاسد في أنفسها. معنى هذا أن المعاملات التي لا تستقيم حياة الناس إلا بها، لأنني عندما أتعامل مع غيري أشعر بوجوده ويشعر بوجودي، ويظهر ما أنا في حاجة إليه مما ليس بين يديّ أريد أن أطلبه منه، وما عندي أنا ولا يستطيع الوصول فأمكنه من ذلك، فهذا التعامل بيني وبين الغير، التعامل بين الناس، بين المسلمين مع بعضهم أو بين المسلمين وغيرهم؛ هو تعامل دقيق يتمثل في موارد الأحكام، فعندما يقول الشارع: لا تفعل، أو إفعل، أو يؤكد الشارع طلبه، أو يجعله أمراً غير قطعي؛ هذه الأحوال كلها تصور لنا موارد الحكام التي هي قسم من أقسام المقاصد.

ثم هناك تمييز بين المقاصد العامة التي ذكرناها أولاً، والمقاصد الخاصة التي أشرنا إليها بالتبايع وبالتحاكم وبالتقاضي وبالتنازل عن الحقوق .... إلى آخر ما يكون بين الناس؛ هي الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالح الأمة في تصرفاتهم الخاصة، لأن الأمة ـ كمجموع كبير ـ لها مقاصد واتجاهات ينبغي أن تكون متفقة مع المقاصد الخاصة التي يطلبها الإنسان و إلا فإنه لا يكون من تلك الأمة.

القرآن الكريم يشير دائماً إلى شيء عظيم وأساسي هو التدبر .. كيف نتدبر القرآن ؟ وكيف نقوم بدراسته ؟ ففي هذه الدراسة وفي ذلك التدبر وقوف على هذه المسائل الدقيقة والمهمة.

ما هو المقصد ؟

وأعود الآن إلى شيء أساسي كنت تجاوزته بحكم ارتباط القضايا بعضها ببعض، وهو معرفة ما هو المقصد. نقول: قَصَدَ يَقْصِدُ مَقْصَدًا وقَصْدًا، بمعنى طَلَبَ الشَّيْءَ وأرادَ الحصولَ عليه، فإذا تمّ له ذلك فقد حصل المقصود. ونجد أن هذا المعنى هو وليد الاستعمالات اللغوية، لأن المقصد يكون بمعنى الاعتياد، فعندما يكون هناك شيء أفعله بكثرة وباستمرار يكون هذا مقصدي، ولو لم يكن مقصدي لما اعتدت عليه.ويكون الإتيان بهذه المقاصد إما مرغوباً فيه، وإما غير مرغوب فيه. فإذا كان المقصد سيئا فلا يجوز لك أن تفعل، وإذا كان طيباً وشرعياً كان لك أن تفعله، وأي شيء يفرق بين هذا وذاك؟ إنه الفكر والعقل.ثم نجد أن بعض اللغويين لا يسمح بإطلاق لفظ (المقصد) على الشيء السيئ، انطلاقاً

من أن المقصد الشرعي لا بد أن يكون حسناً ومستقيماً، وقد أطلق (المقصد) على العدل في السلوك، وعلى التوسط ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ وعلى عدم التفريط والإفراط، لأن عكس ذلك يشين العمل الذي يقوم به الإنسان فيصبح بعيداً عن المقاصد المطلوبة لأنه أفرط أو فرّط، وباعد ما بينه وبين ذلك القصد الشرعي.

وفضلاً عن هذا أريد أن أشير إلى أن هذا التعريف هو تعريف لغوي، تفرعت عنه في الاستعمال كثير من المعاني التي لا ننصرف عنها لأنها مفيدة، وتصلح لنا في ما أشرنا إليه من الفتوى، تأسيساً على أن الأحكام الشرعية مستندة إلى أدلة هي التي تضبط الحكم الشرعي، وإذا كانت هذه الأحكام وتلك الأدلة قائمة فلا نحتاج إلى فتوى ولا اجتهاد.

متى ينبغي الاجتهاد ومتى تتعين الفتوى؟

إذن .. متى ينبغي أن نجتهد؟ ومتى تتعين الفتوى؟ والجواب: إذا كان الأمر بين حالين: هناك جانب للأخذ به، وهناك جانب للامتناع عنه؛ فيقع التضارب، فالعقل المتدبر هو الذي يتولى التفريق بين ما هو مقبول وما هو غير مقبول. وهنا تأتي الفتوى أو الاجتهاد. وقلت الفتوى أو الاجتهاد لأن المفتي والمجتهد لا يأتي بشيء من عنده، بل يأتي بما استأنس به من طرق حُكمية في الشريعة الإسلامية تنبه صاحبها إلى أن الرسول (أخذ بكذا في كذا، وتبع كذا في كذا، وقد تكون هذه الأشياء بعيدة عن النص الدقيق الذي جاء في القرآن أو السنَّة؛ لكنه تأويل لوجه آخر، ليس أجنبياً عنه، وأنتم تعلمون أن اللغة العربية - كغيرها من اللغات - تفهم أو تشرح ما في نفس صاحبها، لكن عندما أستمع أنا إلى هذه الجملة التي قالها فلان، وتستمع أنت إلى نفس الجملة؛ فقد لا نكون متفقين في درجة فهمها، وطريق الوصول إلى هذا هو الاجتهاد، ولهذا كان الاجتهاد في الماضي اجتهاداً فردياً لأن العلماء كانوا قادرين على الرجوع إلى مصادر التشريع بسهولة، ولم تكن هناك الحاجات الاضطرارية والمضطربة التي نشاهدها في عصرنا الحاضر، والتي تدعونا إلى أن ننظر في القضايا المستجدة، والمسائل التي لا علم لنا بأحكامها في الماضي، وهذا يقتضي منا النظر والترجيح، والترجيح هو المسؤولية الكبيرة والخطيرة والقوية التي ينبغي أن نؤول إليها في فتاوانا.

إلى جانب ذلك أريد أن أشير إلى أن هذه المقاصد تختلف بين أذواق الناس وأفهامهم، لأن ما يتضح لأحدهم قد لا يكون كذلك بالنسبة للآخرين، ولأن مقاصد الناس في تصرفاتهم هي المعاني التي لأجلها تعاقدوا، أو تعاطوا (من المعاملات) أو تغانموا، أو تقاضوا، أو تصالحوا. فهذه الصور من التطبيقات للأحكام الشرعية التي لها غرض معين مضبوط من ورائها هي المقصد الشرعي.

> **الترجيح هو المسؤولية الكبيرة والخطيرة والقوية التي ينبغي أن نؤولَ إليها في فتاوانا .**

والمقاصد - في الواقع - رتبتان: رتبة عليا، ورتبة دنيا. أما الرتبة العليا فهي أن يتفق عليها عقلاء وجمهورهم لملاءمتها لانتظام حياتهم الاجتماعية. فإذا كانت تعين على تحقيق هذا فذلك مقصد.

وأما الرتبة الدنيا فهي تلك التي يتصورها أو يلاحظها فريق من الناس أو آحاد منهم في تصرفاتهم ويرونها ملائمة لبعض أحوالهم. وهذا يصدق على ما أنا فيه، فتكون تلك المقاصد مرتبطة بشخص، أو بمجموعة من الناس.

وهذا الذي عناه الفقهاء قديماً بقولهم الاختلاف في الأحكام قد يكون اختلاف برهان ودليلاً وحجة، وقد يكون اختلاف زمان ومكان، فإذا كان الاختلاف زماناً ومكاناً فالقضية الأصلية غير واردة، لأن الحكم الشرعي - جاء به دليل، نعم .. - ولكن كيف نؤول هذا الدليل ونطبقه على حياتنا الحالية ؟.

وفضلاً عن هذا فإنني أود أن أذكركم بأن المقاصد نستطيع أن نسميها - أيضاً - حقوقًا. فإذا قلت: إن مقصدي من كذا هو كذا؛ فمعناه أن من حقي أن آخذ بهذا المقصد، لا ينازعني فيه أحد، وهنا تأتي

بحوث كثيرة ودراسات متعددة، منها أن الحقوق ثلاثة أنواع:

ما هو حق لله تعالى، وينبغي أن نحترمه كمسلمين وكمتعبّدين بشريعة، فهذا التطبيق الذي نريده هو إعطاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ حقه. فالحق المتفق عليه بالنسبة لله ـ سبحانه وتعالى ـ هو العبادة له والإيمان به. لكننا هنا لسنا في مجال الحديث عن العبادة لله والإيمان به؛ إلا أن ما تجدر الإشارة إليه هو أن المقصود من حق الله تعالى، هو أن الضعفاء والفقراء وأصحاب الحاجات الذين لا يجدون من يوفي لهم حقوقهم، فنحن مسئولون عنهم باعتبار أن ذلك حق من حقوق الله، وحق الله بهذا الاعتبار يفرض علينا أن نكون على الأوصاف العالية الكريمة التي جاء بها القرآن والسُّنة، وهي العمل الخيري للأمة وللمجتمع الإنساني حتى نخرجه مما هو فيه من بؤس وشقاء وفقر.

وإلى هذا نشير إلى أن هناك حقوقاً فردية للإنسان الفرد، وهذا أمر معروف، فأنا لدي حقوق، وهي مقاصدي، ولستَ أنتَ ممن يشاركني فيها، ولذلك ينبغي أن تحترم هذه الحقوق، وأن تنفذها إن كان في وسعك تقديم يد المساعدة. وإما أن تكون هذه الحقوق مشتركة، بمعنى مشتركة بين العبد وربه، فتكون من جهة مطلوبة لله ـ كالتي أشرنا إليها ـ ومن جهة أخرى مطلوبة لآحاد البشر أو لآحاد الناس فيما يكونون فيه من أوضاع اجتماعية واقتصادية وغيرها، فهذه الحقوق تصنف على أنها حقوق مشتركة، أو مقاصد تلبّى لتحقيق الغاية منها.

العقل والنقل

وأريد أن أشير إلى أن كل ما عندنا في الفقه الإسلامي وفي الشريعة الإسلامية يرجع إلى كتاب الله القرآن الكريم. نحن نُعْمِلُ العقل، ولكن مع إعمال العقل لا بد من النقل، لا بد من التوثيق، وقد قال تعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل: الآية 89]

فكون القرآن تبياناً لكل شيء، وكونه هدى، وكونه رحمة، وكونه بشرى؛ هذا يعني أنه يطرح المشاكل ويقوم بحلها، ولذلك فإن رجال وعلماء المقاصد وقفوا عندها ولخصوها في ثماني نقاط، ربما لا يسمح المقام والوقت بتناولها جميعاً.

فالشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور ـ في كتابه (مقاصد الشريعة) ـ قال: المقاصد التي تتضمنها هذه الآية تنحصر في عدة أمور منها:

أولاً ـ إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح. فما معنى إصلاح الاعتقاد؟ أنا عندما أقوم بالدعوة إلى الإسلام وأطهر النفوس من أرجاسها وأُرجع إلى العبد خشيته من الله، والاعتراف بنعمه وفضله، والإقبال على توحيده وعدم الإشراك به؛ فهذا مقصد شرعي.كيف تم هذا المقصد الشرعي؟ تم بهذا التعليم للعقد الصحيح، أي للاعتقاد الصحيح.

الأمر الثاني: تهذيب الأخلاق، فالمدرسة تقوم بتهذيب الأخلاق، والمربون يقومون بتهذيب الأخلاق، ومرجعنا في ذلك كله هو أخلاق الرسول (لأنه قد شهد له الله بقوله:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم: الآية 4]

فهذا الخلق العظيم الذي له أثره في الحياة الفردية الشخصية، والحياة الاجتماعية بالنسبة للجماعات المتضامنة والتي تعيش في مكان واحد مع بعضها، وعلى المصالح الاقتصادية أو السياسية أو غير ذلك؛ فهذا كله يحتاج إلى شيء من الخلق الكريم، وهذا الخلق هو الذي يمنع صاحبه من الانحراف على الجادة، ولذلك فهو مقصد من مقاصد الشريعة التي نبه إليها القرآن الكريم .

وبعد هذا لا بد أن أشير إلى أن التشريع الإسلامي الذي جاءنا عن الله جل وعلا قد تضمنه القرآن ـ كما ذكرنا ـ وتضمنته السنة، لكن هل توجد لدينا كل الجزئيات التي نحتاج إليها في حياتنا اليومية ؟ لا، لدينا جزئيات وأمثلة ذُكرت لها العلل والأسباب والحِكَمُ والمنافع؛ لكنها قواعد كلية، لأن القاعدة الكلية تستطيع أن تضم ألف جزئية، ولذلك

فالفرق بين الكليات والقواعد الكلية، وبين الأحكام التي تنطبق عليها؛ لا يكون بتفصيل الجزئيات ولكن بمعرفة دلالاتها. نحن نقول فالقواعد الكلية مثلاً (الأعمال بالنيات) فهذه قاعدة من القواعد الكلية، وعندما نريد أن نطبقها كمقصد،فعندما أقول إنما الأعمال بالنيات فالمقصد هو أن لا شيء يصح إلا بنية، لذلك قال النبي ﷺ في حديث آخر: (لا عمل إلا بنية) وإذن فكيف السبيل إلى هذا؟ بالرجوع إلى القواعد الكلية، وإلى جملة من الضوابط التي حددها العلماء بالنسبة إلى القواعد، وهذا هو الذي من أجله نقوم الآن في مجمع الفقه الإسلامي بإعداد ما يسمى (معلمة القواعد) التي هي في الواقع سابقة على ظهور علم الأصول، فقد احتاج الناس إلى القواعد فأفتوا وحكموا، ومنهم الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ والتابعون، لكن هذا كله قبل أن يوجد علم أصول الفقه، ولما جاء علم أصول الفقه اتسعت الدائرة وأصبحنا نستعمل القواعد كما نستعمل أحكام الاستنباط الشرعي.

سياسة الأمة .. أحد مقاصد الشريعة

وبالإضافة إلى هذا هناك مقصد آخر جليل أود أن أشير إليه، فلعلنا نكون في أشد الحاجة إليه اليوم، لأن الناس - في الماضي - كانوا على سعة من أمرهم، إما أن يأخذوا به وإما ألاّ يأخذوا، فإن أخذوا به فهم الرشداء، وإن لم يأخذوا به فلن يضروا أحداً شيئاً. أما اليوم فإن سياسة الأمة تعتبر مقصداً من مقاصد الشريعة، وهي تتمثل في صلاح الأمة وحفظ نظامها، فلو اختلط هذا الأمر من حيث حفظُ النظام، أو من حيث إدخال ضروب من الإصلاح على الناس في حياتهم اليومية؛ لو فعلنا ذلك لفسد كل شيء، ويصبح كل فرد يدين برأي ويختلف عن صاحبه وجاره وقريبه ... إلخ، وبذلك فإنه لن يستطيع أن يجمع كلمة المسلمين، ولا أن يوحد أنظارهم، ولا أن يكونوا اتجاهاً علمياً واحداً من شأنه أن يعود عليهم بالنفع. ولذلك أصبح من الضروري تقدير هذه الحقيقة التي هي سياسة الأمة، وقد نبّه إليها القرآن العظيم في قوله تعالى:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [سورة آل عمران: الآية 103]

هذا كله يرجع إلى سياسة الأمة، والذي يقوم بسياسة الأمة هو المسئول عنها، والمسئول عنها ينبغي أن يكون متمكنا من شريعته، ومن علمه بربه، ومن خوفه له، ومن خشيته مما يمكن أن يحدث من فساد للأمة أو اضطراب، لذلك لا بد من مراعاة هذا الأمر الذي يعتبر من أعظم القواعد أو المقاصد التي تعني المجتمع الإسلامي.

هناك المقاصد العامة، والمقاصد الخاصة، وهناك المقاصد في المعاملات. وكل نوع من هذه المقاصد يتميز عن غيره بمسائل دقيقة وملاحظات علمية، من شأنها أن تضع يد الباحث على الأشياء الضرورية التي ينبغي ألاّ تغيب عنه.

ثم هناك نوع آخر نزجيه إليكم، وقد أزجاه الله سبحانه وتعالى في كتابه إلينا، وتحدث به الرسول ﷺ، ذلكم هو القصص الحسن، الأخبار، وما ورد عن الأمم السابقة، لأن هذا من شأنه أن يجعل لنا ـ كما نقول في هذا العصر ـ طريقة تطبيقية بجانب الطريقة النظرية. فعندما أقول لك: افعل، أو لا تفعل، أو هذا خير، أو هذا شر؛ فهذا مجرد رأي نظري، لكن السؤال: كيف الوصول إلى تطبيقه عملياً؟ والقرآن الكريم والسنة النبوية وأخبار الأمم كلها ترشح بهذه الحقائق التي لا بد من الأخذ بها. قال تعالى:

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ لِلْعَٰلَمِينَ﴾

[سورة الأنعام: الآية 90]

فالاقتداء بما كان عليه الصالحون من أفراد هذه الأمة، وأخذهم بهذا المنهج الذي نبّه إليه ربنا

تعالى ليحملنا على الخير؛ يكون من المقاصد الأساسية.

مصلحة نحن مسئولون عن تحقيقها

ومن المقاصد الأساسية التي قد تكون جديدة ومن متعلقات عصرنا الحاضر، وإن كان السابقون قد نظروا إليها كل بحسب عصره، ألا وهي التعليم. فعندما نقوم بتعليم الناس فماذا نعلمهم ؟ إن الصيحة الكبرى والمناداة الدائمة في أوساطنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ونحو هذا هي: (علّموا الناس العلوم الصحيحة) أي العلوم الرياضية والعلمية والطبيعية وما إليها، فهذا الذي يعنينا لنخرج من الضيق الذي نحن فيه، وهذا هو العلم الذي ينبغي ألاّ نفرط فيه، وأن نجاهد من أجل الوصول إليه، لأنه يحقق مصلحة نحن مسئولون عن تحقيقها. ولكن قبل ذلك لا بد من إدراك ومعرفة أن الأساس الذي تنبني عليه هو الإصلاح النفسي والديني، فإذا كانت النفوس مريضة، والحالات التي تدعونا لعلاجها، ومقاومة التيارات الفاسدة المغرضة التي جاءت لتدك وحدتنا ولتمزق شملنا ولتباعد بيننا؛ هي التي ينبغي أن يقوم عليها التعليم، وذلك بما يناسب المعاصرين وما يؤهلهم إلى توخي الشريعة وعلم الأخبار.

وإذا كانت المناهج العلمية تحول بيننا وبين ما يأمر به الكتاب أو ما جاءت به السُّنة؛ فإن النبي ﷺ قد أمر بعض الناس بالسعي في بعض الجوانب من حياتهم، ولم يجعلها مقصورة على الفلاحة أو التجارة أو الصناعة، لكن كل هذه النفوس طبعها بطابع الإسلام، وجعل الدين أساسها، وجعل الخلق الرضى الشرعي هو المعتمد في تطوير هذه النفوس وجعلها قادرة على التجاوب مع المحيطات التي تعيش فيها.

ومن مقاصد الشريعة أيضاً (المواعظ). أنت - مثلاً - تعظني، وتنكر علي أني فعلت كذا !! فأنا ينبغي أن أستجيب لموعظتك لكن بعد فهمي هذا الوعظ. وكذلك النذر، تُحمّلني وزرا وتريد معاقبتي عليه، فهذا أيضا يحتاج إلى نظر. وكذلك التحذير والتبشير.فكل هذه الأشياء هي قواعد سلوكية أو مقاصد شرعية.

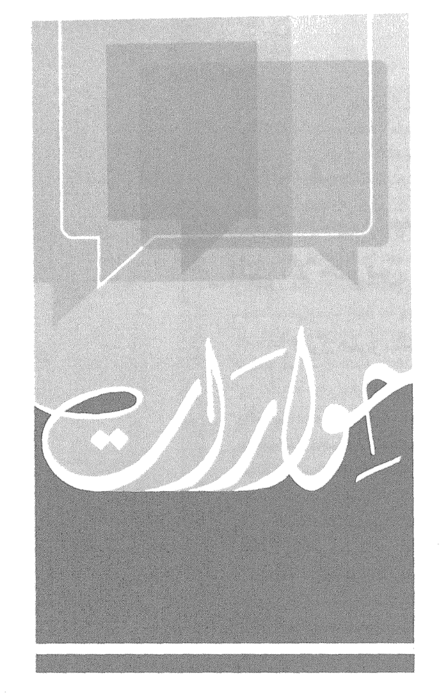
وأود أن أشير بإيجاز إلى أن المصلحة يجلبها المقصد الشريف، والمفسدة هي التي يدرؤها عنا الشرع الصادق الثابت.

تقدير المصلحة ومعرفة أثرها

ومن جانب آخر فإن وصف الفعل بكونه يحصل به الخير ويُتجنّبُ به الشر (وهو معنى المصلحة) نجده مما اشتهر وغلب على الجمهور وعلى الآحاد لا يكاد يخالفك فيه شيء، لأن الانحراف والتحول عن الجادة أمر ظاهر، وكل متحول عن الجادة، وكل مناف للحقائق التي أشرت إليها؛ يشعر من تلقاء نفسه وداخل ذاته بأن هذا الأمر غير مسموح به، وأنه خطأ.فتقدير المصلحة ومعرفة أثرها في جلب الخير ودفع الشر مما هو المقتضى الأساسي للمقاصد الشرعية؛ هو الذي ينبغي أن نجعله وجهتنا وقبلتنا في كل تصرفاتنا وأعمالنا.

واسمحوا لي في الختام بكلمة صغيرة تليق بهذا المجلس وبأهله، وهي مستفادة مما ذكرت لكم من سيرة العلماء والباحثين القدامى الذين كانوا يتنقلون بين أطراف البلاد طلباً للعلم ورغبة في الاستفادة من الشيوخ. وعلى هذا فلستُ أنا من يُشكر، بل الذين يُشكرون هم أنتم، وأعني جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وكلية الدعوة الإسلامية والمؤسسات العلمية الموجودة في هذا المحيط الزاهر، المتغير والمتطور يوماً بعد يوم، والمتكامل. لماذا؟ لأنه مع التسليم - ولو صورياً - بفضل العلماء؛ فإن فضل الأبناء مقدم على فضل العلماء. إذ لولا وجود الأبناء لما وُجد العلم، ولما وُجدَ المعلم، فهؤلاء يأتي دورهم في الآخر، فالأمل فيكم، والرجاء من الله أن يحقق أمانيكم ومطالبكم، لنُحوّلَ من وضع مجتمعاتنا الإسلامية ولتكون في الرتبة العالية التي ننشدها.

وشكراً لكم .. والله المستعان.



الشيخ محمد علي التسخيري

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية / إيران

الحوار هو المنطق الإنساني السليم في نقل الفكر إلى الآخرين



الشيخ محمد علي التسخيري

الحوار هو المنطق الإنساني السليم في نقل الفكر إلى الآخرين

أجرى الحوار : محمد حسن جحا *

من دون اشتراطات مذهبية بعينها، ومن منطلق التوازن بين الأصالة والمعاصرة، بين الشمولية العالمية والثوابت الإسلامية؛ يدعو المفكر الشيخ محمد علي التسخيري إلى اعتماد خطاب إسلامي منزه عن الخصوصيات، ولكنه ملتزم بنقل مفاهيم الدين الحق إلى الآخر، وهنا يتحتم التمسك بشرط واحد: أن يُنقل الخطاب بأمانة.. أمانة تُستقى من اجتهادات المجتهدين، وقدرة المفكرين على استنباط المعارف من منابعها الأصيلة، دون إغفال الواقع والتحديات الراهنة ..

الحوار مع المفكر الإسلامي الشيخ محمد علي التسخيري أحد الرموز الإيرانية يكتسي أهميته وعمقه، والأكثر من ذلك بساطته ونقاءه..

❖ وأنت تشارك في أعمال الدورة الرابعة عشرة للجنة تنسيق العمل الإسلامي في مجال الدعوة الإسلامية، كيف تنظر إلى هذه الجهود؟ وهل من نتائج ملموسة على أرض الواقع يمكن أن نتحدث عنها ؟

❖ أعتقد أن مسيرة لجنة تنسيق العمل الإسلامي ـ في أصلها ـ مسيرة خيّرة ومباركة، فهذه اللجنة تشكل أهم نافذة للتعاون بين المنظمات الشعبية العاملة في مجال الدعوة والعمل الإسلامي، في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي وهي منظمة رسمية، وقد أدركت كل المنظمات الدولية أنها إذا أرادت أن تحقق أهدافها فعليها أن تمدّ جسورا للتعاون والتنسيق بينها وبين منظمات المجتمع المدني، وهذا ما اطمأنت إليه الأمم المتحدة في مجال العمل الثقافي والعمل الصحي، والأعمال الأخرى. ولجنة تنسيق العمل الإسلامي بدأت بمسيرة متواضعة، ثم استمرت، وكبرت، وأفرعت، وأعتقد أنها أثمرت نوعاً ما من التنسيق بين المنظمات الدعوية، أو على الأقل نقلت هواجس المسئولين عن قضية الدعوة الإسلامية إلى

* كاتب وإعلامي وأستاذ جامعي / ليبيا

المسئولين الحكوميين في البلاد الإسلامية، وكثير من قراراتها تبناها وزراء الخارجية، وبالتالي فإنني أعتقد أنها تركت أثرها لكنه لا يعدّ الأثر المطلوب، فالأثر المطلوب يوم نؤمن به ونعترف بضرورته عندها يصبح واقعاً يحقق التماسك والتنسيق الواسع بين المنظمات الدعوية، لأن واقع الحال لا يتحمل العمل الفردي، خاصة بعد هذا الهجوم الكبير على وجود الأمة وعلى ثقافتها، وهذه التحديات الضخمة التي تواجهها. وفي اعتقادي أنه علينا أن نفعّل هذه اللجنة بشكل أكبر حتى لا يحدث خلل في هذا المجال، أي أن الخطوات التي خطوناها جيدة إن لم نقل ممتازة لكنها ما زالت دون الطموح.

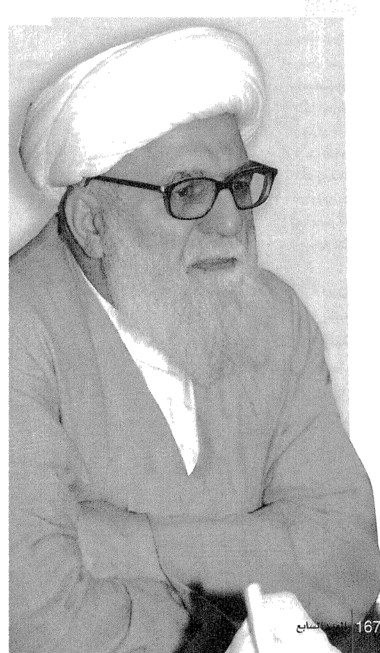
❖ لو نظرنا إلى المعطيات الموجودة في العالم الآن، سواء في العالم الإسلامي أو في العالم بشكل عام، وسألتك: كيف تنظر إلى حركة الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي في ظل ما يحيط بالإسلام وبالمسلمين في هذا الوقت؟

❖ لو قارنّا بين حجم العمل الإسلامي والدعوة الإسلامية، واتساع حركة الدعوة ونشاطاتها، وبين التحديات التي تواجه الأمة ؛ لرأينا أن العمل غير متناسب، فعظمة الهجوم وشراسته تستدعي منا أن نبذل أكثر بكثير مما نبذله الآن، لكي نواجه الضربات التي توجّه إلى ثقافتنا وإلى أمتنا، وأنا أعتقد أن هذه الأمة يجب أن تبذل أكثر مما تبذله الآن لكي تحقق غرضين مهمين هما: أن تصد الهجوم على وجودها وعلى ثقافتها، وأن تربي جيلها التربية السليمة حتى يستطيع أن يحمل أعباء المستقبل، ويحقق النجاح بالكفاءة المطلوبة.

❖ وماذا عن الخطاب الإسلامي المعاصر؟ وفي رأيك ما المقصود تحديداً بالخطاب الإسلامي؟ سواء الموجه إلى المسلمين، أو إلى هذا الجيل الذي تتحدث عنه، أو إلى الآخر.. إلى غير المسلمين؟؟.

❖ ما يمكن فهمه من مصطلح الخطاب الإسلامي هو مكونات الصورة التي يقدمها المسلم للآخر، بمعنى أن المسلم مكلف أن يوصل الحقيقة إلى غيره

الخطاب الإسلامي هو مضمون الصورة التي يقدمها المسلم إلى إخوته المسلمين وإلى غيرهم من أبناء الثقافات والأديان والحضارات الأخرى.



من المسلمين وأيضاً مكلف أن يوصل الصورة إلى الآخر من غير العالم الإسلامي. فالخطاب الإسلامي - إذن - هو مضمون الصورة التي يقدمها المسلم إلى إخوته المسلمين وإلى غيرهم من أبناء الثقافات والأديان والحضارات الأخرى، وباعتقادي أن الخطاب يمكنه أن يعطي لنا أروع صورة، ويمكن أن يعطي القرآن للخطاب الإسلامي أفضل الملامح وأحسن الخصوصيات ليكون الخطاب مساهماً بدوره في تحقيق المطلوب.

وفيما يتعلق بالخطاب الإسلامي المعاصر فأرى أنه يترنح ويتعثر، وأحياناً يعيش حالة من الطوباوية (الخيالية) وأحياناً يعيش الهموم الفردية أو الجانبية، وأحياناً لا يعرف كيف يحدث مخاطبيه. وبالتالي فإن الخطاب الإسلامي اليوم يحتاج إلى أهم عنصر يفتقده وهو التوازن، ولذلك يجب أن يكون خطابنا الإسلامي خطاباً متوازناً بين التحدث بلغة الناس وبين مسألة العمق في الفكرة، يجب أن يكون متوازناً بين الأصالة والمعاصرة، بين الشمولية العالمية وبين الثوابت الإسلامية، ويجب أن يكون خطاباً إسلامياً متوازناً بين الاهتمام بالقضايا العالمية وبين التركيز على القضايا الإسلامية الداخلية، كما يجب أن يحقق توازناً في الشخصية الاجتماعية والفردية حتى لا تقع - أو لا يقع هو - في الإفراط أو التفريط، في الغلو أو السطحية، وفي محاولة تغليب أو تحقيق المصالح الشخصية الفردية على حساب مصالح الأمة العليا. وأنا أعتقد أن خطابنا الإسلامي اليوم هناك يحتاج أكثر ما يحتاج إلى التوازن، أن يكون هو متوازناً، وأن يربي الإنسان المتوازن في نظرته وفي موقفه وفي سلوكه وفي تحليله وفي أخلاقه، في كل شيء، والتوازن والوسطية هما سمة إسلامية عامة.

❖ ما تفضلت بالإشارة إليه هل نستطيع أن نقول إنه المرتكزات التي ترى أن على الخطاب الإسلامي المعاصر أن يستند إليها وينطلق منها؟

❖ نعم هذا ما رميْتُ إليه، ولكن دعني أضيف أن الخطاب الإسلامي المعاصر يجب أولاً - كما قلت - أن يلتزم بالأصالة، فهي أول مرتكز عليه أن يتعهده وأن يقوم عليه، وأن يعرف كيف ينقل مفاهيم الإسلام من مصادره الأصيلة من الكتاب والسنة، وينقل ذلك بأمانة معتمداً على اجتهاد المجتهدين وقدرة المفكرين على معرفة الإسلام من منابعه الأصيلة، كما أن عليه أن يرتكز على معرفة الواقع، بمعنى معرفة الواقع في العالم الإسلامي، ومعرفة التحديات التي تواجه العالم الإسلامي، وإدراك نوع المقابلة ونوع المواجهة التي تتطلبها هذه التحديات. خطابنا إذاً عليه أن يرتبط بجذوره، وفي نفس الوقت عليه أن يعرف واقعه القائم، ويعالج مشكلاته عبر هذين المرتكزين، أي أن يمزج بين الأصالة والمعاصرة.

❖ الحديث عن الخطاب الإسلامي ودوره يقودنا إلى موضوع آخر، هو هذه الحملة التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون - كما تعلم - من خلال عدة وسائط إعلامية، وغير إعلامية في سياق ما يسمى العولمة، فهل لك أن تقدم إلينا قراءة مختصرة في هذا الجانب؟

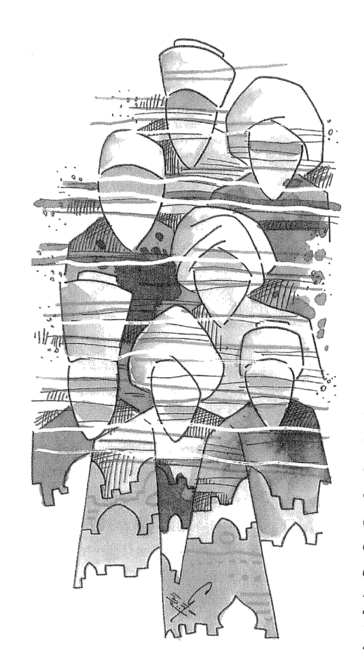
❖ أنا أعتقد أن الإسلام أعلن منذ يومه الأول اتجاهه العالمي، وفي الآيات الأولى النازلة على رسول الإسلام ﷺ نجد أن الإسلام يقول:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة يُوسُف: الآية 104]

هو يعبر عن عالميته في هذا الآية وبالتعبيرات الأخرى، والإسلام كما نعرفه يؤيد ويشجع أن تنتقل الإنسانية إلى العلاقات الإنسانية العالمية، وأيضاً يركز أيضاً على الجانب الفطري وهو الجانب المشترك بين أبناء الإنسانية، كما يركز على العلاقة

الإسلام أعلن منذ يومه الأول اتجاهه العالمي:
❖ يعمل على بث عنصر الحوار المنطقي بين الشعوب.
❖ لا يفرض على الشعوب أيديولوجيته.
❖ لا يحاول سلب الشعوب الأخرى ثقافتها ونمط حياتها.
❖ لا يعمل على إشاعة مفاهيم مصلحية كتعميق مفاهيم الاستهلاك.

بين الشعوب، والعلاقة بين أفراد الناس، ويخاطب البشرية جميعاً كي تتجه نحو التعارف والتآلف والتعاون. فالعالمية الإسلامية تمتاز بصفات، ومن هذه الصفات التي تمتاز بها هذه العالمية ـ كما قلت ـ مسألة الفطرة، والفطرة هي الأمر الذي ترتكز عليه العالمية الإسلامية، وكذلك الإقناع، بمعنى أن الإسلام يعمل على بث عنصر الحوار المنطقي بين الشعوب، ولا يفرض على الشعوب أيديولوجيته، ولا يحاول سلب الشعوب الأخرى ثقافتها ونمط حياتها، وإن كان يعمل على تغييرها إلى الشكل الأفضل، وكذلك لا يعمل على سلب حقوق الآخرين ونهب ثرواتهم، ولا يعمل على إشاعة مفاهيم مصلحية كتعميق مفاهيم الاستهلاك، بل إنه دين يوازن في توجه البشرية بين الإنتاج البشري، وبين العدالة الاجتماعية في التوزيع. وعلى أي حال فإن العالمية الإسلامية لا تتحرى ما يؤدي إلى الإضرار بالأفراد والمجتمعات، بل تعمل على إعطاء كل ذي حق حقه، وتوفير الأمن بكل أنواعه للجميع، وبالتالي فالإسلام يعمل من أجل نشر القيم الإنسانية، والقيم الأخلاقية، ويعمل على إشاعة العدالة بين الناس، وهذه مفاهيم واضحة جداً في الاتجاه الإسلامي، ويؤكد عليها، ويدعو لها. في حين أن العولمة، أو الاتجاه العالمي الأمريكي الغربي اليوم، يتصف بالإكراه الثقافي، كما يتصف بالنهب، إما بالشكل الهمجي أو بالشكل العصري، ويتصف أيضاً بأنه يعمل على تعميم المنطق الحيواني فيما يتعلق خاصة بالاستهلاك، ويتدخل في شؤون المجتمعات الأخرى، الاجتماعية وحتى المدنية. وهذه العولمة لا تعرف أي معنى للقيم الأخلاقية، بل تسخر الأخلاق للوصول إلى مآربها السياسية. وعلى أي حال فأنا أعتقد أن العدالة في مفهوم العولمة وتوجهاتها عدالة نسبية، بما يتناسب فقط مع مصالحها الأنانية الضيقة، ولذلك فإنها تتعامل مع الآخرين بمكيالين، وحتى حقوق الإنسان تتعامل بها بمكيالين، فهي تنظر إلى الإنسان الأمريكي أو الأوروبي على أنه إنسان له حقوقه، في حين تتعامل مع الإنسان غير الغربي تعاملاً مختلفاً، ولا تراه يستحق حقوق الإنسان، وهذا ما نلاحظه في كتابات المستشرقين الجدد اليوم الذين يرفضون أي تعامل إنساني مع العالم الآخر. وعلى أي حال فأنا أعتقد أن العولمة الغربية تستغل الظروف المواتية لها دون أن تستند



إلى فلسفة واقعية تبرر لها هجمتها الوحشية، وبالتالي فنحن مع العالمية الفطرية الإنسانية، ولكننا ضد العولمة الأمريكية المتوحشة.

❖ هنا يبرز السؤال : أين دور وسائل ووسائط الإعلام والاتصال سواء أكانت مسموعة أم مقروءة أم مرئية، أو حتى من خلال الشبكة العنكبوتية «الإنترنت»؟

❖ وسائل الإعلام وظيفتها أن تنقل الصورة الحقيقية، وتقول للجميل أنت جميل، وتقول للقبيح أنت قبيح. وعلى هذا فعليها أن تبرز الجانب الإنساني من العالمية الإنسانية، وعليها أن توضح للجماهير الجانب القبيح من العولمة الأمريكية، لأن رسالة وسائل الإعلام هي تبصير الناس بالحق، وأن تُرِيَ الإنسانَ الحق حقاً ليتبعه، وتُرِيَ الجماهيرَ الباطلَ باطلاً لتتجنبه. وهذه هي رسالة وسائل الإعلام. أما فيما يتعلق بالعولمة الغربية فيجب أن تبرزها وسائل الإعلام بكل ما فيها من قبح، والعالمية الإنسانية الإسلامية يجب أن توضحها وسائل الإعلام عندنا على الأقل للجماهير لكي يدركوا أبعادها وعظمتها.

وسائل الإعلام الغربية.. هي في الواقع وسائل عنكبوتية.

❖ وفيما يتعلق بما يتعرض له الإسلام والمسلمون من تشويه متعمد، من قبل الغرب خاصة، وهذه الإهانات المتكررة؛ نسأل: ما هو الدور الملقى على عاتق على الشريحة المثقفة، على عاتق العلماء والمفكرين في هذه الأمة، لكي يوضحوا الصورة الحقيقية عن الإسلام للغرب ؟ ولكي يحاولوا تغيير الصورة النمطية للإسلام لدى الإنسان الغربي؟

❖ أنا لا أرى الأمر طبيعياً أن نطلب إلى وسائل الإعلام الغربية ألا تعمل على تشويه الصورة !! هي في الواقع وسائل عنكبوتية، مرادها تسويق المفاهيم الغربية، وتجعل هذه المفاهيم هي القمة في التمدين، أو هي نهاية التاريخ كما يعبر فوكوياما، أو هي الحضارة الإنسانية المطلوبة كما يعبر هنتنغتون وغيره. وهي وسائل يراد لها أن تتبنى تلك الصورة وترسخها ـ بكل ما تحمله من أبعاد ـ في ذهن الآخرين. لكنني أتوجه باللوم وبالعتب إلى إعلامنا الإسلامي، وألومه على قصوره أو تقصيره في بيان الجانب المشرق في عالميتنا الإسلامية، وتوضيح هذه الصورة في أذهان أبناء الإسلام أولاً كي يعرفوا ما لديهم من جوهرة ثمينة، وبالتالي توضيح هذه الصورة في أذهان الجماهير الغربية. وأعتقد أن هناك شرائح جيدة في الغرب، فيها شيء من الإخلاص، وفيها جموح للجميل إذا عرفت جماله، وهذه الشريحة يجب أن نركز عليها، ويجب أن نوضح صورتنا الحقيقية لديها، حتى لا تتصرف على أساس من تصورها المنحرف عن الإسلام.

❖ وهذه الشريحة التي ترى أنها تتصف بشيء من العقلانية، هناك كثيرون يدعون إلى الحوار مع هذه الشريحة ، كيف تنظر إلى هذه المسألة ؟

❖ أنا أيضاً مع الحوار مع الشرائح المخلصة الواعية المنفتحة، لا بل حتى مع الشرائح التي قد تكون مغرراً بها. أنا مع الحوار لأن تعليمات القرآن هي تعليمات الحوار، أو لأن المنطق الإنساني يفرض عملية الحوار. فالحوار يستطيع أن يوقع المتحاورين على صخرة الحقيقة، أو يوصلهما إلى صخرة الحقيقة، وبالتالي أنا مع عميلة الحوار شريطة أن تكون له مرجعية معينة، أن تكون له قواعده المعينة، وأن يركز على القضايا العملية المشتركة، وينطلق من مفروضات مشتركة بين المتحاورين، إذ لا يمكن للحوار أن ينجو من العقم إن لم ينطلق من مفروضات مشتركة بين الطرفين، و إلا كان حواراً عقيماً لا يصل إلى نتيجة.

وأعتقد أن هناك عمليتين متوازيتين يجب أن تنطلقا معاً: العملية النخبوية، حيث تتحاور النخب مع النخب، وهذا الحوار النخبوي يتسم بسمات كثيرة، وينطلق وفق مسلمات جيدة، وكما قلت يجب أن يكون عملياً، كما يجب أن يكون طرفا الحوار بمستوى

الحوار، ويجب أن يحترم كل منهما الآخر، أي بمعنى أن شروط الحوار الإنساني تتحقق في الحوار النخبوي. وإلى جانب ذلك يجب أن يكون هناك حوار عملي، حوار جماهيري، تختلط الجماهير الإسلامية بالجماهير الأخرى، وتحاول أن تُفهِمها بسلوكها وبمنطقها أنها مع التقدم، ومع الحضارة، وأنها مع المساهمة الحضارية، أنها تحمل فكراً إنسانياً قويا يمكن أن يساهم في بناء الغد الأفضل لكل المجتمعات، وبالتالي فإن هاتين العمليتين يجب أن تسيرا بشكل متوازن إحداهما بجانب الأخرى.

ويجب ألا يغيب عن بالنا أن الحوار مقدمة التعارف، لأنه بالحوار يتم التفاهم، وبعد التفاهم يتم التفهم والتعرف على الحقيقة، وعلى هذا فالحوار مقدمة للتعارف الأحسن، وبعد الحوار، وبعد تعرف كل طرف على حقيقة ما يقوله الآخر، تتم عملية تعارف متبادلة، ويكون التعارف مقدمة للتعاون في المجالات المشتركة، والتعاون يؤدي إلى صنع مستقبل أفضل للناس، والتعارف هو إحدى غايات الخلق:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [سورة الحُجرات: الآية 13]

وأنا قلت إن الإسلام هو دين الحوار، الإسلام هو دين المنطقية، وبالتالي فهو يدعو إلى اتباع كل الأساليب المنطقية للوصول إلى نوع من التعارف. التعارف الحقيقي، هذا التعارف الحقيقي قائم على أساس المعرفة المتبادلة من الطرفين، وهذه لا تتم إلا عبر الحوار.

❖ **العلاقة مع الغرب.. كيف ترونها الآن على ضوء ما حدث ويحدث ؟**

❖ لست من أولئك الذين ينتقدون الغرب جملةً وتفصيلاً، وفي ذات الوقت لست من أولئك الذين يقبلون الغرب جملةً وتفصيلاً، ففي الغرب عناصر إيجابية، ولدينا نقاط مشتركة يمكن أن نتحاور مع الغرب وأن نجتمع مع الغرب فيها، ومن ذلك مثلاً مسألة حقوق الإنسان، من المكن أن نتفق معهم فيها بعد أن نتفق على مضمون هذه الحقوق، ومسألة خدمة

الشيخ محمد علي التسخيري
الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية



- **ولد بتاريخ 1364/11/11 هجري/ قمري المصادف اليوم 1944/10/19م في مدينة النجف العراقية، في أسرة دينية .**
- **والده الشيخ علي اكبر التسخيري من أهالي محافظة مازندران في شمال إيران .**
- **أنهى دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في مدينة النجف وواصل دراسته الأكاديمية في كلية الفقه في النجف أيضاً، فحاز على شهادة الليسانس في العلوم العربية والفقه الإسلامي. وكان خلال دراسته يقوم بعملية تدريس تلك العلوم و الدروس التي درسها وتعلمها.**
- **كما استفاد في مجال الأدب العربي والشعر من عدد من الأساتذة.**
- **أحس في نفسه ـ في مقتبل العمر بطبعه الشاعري و ميله نحو الشعر والأدب العربي ـ فنظم القصائد الشعرية والقى الخطب الأدبية في مختلف المناسبات الإسلامية والندوات الأدبية والشعرية.**
- **في عام 1970 مسيحي ذهب إلى إيران وسكن في مدينة قم حيث واصل دراسته فيها ما يقارب العشر سنوات. كما قام بتدريس العلوم العربية والإسلامية في عدد من الجامعات والمراكز العلمية في مختلف أنحاء إيران .**
- **شغل عدداً من المناصب وخاصة في مجالات الفكر والثقافة الإسلامية، آخرها مستشار رئيس الجمهورية للشئون الإسلامية ، قبل تعيينه أميناً عاماً للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية .**

الحضارة الإنسانية، هذه نقطة يمكن أن نتفق عليها أيضاً، ومسألة الدفاع عن العدالة كذلك. فهذه أمور يمكن أن نتفق مع الغرب فيها، هناك مجال كبير للحديث خصوصاً مع الغرب المتدين، أي المسيحي، فمن القيم المسيحية التركيز على العائلة واحترام قيم العائلة، وهذا أيضاً من قيمنا الإسلامية، علينا أن ندافع عن العائلة وعن دورها في الحياة الاجتماعية، ونرفض كل المحاولات التي ترمي إلى إفشال وحذف دور العائلة في المجتمع. هناك مجالات كثيرة للحوار مع الغرب، وهناك مخلصون كثيرون في الغرب، لا يتلخص الغرب في عناصر منحرفة في المحافظين الجدد مثلاً أو في المستشرقين المعادين اليوم أو الذين ينظرون إلى العالم الإسلامي باعتباره عالم غابات لا يقبل تطبيق حقوق الإنسان، ليس الغرب هؤلاء فقط. بل في الغرب عناصر واعية متفهمة، وفيه منظومات حضارية يمكن أن ندرسها ونأخذ الكثير منها، وبالتالي يمكننا أن نحاورها ونتعاون معها.

❖ كيف تنظر إلى مستقبل العمل الإسلامي؟

❖ أعتقد أن المستقبل واعد، رغم كل ما يجري ورغم كل ما يُثار هنا وهناك. أولا لأن الإسلام يربينا على الأمل بالمستقبل، ويعلمنا أن الضربات التي توجه إلينا توجد في مقابلها ضربات توجّه إلى العدو أو إلى الآخر:

﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾
[سورة النساء: الآية 104]

والفرق بينكم وبين الآخرين

﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [سورة النساء: الآية 104]

فالإسلام يعلمنا الرجاء والأمل بالمستقبل لأننا موصولون بالله تعالى، والله مولانا والكافرون لا مولى لهم. هذه من حيث الثقافة، الثقافة الإسلامية ثقافة أمل، واليأس لا يعرف طريقه إلى قلوبنا أبداً. وثانياً إذا نظرنا إلى الظروف الموضوعية فلا أعتقد أن الأمة الإسلامية اليوم تمتلك كل العناصر التي يمكن من خلالها أن تبني مستقبلها الواعد. وثالثاً هذه الصحوة الإسلامية العارمة، وهذا المارد الإسلامي الذي انتفض من نومه وراح يرعب كل أساطنة الكفر والهيمنة والنفاق، ولا أعني ولا أقول الذي يبث أسلوب الإرهاب، فالصحوة الإسلامية التي اعنيها هي صحوة وسطية لا ترعب أحداً، لكن أعداءنا يرعبهم عندما ينهض الإسلام، عندما يتقدم المسلمون، عندما يتحد المسلمون، وعندما يقطع المسلمون الطريق على استغلالهم للحالة الإسلامية، وامتصاص الخيرات الإسلامية. هذه الصحوة الإسلامية صحوة مباركة وخيرة، وكما قلت واعدة، وأنا أتبارك بها، وأستبشر بها خيراً، وأسأل الله تعالى أن يوحد هذه الأمة وينسق طاقاتها لتحقيق غدها القرآني المشرق إن شاء الله.

❖ التقريب بين المذاهب الإسلامية.. ما هي أسسه ومنطلقاته ؟ وما دور العلماء فيه ؟

❖ أعتقد أن الإيمان بمسألة (التقريب) يتأتى بكل منطقية إذا لاحظنا جملة من الأسس والمنطلقات التي تؤمن بها كل المذاهب الإسلامية دون استثناء، وقد أشرت إليها في أكثر من لقاء، وفي أكثر من مناسبة، ومنها :

- الإيمان بأصول الإسلام العقائدية الكبرى، وبالنبوة الخاتمة لرسول الله ﷺ، والقرآن الكريم الذي جاء به وما فيه، والمعاد يوم القيامة.
- الالتزام الكامل بكل ضروريات الإسلام وأركانه.
- الالتزام الكامل بأن الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المصدران الأساسيان لمعرفة رأي الإسلام في كل الأمور.. الكون، والحياة، والإنسان في ماضيه وحاضره ومستقبله في الحياتين، والشريعة التي تنظم حياته وسلوكه الفردي والاجتماعي.

حيث تتحاور النخب مع النخب.. يجب أن يكون هناك حوار عملي، حوار جماهيري، تختلط الجماهير الإسلامية بالجماهير الأخرى، وتحاول أن تُفهمها بسلوكها وبمنطقها أنها مع التقدم، ومع الحضارة، وأنها مع المساهمة الحضارية، وأنها تحمل فكراً إنسانياً قوياً يمكن أن يساهم في بناء الغد الأفضل لكل المجتمعات.

ـ الالتزام بأن الإسلام سمح بالاجتهاد وأقره باعتباره عملية يبذل فيها المجتهد وسعه لاستنباط الحكم الشرعي من مصادره، لتكون هي الموصلة لمعرفة الإسلام، كما أن هذه العملية ـ أي الاجتهاد ـ تلعب دورها في تأكيد مرونة الشريعة وقدرتها على استيعاب التطورات الحياتية طبقًا لمعايير وضوابط معينة. وهذا يعني ـ بالضرورة ـ إمكانية إيجاد الصلة بين مختلف النتائج التي أدى إليها الاجتهاد وبين الإسلام حتى لو كانت مختلفة ومتضادة فيما بينها، وذلك لاختلاف الأفهام وزوايا النظر والقناعات.

وعندما ننظر في هذه المسألة بعين متفحصة ومدققة نرى أن الإسلام سمح بذلك لأنه دين واقعي فطري، فلا طريق لمعرفة أية شريعة ممتدة على مدى العصور ينقطع وحيها ويموت معصومها إلا طريق الاجتهاد، رغم أن هذا الطريق يبتلى أحيانًا بالذاتية ويفرز آراء متخالفة قد لا يطابق بعضها واقع المراد الإسلامي في علم الله تعالى. كما أننا نجد أن هذا الأسلوب المنطقي يعم استنباط كل الأمور كالعقائد، والمفاهيم، والأحكام، بل وحتى المواقف الإسلامية من بعض القوانين الطبيعية.

ـ ثم هناك مبدأ (الوحدة الإسلامية) الذي يعبِّر عن خصيصة مهمة من خصائص هذه الأمة، وقد وضع الإسلام منهجاً متكاملاً لتحقيق هذه الوحدة مستنداً إلى أساس الاعتصام بحبل الله المتين، والتأكيد على وحدة الأصل والخلق ووحدة الهدف ووحدة الشريعة، في إطار التسليم الكامل لله ونفي خطوات الشيطان، ومذكرًا بآثار الوحدة، ومرسخاً عناصر التضحية بالمصالح الضيقة في سبيل الهدف العام، مركزًا على المعايير الإنسانية كالعلم والتقوى والجهاد، ومؤكدًا على ضرورة تحري نقاط اللقاء، وداعيًا إلى استخدام المنطق السليم؛ منطق الحوار الهادئ الموضوعي.

ـ وهناك أيضاً مبدأ أساسي ومهم هو مبدأ (الأخوة الإسلامية) الذي ينظم مجمل العلاقات الاجتماعية في الإسلام، ولا تقتصر آثاره على الجوانب الأخلاقية فحسب، بل تتعداها إلى الجوانب التشريعية، وتترك أثرها الكامل على عملية الاجتهاد نفسها، لكي لا نشهد في هذه الساحة أحكامًا تتناقض معه.

وهذه الأسس والمنطلقات التي أشرت إليها في عجالة هي أهم ما يمكن أن تبتني عليه (حركة التقريب). ولا يخفى أن التصديق بهذه الأسس وقبولها يؤدي ـ بشكل منطقي عفوي ـ إلى الإيمان بهذه الحركة وأهميتها. ومن هنا فإنني أعتقد أن التقريب لا يقتصر على الجوانب الأخلاقية، ولا يتحدد بالجوانب التشريعية أيضًا، بل يعبرها إلى مختلف الجوانب الفكرية والحضارية. وينبغي أن تشترك فيه كل الشريحة المفكرة الفقهية والفكرية، بل يجب ـ بشكل كامل وربما بشكل أولى ـ أن تعبر النخبة إلى الجماهير، فيبدأ تثقيفها بثقافة التقريب؛ لأن الإسلام إن كان يسمح بالاختلاف الفكري غير المخرب والطبيعي، فإنه لا يسمح مطلقًا بأدنى خلاف في الموقف العملي من القضايا المصيرية الداخلية والخارجية.

هذه الأمة يجب أن تبذل أكثر مما تبذله الآن لكي تحقق غرضين مهمين هما : أن تصد الهجوم على وجودها وعلى ثقافتها، وأن تربي جيلها التربية السليمة التي تصنع جيلاً يستطيع أن يحمل أعباء المستقبل، ويحقق النجاح بالكفاءة المطلوبة .

وهذه الأسس وتلك المنطلقات تعتبر خطوطاً عامة للسياسات التي ينبغي أن يراعيها الخط التقريبي ليحقق أهدافه المرجوة.

❖ وماذا عن تلك الأهداف المرجوة التي تسعى عملية التقريب للوصول إليها ؟

لا يخفى عليكم أن الأهداف كثيرة ومتنوعة، ولكن يمكنني هنا الإشارة إلى شيء منها بإيجاز :

- لعل أول الأهداف هو التعاون فيما اتفقنا عليه، وهو كثير جداً، فللمذاهب الإسلامية مساحات مشتركة كثيرة، سواء كانت في الأصول العقائدية أم في المجالات التشريعية أو في المجالات الأخلاقية، وكذلك في مجال المفاهيم والثقافة الإسلامية، وحتى في المسيرة التاريخية والحضارية، طبعًا في مفاصلها الرئيسية، رغم الاختلاف أحيانا في تقييم المواقف المعينة.

وهنا أود أن أشير إلى أن حركة التقريب يجب أن تبذل قصارى جهدها لاكتشاف هذه المساحات المشتركة وتوعية الجماهير بها، بل وأحيانًا نضطر إلى توعية النخبة أيضًا بها. كما تعمل على توسيع نطاق هذا الجانب المشترك عبر الإشارة مثلاً إلى كون النزاع والخلاف لفظيًا لا جوهريًا، أو عبر التوعية بأسلوب ثالث يشترك فيه المختلفان.

- وما دمنا نؤمن بأن باب الاجتهاد مفتوح - وهي الحالة الطبيعية التي لا يمكن إغلاقها بقرار- وما دامت أسباب اختلاف النتائج الاجتهادية قائمة وطبيعية ؛ فمعنى ذلك أن نرضى جميعاً باختلاف الآراء، وأن يعذر بعضنا بعضاً عند الاختلاف. ولعل ما يجدر ذكره هنا أننا لا نجد نهيًا إسلاميًا عن الاختلاف في الآراء، وإنما ينصب النهي على التنازع المُذهب للقوة، والمؤدي إلى التفرق في الدين، وهذا يعبر عن عقلانية الإسلام ومنطقيته. وبناء على هذا يجب أن يُوطّن المسلم نفسه على تحمل حالة المخالفة في الرأي، وعدم اللجوء إلى أساليب التهويل وأمثالها، وحينئذ يكون الخلاف أخويًا ووديًا (لا يفسد للود قضية).

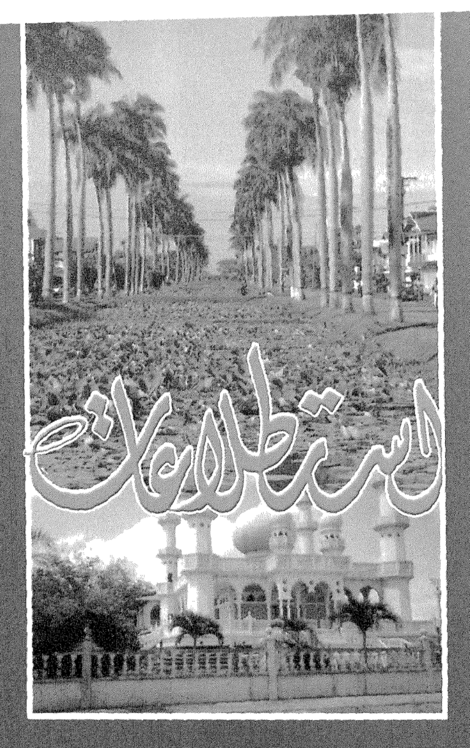
- عدم المؤاخذة بلوازم الرأي، حيث إنه من المنطقي أن يحاسب الإنسان على رأيه ويناقش بكل دقة وأناة، إلا أننا اعتدنا على مناقشات تبتني على لوازم الآراء، وبالتالي يأتي التكفير والاتهام بالابتداع، في حين أن صاحب الرأي قد لا يقبل تلك الملازمة. وربما تكفي الإشارة هنا إلى أن المناقشة العلمية الهادئة أمر مطلوب، ونحن ندعو للمناقشة المنطقية، فلا ننسب للآخر ما لم يلتزم به، وما دام لا يؤمن بالملازمة بين رأيه والرأي الآخر، فإننا نلتمس له العذر، وبهذا نستطيع أن نغلق بابًا واسعًا من الاتهامات الممزِّقة.

- التعامل باحترام عند الحوار، ذلك أننا نعلم أن الحوار هو المنطق الإنساني السليم في نقل الفكر إلى الآخرين، والقرآن الكريم يقدم نظرية رائعة للحوار المطلوب، تناولت مقدمات الحوار وظروفه وأهدافه ولغته بشكل لا مثيل له، وكان مما تناوله مسألة الاستماع للآراء واتباع أحسنها، وأيضاً مسألة عدم التجريح.

الإسلام يؤيد ويشجع أن تنتقل الإنسانية إلى العلاقات الإنسانية العالمية، كما يركز أيضاً على الجانب الفطري وهو الجانب المشترك بين أبناء الإنسانية، كما يركز على العلاقة بين الشعوب، والعلاقة بين أفراد الناس، ويخاطب البشرية جميعاً كي تتجه نحو التعارف والتآلف والتعاون .

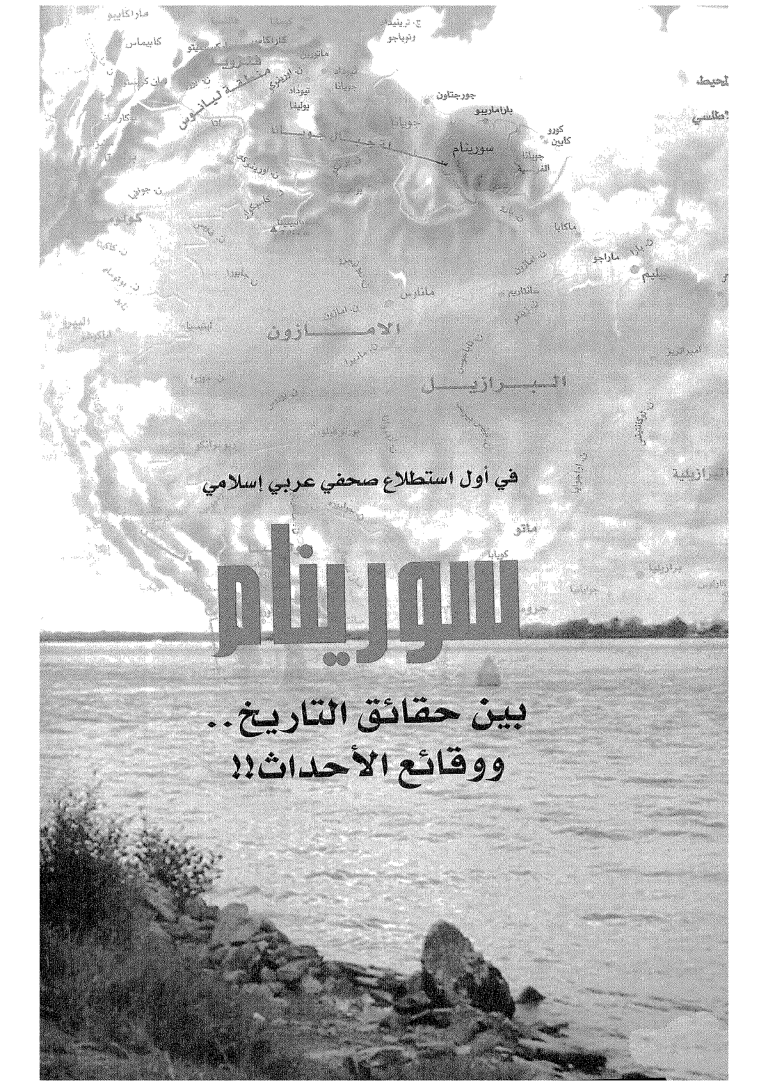
- وهناك هدف آخر مهم هو الحرية في اختيار المذهب، ذلك أن المذاهب جاءت نتيجة اجتهادات سمح بها الإسلام، ومن الطبيعي أن يدرس المسلم هذه المذاهب ويختار الأفضل منها وفق معاييره التي يؤمن بها، والتي يرى من خلالها أنه أبرأ ذمته أمام الله وأدّى أمانته وعهده. كما أنه لا معنى لإجبار أحد على اختيار مذهب ما ؛ لأن ذلك مما يرتبط بالقناعات الإيمانية، وهي أمر لا يمكن الوصول إليه إلا بالدليل والبرهان. وهنا أؤكد أن لكل مذهب الحق في توضيح آرائه ودعمها، دونما تعدٍّ على الآخرين، ولا ننسى أن جميع المذاهب تعمل لإعلاء كلمة الإسلام وفق تصورها.

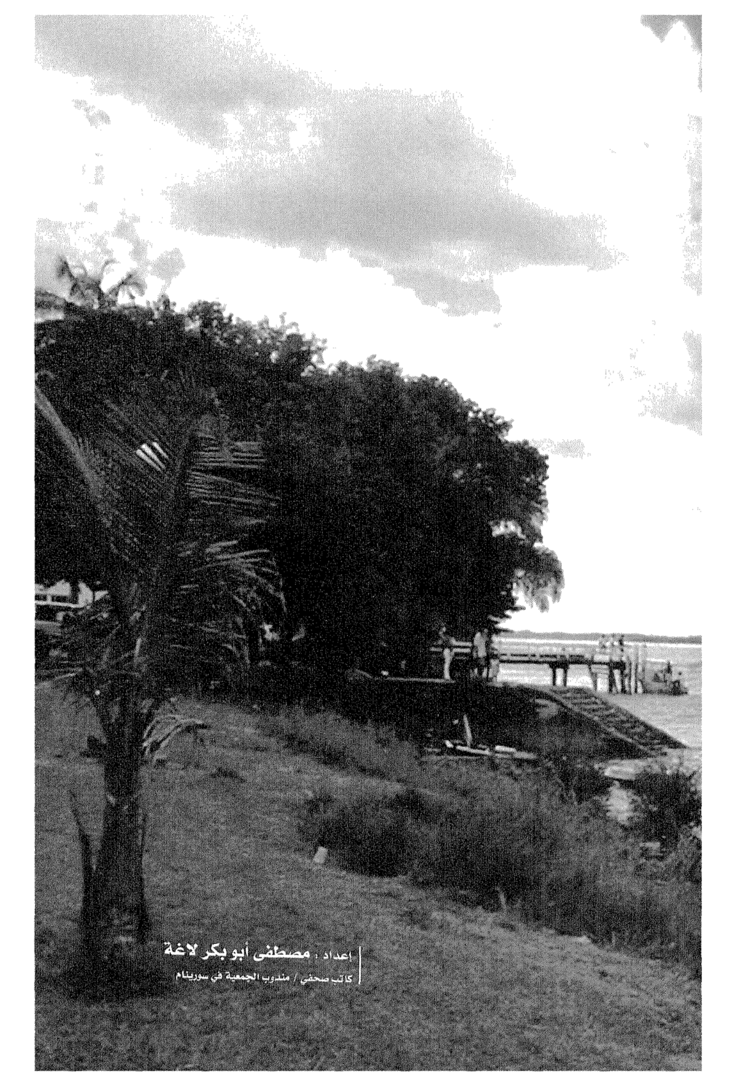
وتبقى الإشارة إلى شيء مهم ألا وهو أن العبء الأكبر في عملية التقريب يقع على عاتق العلماء والمفكرين، لأنهم ورثة الأنبياء وحملة الدعوة وبناة الجيل، من جهة، ومن جهة أخرى لأنهم الأعلم بالأسس التي يعتمدها التقريب والأهداف التي يسعى إليها، وأيضاً هم الأكثر تأثيراً في توحيد الصفوف وتحقيق خصائص الأمة.



سورينام :

تاريخ.. وواقع

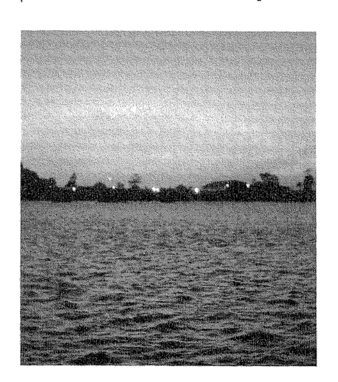

في أول استطلاع صحفي عربي إسلامي
سورينام
بين حقائق التاريخ..
ووقائع الأحداث!!
الامـــــازون
البـــــرازيـــــل
سورينام
جورجتاون
باراماريبو
ماناوس
بيليم



إعداد : مصطفى أبو بكر لاغة
كاتب صحفي / مندوب الجمعية في سورينام

إذا ما أردنا الكتابة عن سورينام، لا بد لنا من أن نتوقف للحظات طويلة في محطة تكوينها البيئي الذي جعله الله متميزاً بجمال طبيعة خلاَّب، ومساحات شاسعة من الاخضرار الذي يملأ كل شبر في أراضيها .. وهذا التميز الذي أودعه الخالق سبحانه وتعالى في تربتها الخصبة، عززه أيضاً بوافر من المياه التي تجري في أنهارها الأربعة، التي تشق أراضيها من الشرق إلى الغرب، والتي من أهمها وأكبرها نهر سورينام الذي تنام في أحضانه العاصمة باراماريبو، يليه نهر كورانتاش الذي هو نهر الحدود مع غويانا في الغرب، ونهر ماراوينا الذي يحد مع غويانا الفرنسية في الشرق، أما أصغرها جميعا فهو نهر كموينا وهى المحافظة الرابعة في الترتيب الإداري للبلاد.. وإذا كانت الأرض تحتضن المياه بذلك العدد الوافر من الأنهر، فإن السماء تغدق عليها بأمطار غزيرة على مدار السنة مما يجعل معظمها يفيض بنعم الله، ليضفي على الأرض المزيد من الجمال والإبداع الإلهي، وسبحان الخالق الذي أبدع كل شيء صنعاً..

قد يحار كل مصور فيما سيختار من زوايا لالتقاط ما يزهو في عين العدسة، إلا أن الذي سيحار أكثر هو ذاك الذي يريد أن يسطر بقلمه ويكتب عما يراه بأم



عينيه دون الاعتماد على آلة التصوير، فالمتراكم من السلبيات كثير وكثير، وصدق الكلمة في طرح الواقع دون أن يتم تزيينه هو أساس النقل الصادق، ومهما يكن من أمر فإن الاتجاه الصحيح نحو كشف المستور في وقائع الأحداث يستوجب تمحيصاً وتدقيقاً واستدلالاً، ولا أريد أن أخفي من هذا وذاك أي نقاط، لأن القضية تهم المسلمين وأبناءهم ..

المسافات الطويلة وشد الرحال

إن شدّ الرحال إلى المناطق البعيدة عن ضوضاء المدن، وما يعتريها من عقد ومشاكل واضطرابات بشرية، يحتاج إلى صبر وقوة احتمال وعزيمة لا تراجع فيها .. وإذا كانت المسافات الطويلة نبدؤها بخطوة، فإن خطواتنا في سورينام ستمتد وتتعدد إلى ما لا نهاية، لا لاتساع في رقعة الأرض التي تنبسط عليها أنعم الله، وإنما لكون طبيعتها غابات وأدغالاً ومرتفعات، فمساحة سورينام تقدر بـ 163270 كيلو متراً مربعًا، ويقطنها حوالي (450) ألف نسمة حسب التعداد السكاني الأخير في العام الماضي (2004)، وهى أكبر مساحة من هولندا التي يسكنها ستة عشر مليوناً من البشر، وخطوتنا الأولى في هذا البلد سنبدؤها بالسرد التاريخي لدخول أوائل المهاجرين إليها... لقد عزز الموقع الجغرافي لسورينام أهمية كبرى في وضعها تحت دائرة الضوء من قبل القوى المستغلة لثروات الشعوب، فهي تقع في شمال أمريكا الجنوبية، وتطل من الشمال على المحيط الأطلسي، بينما تحدها جنوباً البرازيل، أما من الشرق فإن ما يسمى بغويانا الفرنسية هي التي تجاورها، بينما تجاورها من الغرب ما يسمى بغويانا الانجليزية، وجميعها تسميات للأسف الشديد ما زالت قائمة بالرغم من أحقية الاستقلال المعلن لها، أما الطقس فهو استوائي ممطر في أغلب أشهر السنة خاصة خلال الأشهر من ابريل إلى أغسطس، وتتفاوت فيها الرطوبة ما بين ارتفاع وانخفاض، كما أن درجة الحرارة تتراوح ما بين 23 درجة إلى 34 درجة .. أما تصنيفها الإداري فينقسم إلى عشر محافظات، أكبرها وأهمها محافظة باراماريبو التي هي عاصمة البلاد، ثم محافظة

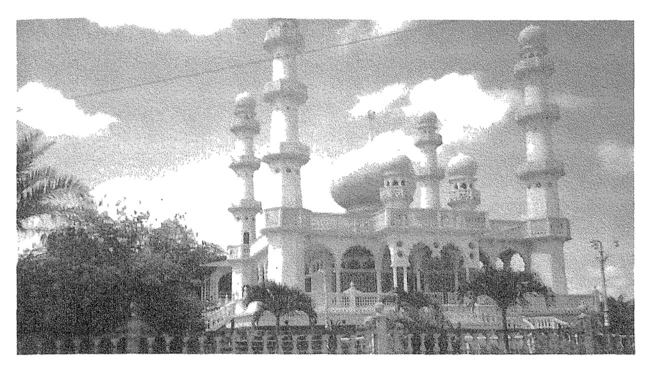


غابة قرية بيكن بويكا

نيكيري تليهما محافظة وانيكا، أما ما يثير الانتباه فعلاً فهو ذاك العدد الكبير من الأحزاب التي تتصارع على السلطة السياسية في البلاد والتي لم يتجاوز عدد سكانها نصف مليون نسمة، حيث يصل عدد الأحزاب فيها إلى (30) حزباً، وقد يكون هذا العدد تأكيداً لادعاء استعماري على أن البلد يعيش حياة الديمقراطية بكل أبعادها، وذلك من خلال التعددية الحزبية، وهنا لا بد من الإشارة وبكل أسف إلى أن المسلمين لم يستطيعوا أن يؤكدوا وجودهم السياسي بتشكيل حزب لهم يضمن لهم حقوقهم ويعزز مكانتهم ويدافع عن مطالبهم ويثبت وجودهم بالمشاركة في سلطة البلد، وهم في هذا الخصوص قوى متناثرة لا يجمع بينهم هدف ولا مصير، وذلك لتعدد الاختلافات المذهبية والطائفية بينهم، بالرغم من أن معظم الإشكالات ليست جوهرية، وإنما هي شكليات، العديد منها لا صلة له بالإسلام إطلاقاً، وقد يكون أهمها وأخطرها هو ذاك الخلاف في الاستدلال على شهر الصوم والعيد برؤية الهلال من عدمه، وفي هذا قد يصل الفارق في الأيام إلى اثنين وثلاثة أيام، وهذا ما يطرأ أيضاً في عيد الأضحى..

التاريخ ... والهجرات البشرية

تعتبر قبيلة الهنود الحمر «سورينان» أول سكان سورينام، التي منها اشتق اسم البلد التي دخلها الإسبانيون عام 1593 مسيحي، كقلة مستوطنة، تبعهم الهولنديون في العام 1602 مسيحي، ومن ثم جاء إلى البلاد الانجليز الذين عملوا على المتاجرة بما ليس لهم وتسليمه إلى من لاحق له فيه وذلك منذ العام 1667 مسيحي، حيث حصلت عملية تبادل بينهم وبين الهولنديين، وذلك بتسليمهم سورينام إلى هولندا في مقابل «نيو امستردام» وهي المدينة المعروفة حالياً بمدينة «نيو يورك» الأمريكية، وقد سمي هذا التبادل بين الطرفين باتفاق «بريدا» .. ويعد الزنوج من أوائل المهجرين إلى سورينام التي دخلوها أثناء فترة العبودية منذ القرن السابع عشر، واستقروا بها كعبيد حتى انتهاء زمن الاستعباد وانبلاج فجر التحرر لهم في 1 من شهر ناصر (يوليو) عام 1863 مسيحي.. ومع مقدم العام 1855 مسيحي وضع الصينيون أقدامهم فوق التراب السورينامي وذلك بغرض التوسع والعيش والمتاجرة.. وتبعتهم بعدئذ بعد العام 1870 هجرات العاملين من الهنود والجاويين الذين جاء بهم



في سورينام تتعدد المساجد بهندسة مميزة والصورة لمسجد اتفاق الاسلام ليورفو

الهولنديون للبلاد من الشرق من أجل العمل في المزارع، وكان الهنود خليطا ينقسم في العقيدة إلى مجموعتين، واحدة مسلمة وأخرى هندوسية، حيث استوطنوا كعمال في المزارع، بينما لحق بهم آخرون في سنين متفاوتة وهؤلاء اتخذوا من الأعمال التجارية سبل عيش لهم مكنتهم من أن يشدوا بأيديهم زمام الأمر الاقتصادي ويسيطرون على مختلف المبادلات والمعاملات التجارية ليصبح معظمهم من رواد الحركة الاقتصادية في البلاد، ومن أغنى الشرائح الاجتماعية فيها..

الجاويون والهوية الإسلامية

أما الجاويون وكان معظمهم من المسلمين فقد آثروا حياة البساطة في عيشهم كعمال وفق ما أملته شروط التهجير الاستعماري الهولندي عليهم، والمعروف أن هولندا كانت قد استعمرت أندونيسيا في العام 1895 مسيحي حيث بقيت جاثمة عليها لمدة (350) سنة، وفي العام 1945 انتزعت أندونيسيا استقلالها من الاستعمار الهولندي، وعمل الجاويون في المزارع والحقول تستهويهم في ذلك طبيعة الأرض وترابها الخصب، وهبة الله عليها من ماء السماء طيلة السنة بحكم موقعها الجغرافي ووقوعها في خط الاستواء، ولقد كان لهذا التوجه إرادة صلبة من جانبهم جميعاً، حيث حافظوا على هويتهم الإسلامية، ومتابعة شئونهم الدينية والتمسك بعقيدتهم، فانتشروا في أرض سورينام يبنون المساجد ويعمرونها محافظة على دينهم الإسلامي الذي جاءوا به من اندونيسيا منذ (115) مائة وخمسة عشر عاماً، إلا أن المؤسف المؤلم هو أن بعضاً منهم كان ولا يزال متمسكاً باتجاهه في الصلاة ناحية الغرب، وهم أولئك الفئة الذين يسمون هنا بـ«المغربين» تاركين بذلك وجهة القبلة إلى الكعبة، ويبذل المسلمون هنا جهوداً كبيرة ومضنية لإقناع هؤلاء بخطأ ما يقومون به، وقد بدأ فعلا عدد هؤلاء في التناقص شيئاً فشيئاً..

الأحداث والقول الفصل

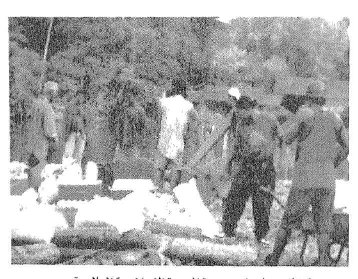
إن أحداث التاريخ في سورينام غيرت الكثير من الاتجاهات الفكرية والثقافية، بل إنها عددت هذه الثقافات وجعلتها خليطاً ممزوجاً بشيء من هذا وشيء من ذاك، وهذه قد نلحظها من خلال تعدد اللغات واللهجات المستعملة، وهي لعبة استعمارية يعززها الوجود الاستعماري في مثل هذه الأماكن التي عادة ما

يكون الوعي الفكري والثقافي فيها ضئيلا إن لم يكن معدوماً، ولكن للأحداث والحوادث دائما قول فصل في لعبة التفرقة والتفريق..

بعد تسلسل الأحداث التاريخية وامتداد الهجرات وتشعبها فوق أرض سورينام، كان لا بد للاستعمار الهولندي من أن يعزز وجوده بطريقة المانح الممن للتغطية على سلبه الخيرات واستغلالها، فجعل سورينام تنضم تحت لواء المملكة الهولندية بتسميتها غويانا الهولندية في العام 1948 مسيحي.. واستمر الحال هكذا إلى أن تم منح سورينام ما يسمى بالحكم الذاتي الجزئي في جميع شئون البلد ما عدا الشئون الخارجية والدفاع اللذين كانا بيد هولندا!!..ثم تحركت الإرادة الشعبية بعد انتشار البطالة والتضخم المالي آنذاك فانتفض الشعب السورينامي ليقاوم الحكم الهولندي من خلال مظاهرات عديدة، الأمر الذي أجبر هولندا على منح سورينام استقلالها في أواخر شهر نوفمبر من العام 1975 مسيحي.. وبالرغم من هذا التحرر الشكلي بقيت البلاد مقيدة اقتصادياً بالهولنديين، وما المحاولة السطحية لسلطة الدولة السابقة في الخروج بعملة البلد من دائرة «الجيلدر» الهولندي إلى الدولار السورينامي التي تمت بالتغيير منذ بداية العام 2004 مسيحي، إلا هروب شكلي من التبعية الهولندية، لتقع في دائرة التبعية للدولار الأمريكي، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع الأسعار بشكل جنوني وعدم استقرارها يوما بعد يوم، وهذا ما يرهق كاهل المواطن ويزعزع اقتصاد البلاد.

الموارد.. وتكالب قوى الشر !!

إن التكالب الاستعماري على هذه الرقعة من الأرض وفي هذا الحيز من العالم، لم يكن مجرد نزعات سيطرت على شعب ما، وإنما هو حفيظة هيمنة على موارد وخيرات وهبها الله لهذه البلاد، وإذا ما حاولنا التوقف ولو على سبيل السرد على الموارد الطبيعية لسورينام لعرفنا أهمية تسابق الدول إليها والتكالب للانقضاض عليها لنهب واستغلال هذه الموارد، فالغابات فيها تملأ الدنيا من الخشب الجيد والمتنوع الأصناف، ثم يأتي الأولمنيوم الذي يعد من



إحدى قوافل مساعدات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية



أجود الأنواع المتوفرة في العالم، أما مناجم الذهب فإنها تغرق أسواق الدول المسيطرة عليها بما طاقته (500) كيلوجرام في الأسبوع الواحد، وتأخذ الحكومة ما نسبته 5٪ فقط مما يتم استكشافه من هذه الثروة، حيث تعتبر منطقة مارويـنا من أغنى المناطق بالذهب والخشب والأولمنيوم.. ثم يأتي الحديد والنحاس والنيكل والبلاتونيوم والنفط، ناهيك عن الموارد الزراعية من أرز وفواكه وخضراوات، حيث تشتهر مدينة نيكيرى بإنتاج أهم أنواع الأرز، بينما تعد مدينتي «كموينا» و«سرماكا» من أهم المدن المنتجة للخضراوات والفواكه، كما أن مياه المحيط والأنهار توفر لسورينام ثروة هائلة من الأسماك والجمبري،

وتوليد الطاقة الكهربائية بقوة الدفع المائي.. وبالرغم من كل هذه الخيرات والموارد، التي تصنف البلد وتضعها في المرتبة السابعة عشرة من بين الدول الغنية فإن الحالة الاقتصادية للسكان تعد منخفضة جدا، والفقر في رقعتها ينتشر في كل مكان، وتصل نسبته إلى 80٪، وتفيد الإحصائيات بأن نسبة البطالة تتعدى 25٪ ..

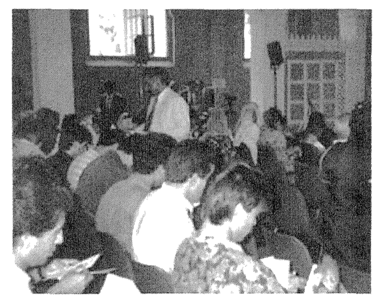
المسلمون .. والخطر الداهم للبيوت !!

أما إذا ما نظرنا إلى انتشار الموبقات من خمر وحشيش ودعارة بين شريحة الشباب، فإن الحقائق في هذا مذهلة ومؤسفة، وهو توجه كيدي لا شك فيه ترتب له دول الغرب التي تتحكم في تسيير المقاليد وفق مصالحها، وذلك بإفشاء هذه الأمراض خاصة في فئة الشباب، وتخديرهم بدعايات الغرب في عيش الحياة بكل مفاتنها، ولا يمكن حصر أماكن القمار والمراقص ومواخير اللهو، بل إن الترخيص فيها يتم لمن يدفع أكثر لجهة الاختصاص ..

إن الخراب الاجتماعي في هذه القلة يستفحل في كيان المجتمع يوما بعد يوم، وقضايا الإجرام والسرقة والانحراف الجنسي والتعدي على الحرمات لا يقف عند حد، بل يتعداه إلى التفكك الأسري والتشرد الظاهر للأطفال، ولم يعد أمراً مستهجناً أن تكون مدرسة من مدارس البنات مثلا مليئة بالحوامل داخل الفصول الدراسية، وهذا ما تم التأكيد عليه بالسماح للطالبة الحامل دون زواج أن تواصل يومها الدراسي مع غيرها في نفس الفصل والمدرسة، ولنستنتج فرضاً، كيف يكون تأثير هذا في البقية الباقية من الأخريات، وقد تكون هذه الصورة هي أصغر الصور حجماً، وأقل إثارة مما يعتري المجتمع من بلاء وهموم..

لقد بدأ الخطر يداهم بيوت المسلمين ويكسر أبواب العفة والشريعة، وذلك من خلال زواج المسلمات من غير المسلمين، والآباء هنا لا يستطيعون التصدي لمنع مثل هذه الزيجات، وعندما تخرج الفتاة عن طوع الأسرة في هذا الخصوص، لا يقدر أحد رد ذلك، فالقانون هنا يحميها ما دامت تعدت سن السادسة عشرة، وعادة ما يتم التغرير بالبنات





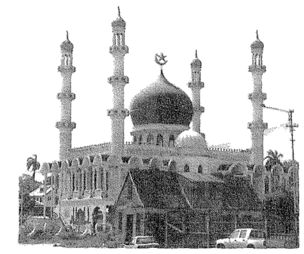


افطار الصائم في مسجد انصار الله برعاية جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

الصغيرات، ويرجع الأمر إلى عدم الوعي والتدني في فهم الإسلام، ونقص الثقافة في الأسس الدينية، ثم يندرج عامل التسيب والإهمال والتقصير في مراعاة ومتابعة الأولاد في مؤسسات المجتمع من مدارس وغيرها، وكثيرون هم الآباء الذين أصيبوا بمثل هذه الكوارث بزواج بناتهم المسلمات من مسيحيين، أو هندوس أو طوائف أخرى لا دين لها.. هذه شواهد يرويها المسلمون أنفسهم، وهم يقفون حيالها مكتوفي الأيدي، وهناك ما هو أشد وأمرّ من كل هذا، وهو تأكيد على معاناة المسلمين في مجتمعات التفسخ والانحلال...



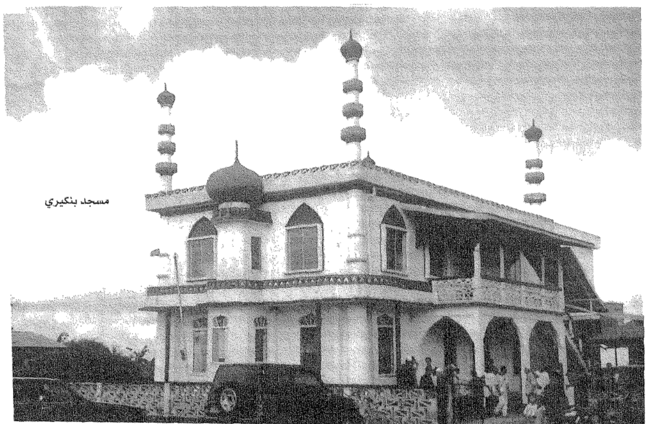
معد الاستطلاع مع رئيس مجلس مسلمي سورينام



شكليات الخلاف وجوهر التقارب

وحول مستهدفات العمل السياسي ودور المسلمين في تأكيد وجودهم على ساحته، يجمعنا اللقاء بالدكتور إسحاق جمال الدين رئيس مجلس مسلمي سورينام الذي توجهنا إليه بالسؤال التالي:

ما هي مستهدفات المجلس في لمّ شمل المسلمين عند نقاط الالتقاء السياسي بين



مسجد بنكيري

المؤسسات الإسلامية لضمان الحقوق وتأكيدها في سلطة البلد؟؟

❖ يقول الدكتور جمال في هذا الصدد :

نحن نحاول قدر الإمكان الوصول إلى مستهدفات المجلس بضم جميع المؤسسات والجمعيات الإسلامية تحت لواء واحد، وإذا كان العدد الحالي قد وصلنا به إلى ست مؤسسات وجمعيات كبرى في البلاد، فإن ذاك قد حقق لنا نجاحات كبيرة من أهمها اعتراف الدولة رسمياً بالمجلس، واعتبار اليوم الأول من عيد الفطر المبارك عطلة رسمية في البلاد، وتتعامل السلطة مع المجلس في كل ما يخص المسلمين مباشرة وبصورة رسمية، وهذا في حد ذاته شيء إيجابي.. إننا نحاول الحصول على المزيد من الحقوق، وهذا يتطلب لمّ الشمل أولا والاتفاق على المبادئ والأسس الأولية، وفي هذا لنا خطوات نأمل أن تتواصل لبلوغ الهدف والغاية .

المسلمون والوجود السياسي

ونستوقفه بدورنا عند المساهمة السياسية الفعلية للمسلمين في السلطة السياسية في ظل ما يتوفر من فرص على الصعيد الدستوري.. فنسأله بالقول :

الفرص متوفرة في الدستور لأخذ المسلمين مكانًا لهم تفعيلاً لدورهم السياسي، ما الخطوات المتخذة في هذا الاتجاه؟؟

يرد الدكتور جمال الدين بالقول :

إننا نسعى أولاً إلى نشر الوعي السياسي والثقافي بين المسلمين وتأكيد حرية إبداء الرأي والمشاركة في التفاعل الاجتماعي، حيث نثبت أقدامنا على أرضية التواصل مع الآخر في الحوار وتعزيز الفهم السياسي، واستيعاب مجريات الأحداث على الصعيدين المحلي والدولي.. إننا نركز على شريحة الشباب وإقحامها في كل التطلعات التي تستهدف الوصول إلى كسب الحقوق وإثبات الذات وتقرير المصير لكل أفراد المجتمع..



نحن نعوّل كثيرا على هذه الفئة لأنها هي الطاقة الفاعلة في كل المجتمع.. واسمح لي بأن أنتهز هذه الفرصة ومن خلال هذا المنبر الإعلامي أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى جمعية الدعوة الإسلامية التي سبق لها أن وقفت إلى جانب المسلمين في سورينام، وما قدمته من خدمات صحية وتعليمية منذ أمد بعيد وما زال مكتبها يقدم مساعداته في كل المناحي، كما أن التعاون بينها وبين المجلس أصبح مثالاً للتعاون الإسلامي الصادق والمثمر، ويكفي ذكراً ما قدمته القوافل الطبية الإسلامية من خدمات طبية للمسلمين وغير المسلمين في كل أنحاء سورينام ..

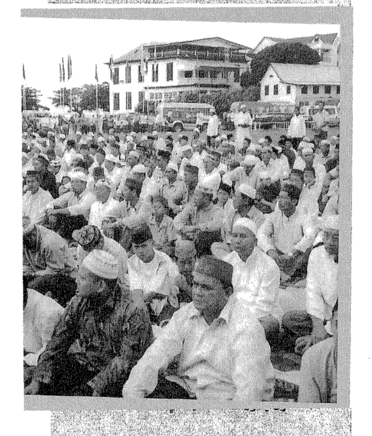
المؤسسات الإسلامية وبرامج العمل

وعن البرامج والأعمال التي تهم المسلمين وتوعيتهم في كل الجوانب، نتجه بحوارنا إلى الأخ صوباري محمد رضوان رئيس المؤسسة الإسلامية السورينامية التي تضم تحت لوائها (50) مسجداً موزعة في جميع أنحاء سورينام، الذي نسأله عن أهمية المسجد كمؤسسة إسلامية للتوعية والتحضير والاهتمام بشريحة الشباب لأداء دورهم في المجتمع الذي يعيشون فيه، فيرد بالقول :

بالرغم من قلة الإمكانيات لدينا فإننا نحاول وضع البرامج التي تهتم بالإنسان المسلم عامة وتوعيته للوجود في المساجد وحضور بعض الندوات واللقاءات التي نقيمها هناك خاصة في المناسبات الدينية، إلا أنه وللأسف الشديد لا نجد تجاوباً كبيراً من قبل الشباب بالمساهمة الفعلية في البرامج التي نضعها، وهذا يسبب لنا إزعاجاً لأنه يشكل سلبية متعمدة أو هروباً من مواجهة الأمور التي نحاول توضيحها من أجل مستقبل الجميع على كافة الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وقد لاحظنا ذلك فعلياً من خلال الانتخابات الأخيرة التي شهدتها البلاد، حيث تغيب المسلمون عن أداء دورهم الايجابي في تأكيد وجودهم وشرعيتهم والإدلاء بأصواتهم إلى من سيحققون لهم ما يهمهم ويعنيهم، وهذا العزوف كان له الأثر السلبي والفعلي في النتائج، حيث لم يتمكن المسلمون من الحصول على كرسي واحد لممثل لهم

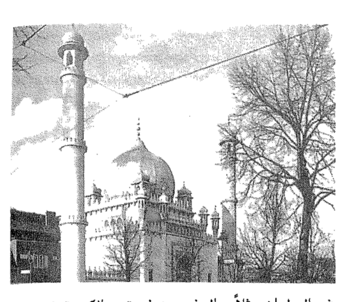
رئيس المؤسسة الإسلامية السورينامية :

- **الشباب المسلم يواجه صوراً ورؤى تجعلهم يتهربون من مواجهة الواقع المليء بالمتناقضات!!..**
- **الشباب المسلم بين فكي الثقافة الغربية وحياة التفسخ والمجون !!..**
- **معاناة الآباء المسلمين.. مكابدة من أجل العيش ؟؟..**
- **من يقف إلى جانب توعية المرأة المسلمة لأداء دورها على أكمل وجه؟؟..**
- **هل تستجيب المؤسسات الإسلامية إلى نداءات المساعدة والمساهمة لمسلمي «سورينام» ؟؟..**
- **لماذا يتهرب المسلمون من حقهم في الاقتراع السياسي ؟؟..**



احدى الدورات التي نظمتها الجمعية للمرأة المسلمة في سورينام

من يقف إلى جانب توعية المرأة المسلمة لأداء دورها على أكمل وجه؟؟



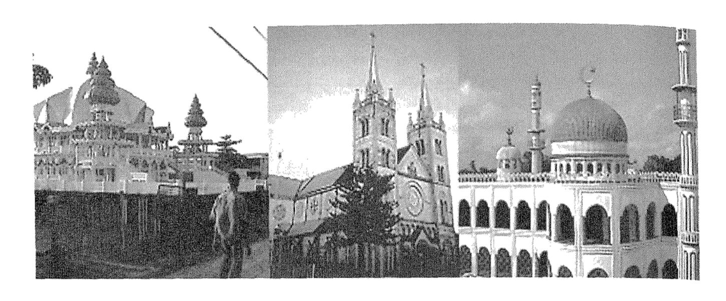
في البرلمان مثلاً، بالرغم من نسبتهم الكبيرة في التعداد السكاني التي تفوق 23٪.. كل هذا يعود إلى حالة التشتت والتفتت المتجسد في الواقع المعيش، وهذا ليس تقصيراً منّا في توعية المسلمين بهذا الجانب، وإنما هو سلبية وعدم اكتراث إن صح التعبير، ولا يعني هذا أن الأمور تسير في مسار خاطئ، وإنما قد تكون الخطوات فيه بطيئة أكثر من اللازم ..

السلبية .. والهروب من المسئولية !!

ونستوقفه حول هذه النقطة بالتساؤل قائلين :

إذاً فالمسألة هنا هي عدم اكتراث أو فهم للمسئولية، والأمران لا يمكن تجاهلهما أو تركهما جانباً أو تعديهما، لأن استفحال هذه السلبية قد يسبب ضياع الحقوق مستقبلا، فهل وقفتم جميعاً في المؤسسات الإسلامية على هذا الاتجاه؟؟..

يرد الأخ صوباري: المشكلة جميعها تنطلق من الوعي الأسري في كل بيت، والحياة الاجتماعية التي يعيشها الشباب المسلم لا تنفصل عما يجري في المجتمع، فهم يواجهون حياة أخرى عند خروجهم من البيت بكل ما فيها من سلب وإيجاب، سواء في المدرسة أو الجامعة أو الشارع أو الأماكن الأخرى، وهذا الخلط والتمازج يجعلهم يعيشون التناقضات التربوية.. البيت يعدهم إعداد الإنسان المسلم الملتزم أخلاقيا وتربويا، والمجتمع ممتلئ بالأحداث والقصص والوقائع خاصة على الصعيد الأخلاقي مثلا، وهذه معاناة كبيرة لنا نحن الآباء... كل هذه

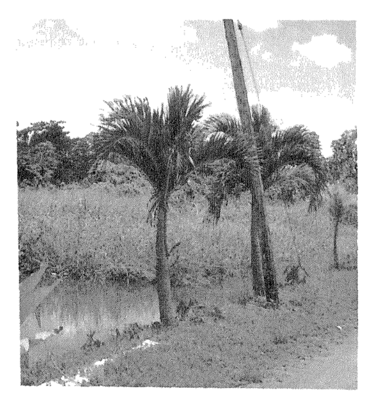


الرؤى والصور التي يعايشونها يوميا تجعلهم يتهربون من مواجهة الواقع.. من الالتزام في البيت وفق التربية الأسرية، ومن التفسخ الأخلاقي المتراكم في أركان المجتمع.. ولهذا نحن في حاجة ماسة إلى الوقوف معنا والى جانبنا ومساعدتنا بالعلماء والأساتذة والموجهين الذين نتطلع إلى مساهماتهم في التوعية الشبابية بصفة خاصة وللمسلمين بصفة عامة، وكم نتمنى أن تقف الدول العربية والإسلامية وقفة جادة معنا في نشر الثقافة وتهيئة الشباب والاهتمام بالمرأة، لأنها أسس وركائز لابد من إعدادها الإعداد الجيد لبناء الكيان الاجتماعي المسلم هنا..

الصراع بين الأجيال

إن المعاناة في هذا الخصوص يعيشها الآباء من المسلمين الذين يرون بناتهم وأبناءهم يعيشون جنباً إلى جنب في نفس الحيز الذي تتجمع فيه مثل هذه الصور، وهذه مشكلة وقضية لا بد من الوقوف عليها لمساعدة هؤلاء في المحافظة على أبنائهم وبناتهم من كسر أبواب العفة في عقر ديارهم، ناهيك عما يواجهه المجتمع المسلم في سورينام من مشكلة التفاوت في الثقافات والرؤى ما بين جيل الشباب وجيل القدامى، وهؤلاء لا يقبلون بالعقلية الشبابية التي حصلت على نصيب وافر من التعليم والعلم حسب المناهج الغربية، وهو ما أدى إلى الاختلاف في كثير من الأفكار والآراء والتطلعات، وأصبحوا لا يقبلون بهم كأساتذة يعلمونهم أسس الدين الإسلامي، وهذا التنافر يشكل إزعاجا للفئتين، فئة لا تقبل بمن هم أكثر علماً، وفئة تريد تطورا في العقلية القديمة وتدفع بها إلى الأمام لتواكب العصر... كل هذا كان سببًا في العزوف عن حضور الدروس في المساجد من قبل فئة الشباب، والمطالبة بتغيير من يقومون بالتدريس من هذه الفئة أو تلك..

هذا التضارب في نقاط عدم التلاقي ما بين الفئتين كان سبباً في فراغ المساجد واقتصار الحضور



فيها على شريحة المسنين، وهذا العزوف لا يمكن إسناد أسبابه إلى الفارق في الثقافات فقط، وإنما هو التأثير والتأثر بما يجري في المجتمع من تفسخ وانحلال، لأن قضية التفاوت في الثقافات عامة في المجتمع إذا ما عرفنا أن المجتمع يحتضن بين جنبيه أكثر من سبعة أجناس، يمثل الهنود فيه حوالي 37٪، الكريول وهم الخليط بين السود والبيض وهؤلاء تصل نسبتهم إلى 31٪، الجاويون من أندونيسيا حوالي 15٪، يلي هؤلاء قبائل السود الذين يمثلون 10٪، الهنود الحمر حوالي 2٪، والصينيون بما نسبته 2٪، وأجناس أخرى 2٪، بينما تقدر نسبة الاوربيين بحوالي 1٪، في الوقت الذي يتكلم أفراده سبع لغات هي: الهولندية وهى اللغة الرسمية للبلاد، واللغة السورينامية المحلية «تاكي تاكي»، الانجليزية، والجاوية، والهندية، ثم لغة قبائل الهنود الحمر، ولغة قبائل السود من الزنوج .. هذا الخليط من الأجناس وبهذا التعدد في اللغات سبب تذبذباً واضحاً في طرح المفاهيم والتحاور والتواصل بين كل السكان، وترك هوة كبيرة بين شرائحه، وليس هناك رابط لغوي يجمعهم جميعاً، فالذي يجيد هذه قد لا يجيد تلك، ومن هذا التنافر وجد الاستعمار طريقه في كيفية السيطرة والهيمنة وفرض لغته، وهذه أيضا لعبة استعمارية أخرى عندما يجد شعبا ليس له لغة توحده في الثقافة والفكر، والأغرب من كل هذا وذاك أنك تجد انقساماً كبيراً في هذا الأمر بين المناصر والمضاد لفكرة التوحيد الثقافي والفكري، ولا شك في أن وراء كل هذا عقلاً مدمّرًا يدبر الأمر ويحوك نسيجه في ظلمة الليل، خاصة إذا ما علمنا بأن المفهوم السائد في أركان المجتمع، والمتفشي بين الجميع هو أن الحياة يجب أن تعيشها بكل ملذاتها إذا ما توفرت لديك سيارة جيدة وامرأة جميلة ومكان تقضي فيه سهرة ليلك !!! وهي دعوة انحراف واضحة المعالم والأغراض ..

الصراع والمكابدة ... والواقع المرير

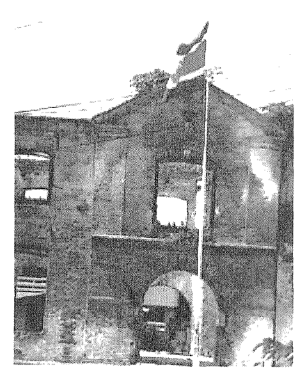
هذه هي العقلية السائدة في المجتمع التي يروج لها صناع الديمقراطية الغربية في المجتمعات الغنية المتخلفة، حتى يكون الأمر سهلاً عليهم في ابتلاع المقدرات وتسخيرها لإحياء شعوبهم، وقتل أبناء البلد المسلوب، ولا شك أن هذه الاستشهادات تذهلنا جميعاً، والوقائع تزعجنا بصورة أكبر، أما الواقع فإنه رهيب حينما ترى المسلم هنا في سورينام يكابد ويصارع حياة المجون والتفسخ في المجتمع خوفا على



جمال الطبيعة ومياه الانهار

أبنائه وبناته، فهو مضطر إلى إرسالهم للمدارس والكليات، أما التفاعل مع أقرانه في هذه الأماكن، ومنهم المتعاطي للخمر أو الحشيش، فإنه محيط ودائرة لا يمكن له تعديها بحكم اللوائح والنظم، وفي بعضه مستنقع لا بد من الوقوف عليه في محيط الدراسة أو رحاب التعليم والعلم للخليط المتعدد من السلوك والأخلاقيات ...

إن النداء الذي ينادي به رئيس المؤسسة الإسلامية السورينامية يستوجب خطوة لا تراجع فيها نحو السير إلى مسالك العون والمساعدة، ومد يد الإحسان إلى كل المؤسسات والجمعيات الإسلامية القائمة في الوطن العربي والعالم الإسلامي لأداء دورها واستنهاض هممها، ومهما يكن من أمر فإن ما تقوم به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في توعية المسلمين وإعدادهم ومساعدتهم، ونشر الثقافة الإسلامية بينهم وربطهم بأسس الشريعة وتعليمهم كتاب الله واللغة العربية، إضافة إلى اهتمامها وإيوائها عددًا من المهتدين الجدد من أبناء الهنود الحمر، الذين تعلمهم في المدارس المحلية، وتدرسهم أسس الدين الإسلامي واللغة العربية وحفظ القرآن الكريم، كما يشرف مكتبها في العاصمة باراماريبو على مدرسة عمر المختار لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، كما أنها تولي اهتماماً بالمسلمين الزنوج في قرية سانت جروزني، والهنود الحمر في قرية بيكنج بويكا، إضافة إلى إقامتها موائد إفطار الصائم خلال شهر رمضان المبارك من كل عام في مختلف مساجد العاصمة والمدن الأخرى، ولا يمكن أن يستوعب عملها كل الساحة السورينامية، وهي المؤسسة الإسلامية الوحيدة القائمة في البلاد والعاملة في حقل الدعوة الإسلامية... إن تعزيز أواصر التعاون والمساهمة في الحد من انتشار داء السلبية بين الشباب المسلم يجب أن يكون هو الديدن لكل المجتمعات الإسلامية الكبرى العاملة من أجل إعلاء كلمة الله وحفظ الهوية والكرامة الإسلامية في كل بلاد الإسلام، إذا أردنا بالمسلمين في سورينام خيراً..



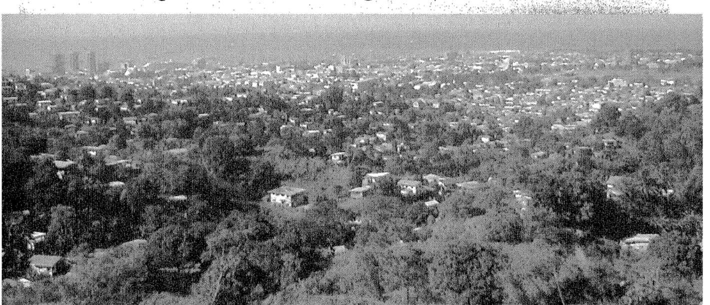
خلاصة القول والمقترحات

لقد عايشت واقعاً من الصعب تحديد أبعاده، إلا أن المخاطر التي تحيط به أكبر من مساحة سورينام، فهذا البلد الصغير الذي يحتل جزءاً ضئيلاً من مساحة هذا الكون الشاسع، وينحصر في موقعه بين فكي قوى تحاول بشتى الطرق والوسائل استغلال وبلع موارده الطبيعية الغنية، ويتعرض لهجمة شرسة بنشر الفساد والقضاء على القيم وتلويث الذمم، وهذه جميعها مستهدفات سيعم ضررها كل المسلمين، ولإنقاذ ما يمكن إنقاذه فإن الحالة تتطلب :

- ❖ الاهتمام والتركيز على المجال الثقافي الذي يشكل نقصاً لا حدود له لدى المسلمين، وإذا كانت هناك من محاولات فإنها لا تكاد تذكر من قبل المسلمين، وما معظمها إلا طرح اجتماعي ليس للفكر ولا للثقافة دليل فيه، أي بمعنى أن كل ملتقياتهم عادة ما تكون مساء كل خميس في المساجد كتجمعات أسرية لا تتعدى إحياء المناسبات الاجتماعية، وقد يتخلل هذه اللقاءات درس مختصر في أمور الدين ينقصه الكثير من المقومات الثقافية والفكرية والتفصيل التاريخي والعلمي للمعلومات ..
- ❖ إن الشباب والمرأة المسلمة يواجهون حملات تغريب خطرة، وممارسات تضليل في الفكر

والعقيدة، فالكثير من المفاسد تنتشر هنا وتضرب أطنابها في كل أركان المجتمع، فكما هي الحرية مكفولة في الأديان والعقيدة، فكذلك الأمر بالنسبة لكل الموبقات والرذائل والمؤثرات الأخلاقية ..

- ❖ ربط الصلة بالمسلمين في البلد وتعزيز أواصر التقارب معهم بالزيارات الدورية المتوالية خاصة في المناسبات الدينية وإعداد البرامج التوجيهية لهم من قبل الأساتذة والوعاظ ..
- ❖ دعم التواصل وتنشيط اللقاءات، وإقامة المؤتمرات والندوات والملتقيات لمناقشة مختلف القضايا التي تهم الشباب المسلم والطفل والمرأة المسلمة ..
- ❖ الاهتمام بالاتجاه الإعلامي وتسيير القوافل الإعلامية الإسلامية لمحاورة المسلمين ومناقشة مشاكلهم وقضاياهم وبثها في المحطات المرئية العربية والإسلامية للاطلاع والمساهمة في دعم ومساعدة المجتمع الإسلامي السورينامي، والعمل على تأسيس منبر إعلامي لهم، حيث إن هذا الجانب ينعدم وجوده كليا في البلاد، وقد يكون مغيبا بصورة مقصودة، بينما يعزز الآخر مكانته ووجوده بالبرامج اليومية والأسبوعية في المحطات المرئية والمسموعة، ويستحوذ بالسيطرة الكاملة على ضخ المعلومات عن العقائد المنحرفة وما يواكبها من معتقدات ..
- ❖ إيفاد الحفظة والقراء والوعاظ بالتعاون بين الدول العربية من مختلف المؤسسات الإسلامية والتنسيق فيما بينها في هذا الخصوص، على ألا يقتصر إرسال البعثات على العاصمة فقط، بل يجب توزيع ذلك على مختلف المدن الأخرى، فهم هناك أحوج من غيرهم إلى هذا العمل، وذلك لتعليم المسلمين في سورينام أصول القراءات لكتاب الله، وتدريسهم أسس الشريعة والفقه، فليس هناك في البلد من يحفظ القرآن كاملاً.. وإذا ما نظرنا إلى فهم معاني القرآن الكريم في سوره وآياته، فإننا سنجد في ذلك حرجاً كبيراً في إيضاحه ونشره، وهذه مسئولية كبرى لا بد من تحملها بكل مصداقية، وتفعيل العمل لما هو ايجابي بخصوصها..
- ❖ العمل على إيفاد القوافل الطبية الإسلامية لحاجة المسلمين إليها في هذا البلد في كل ما يتعلق بالنواحي الصحية وخاصة عمليات الختان لأبناء المسلمين، وقد شقت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في هذا طريقا غير مسبوق حيث لقيت القوافل الثلاث التي تم إرسالها لمساعدة المسلمين نجاحاً طيباً في الاهتمام بصحة المسلمين وأبنائهم، وتركت أثراً ايجابياً ما زال حديث الجميع هنا..
- ❖ توزيع المطبوعات والكتب الفقهية وترجمتها إلى اللغات المتكلم بها في هذا البلد وذلك للنقص الكبير في الوعي الثقافي والفكري وعدم الإلمام بأسس الدين وأصوله..
- ❖ ضرورة الاهتمام باللغة العربية وإيفاد المتخصصين فيها بصورة مستمرة لتعليمها أبناء البلد الذين يجب أن يتعلموا العربية، الأمر الذي سيحول بينهم وبين ابتعادهم عن دينهم وتراثهم الإسلامي إن استمر الحال على ما هو عليه، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الرغبة في التعلم والاطلاع والمعرفة متوفرة لدى الجميع .





الدورة 16 للمجلس العالمي للدعوة الاسلامية :

من أجل الخير والمستقبل الواعد لجميع الناس



المجلس العالمي للدعوة الإسلامية
يعقد دورته السادسة عشرة في كوتونو بجمهورية بنين:

من أجل الخير والمستقبل الواعد لجميع الناس

إعداد: **التحرير**



عقد المجلس العالمي للدعوة الإسلامية، اجتماعات دورته السادسة عشرة، بمدينة كوتونو العاصمة الاقتصادية لجمهورية بنين، وذلك خلال الفترة من 5 إلى 7 من شهر هانيبال (أغسطس) 1373 من وفاة الرسول ﷺ (2005 مسيحي).

وحضر حفل الافتتاح بالإضافة إلى الأخ الأمين العام للمجلس، والمقرر العام وأعضاء المجلس، كل من السيد ماما سيكا وزير الداخلية في بنين، ومندوب عن وزارة الخارجية، والشيخ محمد ثاني أبو بكر رئيس اتحاد المسلمين في بنين، والسيد أمارا عيسى وزير خارجية ساحل العاج الأسبق، والأمين العام السابق للاتحاد الأفريقي، والأخ التيجاني سيربوس المدير العام المساعد لمنظمة اليونيسكو لشئون إفريقيا، وممثلو أتباع مختلف العقائد في جمهورية بنين، وأعضاء البعثات السياسية المعتمدة في بنين، إضافة إلى عشرات الأئمة والخطباء ومسئولي الهيئات والمؤسسات الإسلامية من مختلف أنحاء بنين.

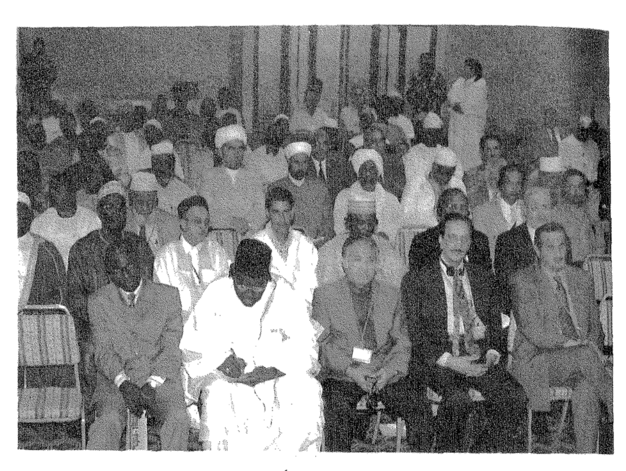
وألقى الأمين العام للمجلس، أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، كلمة في الجلسة الافتتاحية نقل في مستهلها تحيات الأخ القائد معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، إلى الرئيس ماثيو كريكو رئيس جمهورية بنين، والشعب البنيني، والإخوة أعضاء المجلس العالمي.

وحيا أبناء الشعب البنيني وروح التسامح والتعاون والإخاء التي يتصفون بها، ولتعاونهم مع الاتحاد الإسلامي ومع الإخوة العلماء المسلمين والمثقفين للعمل على تربية الأجيال من أجل الخير والمستقبل الواعد في التنمية الإجتماعية في جميع أنحاء العالم.

منهج الشورى

وقال أمين عام المجلس: لقد التزمنا بالطريق الذي دعا إليه المؤتمر الأول والذي ألزمنا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبالطريقة الصحيحة للعمل في الدعوة، وهو الذي نرعاه دائماً، ونتابع برامج وخطط الدعوة الإسلامية من خلال هذا المجلس التنفيذي الكبير الذي هو المجلس العالمي للدعوة الإسلامية، والذي تم اختياره من كل المناطق.

وأشار الأخ الأمين إلى وجود ممثلين ومندوبين من مختلف أنحاء العالم في هذا المؤتمر، وذلك استمراراً لتلمس مشاكل الناس جميعاً في التنمية



الاجتماعية والسلام الاجتماعي والتفاهم والتربية، من أجل الحق والخير وإنشاء المدارس والجامعات والمستشفيات والمعاهد والمؤسسات التي أنتجت رجالاً وعلماء وأساتذة كانوا دائماً على طريق الحق.

وأضاف: إننا في هذا المجلس نعمل على تعليم مبادئ الدين الإسلامي الصحيحة التي جاء بها القرآن الكريم وسنَّة رسول الله ﷺ، والتي شرحها العلماء في كل العصور والأوقات، متعلمين من المصدرين الكتاب والسنَّة، ومتعلمين من ظروف العصور والأماكن التي عاشوا فيها. محذراً من النتائج التي يورثها الجهل بالمبادئ التي تقوم عليها العقائد في جوهرها، والقيم التي تدعو اليها.

وقال: لقد اغتنمنا هذه الفرصة للتنبيه إلى هذا الأمر الذي يشغلنا نحن في المجلس العالمي للدعوة الإسلامية، لأن الإسلام يتعرض في هذه الفترة إلى كثير من التساؤلات نتيجة جهل بعض أصحابه به، ونتيجة جهل الكثير من غير أصحابه به، وهو الذي دفعنا في الماضي والحاضر إلى تعريف أبنائنا وأنفسنا وتعريف غيرنا بحقيقة هذا الدين، خدمة للسلم العالمي ومصلحة الناس، وانطلاقاً من ديننا الإسلامي الحنيف الذي يطلب منا أن نتعرف على أتباع العقائد الأخرى ونتعايش معها.

المعرفة الصحيحة

وأكد الأمين العام على أهمية المعرفة الصحيحة بمبادئ الدين الإسلامي، وضرورة الفهم الواضح للعلاقة بين الدين والحياة، مبيناً أن الجهل بتلك المبادئ أو تجاهلها سيقود إلى سوء فهم الدين، والقصور عن إدراك مقاصد رسالة الإسلام الخاتمة كما يؤدي إلى ظهور نماذج من العنف والتطرف واضطراب العلاقة مع الآخر، فالإسلام كان دائماً شريكاً أساسياً في صنع الحضارة الإنسانية، وقد قدم نموذجاً إنسانياً للتعاون مع أتباع العقائد والثقافات كافة، من أجل إرساء القيم الأخلاقية، والبعد عن كل ما يخدش الكرامة الإنسانية التي منَّ الله بها على الإنسان، وذلك وفق رؤية واضحة.

ونبه الأمين العام إلى خطورة ما يتعرض له الإسلام اليوم من هجمة ظالمة، تشنها دوائر معادية، من خلال قلب الحقائق لتشويه صورة الإسلام، مستغلة سطوة الإعلام في تكوين وتوجيه الرأي العام لتصف الإسلام بما هو منه براء، موضحاً أن جهل البعض وانغلاقهم الفكري وانكفاءهم على الذات وانتهاجهم أساليب التكفير؛ أعطى فرصة للتهجم على الإسلام وتشويه صورة المسلمين. داعياً في ختام كلمته إلى ضرورة الاستمرار في التواصي بالحق، والعمل على تقديم القدوة الحسنة التي يحث عليها الإسلام، لإبراز صورته الصحيحة في التعايش مع جميع الناس، على أسس من الاحترام المتبادل، بعيداً عن كل مظاهر الظلم والعدوان وانتهاج سياسات الغزو والاحتلال والحصار التي لم تجلب للبشرية سوى مزيد من المآسي والآلام، مشدداً على أنه لا سبيل للبشرية في التعامل مع التحديات التي تواجهها سوى الحوار الجاد، والحث على الاقتداء بسنن الرسل والأنبياء والمصلحين، وإذكاء قيم الحق والخير والفضيلة في مجتمعاتنا.

تحية وتقدير



كما ألقى رئيس اتحاد مسلمي جمهورية بنين الأخ محمد ثاني أبو بكر كلمة حيا فيها الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية وجهوده المخلصة والمتواصلة في نصرة قضايا الإسلام والمسلمين في كافة أرجاء المعمورة.

مشيراً إلى أن هذه المؤتمرات التي تعقدها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بشكل دوري قد مكنت المسلمين من أن يحققوا كثيراً من الأهداف التي رسموها لأنفسهم منذ تأسيس هذه المؤسسة الإسلامية العالمية.

وقال: إن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية أنجزت مشاريع حيوية كثيرة، وقدمت وما زالت تقدم المساعدات المادية والمعنوية والخدمات الإنسانية، إلى المسلمين بصفة عامة وإلى شعب جمهورية بنين بصفة خاصة، ومن بين هذه المساعدات مستشفى الفاتح في مدينة بورتونوفو، ومعهد اللغة العربية والثقافة الإسلامية بجامعة أبومي كلافي في كوتونو، علاوة على المدارس والمستوصفات، بالإضافة إلى الآبار التي أنشأتها الجمعية في المدن والقرى، والكتب الدينية والعلمية التي يتم توزيعها دورياً على المسلمين في بنين.

اهتمام متواصل

كما أشار رئيس اتحاد المسلمين في بنين في كلمته إلى المشاريع الإسلامية الهامة التي شيدتها الجمعية في مختلف مناطق وجود المسلمين في العالم، مثل الجامعات والمعاهد والمدارس والمراكز الثقافية الإسلامية والمستشفيات والمستوصفات، مؤكداً أن هذه الإنجازات أسفر عنها تخريج الآلاف من الدعاة بمستويات عالية جداً، الذين يحملون اليوم راية الإسلام الحنيف في جميع أنحاء العالم، ويساهمون في تقديم الإسلام إلى العالم أجمع في صورته الصحيحة، بعيداً عن التشويهات التي يلصقها به الغرب. مثنياً على النتائج التي توصل إليها المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية.

وأشار في ختام كلمته إلى بعض العقبات التي تواجه العمل الثقافي والتربوي، والجهود التي يضطلع بها الاتحاد، معرباً عن ثقته بأن التعاون مع الجمعية ومجلسها العالمي كفيل بتجاوز تلك العقبات.

تعاون وشراكة لإثراء الحضارة الإنسانية



ومن جهته تحدث في حفل الافتتاح الدكتور التيجاني سيربوس المدير العام المساعد لمنظمة الأمم المتحدة لشئون أفريقيا ممثلاً للمدير العام لليونيسكو، حيث نقل إلى أعضاء المجلس تحيات

وتقدير المدير العام لليونيسكو السيد كوتشيرا ماتسورا، مقدراً دور المجلس في تنفيذ برامج التعاون مع اليونيسكو، وقال: إن المشاريع التربوية والثقافية والعلمية التي نفذت وتنفذ في هذا الإطار، تجعل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية شريكاً أساسياً لليونيسكو مشيداً بالالتزام والحرص الذي تبديه الجمعية من أجل دعم مسيرة التعاون والشراكة، وأهمية التعاون بين المؤسستين في الإطار الأفريقي، الذي يهدف إلى تجسيد الوحدة الأفريقية وإبراز إسهامات القارة السمراء في الحضارة الإنسانية، وقد تجلى ذلك في اجتماع لجنة الشراكة من أجل تنمية أفريقيا (النيباد) التي استضافت الجمعية أعمال اجتماعها الثالث في بداية شهر الماء (مايو) الماضي في طرابلس/ ليبيا. معرباً في ختام كلمته عن استعداد اليونيسكو الكامل لتعزيز التعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ومجلسها العالمي ن في كل ما من شأنه أن يرسخ القيم الإنسانية للثقافات والحضارات.

برامج إنسانية مميزة

وألقى الدكتور محمد سامورا الأمين العام المساعد للمجلس، كلمة القارة الإفريقية، محيياً في مستهلها جمهورية بنين على إتاحة هذه الفرصة لعقد هذه الدورة في مدينة كوتونو، تقديراً من المسئولين فيها لجهود المجلس ولجنته التنفيذية في إنجاز العديد من البرامج التربوية والثقافية المتمثلة في عشرات المدارس والمساجد والمراكز الدعوية، وخاصة في المجالات الإغاثية التي شملت الآلاف من اللاجئين والنازحين والمرضى وذوي الحاجات الخاصة، وقال إن هذه الدورة ستكون - إن شاء الله - دفعاً وتعزيزاً وتواصلاً لتلك الجهود المباركة.

وقدم الأخ المقرر العام للمجلس - خلال الجلسة الافتتاحية - نبذة حول تاريخ تأسيس المجلس،



إحدى جلسات العمل

والدورات التي عقدها، والدور المهم والمتميز الذي يقوم به في إطار تنفيذ وتطبيق قرارات وتوصيات المؤتمرات العامة للدعوة الإسلامية، منوهاً بالبناء التنظيمي لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وموقع المجلس في هذا البناء، مؤكداً أن هذا الاجتماع يكتسي خصوصية كونه الاجتماع الأول للمجلس بعد اختياره من قبل المؤتمر العام السابع الذي عقد في الشهر الحادي عشر من العام الماضي بطرابلس / ليبيا، معبراً عن أمله في أن يحقق هذا الاجتماع النتائج المرجوة.

منهج عمل للسنوات القادمة

و على مدى ثلاثة أيام متواصلة بحث أعضاء المجلس العالمي للدعوة الإسلامية وتدارسوا عدداً من القضايا والموضوعات التي اشتمل عليها جدول الأعمال، حيث قدم الأخ المقرر العام، في مستهل أولى جلسات العمل استعراضاً للبيان الختامي الصادر عن المؤتمر العام للدعوة الإسلامية في دورته السابعة، مبيناً أن هذه القرارات والتوصيات تمثل منهج عمل المجلس على مدى السنوات الأربع القادمة.

كما ناقش أعضاء المجلس العالمي - في البند الثاني من جدول الأعمال - تقرير اللجنة التنفيذية

للمجلس عن أنشطة الجمعية خلال النصف الأول لعام 1373 من وفاة الرسول ﷺ (2005 مسيحي)، الذي تم اعتماده بعد مناقشات مستفيضة شارك فيها جُل الأعضاء، الذين اتفقوا على ضرورة التوسع في تقديم المعلومات حول الأنشطة الرئيسية التي احتواها التقرير، وتقديم ما هو ضروري لتكوين صورة شاملة عن النشاط، وإعطاء المزيد من الاهتمام للتعليم العالي والعمل على إدخال تخصصات علمية جديدة إلى كلية الدعوة الإسلامية وفروعها، مع الاهتمام باختيار الموضوعات التي تتطرق إليها الرسائل العلمية في الكلية وفروعها لتتصدى للقضايا ذات العلاقة بمشكلات الأمة المعاصرة.

تطوير الأساليب الإعلامية

ونبه أعضاء المجلس إلى ضرورة تطوير الأساليب الإعلامية للجمعية، والاستفادة بما تطرحه التقنيات الحديثة في مجال الاتصال والمعلومات، وإعداد خطة زمنية قابلة للتنفيذ، لتطبيق ذلك بالتعاون مع الأعضاء المتخصصين في هذا المجال.

ودعا المتحدثون في هذا البند إلى تفعيل دور أعضاء المجلس من حيث الإعداد والإشراف والمشاركة في المناشط التي تنظمها الجمعية في المناطق المختلفة، مؤكدين في مداخلاتهم على أهمية التواصل بين أعضاء المجلس بما يكفل تبادل المعلومات والتجارب، وبما يؤدي إلى تكامل الجهود وتكوين وجهات نظر متطابقة حيال قضايا الأمة الإسلامية وقضايا العالم بصفة عامة.

كما تم استعراض تقرير كلية الدعوة الإسلامية وفروعها، حيث تولى الأخ عميد الكلية الإجابة عن عدد من الأسئلة والاستفسارات، التي طرحها الأعضاء في مداخلاتهم حول ضرورة تكثيف النشاطات الثقافية وتوجيهها نحو تناول الموضوعات ذات العلاقة المباشرة بالتحديات التي تواجهها الأمة، والعمل على أن تساهم تلك النشاطات في توسيع الأفق الفكري والثقافي والسياسي للطالب.

ابراز حقيقة الإسلام

كما استمع أعضاء المجلس - في إطار مناقشة البند الرابع من جدول الأعمال - إلى تقارير أعضاء اللجنة التنفيذية حول الواقع الدعوي والثقافي في المناطق التي يمثلونها، فضلاً عن تقارير أعضاء المجلس التي تقع في نفس الإطار، حيث أكد المتداخلون على ضرورة إعداد دراسات توضح حقيقة الإسلام، وتبيان ثوابته وأسس عقيدته وموقفه من قضايا العالم المعاصرة، وترجمة تلك الدراسات إلى اللغات المختلفة وتوزيعها على أوسع نطاق ممكن، مع التركيز على زيادة الاهتمام بالمهتدين ومتابعة شئونهم وتنمية معارفهم بالإسلام في أساسياته وثوابته، ومساعدتهم على تفنيد ما يشاع من اختلافات مذهبية وتفرعات فقهية، والاستمرار في تنظيم الملتقيات التي تساهم في تخفيف الضغوط الاجتماعية والسياسية التي قد يتعرضون لها في بعض الأحيان.

وأكدت مناقشات الأعضاء ومداولاتهم على أهمية التوسع في ميادين العمل الإغاثي والإنساني في مختلف أبعاده، والتنسيق في برامج الإغاثة مع أعضاء المجلس العالمي في المناطق المختلفة، والتعاون في ذلك مع المنظمات الدولية ذات العلاقة، تفعيلاً للحضور الدولي للجمعية، كما أكدوا على ضرورة وأهمية مواصلة الاهتمام ببرامج الحوار التي تنظمها الجمعية مع أطراف دينية وثقافية.

وفي إطار بند الأبعاد والتحديات التي يتعرض لها العالم الإسلامي، استمع أعضاء المجلس للعديد من المداخلات التي تعرض المتحدثون فيها إلى مظاهر تلك التحديات، وخاصة في جوانبها الثقافية والفكرية، مشيرين بالخصوص إلى دور بعض المؤسسات الإعلامية الغربية في تعمد تشويه صورة الإسلام. وفي هذا السياق أشار الأعضاء - في موضوعية - إلى أن المسلمين يتحملون جزءاً من مظاهر ذلك التشويه، بفعل تصرفات بعض التيارات الإسلامية التي تنتهج سياسات التقوقع والانكفاء على الذات، ومعاداة التطور، والجنوح إلى تكفير ورفض قبول الآخر.



للمرأة حضورها في حركة الدعوة الإسلامية

وأكد أعضاء المجلس على ضرورة أن تستمر الجمعية - وفق إمكانياتها وفي محيطها الثقافي - في بذل المزيد من الجهد لتصحيح صورة الإسلام بين الناس كافة.

توضيح حقيقة الإسلام في أبعاده المختلفة

وقد أصدر المجلس العالمي للدعوة الإسلامية - في ختام أعمال دورته السادسة عشرة - عدداً من التوصيات، أكد فيها على ضرورة العمل على إعداد دراسات توضح حقيقة الإسلام في أبعاده المختلفة وثوابته وأسس عقيدته، وموقفه من قضايا العالم المعاصرة، وترجمة تلك الدراسات إلى اللغات المختلفة وتوزيعها على أوسع نطاق ممكن.. كما أوصى المجلس بإيلاء مزيد من الاهتمام بالمهتدين ومتابعة شؤونهم وتنمية معارفهم بالإسلام في أساسياته وثوابته، بعيداً عما يشوش على عقولهم من اختلافات مذهبية وتفرعات فقهية، والاستمرار في تنظيم الملتقيات التي تساهم في تخفيف الضغوط الاجتماعية والسياسية التي قد يتعرضون لها.

التوسع في ميادين العمل الإنساني

وأكد المجلس على ضرورة التوسع في ميادين العمل الإنمائي الإنساني في أبعاده المختلفة، والتنسيق في برامج الإغاثة مع أعضاء المجلس في المناطق المختلفة، والتعاون في ذلك مع المنظمات الدولية ذات العلاقة، وزيادة تفعيل الحضور الدولي من خلال الاستمرار في جهود التنسيق مع المنظمات والهيئات الإسلامية في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، بما يوحد تلك الجهود ويكفل عدم بعثرتها أو تكرارها، وبما يمكن تلك المنظمات من تكوين قواسم مشتركة في تعاملها مع ما يتعرض له الإسلام دينا وعقيدة من ظلم وتجن.

الاهتمام ببرامج الحوار

كما أكد المجلس في توصياته على مواصلة الاهتمام ببرامج الحوار التي تنظمها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية مع أطراف دينية وثقافية، وذلك من خلال رسم استراتيجيات ومنطلقات لذلك الحوار، مع دراسة إمكانية أن ينشأ في إطار الجمعية مجلس أو لجنة متخصصة للحوار، وتقوية الصلات مع الطرق الصوفية وإبراز دورها في الحفاظ على الهوية الإسلامية ومقاومة أساليب الاستلاب الحضاري، وخاصة في إفريقيا وآسيا الوسطى، والاستمرار في تنظيم الملتقيات الصوفية واستثمار طاقاتها الروحية في الدفاع عن الأمة.

وحول أبعاد التحديات التي يتعرض لها الإسلام ودور بعض المؤسسات الإعلامية الغربية في تعمد تشويه صورة الإسلام ؛ أشار أعضاء المجلس إلى أن المسلمين يتحملون جزءاً من مظاهر ذلك التشويه، بفعل تصرفات بعض التيارات الإسلامية التي تنتهج سياسيات التقوقع والانكفاء على الذات ومعاداة التطور والجنوح إلى التكفير ورفض قبول الآخر.

مكانة مميزة للجمعية

كما أكد المجلس على ضرورة أن تستمر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وفق إمكاناتها وفي محيطها الثقافي ببذل المزيد من الجهد لتصحيح صورة الإسلام في مرآة الآخر، وأن تستثمر القبول الذي تحظى به في العالم وعلاقاتها المتميزة بعدد من المنظمات الدولية في تقديم الصورة الحقيقية للإسلام، وأن تعمل بالتعاون مع كل أعضاء المجلس ومع الفعاليات الإسلامية الواعية والمتفتحة على الآخر على تنظيم لقاءات مع التيارات الفكرية والسياسية والدينية في الغرب والعالم عموماً، وتعزيز التعاون معها من أجل إشاعة ثقافة الحوار والتعاون والاحترام المتبادل.

نبذ المظالم

وأشار المجلس في توصياته إلى التحديات التي يتعرض لها العالم الإسلامي والمظالم التي ترتكب في فلسطين والعراق وأفغانستان، وتعمد تدنيس المقدسات الإسلامية، مشدداً في توصياته على ضرورة نبذ المظالم، والكف عن كل مظاهر العدوان، والتخلي عن سياسات إرهاب الدولة، واحترام المواثيق والأعراف الدولية التي تنظم العلاقة بين الأمم والشعوب، مؤكداً أنه إذا لم يتحقق ذلك فإن السلام العالمي يبقى مهددا، وستبقى ظاهرة الإرهاب مرشحة للتنامي.

استثمار العنصر البشري

وفيما يتعلق بتفعيل العمل التربوي والتعليمي، أكد أعضاء المجلس على أهمية الاستثمار البشري الحقيقي للأمة في هذه الظروف بالذات من خلال الاهتمام بالتعليم، مؤكدين أن توصياتهم وملاحظاتهم - في إطار مناقشة تقرير اللجنة التنفيذية وتقارير كلية الدعوة الإسلامية وفروعها - تقع في إطار الاهتمام بذلك الشأن، كما أكدوا على ضرورة تشجيع الاستثمار في مجال التعليم الخاص في شرق إفريقيا، مقترحين تكليف اللجنة التنفيذية بتسيير فريق من المتخصصين والمهتمين للقيام باستبيان حول هذا الموضوع، تمهيداً للشروع في تنفيذ بعض البرامج التربوية.

اختيار أعضاء اللجنة التنفيذية

هذا وقد اتفق أعضاء المجلس في جلستهم الختامية على تقسيم المناطق التي يتم اختيار أعضاء اللجنة التنفيذية منها إلى خمس مناطق بدلاً من أربع، حيث تم فصل الأمريكيتين عن أوروبا، وقد اختار المجلس أعضاء اللجنة التنفيذية عن المناطق الخمس على النحو التالي :

- أ / مصطفى يعقوب - عن آسيا.
- د محمد سامورا - عن إفريقيا.
- د / محمد السماك - عن المنطقة العربية.
- د / عبد الخبير محمد - عن الأمريكتين.
- د / صلاح الدين الجعفراوي - عن أوروبا.

وبذلك أصبح تشكيل اللجنة التنفيذية للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية على النحو التالي :

د / محمد أحمد الشريف/أميناً عاماً للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية.

أ / إبراهيم الغويل / مقرراً عاماً للمجلس.

د / محمد سامورا - عن إفريقيا.

أ / مصطفى يعقوب / عن آسيا.

د / عبد الخبير محمد / عن الأمريكتين.

د / محمد السماك / عن الوطن العربي.

د / صلاح الدين الجعفراوي / عن أوروبا.

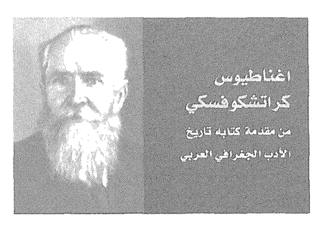


الأدب الجغرافي الإسلامي

المعين الأول للمستعربين

الأدب الجغرافي الإسلامي
المعين الأول للمستعربين

إعداد : **التحرير**



إن المكانة المرموقة التي تشغلها الحضارة العربية في تاريخ البشرية لأمر مسلم به من الجميع في عصرنا هذا؟ وقد وضح بجلاء في الخمسين عامًا الأخيرة فضل العرب في تطوير جميع تلك العلوم التي اشتقت لنفسها طرقًا ومسالك جديدة في العصور الوسيطة وما زالت حية إلى يومنا هذا ـ أعني علوم الفيزياء والرياضيات والكيمياء والبيولوجيا والجيولوجيا . أما فيما يتعلق بالأدب الفني العالمي فإن العرب قد أسهموا فيه بنصيب وافر يمثل جزءًا أساسيًا من التراث العام للبشرية، كما امتد تأثيرهم كذلك إلى عدد من المصنفات والفنون الأدبية التي نشأت في بيئات غير عربية.

وبالطبع ليس في وسع الفنون المختلفة للأدب العربي الحافل أن تدعي لنفسها مكانة واحدة من حيث القيمة ومن حيث الأهمية العلمية؟ وإذا كان بعضها مثل علم اللغة والعلوم الشرعية يمثل موضوعًا لدراسات المتخصصين، الأمر الذي لا يمنع بالطبع من أهمية استقراءاتهم في حالات معينة بالنسبة للنواحي العريضة في تاريخ الحضارة ؟ إلا أن عددًا من فروع الأدب العربي قد اكتسب أهمية تجاوزت بكثير حدود اختصاصاته الضيقة. ولعل هذا يصدق قبل كل شيء على الأدب التاريخي والجغرافي العربي الذي اعترف العلماء به منذ عهد بعيد بأنه المصدر الأساسي والموثوق به في دراسة ماضي العالم الإسلامي، إذ تتوفر فيه مادة لا ينضب معينها لا للمؤرخ أو الجغرافي فحسب، بل أيضًا لعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الأدب والعلم والدين، وللغويين وعلماء الطبيعة. ولا يقتصر محيط الأدب الجغرافي العربي على البلاد العربية وحدها بل يمدنا بمعلومات من الدرجة الأولى عن جميع البلاد التي بلغها العرب أو التي تجمعت لديهم معلومات عنها، وذلك بنفس الصورة المتنوعة التي وصفوا بها بلاد الإسلام، وقد يحدث أحيانًا أن تمثل المادة الجغرافية العربية إما المصدر الوحيد أو الأهم لتاريخ حقبة معينة لقطر ما. فمثلاً فيما يتعلق بتاريخ إيران في عهد الساسانيين ـ وهو العصر نفسه الذي تمثله تلك الآثار البديعة



المحفوظة لدينا بمتحف الارمتاج Ermitage بلنينجراد ـ نجد أن المادة الأساسية قد حفظها لنا المؤلفون العرب. لذا فليس من الغرابة في شيء إذا صرحنا بأن هذا الأدب يوشك أن يكون المعين الأول الذي يرده/ مختلف المتخصصين من غير المستعربين وأن يصل الاهتمام به إلى درجة عالية. هذا الاهتمام يبرره الغنى الهائل لهذا الأدب؛ ولتكوين فكرة عن ضخامته نذكر مثلاً أن مؤرخ الأندلس الذي عاش في القرن السابع عشر وهو المقَّرى قد أورد أسماء مائتين وثمانين شخصًا عندما أراد لمواضع مختلفة بهدف وضع مصور جغرافي. إن الجغرافيين العرب وحدهم هم الذين ذللوا الطريق لدراسة المادة الجغرافية الهائلة التي أورثها اليونان للعصور الوسيطة. وليس أقل مغزى من هذا أنه لم يصلنا عن العهد السابق للمصنفات الجغرافية وصف واحد لرحلة ما باللغة السريانية بالرغم من أن محيط أسفارهم قد شمل القسطنطينية / وبيت المقدس والإسكندرية. أما المصنفات السريانية المتأخرة في الجغرافيا فقد اعتمدت اعتمادًا تامًا على العلم العربي ويمكن أن تمثل بعض الأهمية كجزء متمم له وذلك في تحليل فترات معينة من تاريخه.

ويمكن القول بأنه قد وضح حاليًا لدى العلماء الأوروبيين بجلاء أن الأهمية الأساسية للأدب/ الجغرافي العربي تستند إلى ما أسهم به من مادة جغرافية جديدة لا على النظريات التي اعتنقها. ويجب منذ البداية ملاحظة الاتساع الهائل في مدى المعلومات الجغرافية لدى العرب عند مقارنة ذلك بما عرفه العالم القديم، فقد عرف العرب أوروبا بأجمعها باستثناء أقصى شماليها، وعرفوا النصف الجنوبي من آسيا كما عرفوا أفريقيا الشمالية إلى

خط عرض 10 درجات شمالاً وساحل أفريقيا الشرقي إلى رأس كرينتس قرب مدار الجدي[3]. وترك لنا العرب وصفًا مفصلاً لجميع البلدان من أسبانيا غربًا إلى تركستان ومصب السند شرقًا مع وصف دقيق لجميع النقاط المأهولة وللمناطق المزروعة والصحاري، وبينوا مدى انتشار النباتات المزروعة وأماكن وجود المعادن. ولم يجتذب اهتمامهم الجغرافيا الطبيعية أو الظروف المناخية فحسب بل أيضًا الحياة الاجتماعية والصناعة والزراعة واللغة والتعاليم الدينية. كما لم تقتصر معرفتهم على بلاد الإسلام وحدها بل تجاوزت بصورة ملحوظة حدود العالم، كما لم تكن لديهم أية فكرة عن الساحل الشرقي لآسيا إلى الشمال من الهند الصينية. هذا بينما عرف العرب طريق اليابس الذي يرتفع إلى أعالي نهر ارتيش ونهر ينسي، وعرفوا سواحل آسيا إلى كوريا شمالاً. ولا يزال موضع شك معرفتهم المباشرة باليابان وإن ظهرت في الآونة الأخيرة على مصور جغرافي وضعه لغوي تركي ببغداد في القرن الحادي عشر. ومن المحتمل أنه قد حصل على معلومات بشأنها في آسيا الوسطى التي عرفها جيدًا؛ أما عن طريق البحر فمن الثابت أن العرب لم يبلغوا اليابان.

وفيما يتعلق بافريقيا فإن أول مرة يظفر فيها جوف افريقيا بوصف مفصل كان ذلك في مؤلفاتهم؛ وقد ظلت معلوماتهم تمثل القول الفصل في هذا الصدد إلى حين ظهور المستكشفين الجغرافيين الأوروبيين في القرن التاسع عشر. هذا وقد أثبت البحث العلمي المعاصر أهمية المعلومات التي جمعوها حتى عن بلاد نائية مثل أرخبيل الملايو واسكنديناوة وجنوب شرقي أوروبا.

لم يَعُد بالإمكان تجاهل حضارة الإسلام

زغريد هونكة.
من كتابها «أثر الحضارة العربية في أوروبا».

لم يَعُد العالم اليوم مقتصرًا على أوروبا وحدها، كما وأن التاريخ الأوروبي لم يعد ـ في الوقت الحاضر ـ التاريخ العالمي وحده؛ ذلك أن شعوب قارات أخرى قد اعتلت المسرح العالمي. ففي الوقت الذي كانت تسعى فيه أطراف الأرض جميعًا إلى رسم خطوط مسرحية التاريخ العالمي، دون أية وشيجة سابقة تربط بينها، تصوّر أوروبة دائرة يلفُّها البحر العالمي، وتتوسطها بلاد الإغريق من جهة، وروما من جهة ثانية، فردوسًا لها ومركز إشعاع.

أما أن تكون ثمة شعوب أخرى، وأطراف من الأرض لها شأن عظيم في التاريخ، بل وفي تاريخنا الغربي خاصة، فذلك أمرٌ لم يعد بالإمكان تجاهله في حاضر قد طاول النجوم عظمة. لأجل ذلك، يخيّل إليّ أن الوقت قد حان للتحدث عن شعب قد أثّر بقوة في مجرى الأحداث العالمية، ويدين له الغرب، كما تدين له الإنسانية كافة بالشيء الكثير، وعلى الرغم من ذلك فإن من يتصفح مئة كتاب تاريخي، لا يجد اسمًا لذلك الشعب في ثمانية وتسعين منها.

وحتى هذا اليوم، فإن تاريخ العالم، بل وتاريخ الآداب والفنون والعلوم لا يبدأ ـ بالنسبة إلى الإنسان الغربي وتلميذ المدرسة ـ إلا بمصر القديمة وبابل بدءًا خاطفًا سريعًا، ثم يتوسع ويتشعب ببلاد الاغريق وروما، مارًا مرورًا عابرًا ببزنطية، ومنتقلاً إلى

القرون الوسطى المسيحية، لينتهي منها آخر الأمر، بالعصور الحديثة.

ولم يكن هناك أحد ليمنح أوروبا ما قبل القرون الوسطى أي اهتمام، أو ليمنح الأحداث التي جرت في العالم خلال تلك العصور أية أهمية أيضًا. وأما أن يكون العرب في جوار قريب لها، وأن يكون هذا الشعب رائدًا لغيره من الشعوب في أنحاء الدنيا في غضون سبعمائة وخمسين عامًا حاملاً مشعل الثقافة ردحًا جاوز عصر الإغريق الذهبي بضعفيه أكثر من أي شعب آخر.. فهذا أمرٌ من يعلم به؟ ومن يتحدث عنه؟

في سياق الحديث عن الإغريق، اعترف الأوروبيون بدور العرب في التاريخ حين قالوا: إن العرب قد «نقلوا» كنوز القدامى إلى بلاد الغرب.

إن هذه العبارة الوحيدة التي يحاول فيها الكثيرون كذبًا وادعاءً تقريظ ما قد أسدوه لأوروبا، تحدد للعرب في الواقع، دور ساعي البريد فقط، فتقلل من قدرهم حين تطمس الكثير من الحقائق وراء حجب النسيان.

ليس المهم أن نوسّع آفاقنا التاريخية فحسب، بل إن الأمر الهام أيضًا في زمننا هذا أن نبحث عن صديق الغد في عدو الأمس، وأن ننطلق من قيود المعتقدات الدينية السابقة لنطل من وراء العقائد، ومن خلال التسامح والإنسانية السامية على البشر أجمعين، وأن تأخذ العدالة مجراها وتردّ حقوق شعب سبق أن حرمه التعصب الديني كل تقدير موضوعي حق، وحطّ من قدر أعماله الفائقة، وحجب النور عمّا قدمه لحضارتنا، بل وغلّه بصمت الموت. أما زال يعتبر هذا العمل عملاً مبكرًا، ولم يحن وقت القيام به بعد؟

إن علاقة الغرب بالعرب منذ ظهور الإسلام حتى هذا اليوم لهي مثال تقليدي عن مدى تأثير المشاعر والعواطف في كتابات التاريخ، وكان هذا وضعًا له مبرراته في عصر اعتُبر فيه تأثير معتنقي دين آخر أمرًا غير مرغوب فيه لخطره الوهمي، إن نظرة القرون الوسطى هذه لم تمتّ بعد، إذ إنه ما زالت، حتى يومنا هذا، جماعة محدودة الآفاق بعيدة عن التسامح الديني تبني الحواجز في وجه النور، ولو بطريقة لا شعورية نابعة من تصرف غائص متشعب الجذور في أنفسهم إزاء أناس جعلت الدعاة منهم أبالس مجرمين بشعين، وعبدة أوثان وفنانين مزوّرين.

الصورة الشائهة للإسلام إسقاط لما اكتنف عقول الأوروبيين من جهالة
مونتجمري وات

لقد كان لشعور أوروبا الغربية بالنقص عند مواجهتها الحضارة الإسلامية جوانب متعدّدة، فالتكنولوجيا الإسلامية كانت متقدمة عن التكنولوجيا الأوروبية في كثير من الميادين، وكان أثرياء المسلمين أكثر استمتاعًا بالكماليات من الأوروبيين، غير أن هذا الاعتبار في الغالب اعتبارٌ ضئيل الأهمية. أما من الناحية العسكرية، فقد كان المسلمون في الماضي يثيرون خوف غيرهم، وإن كان فرسان النورمانديين أثبتوا أنه بوسعهم مواجهتهم. غير أن سعة أراضي الدولة الإسلامية كانت مهولة. وكان الناس في أوائل القرن الثاني عشر يرون أن العالم مكّون من ثلاثة أقسام: آسيا وأفريقيا وأوروبا. فأما أكبرها، وهي آسيا، فقد كانوا يحسبون أنها بأسرها تقريبًا في يد المسلمين، وكذا معظم أفريقيا، في حين لم تكن أوروبا كلها مسيحية. وعلى ذلك افترضوا أن نحو ثلثي سكان العالم مسلمون. كذلك فإن أي مسيحي اتّصل

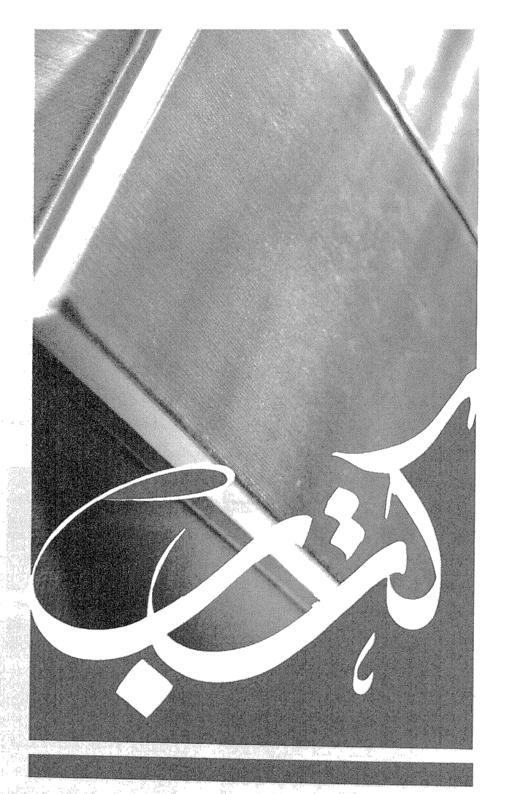
بالمسلمين، أقلقه إحساسُهم الثابت الذي لا يتزعزع بتفوقهم وفضلهم على غيرهم. ويمكن القول بوجه عام إن مشاعر الأوروبيين الغربيين المعادية للإسلام لم تكن تختلف عن مشاعر طبقة محرومة في دولة عظيمة. وقد تحوَّلوا ـ كما يتحول أفراد الطبقة المحرومة ـ إلى الدّين في سعيهم لإثبات وجودهم في مواجهة الجماعة صاحبة الامتيازات. وكان تحوّلهم بالأخص إلى ما يمكن أن نسميه بشكلين من أشكال الإيمان المسيحي، ألا وهما: تقديس القديس جيمس في كومبوستيلا، والحركة الصليبية. وكان الحج إلى كومبوستيلا والتحمس للحملة الصليبية المتوجهة إلى القدس هما البؤرة المزدوجة لحركة دينية شعبية.

وكان تشويه الأوروبيين لصورة الإسلام ضرورياً لتعويضهم عن إحساسهم بالنقص. وقد أسهم بطرس المكرّم إسهامًا أساسيًا في تكوين هذه الصورة الجديدة، سواء بتكليفه البعض بإعداد المجموعة الطليطلية، أو بقيامه هو نفسه بإعداد موجز للتعاليم الإسلامية مع تفنيد لها. حدث هذا قبيل منتصف القرن الثاني عشر، وفي الوقت الذي لم يكن تمثل الأوروبيين علوم العرب وفلسفتهم قد قطع شوطًا بعيداً. ومن ثمّ فإنه لم يكن لاعتماد الأوروبيين على الفكر الإسلامي وحاجتهم إليه دور كبير في خلق إحساسهم بالنقص، وإن كان علينا أن نتذكر أن اثنين من المترجمين الذين اعتمد عليهم بطرس، وهما هيرمان الدلماسي وروبرت أوف كيتون، كانا يدرسان علم الفلك قبل أن يغريهما بطرس بقبول عرضه. فلا شك إذن في أن بطرس المكرّم كان مدركًا إقبال البعض في أوروبا على الاغتراف من علوم المسلمين، وربما كان لديه إحساس لا شعوري بالنقص في هذا الصدد. وكان لصورة الإسلام التي خلقها الباحثون المسيحيون في ذلك الوقت في إقناع المسيحيين الآخرين بأنهم في حربهم ضد المسلمين إنما يحاربون من أجل نصرة النور على قوى الظلام، وأنه حتى إن كان المسلمون أقوياء، فإن دينهم خير من الإسلام.



فليتحدثوا هم إذن عن النور والظلمة، غير أننا في عالم اليوم، وبفضل ما أسهم به فرويد من أفكار، نعلم جيداً أن الظلمة التي ينسبها المرء إلى أعدائه ما هي إلا إسقاط للظلمة الكامنة فيه هو، والتي لا يريد الاعتراف بها. وعلى ذلك فإنه ينبغي علينا أن ننظر إلى الصورة الشائهة للإسلام باعتبارها إسقاطًا لما اكتنف عقول الأوروبيين من جهالة. فأما العنف والإفراط في إشباع الشهوات اللذان أُتّهم بهما المسلمون، فكانا شائعين في أوروبا أيضًا رغم المُثُل المسيحية العليا. فالشهوة الجنسية في الديانة المسيحية تؤذي الروح وتحول بينها وبين الخلود. وعلى ذلك أُعتُبِرت عزوبة الرهبان أسمى من الزواج. ومع ذلك فلابد أن الأفراد العاديين ـ حتى مع تشدّقهم بالحديث عن فضل العزوبة على الزواج ـ كانوا يتصرّفون في الواقع على أساس أن إشباع الشهوة الجنسية أمر حميد.

ولا أدلّ على نمّوعي الأوروبيين المسيحيين بأنفسهم من أن بعض الشخصيات البارزة منهم استطاع أن يدرك أن الصورة الأوروبية للإسلام ترمز إلى الشرور القائمة في أوروبا ذاتها.



فضيحة اسمها: إرشاد مانجي

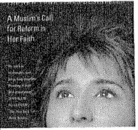
الخلل في الإسلام



فضيحة اسمها: إرشاد مانجي
الخلل في الإسلام

عرض: أ. الصديق بشير نصر*

الخلل في الإسلام
أو المعضلة مع الإسلام اليوم
The Trouble with Islam Today



يقع الكتاب في نحو مائتين وسبع وعشرين صفحة تتوزّع على اثني عشر فصلاً ، هي :

- ❖ الرسالة
- ❖ كيف أصبحت مسلمة رافضة ؟
- ❖ العذارى السبعون
- ❖ متى توقفنا عن التفكير ؟
- ❖ بوابات وزنانير
- ❖ مَن يخون مَن ؟
- ❖ المستور في الإسلام
- ❖ عملية اسمها الاجتهاد
- ❖ مدح الأمانة
- ❖ شكراً لله على الغرب

إرشاد مانجي Irshad Manji سحاقية Lesbian تجاهر بفجورها علناً على القنوات الفضائية، وتدير برنامجاً للشواذ اسمه Queer TV تتعرّض للإسلام والمسلمين بالنقد والتسفيه والتحقير . وتقول إنّ الخلل الحقيقي لا يكمن في المسلمين أنفسهم كما يزعم بعض المدافعين عنه، ولكنّ الحقيقة المرّة التي يتجاهلها المسلمون أنفسهم والمتعاطفون معهم من غير المسلمين، هي أنّ المعضلة الحقيقية تكمن في تعاليم الإسلام ذاته، ذلك الدين الذي أفسد عقول معتنقيه وعواطفهم، وأسدل حجباً كثيفة على حقائق الأشياء، مُحرّماً أشياء جميلة تحمل كثيراً من معاني الحريّة والإنسانية مثل العلاقات الجنسية الشاذة، وأن تحريم تزاوج المثليين يمسّ الحريّة الشخصية للأفراد. حينما يبلغ الاستخفاف بعقول القرّاء هذا المبلغ من التدني والانحطاط، اعلم أنّ الأمور قد بلغت من العبثِ حدّاً لا يُطاق.

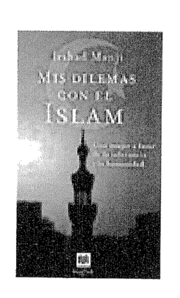
(الخلل في الإسلام) كتابٌ روّج له مَن يُعادي الإسلام من الغربيين، فترجم من الإنجليزية إلى لغات عديدة : العربية، والأردية، والأسبانية، والإيطالية، والفرنسية، والعبرية، والفنلندية، والألمانية. وصدرت عنه طبعات خاصة في بلدان عديدة هي: بريطانيا، أمريكا، استراليا، فرنسا، كندا، إيطاليا، البرازيل، اسبانيا، الدنمارك، النرويج، فنلندا، ألمانيا، هولندا، كاتلان، باكستان، إسرائيل.

ما هي تلك الأهمية التي يتضمنها هذا الكتاب حتى يحظى

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي ـ ليبيا

بهذه الترجمات العديدة التي لم تنلها أشهر الكتب التي غيّرت مجرى التاريخ ؟

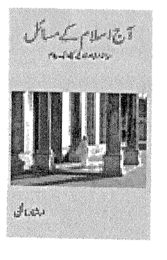
باختصار شديد إنها صرعة معاداة الإسلام. فمعاداة الإسلام أصبحت في جميع أنحاء المعمورة السبيل الأيسر للشهرة، والكسب السريع. وربما ذلك هو المعنى الذي أراده الشاعر الألماني الكبير ريلكه بقوله : «الشهرة سوء فهم يتجمع حول اسم جديد».



فالقارىء حينما يطّلع على هذا الكتاب سيدرك دون عناء مبلغ الانحطاط الأخلاقي و الإسفاف الفكري الذي تقوم به مؤسساتٌ مشبوهةٌ حاقدةٌ لا هَدَفَ لها إلا محاربة الإسلام والمسلمين.

فمن هي إرشاد مانجي ؟

باكستانية كانت تعيش مع عائلتها في أوغندا، ثم هاجرت مع ذويها، وهي في الرابعة من العمر، سنة 1972، إلى ريتشموند، وهي ضاحية من ضواحي الطبقة الوسطى؟ ڤانكوڤر بمقاطعة بريتش كولومبيا. ولأن والدها لم يكن ميسوراً بعد فقده كلّ ما يملك في أوغندا أودعها كنيسة تتولى خدمة الأطفال مجاناً هي Rose of Sharon Baptist Church. وفي هذه المدرسة كان أوّل اتصال لها بالكتاب المقدس الذي سحرها بصوره الجميلة الموضوعة للأطفال التي تحكي قصص الأنبياء وأخبار العهد القديم والجديد. وتقول الكاتبة في الفصل الأول من كتابها عن هذه الفترة التي أمضتها في حضن الكنيسة : «أنظر إلى الماضي الآن، وأحمد الله أنّ المطاف انتهى بي إلى عالم لا يتعيّن أن يكونَ القرآنُ كتابي الأوّل والأوحد فيه، وكأنه الغذاء الروحي الوحيد الذي تقدمه الحياة إلى المؤمنين».



وفي سنّها التاسعة ألحقها أبوها بمدرسة إسلامية دينية أسسها المهاجرون المسلمون في ريتشموند. وهي ليست مدرسة بمعنى الكلمة، وإنما هي قسم من مسجدٍ حديث البناء خُصّص طابقه العلوي ليكون مدرسة لتعليم الأطفال. وكانت إرشاد مانجي ترتادها يوماً واحداً في الأسبوع هو يوم السبت. وفي أيام السبت اليتيمة، وفي هذا العمر الطفوليّ اكتشفت هذه العبقريّة الفذّة، كما تزعم، حقيقة الإسلام المرّة. تقول الفيلسوفة إرشاد مانجي : «وفي دروس يوم السبت التي كنت أحضرها تعلّمت أنّ مَن كان روحانياً لا يُفكّر، وإذا فكّر فهو ليس روحانياً » !!

من الفصل الأوّل للكتاب (كيف أصبحتُ مسلمةً رافضةً)، وهو أقرب إلى السيرة الذاتية منه إلى الكتاب، تكشف المؤلفة عن المفاصل الرئيسة في عملها المثير للجدل !! وهي :

معاداة السامية، قمع المرأة، الدفاع عن الشذوذ الجنسي، حريّة التديّن، الدعوة إلى الديموقراطية، محاربة الإرهاب. وهي المفاصل الجوهرية التي تدور حولها أغلب الكتابات الغربية المؤلفة حول الإسلام والمسلمين بعد أحداث 11 إيلول. إنها اطروحات دانيال بايبس، وبات روبرتسون من اليمين الصهيوني تتقيؤها

باكستانية يُفترض أنها مسلمة. ولكنها لا تعرف عن الإسلام إلا أنه « هدية من اليهود» كما تصرّح بذلك في الفصل الأول من لعنتها المسماة (المشكلة مع الإسلام اليوم).

استطاعت إرشاد مانجي، حسب ما ورد في موقعها على الإنترنت أن تكسب أنصاراً ومؤيّدين لأطروحاتها التي تهدف إلى تقديم معلومات حرّة عن الإسلام كما يزعم هذا موقعها. ومن هؤلاء المؤيدين: اتحاد أكسفورد Oxford Union، ورابطة الصحافة الوطنية المتحدة United Nations Press Corps واللجنة الوطنية للسياسة الخارجية الأمريكية National Committee on American Foreign Policy، ووكالة بحوث الدفاع السويدية Swedish Defense Research Agency، ومعهد جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau Institute، والبنتاغون Pentagon وأرشيف الحركة النسائية العالمية بأمستردام Amsterdam-based Archives of the International Women's Movement

وعملت متطوّعة بهيئة تحرير مجلة Seventee، كما عُيّنت لاهتماماتها التربوية !! مرشدة خاصة بمؤسسة Pierre Elliot Trudeau Foundation في مونتريال. وفي محطة تليفزيون المدينة City TV بمدينة تورنتو قامت إرشاد بإنتاج برنامجها التلفزيوني الشهير Queer TV، وهو أوّل برنامج في العالم يُبثُّ على الموجات الهوائية التجارية Commercial Airwaves يستكشف حياة الشواذ من لوطيين وسحاقيات gay and lesbian people وقد فاز هذا البرنامج الشاذ بعد الحلقتين الأوليين منه بجائزة الجوزاء.



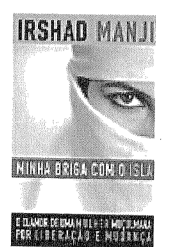
قدّم لِطبعة الكتاب العربية أستاذ مغمور بجامعة سان دييغو يُدعى خليل محمد أصله من غويانا، ودرس في المكسيك وحصل على درجة البكالوريوس في علم النفس، ثم تلقى دروساً في الشريعة الإسلامية بجامعة ماكجيل الكندية.

كما يعمل إماماً بأحد المساجد بأمريكا.. إماماً على الطريقة الأمريكية !!

يقول مقرظاً كتاب إرشاد مانجي :

« يُفترض بي أن أكره إرشاد مانجي. فإذا استمع المسلمون إليها فإنهم سيكفون عن الاستماع إلى الأئمة أمثالي.. المؤلفة تهدد سلطتي الذكورية !! وتقول أشياء عن الإسلام أتمنى أنها ليست صحيحة. وهي لديها لسان سليط، وحشد من الحقائق تؤكّد بها تحليلها.. وهي سحاقية، وما تعلمته في المدرسة الدينية غرس في أعماقي، حتى كاد يدخل في تركيب مادتي الوراثية، أنّ الله يكره المثليين والسحاقيات. والمفروض حقاً أن أكره هذه المرأة. ولكن لدى الاحتكام إلى الضمير وإعمال العقل توصلت إلى استنتاج محرج : إن إرشاد تقول الحقيقة، والله يأمرني بأن أدافع عن الحقيقة، وذلك يعني أن أقف إلى جانبها. ولم أكتب هذه المقدمة لهذا السبب، بل أكتبها لأنني بحاجة إلى التكفير عن تصريح المرائي. ولأنه كثيراً ما يُثنى عليّ لِشَجاعتي في فضح الإسلام المتطرف (١) والإرهاب.. إرشاد لا تلف

ولا تدور وهي تفضح معاداة اليهود فضلاً عن النزوع إلى تعليق مسؤولية كلّ ما يعانيه الإسلام من علل على شماعة الاستعمار الغربي.. إرشاد كيف تجرئين على سرقة رجولتي منّي بتأليف كتابٍ كان عليّ أن أكتبه.». هذا نمط من التقريظ الفجّ الذي قوبل به هذا الكتاب الأكثر فجاجة. إنّ مئاتٍ بل آلافاً من مثل هذا السخف والهراء لن ينال من عظمة هذا الدين.



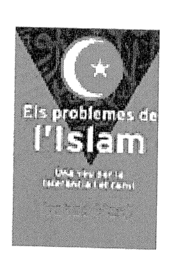
من الواضح أن هذا الضرب من التأليف صناعة يهودية لا تخفي هويتها.

ويكفي أن يُقَال هنا : الحمد لله أنه لم يتطاول على الإسلام إلا سفيه، أو فاجر، أو مخبول، أو مرتزق وضيع.

جاء في الفصل الذي يحمل عنواناً هو (الرسالة) وهي خطاب موجّه إلى المسلمين :

« في هذه الرسالة أطرحُ أسئلة لم يعد بإمكاننا الهروب منها. علام نكون رهائن لما يجري بين الفلسطينيين والإسرائيليين؟ ما مشكلة تلك الصبغة العنيدة من معاداة السامية في الإسلام؟ من هو مستعمِر المسلمين الحقيقي - أميركا أم الجزيرة العربية ؟ لماذا نفرِّط بمواهب النساء وهن يشكّلن نصف ما خلقه الله تماما ؟ كيف يمكن أن نكون واثقين كل هذه الثقة بأن المثليين يستحقون الإقصاء - أو الموت - في حين أن القرآن يقول: إن الله أحسن كل خَلْق؟ الآية. بالطبع، يقول أكثر من ذلك ولكن ما عذرنا لقراءة القرآن قراءة نصية وهو على هذا القدر من المتناقضات والإبهام ؟».

وتقول أيضاً :

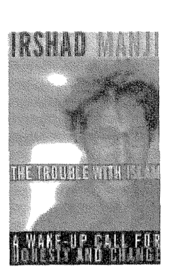


«ما أسمعه منكم أن المسلمين مستهدفون بردة فعل شرسة. والحقيقة أن المسلمين في فرنسا ساقوا كاتباً إلى المحكمة لأنه وصف الإسلام بكونه «أغبى الأديان». يبدو أن هذا الكاتب يحرِّض على الكراهية فنعمد إلى تأكيد حقوقنا. التي غالبيتنا محرومون منها في البلدان الإسلامية. ولكن هل كان هذا الفرنسي على خطأ عندما كتب أنه على الإسلام أن يكبر؟ وماذا عن تحريض القرآن على كره اليهود؟ ألا ينبغي أن يكون المسلمون الذين يستحضرون القرآن لتبرير معاداة السامية هدفاً للملاحقة القانونية؟ أم أن هذا سيكون بمثابة «ردة فعل» شرسة أخرى؟ ما الذي يجعلنا أصحاب حق وكُلّ مَنْ سِوانا عنصريين؟ »

وتقول :

«قد تتساءلون مَنْ أكون حتى أخاطبكم بهذا الأسلوب. أنا مسلمة رافضة. وهذا لا يعني أني أرفض أن أكون مسلمة. إنه ببساطة يعني أني أرفض الانضمام إلى جيش من البشر المبرمَجين باسم الله. وأنا استعير هذا التعبير من الرافضين الأصليين - اليهود السوفيات - الذين رفعوا راية الدفاع عن الحرية الدينية والحرية الشخصية. فقد رفض أسيادهم الشيوعيون السماح لهم بالهجرة إلى إسرائيل. وكان جزاء محاولاتهم الرحيل عن الاتحاد السوفياتي أن

كثيراً من الرافضين دفعوا الثمن أشغالا شاقة، وأحياناً دفعوا الثمن بأرواحهم. ولكن بمرور الزمن ساهم رفضهم في الامتثال إلى آليات السيطرة على العقل وتجريد الإنسان من روحه في نهاية النظام التوتاليتاري. ونحن علينا أن ننهي توتاليتارية الإسلام لا بسبب 11 سبتمبر (ايلول) فحسب وإنما بسبب أشد إلحاحا، لا سيما إنهاء الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان بحق النساء والأقليات الدينية».



وتتحدث إرشاد مانجي في فصل (كيف أصبحت مسلمة رافضة) عن التفكك العائلي الذي كانت تعيشه مع سطوة أبيها وقسوته، وهو ما يفسر جنوحها نحو الشذوذ الجسدي والذهني معا، فتقول:

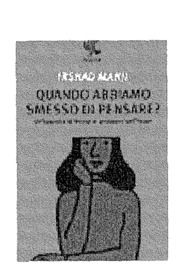
«ولكن في البيت كانت قبضة والدي الجاهزة دوماً تتكفل بتطويع أسرته لقواعد منزلية اعتباطية. لا تضحك عند تناول العشاء. عندما أسرقُ مدخراتك تخرس أنت. عندما أركل عجيزتك تذكّر أن الركلة ستكون أقسى في المرة القادمة. عندما أنهال على أمكَ بالضرب لا تطلب الشرطة. وإذا جاءوا فسأقنعهم بالعودة أدراجهم وأنتم تعلمون أن هذا ما سيفعلون. وما أن يغادروا سأقلع أذنك. وإذا هددت بإخطار الخدمات الاجتماعية فسأبتر الأذن الأخرى.

المرة التي طاردني فيها والدي بسكين حول الدار أفلحتُ في القفز من نافذة غرفتي والمبيت على السطح. لم تكن لدى أمي فكرة عن حالي لأن نوبة عملها لدى شركة طيران لم تكن تنتهي إلا في الساعات الأولى من الصباح».

وتمضي قائلة:

« وفيما كان الناقدون يتحرّون الإسلام، اكتشفتُ أنا جوانب مذهلة من ديني. كم منا يعرف إلى أيّ حد كان الإسلام (هدية من اليهود)».

وتقول عن تجربتها الشاذّة:



«إنّ سؤالين بصفة خاصة هزَّا عالمي. كلاهما الى الأحسن، ولكن ليس من دون ألم في الحالتين. السؤال الأول هو: «كيف يمكن التوفيق بين المثلية والإسلام؟» فأنا سحاقية بصراحة. وأختار «الإفصاح» عن توجهي الجنسي لأني بعدما نشأتُ في بيت تعيس برعاية أب يحتقر الفرح، لستُ الآن بصدد تخريب الحب المتبادل الذي يمنحني البهجة في سن البلوغ. التقيتُ أولى صديقاتي في العشرينيات من عمري، وبعد أسابيع أخبرتُ أمي بالعلاقة. استجابتْ كعهدي بها أمّاً حنوناً. ومن ثمّ فان مسألة ما إذا كان بمقدوري أن أكون مسلمة وسحاقية في الوقت نفسه كدّرتني. فذاك دين وهذه سعادة. وكنتُ أعرف أيهما أحتاج أكثر. واصلتُ حياتي أدرس الإسلام بصورة متقطعة، وأتعلم الفن الجميل لإقامة علاقات مع النساء (موضوع كتاب آخر بحد ذاته)، وأنتج برامج للتلفزيون، وأعيش على العموم الحياة متعددة الاتجاهات لشابة في العشرين ونيف في أميركا الشمالية... وكان سؤال واحد يتطلب مزيداً من التفكير: إذا كان الله العليم القدير لا يريد أن

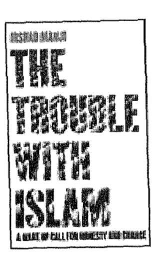
يجعلني سحاقية، فلماذا خلقني سحاقية؟ هل خلق أحداً آخر بدلاً مني؟».

وفي الفصل الذي يحمل عنوان (سبعون عذراء)، تتحدث المؤلفة عن القمع الذي يلحق بالمثليين في العالم الإسلامي، وتنقل لنا تجارب شخصية لأفراد هربوا من بلدانهم مخافة التنكيل بتهمة اللواط، وأقاموا في كندا. كما تحدثت عن جمعيّة للمثليين المسلمين، هي باكورة هذا الانفتاح الذي تبشر به هذه المهووسة جنسياً تتسمى بـ (الفاتحة).

ثم تنتقل بشكلٍ حاد إلى مهاجمة المجتمعات العربية والإسلامية، فتنعتها بالتخلف، والجهل. لماذا؟ لأنها تقطع أيدي السّراق، وتجلد الزناة، وترجم اللوطيين والسحاقيات الذين لا ذنب لهم إلا أنهم مارسوا حقوقهم الغريزية وفق نواميس الطبيعة. وتصبّ جام حقدها على البلدان التي ترفع شعارات تحكيم الشريعة الإسلامية واصفةً إياها بنعوت قبيحة، وتأخذ تلوك أخباراً تالفة، أو على الأقل لم تثبت بعد لأن مصدرها معادٍ للإسلام. وتلك هي ثقافة الإعلام الغربي الذي اعتاد تضخيم الوقائع حتى لتبدو وكأنها زلزال عنيف، أو بركانٌ مدمّر. فمانجي تحكي لنا قصة فتاة من نيجيريا اغتصبت قهراً فحكم القاضي المسلم عليها بالجلد 180 جلدة. وهي قصّة وإن ذكرتها صحيفة فرنسية فإنها مشكوك فيها، أو على الأقل مبالغ فيها، لأن كلّ من له أدنى معرفة بالأحكام الشرعية يعلم أنّ واقعةً كهذه لا تُحدّ فيها المرأة إن ثبت أن المواقعة تمّت بالإكراه، وأنّ الحدود في الإسلام تُدرأ بالشبهات. ثم أيّ قاضٍ هذا الذي يحكم بـ 180 جلدة حدّاً للزاني وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [سورة النّور: الآية 2]



شعار الموقع



من الواضح أنّ الذي اختلق هذه الحكاية للترويج الإعلاميّ جاهل بأحكام الإسلام وإلا ما وقع في هذا الخطأ الجسيم. غير أن إرشاد مانجي هزتها هذه الواقعة وراحت ترددها من حينٍ إلى آخر في ثنايا فصول الكتاب، وكأنه لا يكفي مرة واحدة في مطلع كتابها.

في هذا الفصل تتحدّث عن تجارة الرقيق في السودان، ونسيت أنّ أسوأ استرقاق تمّ في تاريخ الإنسانية حدث عند أصحاب نعمتها، وأنّ الإسلام لم يُشرّع الرقّ ابتداء، ولكنه شرّع العتق. وإذا صحّ حدوث شيء مثل هذا في السودان أو في غيرها فذلك من جشع التجّار ولا شأن للإسلام به، فضلاً عن أن حكاية عودة الاسترقاق هذه لم تثبت بعد وأنها مجرد حكايات الله أعلم بصدقها وردت في بعض التقارير التي تزعم أنها تدافع عن حقوق الإنسان. وهكذا لكلّ ساقطة لاقطة. فهل تجرؤ إرشاد مانجي وأضرابها أن تتحدث عن حقوق الإنسان في سجون غوانتانامو أو في قاعدة باغرام مثلاً؟ هيهات.

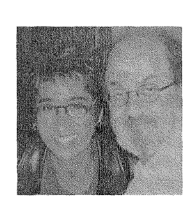
وأمّا مناسبة عنوان الفصل لمحتواه فقد شنّت الكاتبة هجوماً على عقيدة المسلمين التي تبشر الشهداء بالجنة والحور العين، وتقول: «إنّ هذه الدعوة القرآنية هي التي دفعت بمحمد عطا وأصحابه إلى تفجير مركز التجارة في

الحادي عشر من إيلول، طلباً لعذراوات يشبعن شبقهم المكبوت فتقول:

« اسمحوا لي أن أفكّ لكم مفاتيح هذه اللغة المألوفة في أفلام الدرجة الثانية: أن عطا والشباب كانوا يتوقعون أن يدخلوا بحرية مطلقة على عشرات العذراوات في الجنة. وهم ليسوا وحدهم في ذلك. فقبل شهر من 11 سبتمبر (ايلول) قال مسؤول عن كسبِ أنصارٍ لحركة حماس الفلسطينية التي تحولت من المقاومة إلى الإرهاب في تصريح لمحطة «سي بي اس» التلفزيونية إنه يلوّح بمرأى 70 حورية أمام المرشحين لتنفيذ عمليات انتحارية. يبدو الأمر وكأنه رخصة أبدية للقذف عند بلوغ الذروة الجنسية مقابل الاستعداد للتفجير (!!)، وقد زُعم (!) منذ زمن بعيد أن القرآن يعد بمجازاة المسلمين الذين يستشهدون»/

هذه هي اللغة السوقية الفاجرة التي تستخدمها الكاتبة.

وحتى تبيّن لنا فساد فهمنا لمفهوم (الحور العين) الوارد في القرآن، تقول لنا: «إن الحور كلمة معناها (العنب)، فيا خيبة أمل الشهداء الذين يطمعون في عذارى الجنة إذ لن يجدوا أمامهم إلا العنب يطفئون به شبقهم !! وهي تقرّ بغرابة هذا المفهوم، ولكنها تقول إنه فهم مبنيّ على دراسة لغوية عميقة قام بها باحث مرموق بألمانيا هو كريستوف لكسمبرج.



مانجي وسلمان رشدي



تقول: « ولكنه لدينا سبب للاعتقاد أن هناك متاعب في الجنة، فإن خطأ بشرياً وجد طريقه إلى القرآن. إذ تفيد الأبحاث الجديدة أن ما يمكن للشهداء توقعه مقابل تضحياتهم ليس حوريات، وإنما زبيبات! ذلك أن الكلمة التي قرأها فقهاء القرآن طيلة قرون على أنها كلمة «حور» قد تُفهم فهما أدق بمعنى «الزبيب الأبيض» (لا تضحكوا، ليس بإفراط على أية حال. فالزبيب في الجزيرة العربية خلال القرن السابع كان من الطيبات الثمينة بما فيه الكفاية لأن يُعتبر طبقاً من أطباق الجنة). ولكن أن يكون الزبيب هو المقصود بدلاً من الحور؟ حاش لله. كيف يمكن للقرآن أن يرتكب مثل هذه الغلطة؟.

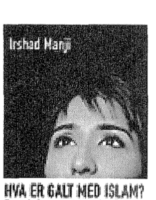
المؤرخ الذي يسوق هذه الحجة، كريستوف لوكسمبرغ Christoph Luxemberg، خبير متخصص بلغات الشرق الأوسط. وهو ينسب وصف القرآن للجنة إلى عمل مسيحي كُتب قبل ثلاثة قرون على ظهور الإسلام في شكل من أشكال اللغة الآرامية التي كانت على الأرجح لغة المسيح. وإذا كان القرآن متأثراً بالثقافة اليهودية ـ المسيحية ـ الأمر الذي ينسجم انسجاماً تاماً مع دعواه بأنه يعكس ما سبقه من كتب منزّلة ـ فإن الآرامية كانت ستُترجَم بيد بشرية إلى العربية، أو تُساء ترجمتها في حال كلمة «الحور» والله أعلم كم من الكلمات الأخرى». وتقول في الهامش في هذا الموضع :

«قال لي ضباط مخابرات في تورنتو يعملون مع خبراء بمكافحة الإرهاب في أنحاء العالم: إن الانتحاريين كثيراً ما يرتدون أكثر من لباس داخلي واحد أو يحشون المنطقة الحساسة من جسمهم بالجرائد لحماية أعضائهم التناسلية من

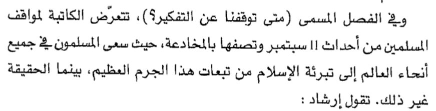
قوة الانفجار» !! ألف إشارة تعجب أمام هذا الكلام الغثّ لا تكفي. وهل نفهم من كلام المؤلفة أنها ضابطة استخبارات، أو على الأقل بدرجة متعاونة؟

والباحث الذي أشارت إليه هو شخصية مجهولة، والاسم الذي أطلِقَ عليه وهمي كما صرّح ناشر كتابه هانس شيلر صاحب (دار الكتاب العربي) بألمانيا. وهي لم تطّلع عليه في أصله الألماني لجهلها بالألمانية كما صرّحت بذلك في الهامش، ولكنها اعتمدت على العرض الذي قام به الاكسندر ستايل في صحيفة نيويورك تايمز، 2 مارس (آذار)، 2002، وهو بعنوان : آراء جديدة متطرفة، وأصول القرآن.

Alexander Stille, Radical New Views of Islam and the Origins of the Koran, New York Time.



وأحسن من تعرّضَ لكتاب لوكسمبرج الذي يحمل عنوان (قراءة سريانية آرامية للقرآن) الأستاذ فرنسوا دي بلوا Françoi de Blois في بحثه المنشور في مجلة الدراسات القرآنية Journal of Quranic studies,. V, Issue 1, 2003 وفيها يقول ردّاً على الكسندر ستايل : «وصفه لمؤلف الكتاب لوكسمبرغ بأنه عالم باللغات السامية القديمة بألمانيا ليس صحيحاً. فالمؤلف يتكلم العربية العامية (لغة الحوار)، وليس متمكناً من الفصحى، وله معرفة بالآرامية بالقدر الذي يعينه على استخدام القاموس الآرامي. وهو بريء من كلّ فهم حقيقي لمنهج علوم اللغات السامية المقارنة، وكتابه ليس عملاً علمياً ولكنه عمل هاوٍ غير محترف. كريستوف لوكسمبرج ليس ألمانيا، ولكنه لبناني مسيحي. ولا يحتاج كاتب أمريكي أو أوروبي في علوم اللغة، أو حتى في علوم العربية، إلى أن يُخفي هويته. ولا حقّ له في القيام بذلك».



وفي الفصل المسمى (متى توقفنا عن التفكير؟)، تتعرّض الكاتبة لمواقف المسلمين من أحداث 11 سبتمبر وتصفها بالمخادعة، حيث سعى المسلمون في جميع أنحاء العالم إلى تبرئة الإسلام من تبعات هذا الجرم العظيم، بينما الحقيقة غير ذلك. تقول إرشاد :

«أوضحتُ أن الخداع يتمثل في أننا بدلاً من الإقرار بوجود مشكلة خطيرة في جوهر هذا الدين، مضينا، بشكل معاكس، نسبغ رومانسية على الإسلام. وأن ضغط الآخرين من أقراننا لإيصال الرسالة - والرسالة هي أننا لسنا جميعاً إرهابيين - أغرانا باجتناب الجهاد الأكثر حسماً من كل أنماط الجهاد الأخرى: النقد الذاتي».

لا يكاد يخلو فصل من فصول الكتاب إلا وفيه كلام عن اليهود إمّا باعتبارهم جنساً متفوقاً، أو باعتبارهم أصحاب الفضل في كلّ ما حققه المسلمون من انتصاراتٍ حربية أو معرفية. فها هي هنا ترجع بالفضل في فتح الأندلس إلى اليهود، فتقول: «ابتهج اليهود عندما قام المسلمون بغزو القدس في عام 638

ميلادي وانتزعوا مدينة داود (!!) من البيزنطيين الذين دنسوا الأماكن اليهودية المقدسة باستخدامها مزابل يرمون فيها قاذوراتهم. وقد بادر المسلمون الظافرون إلى تنظيف المكان ودعوة العائلات اليهودية إلى العودة.

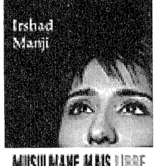
لاحقاً ارتقى اليهود بالتعاون إلى مستوى أعلى، وأخذوا يشاركون في العمل العسكري مع المسلمين. وإذ كان يهود اسبانيا يعانون في ظل الأسياد المتعصبين لمذهبهم الكاثوليكي، راحوا يتوسلون بمسلمي المغرب أن يحرروهم بالاستيلاء على شبه جزيرة ايبيريا. ونشأ تحالف غريب: جعل المسلمون من اليهود عيوناً لهم ضد أي زحف مباغتٍ عليهم يقوم به جيش البابا. وبالمعلومات التي جمعوها من اليهود سبى المسلمون اسبانيا في سنة 711 ميلادية».

هذا كلام لا يحتاج إلى تعليق. إنّ المصادر التي تعتمد عليها الكاتبة هنا يهودية الصنع خرجت من دور نشر يهودية، مثل كتاب :

Khalid Duran, Children of Abraham: An Introduction to Islam for Jews

(Hoboken, New Jersey: Ktav Publishing House/American Jewish Committee, 2001)

الذي أكثرت من النقل عنه وهو من منشورات اللجنة الأمريكية اليهودية والعجيب أنّ كل ما يأتي في هذه الكتب من خرافات تاريخية تمجّد اليهود تنظر إليها الكاتبة، ربما لجهلها بحقائق التاريخ ومناهج البحث، على أنها اليقين المطلق الذي لا يتطرّق إليه شك. وإلا من يُصدّق أن نصف سكان اسبانيا قبل الفتح الإسلامي كانوا يهودا؟ كما تزعم هذه الكاتبة الفذّة.



بدأت الكاتبة التي أصبحت وكأنها ناطقة رسمية باسم إسرائيل واليهود تحمّل الضحية إثم الجزّار وشرعت توجّه انتقاداتها الشرسة للفلسطينيين، أصل الداء والبلاء، الذين استكثروا على اليهود أن يقيموا وطنهم التاريخي على أرضهم الموعودة. أخذت تسلخ الفلسطينيين بألسنة حداد تارة، وتارة أخرى تستعير ألسنةً فلسطينية مهزومة لم تشارك يوماً في الدفاع عن وجودها، ألسنة تحمل الهويّة الإسرائيلية ممن تنازلوا عن حقهم التاريخي في البقاء فوق أرضٍ اسمها فلسطين، وشرعوا يدعون إلى التعايش السلمي وتحميل كلّ الإخفاقات الفلسطينية إلى المقاومة التي باتت في عرفهم إرهابا. وحتى تقف إرشاد مانجي (الباحثة عن الحقيقة !!) كان لا بدّ لها أن تزور إسرائيل لتقف عن كثب على حقيقة ما يجري. تقول إرشاد :

« وبوصفي صحافية ذات سمعة بفتح الأبواب على مصاريعها (!!)، وُجّهت لي دعوة لزيارة إسرائيل في صيف 2002. وإذ رحتُ أُفكرُ في العرض خطر لي شيء متميز على جانب من الأهمية. فالمسلمون يعاملون النساء معاملة فظيعة فظاعة معاملتنا اليهود ولكننا لا نحمّل النساء مسؤولية تقرحاتنا الجيوسياسية وركودنا الفكري. فهل يمكن لذي عقل يفكر بصفاء أن ينظر إلى إسرائيل على أنها تحمل مفتاح المرور إلى إصلاح الإسلام؟».

هذا هو أحد المفاتيح السرّية لفهم طبيعة هذا الكتاب. تستطرد المؤلفة قائلةً:

«لبيَّتُ الدعوة لزيارة اسرائيل بشرطين : أن يُسمح لي بطرح أيّ أسئلة أُريد طرحها، وأن أُساعد في تحديد برنامج الزيارة، وهما الشرطان ذاتهما على وجه التحديد اللذان ذكرتُهما لمنظمات عربية ومسلمة لدى استفسارها عن إمكانية القيام بمهمة مماثلة، ولم يصدر رد من هذه المنظمات... وإذ كانت الدراما العربية - اليهودية المشحونة بالعواطف الملتهبة شاخصة على الدوام أمام أنظارنا، قررتُ أن أرى بنفسي ما إذا كانت إسرائيل تستحق غضب المسلمين غضباً يشل الحركة. وإني لأتحدث عن الغضب الذي نستغله لتبرئة أنفسنا من المسؤولية عن وضعنا - حتى وضعنا في الغرب حيث ننعم بحرية مراجعة أعمالنا شأننا شأن سوانا. وإذا كنا نريد قَلْبَ ما في ذهن المسلم من لاتسامح فعلينا أن نفتح أبصارنا ونتساءل: هل إسرائيل حقاً ذلك الوحش كما نصوِّرها؟

طلبتُ من الصهاينة أن يحجزوا لي تذكرة طائرة..»



الخلاصة إن إرشاد مانجي وجدت دولة متسامحة، عيبها أنها تدافع عن وجودها ضد جماعات إرهابية، تتغذى وتتعشى بمفاهيم العنف والكراهية. وباختصار إن معضلة العرب والمسلمين الكبرى أنهم يُعلقون إخفاقهم وفشلهم على الغرب وأمريكا وإسرائيل !!

لقد أذهلتها حرية الرأي والصحافة في إسرائيل، فراحت تنقل لنا وقائع فردية لتبرهن على ما أذهلها، وكأنها نسيت أن هذه الأساليب المصطنعة يجري مثلها في البلدان العربية نفسها، وبناء على حكمها السطحيّ فإن هذه البلدان تنعم بحرية التفكير والإعلام الحر، مع أنها غارقة إلى أذنيها في القمع والاستبداد. تقول الكاتبة في مطلع الفصل الذي يحمل عنوان (بوابات وزنانير):

«قرأتُ عن عضو في الكنيست (البرلمان الإسرائيلي) أشار إلى أن البلد ليس بحاجة إلى مزيد من المهاجرين المتدينين من أميركا الشمالية. وقامت إحدى الصحف بتضخيم تصريحاته وتحويلها إلى زوبعة صغيرة. وزعم النائب لاحقاً أن ما عناه هم أولئك المهاجرون «المتطرفون في تدينهم». على أية حال، فإن القوانين الإسرائيلية تكفل حرية التعبير، ولهذا مغزاه.

استمتعتُ على الأخص بقراءة افتتاحيات الصحف التي كان اختيارها لمواضيع تعليقاتها يشير إلى وجود صحافة حرة للغاية. خذوا صحيفة هآرتس، التي هي بمثابة نيويورك تايمز الإسرائيلية. فهي وجهت انتقادات لاذعة إلى مشروع تقدمت به الحكومة لتخصيص أراضٍ تملكها الدولة من أجل بناء مدنٍ يهودية حصراً. أتعرفون كيف وصفت هآرتس مشروع هذا القانون؟ وصفته بالمشروع «العنصري»، ونشرت الصحيفة هذا النعت في العنوان البارز: «مشروع قانون عنصري». بلا تلطيف، وبلا تحفظ، وبلا اعتذار. وصُرِف النظر عن مشروع القانون بسبب ما تعرض إليه من انتقادات حادة في إسرائيل » وهذا الذي

أشارت إليه المؤلفة كذبته الوقائع والأخبار حيث لم يتوقف الاستيطان، وتجريف أراضي الفلسطينيين لإقامة مستوطنات جديدة تستوعب المهاجرين الجدد». وفي الفصل المعنون بـ (مَن يَخون مَن؟) تستفتح المؤلفة كلامها بنكتة سمجة، تقول إرشاد مانجي :

«ثمة نكتة يتناقلها الفلسطينيون تذهب إلى أن عرفات يموت شهيداً وينتقل إلى الجنة. وهناك يجد حشداً من الشهداء مثله يتجمعون على باب الجنة في لهفة للمطالبة بما وُعدوا به من عذراوات ونبيذ. ولكن الملائكة منعتهم من الدخول.

وعندما يرى الجمع الساخط عرفات يتنفسون الصعداء ويأخذون في طمأنة بعضهم بعضا قائلين، «ها هو رئيسنا وسيتدخل لحل الإشكال».

عرفات يسأل مرتبكاً : «لماذا لستم في الداخل؟». فيخبره فتيانه: «إن أسماءنا ليست على القائمة. وليس لديهم شيء اسمه «فلسطينيون». فيتوجه عرفات نحو الشباك ويقدم نفسه إلى الملاك الذي يعمل كاتباً هناك على أنه قائد الشعب الفلسطيني.



يتساءل الملاك الإداري، «مَن؟»

يزمجر عرفات، «الشعب الفلسطيني !»

يُقلِّب الملاك الكاتب قائمة المؤهلين لدخول الجنة ثم يهز كتفه معبراً عن الأسف. يطالب عرفات بمقابلة الله. يعود الملاك إلى الداخل لإبلاغ الله أن أحداً على الباب يصرخ أنه وشعبه شهداء ويريدون حقهم بمكان في الجنة. ويضيف الملاك، لكنهم ليسوا على القائمة».

يسأل الله : «أمتأكد أنت؟».

يُجيب الموظف البيروقراطي الملائكي، «لا أعرف كم مرة دققتُ».

يُفكر الله ملياً ثم يتوصل إلى قرار: «لماذا لا تطلب من الملاك جبرائيل أن يُقيم لهم مخيماً حتى نجد حلاً مناسبا لهم».

وهنا تأتي الضربة التي يُفترَض أن تثير الضحك: «الفلسطينيون لاجئون دائمون، في السماء كما في الأرض».

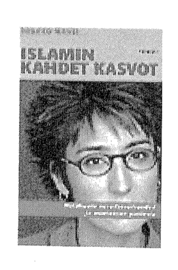
هذه النكتة تعبر عن شعور الفلسطينيين المرير بأن لا أحد يريدهم، ولا حتى «الأمة» العربية المجيدة. بل يمكن القول إن الفلسطينيين هم يهود العالم العربي».

وبعد هذا الهراء تشرع الكاتبة المتميزة في إضفاء الشرعية الدينية والأخلاقية على إسرائيل، محمّلة مشكلة النازحين الفلسطينيين إلى الشعوب العربية التي رفضت أن تقرّ بحق إسرائيل في الوجود. تقول إرشاد :

«متى وصل اليهود إلى هناك؟ أليس من الجائز أن اليهود كانوا دائماً هناك؟ يجنح المستوطنون حديثو العهد في الضفة الغربية إلى إثارة استنكار بالغ من موقفهم، يستحقونه في غالب الأحيان بسبب مستوطناتهم غير المشروعة. ولكنَّ

ثمة وطناً في مكانٍ ما هنا. والنواح الزاعق بأن اليهود مغتصبون غرباء لفلسطين ينطلق من جهل لا يقل جهلا عن الهذر الصاخب بأن لا مكان للعرب في اسرائيل.

إذا، كيف أصبح الفلسطينيون لاجئين منبوذين حتى داخل العالم العربي؟ من خلال ويلات الحرب. نزاع أشعلته البلدان العربية التي لم تتمكن من استساغة وجود إسرائيل بينها. فبعد يوم واحد فقط على إعلان دولة إسرائيل في عام 1948 غزت خمسة جيوش عربية إسرائيل، وصارت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين مشكلة خطيرة. في بعض المدن عمد القادة العسكريون الاسرائيليون إلى تشريد السكان العرب مدفوعين بإستراتيجية مثيرة للجدل تحت اسم «خطة داليت» Dalit Plan . ولم يعد بإمكان إسرائيل أن تنكر ما أنزلته من مآس بحق الفلسطينيين. ولكن في مدن أخرى وُجهت دعوات إلى العرب للبقاء، وكثير منهم بقوا ليقبلوا بنيل الجنسية الإسرائيلية. فلسطينيون أكثر بكثير اختاروا الرحيل، متوقعين بكل ثقة أن يعودوا بعد رمي اليهود في البحر. هؤلاء اللاجئون نزحوا ليس بأمر من الإسرائيليين وإنما من العرب».



وعن خذلان العرب لفلسطين حسب المنطق الإسرائيلي الأمريكي الذي يُراد له أن يكون مبرراً لاجتثاث الفلسطينيين من أراضيهم، تقول الكاتبة :

«هاكم مقياساً آخر لنفاق العرب. فعلى امتداد سنوات كانت الكويت تتبرع لوكالة الأمم المتحدة المسؤولة عن رعاية اللاجئين الفلسطينيين أقل مما تتبرع به إسرائيل. . والعربية السعودية أيضاً كانت تنفق عليهم أقل مما تنفق اسرائيل، حتى أخذت عائدات النفط بالتدفق. واليوم؟ رغم خزائنها العامرة بالمال والمساحات الشاسعة من الأراضي الفائضة يرفض السعوديون منح الجنسية لأي من الفلسطينيين. ولكنهم يبثون برامج تلفزيونية ماراثونية لجمع التبرعات بالملايين من أجل تمويل عمليات التفجير التي ينفذها انتحاريون. كما أنهم يكافئون عائلة مَنْ ينجح في تنفيذ عملية تفجير برحلة إلى مكة، يتحملون تكاليفها كاملة».

هذا بعضٌ من المنطق المتهافت الذي يحكم كتاب (المشكلة مع الإسلام اليوم)، وفيه ما أشد وأنكى مما يدلّ على مبلغ الإسفاف والانحطاط الذي حاق ببعض الكتّاب الخاملين الذين رضوا أن يستخفوا بأمتهم محقرين تراثها وتاريخها ثمناً لإقامةٍ في أمريكا، وما أبخسه من ثمن!!

عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ

تأليف : أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي
(المعروف بالسمين)

تحقيق : الدكتور عبد السلام أحمد التونجي

الناشر : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

أربعة مجلدات / 2950 صفحة / قطع متوسط

معجم لغوي خاص بالقرآن الكريم، يتناول الألفاظ القرآنية بالدرس والشرح على وجه التفصيل تفسيراً، وقد اتبع المؤلف في ترتيبه منهج المعاجم المرتبة على حروف الهجاء الألف بائي، معززاً شرح اللفظ بالشواهد القرآنية والحديث الشريف والأمثال والشعر. فالمؤلف يقوم بتحليل اللفظة مجردة من المزيد،ويتعرض لأصولها ولاشتقاقاتها وتطور معناها ولاختلافه من حيث الاستعمال،بمعنى أن المؤلف يتابع اللفظ صرفياً وأصولياً، ولا يألو جهداً في عرض اللفظ من نواحيه كافة وأبعاد معانيه، ولهذا فهو ربما يفوق كتاب المفردات للأصفهاني ـ على رأي المحقق ـ لأنه قد أكمل النواقص الواردة في القراءات، وسدد المآخذ التي أخذها عن الأصفهاني في هذا،والمؤلف في استقصائه مع شمول المعاني واختلافها، يعتمد على الشواهد التي ترد الكلمة فيها، ولعل مرد ذلك علمه أن التفسير المجرد لا يوضح الفروق بين المعاني المختلفة للفظ الواحد، كما لا يوضح معناها توضيحاً كاملاً . وعلى هذا فإن أهمية هذا الكتاب تظهر جلية واضحة،ذلك لأن اللفظ المراد تفسيره يتعلق بأفضل كتب الله الجليلة، أنزله الله على خير خلقه قرآناً فارقاً بين الشك واليقين.

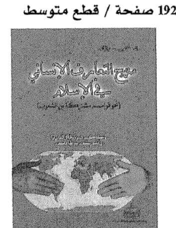
منهج التعارف الإنساني في الإسلام

(نحو قواسم مشتركة بين الشعوب)

تأليف : الدكتور حسن الباش

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

192 صفحة / قطع متوسط



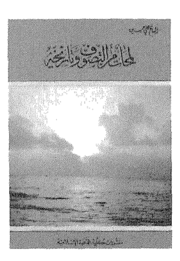
ينطلق المؤلف من أن التعارف مبدأ إسلامي ورؤية للمستقبل الإنساني . فدعوة القرآن الكريم للتعارف تعني تماماً إيجاد القواسم المشتركة بين بني البشر، وهي تنبيه واضح لهذا المخلوق، حتى يدرك طبيعته العقلية والنفسية أولاً، ثم طبيعته الإنسانية الشمولية ثانياً، ثم دوره في الاستخلاف وتعمير الدنيا ثالثاً . ولا ريب في أن التعارف المتوازن المتوازي القائم على الاحترام المتبادل سيؤدي إلى كثير من النتائج والآثار الطيبة، التي قد لا تبرز بسرعة، لكن التعارف كمفهوم وآلية، يحفر مجراه في العقول والنفوس والسلوك، ومهما طال الوقت فإن الآثار ستظهر، وسيدرك أبناء البشرية أن هذا التعارف أمر أراده الله سبحانه وتعالى ، وكلف به الأنبياء والرسل جميعاً.

لمحات من التصوف وتاريخه

تأليف : الدكتور السائح علي حسين

الناشر: كلية الدعوة الإسلامية

356 صفحة / قطع متوسط



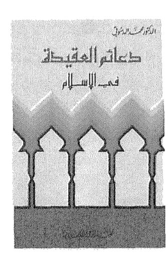
استطاع التصوف أن يصمد في وجوه المتصدين له من فقهاء وغيرهم، وأن يحيا في بيئات مختلفة زماناً ومكاناً وفكراً وحضارة، وأن يقدم بكل جرأة تفسيرات عرفانية للكون والوجود على أسس من المعارف القلبية والشهود الحضوري والذوق والإشراق وما إلى ذلك. وهذا الكتاب يعالج موضوع التصوف ـ تاريخاً وفكراً ـ بزاد معرفي ورؤية تحليلية شاملة واستنتاجات دقيقة، ويستعرض مراحل التصوف وما أثير حوله من شبهات وما شاب بعض مراحله من غموض، وما صدر في حقه من أحكام تثير الحيرة لتضاربها . إنها لمحات ـ كما ورد في العنوان ـ ولكنها لمحات جادة تميزت بالعمق في البحث، والموضوعية في التناول، والإنصاف في استصدار الأحكام، والدراية الكاملة بأسباب ظهور هذه الحركة وما صاحبها من مد وجزر، وقوة وضعف، وما تسرب إليها من أفكار وآراء . كما تحاول هذه اللمحات أن تقوم برصد دقيق لما كان وافداً من أفكار أو نابعاً من الصوفية أنفسهم الذين كانوا ينتمون إلى بيئات ثقافية وحضارية مختلفة حاولوا أن يطبعوا اتجاههم الجديد بما معهم من معارف .

دعائم العقيدة في الإسلام

تأليف : الدكتور محمد الدسوقي

الناشر: كلية الدعوة الإسلامية

229 صفحة / قطع متوسط



في هذا الكتاب يحاول المؤلف الحديث عن أهم مبادئ الإسلام وفق عرض مختصر يكشف عن القواعد الكلية، والدعائم الأساسية لهذه المبادئ، بعيداً عن الفروع والخلافيات، حتى يستطيع التأكيد على أن هذا الدين الذي ارتضاه لنا ربنا دين الفطرة والحياة، وأنه جاء للناس كافة . والمؤلف يخاطب في القارئ العقل قبل الوجدان، والفكر قبل الشعور، لكي يقنعه بجدوى ما يحدثه عنه، دون لإطناب أو إسهاب، ما يمكن أن يُسمى بفلسفة هذا الدين، أو مناط عمومه وخلوده وصلاحيته الدائمة للتطبيق .

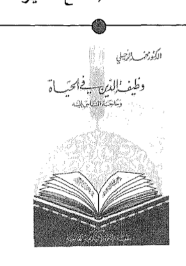
ويتناول الكتاب مواضيع : العقيدة والشريعة والأخلاق والعلم والأسرة والحكم والمال والعلاقات الدولية والجهاد والمجتمع .

وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه

تأليف : الدكتور محمد الزحيلي

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

143 صفحة / قطع صغير



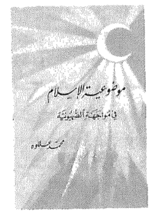
وظيفة الدين في الحياة مهمة وخطيرة وضرورية، حيث يظهر أثره واضحاً في حياة الفرد والمجتمع، كما تظهر بواعثه الفطرية في النفس الإنسانية، والإنسان لا يؤدي غرضه في هذه الحياة ولا يستكمل لإنسانيته ولا ينعم بالتوازن والاستقرار إلا بالتدين، فالدين جزء من فطرة الإنسان وطبيعته، ولا يمكن لإنسان سوي عاقل أن يستغني عن جزء من فطرته وكيانه . وفي هذا الكتاب حديث عن مفهوم الدين الذي ننشده ونعنيه، وحديث عن بواعث التدين الفطرية لمعرفة العلاقة بين الدين والفطرة، وحديث عن وظيفة الدين في حياة الفرد، ووظيفته في حياة المجتمع، كما يتناول المؤلف في فصل مستقل العلاقة بين الدين والعلم . والمؤلف يسعى في هذا العرض إلى أن يجمع بين الدراسة الفكرية النظرية الفلسفية العقلية، وبين الدراسة الشرعية التي تعتمد على الأدلة الشرعية والبراهين النقلية من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، كما يحرص على اقتباس أقوال العلماء المعاصرين الذين بلغوا الذروة في اختصاصاتهم المتعددة.

موضوعية الإسلام في مواجهة الصهيونية

تأليف : محمد عللوه

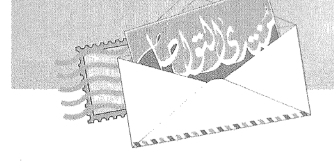
الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

185 صفحة / قطع صغير



يناقش هذا الكتاب فكرتين رئيسيتين : العقلانية والصهيونية. فالعقلانية حركة انتهى إليها الغرب بعيد خلاصه من الكنيسة، وراح يطبقها على كل العلوم والمعارف والآداب والفنون والأديان، فخرجوا بها عن مسارها الصحيح وغاياتها النبيلة، لتؤدي إلى مجتمع الضياع والحيرة والتمزق.

أما الإسلام فكان يملك في عقلانيته منهجاً سديداً رائداً في التطبيق، ألا وهو كتاب الله عز وجل، وثمراته حضارة إسلامية عريقة مازال المنصفون من المستشرقين يتغنون بجمالها. ويتطرق الكتاب إلى الصهيونية ليثبت ـ بالدليل القاطع ـ أنها هي التي كانت وراء نشر كل تلك المفاهيم الخاطئة، التي تعمدت بها ضياع الإنسانية وتحللها من كل القيم النبيلة، فيما رسموه في بروتوكولاتهم، والتي عملت ـ وما تزال تعمل ـ على خلق الفتن والحروب والدمار وإهدار كرامة الإنسان.



استقبلنا بكل فرح وسرور صدور المجلد الأول للمطبوعة الثقافة الفكرية الشاملة (التواصل) وداعبت صفحاتها حنايا العقل والوجدان، وارتسمت معاني كلماتها عبر سطور الأبحاث والدراسات والمقالات، وعبر القضايا والآراء والاستطلاعات، لتضيف إلى المشروع الثقافي الذي بدأت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في وضع ملامحه الأساسية على مدى أكثر من ثلاثة عقود، ليس على مستوى العالم الإسلامي فقط وإنما على مستوى المنظومة الكونية بأسرها.. لتؤكد في هذه المرحلة الخطيرة من مسيرة البشرية أهمية التواصل على مستوى الفكر والحوار والثقافة مع الآخر، وإلغاء القطيعة التي تشكلت في الفكر الإنساني منذ عصر الظلام (العصور الوسطى) وانعكست تداعياتها على منظومة الفكر والحوار والسياسة في العالم حتى يومنا هذا. جاءت هذه المطبوعة الثقافية الشاملة (التواصل) لتؤكد من جديد أهمية الحوار لتحقيق التواصل والتمازج في عالم الفكر والثقافة مع مختلف الثقافات والتيارات، وهي في ذلك إنما تؤسس لروح موضوعية جادة وحقيقية بعيدة عن الانكفاء والتقوقع الفكري، متجاوزة في ذلك كل الاختلافات المذهبية والسياسية، وفى إطار من الإدراك الشامل لفلسفة الاختلاف وأبعادها !!

وفي سياق هذا الهدف الذي رسمته «التواصل» جاءت الأعداد الأربعة بمنزلة أداة الحفر في جذور التاريخ والحضارة الإنسانية، ومدى انتشارها من مكان إلى آخر بين الشرق والغرب، وهي ترفض في ذلك أوهام الزمان التي صاحبت مركزية الغرب وتبعية الشرق .. جاءت (التواصل) لرفض أشكال التغريب والاستلاب للعقل البشري وتوظيفه بإحداث القطيعة بين الإنسان والإنسان في كل مكان وعبر تقنين حركة التاريخ وتطبيعها.

وفي سياق هذا الهدف لم تطمح (التواصل) إلى تفنيد أسطورة الغرب - كما تعودت العديد من المطبوعات الباحثة في هذا المجال - بل كانت كما جاءت أبحاثها ودراساتها محاولة لإدراج تلك الرؤية النقدية في إطار تغيير شامل للبنى العقلية الفكرية، من خلال بعث روح التنبه للبشرية عامة، كي تدرك مسئولياتها في بناء الحضارة الإنسانية من جديد، متجاوزة سلبيات العصر، ومنطلقة بالكلمة الهادفة إلى آفاق أكثر إشراقاً وتألقاً.

(التواصل) كانت تحمل إشارات وتلويحات لتكون نقطة البدء لمرحلة جديدة تمثل دراسات نقدية تسعى لتطور الفكر على أسس من الاعتراف بالآخر والتواصل معه، وترفض بين ثناياها النكوص للماضي أو تقليد الحاضر دون معرفة لتركيب نسيج العقل الإنساني بأكمله على الكرة الأرضية، والتواصل معه عبر الزمان والمكان.

بوعي حقيقي وأصيل جاءت (التواصل) ووسط صراع فكرى وسياسي دام ومحموم وواسع المدى جاءت (التواصل)..

وبفرح طفولي.. وشوق معرفي.. وعناق عقلي.. كان الاحتفاء بـ (التوصل) لرغبة الجميع في المزيد من التواصل.

د. سالمة عبد الجبار

جامعة الفاتح / طرابلس - ليبيا

تدلك إلى سبيل الرشاد ؟ أم هي صرخة في واد ؟

بصدور العدد الخامس منها تدخل مجلة (التواصل) عامها الثاني بعد أربعة أعداد رائعة رائقة، تصدر المجلة عن جمعية الدعوة الإسلامية ورئيس تحريرها د. عبد العاطي الورفلي، يحمل العدد الخامس تاريخ شهر مارس/ الربيع 2005 ف، ويتكون من 228 صفحة.

يمكنك حين تقرأ الافتتاحية التي كتبها علي الويفاتي أن تعرف معنى صدور مجلة (التواصل)، وبالنسبة لنا كأدباء وصحافيين هو أن صدور مجلة (التواصل) بهذه (النوعية) يعني أن الليبيين قادرون على إصدار مجلات قيمة، بل قد يعني إذا استمر هذا (التواصل) بهذا المستوى فإنه يعني أن المجلات الشهرية والفصلية العربية سوف تجاهد لكي تضاهي (التواصل).

في المجلة استطلاع عن جزر المالديف استغرق 31 صفحة، وهذا استغراق مبالغ فيه مثل مبالغة الاستطلاع في عرض ثلاث صور لمسجد واحد، أما الحوار مع د. محمود أيوب فهو دليل على بساطة هذا الدكتور وعادية الخواطر التي قدمها، لكن المتوقع والمفترض هو أن يكون المثقف المسلم على الجبهة الأمامية أكثر عمقاً ودقة، وأبعد عن اللغة الإنشائية، الترويجية، لكن الإنشائية المفتقرة إلى الضعف في ما قدّمته د. فوزية عشماوي على الصفحات ابتداء 122 وهي تحاول أن تقول شيئاً (أي شيء) عن واقع المرأة المسلمة الراهن، كذلك الأمر عند شيخ مشائخ الطرق الصوفية في مصر محمود حسن الشناوي وهو يتحدث في ص 116 عن التصوف، فيظهر أن القارئ العادي ربما يعلم عن التصوف أكثر مما يدركه شيخ المشائخ.

في صفحة 36 يتساءل الكاتب السوري عمر لطفي العالم (ترى هل سمع أحدنا بحاكم تدخل في مسألة تخص الذوق والمشاعر والإبداع ؟) فما أسهل الرد على هذا التساؤل (نعم.. سمع أحدنا.. وسمع المئات منا) فمنذ أن حكم معاوية دمشق والطغاة العرب من مراكش إلى البحرين لا يكفون عن التدخل في النشاط الأدبي والفني والفكري، لا يوجد دكتاتور عربي واحد ومنذ مقتل علي بن أبي طالب لم يقمع الإبداع بكل حرص وشدة.

كذلك لم يشجع حرية التعبير وقيام الجهود الفكرية ديكتاتور عربي واحد.. إنها وثائق التاريخ تقول ذلك عبر الزمان والمكان...

فتاريخ الحكام العرب تاريخ أسود.. إنه تاريخ الظلام.. ثم يقول هذا الكاتب وهو من سوريا (إن معظم الأعمال الخالدة تمت إما بإيعاز أو بإشراف من الخلفاء أنفسهم)...

إن هذه الدعاية المجانية لا تمثل جهلاً بل هي محض افتراء... وفي أعلى صفحة 36 يتكئ هذا (العالم) على زيجريد هونكه، فإن كانت هونكه تعني تسامح من نصبوا أنفسهم خلفاء من طغاة وجلادين وعلى وجه الخصوص (خلفاء) الاستعمار التركي (المسمى بالعثماني) فقد ضلت ضلالاً مبيناً، وما كانت هونكه لتقع في هذا الانحراف الأخلاقي، لكن عمر لطفي العالم (وهو سوري) هو الذي يدفع بنفسه ليصبح من فقهاء الدكتاتور المسلم الذي أنعم على بعض المنافقين بالتمرغ عند أقدامه... أو قل عند الدرك الأسفل من النار.

❖ في العدد إيجابيات.. منها الصور والطباعة والأناقة والإخراج، ومنها صحة اللغة، ومنها كذلك عرض لكتاب (لم نكن نحن) لباحثة أسبانية (صفحة 208) ومنها كذلك عرض لكتاب (الأحمدية) وهو كتاب يعرف القارئ بحركة ماسونية مضادة للأخلاق هي القاديانية الفاسقة.. إنها دائما نفس الحركات المكرسة لاستبداد الحاكم الفرد المرحبة بجيوش الغزاة.. حركات يتزعمها من غير العرب من يتعدى في كل زمان ومكان على الإسلام.. دين العرب.. كذلك عرض كتاب (من نحن ؟) لصاحب كتاب صدام الحضارات.. وحديث لتوماس كارلايل عن (محمد الرسول) إلى جانب مقتطفات من رأي الكواكبي حول (طبائع الاستبداد) وهو الكتاب الذي كان صرخة في واد، لكنها قد تذهب غدا بالأوتاد.

نجاة أحمد خليل

صحيفة الفاتح / العدد 602 ـ 6 / 6 / 1373

من وفاة الرسول ﷺ (2005 مسيحي) ـ ليبيا

أعيد نشرها بإذن من صحيفة الفاتح


وتبقى «التواصل» بهجة ليبية

كتبتها: لطفية القبائلي

وتبقى التواصل بهجة ليبية

ويتواصل التواصل مع (التواصل)، هذه المطبوعة الأنيقة الجامعة المميزة في منهجها. مما يستدعي الاهتمام والانتباه في التواصل هو طرح المواضيع والقضايا الجامعة، تقرأ فيها حوارات الساعة والمناقشة والرأي والتحليل بروح موضوعية دون انحياز أو تعصب، حيث يحتل الحوار بين الأديان والثقافات اليوم مكانة رئيسية ضمن اهتمامات السياسة العامة على الصعيد الدولي، من أجل مكافحة مظاهر التعصب، كقاعدة لتأمين السلام والتعاون والتنمية.

والتواصل أفردت مكانا للبحث والمقال والفلسفة، كما أفردت صفحات للفكر.

ففي التواصل تجد أعمالاً للفكر والإحساس معاً، وبهذا الإحساس والفكر تدخل التواصل عامها الثاني بنجاح متمكن.

والتواصل تستنطق الحاضر.. فالحاضر كل ما يبقى خالدا من الماضي زائدا المعاصرة والفعل اليومي.

والجميل في (التواصل) أنها تجمع التاريخ مع التاريخ الأيام ذات الفعل الغني حضاريا والمؤثر في بنيان العقل والثقافة، ولأنها تحتوي مهمتها الصحفية فهي تستهدف التنويع بتقديم ما يوازي وينافس أرقى الصحف، فهي تعنى بنشر المقالات والبحوث عن الجوانب المختلفة في الإبداع الحضاري منذ أقدم العصور، مع إبراز جوانب الفكر والأدب، وغيرها من عناصر الفعل الحضاري المعاصر. وهذا الربط الجدلي بين الماضي والحاضر ليس انتباهة عارضة من (التواصل) بل توجهاً يقينياً يزدان بتخطيط يعمل بإحكام السيطرة بين طرفي معادلة (المعاصرة والتراث).

ومن الواجب الإشارة هنا في عجالات تلخيصية يسيرة لمواد (التواصل) بدءا من الافتتاحية الجميلة الممتعة للأستاذ علي محمد الويفاتي (التواصل.. أصل الحكاية) إلى استراحة الصفحة الأخيرة التي تناول فيها الأستاذ الدكتور محمد بلاسي الحضارة الإسلامية بين النقل والإبداع.

وعبر فسيفساء رائعة من التقارير والمقالات والدراسات والملفات والحوارات والاستطلاعات والواحة ونسخة الكتب ثم منتدى التواصل.

ففي مجال التقارير قرأت في التواصل خبراً ساراً يتعلق بمجال التعاون بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومنظمة اليونسكو، وهو إنجاز لعمل موسوعي يتكون من ستة أجزاء يتناول الثقافة الإسلامية بكل مظاهرها، وهذا العمل يهدف إلى إبراز إسهامات المسلمين في بناء الحضارة الإنسانية، وتوثيق إنجازات العلماء المسلمين في شتى ميادين العلم والمعرفة، بالإضافة إلى تمويل موسوعة إعادة كتابة تاريخ الانسانية الذي يضطلع المجتمع الدولي بإنجازه من خلال منظمة اليونسكو والذي مولت الجمعية الجزء الرابع منه بالكامل وهو الجزء الذي يتناول تاريخ الإسلام.

ولا تفوتني خلجات (التواصل) وهي تطوي عامها الأول حيث يكتب د. عبد الفتاح أحمد أبوزايدة أن المحاور التي رسمت لتكون مشاريع كتابة في هذه المجلة المتنوعة تصل إلى مستويات القراء بحسب الثقافة والمعرفة، وليس من اليسير على مجلة تخطو نحو عامها الثاني أن تحقق هذا الطموح إلا أن يكون وراءها عمل مستمر وبحث جاد عن أقلام مستنيرة تسهم في إثراء حركة الوعي، وتريد لهذا العالم الخير والسعادة، وللإنسان السكينة والطمأنينة.

وبهذا الهدف والبحث الجاد حققت (التواصل) طموحها، وبهذه الأقلام المستنيرة والعاملين فيها حققت التواصل نجاحها واستنطقت مهمتها الجليلة.

وستبقى التواصل مجلة بهجة ليبية يسرنا استمرارها وانتشارها والتواصل معها.

لطفية القبائلي

صحيفة الشمس / العدد 3664 ـ 7 / 6 / 1373 من وفاة الرسول ﷺ (2005 مسيحي) ـ ليبيا

أعيد نشرها بإذن من الكاتبة



الصديق بشير نصر*

ثقافة الوهم وسيف ديموقليس **

يحكى أن رجلين ترافقا في سفر، حتى إذا أشرفا على وادٍ يحيط به جبل، قال أحدهما : أتمنّى لو كان لي ملء هذا الوادي شياهاً ونَعَما.

وقال الآخر : أمّا أنا فأتمنّى لو كان لي بعدد أحجار هذا الجبل ذئابا، فتعدو على أنعامك فتفترسها.

تخاصم الاثنان وَسَلاّ سيفيهما وشرعا يتقاتلان حتى مرّ بهما رجلٌ يحمل على رأسه قربةً من سمن، فاحتكما إليه وكلّ منهما يرجو الإنصاف.

فما سمع الرجل حكايتهما حتى استلَ خنجره، وقال : ليسيلُ دمي مثل هذا إن لم تكونا أحمقين.

وضرب الرجل قربته فسالَ السمنُ على وجهه.

خصام على وهمٍ يفضي إلى اقتتال، وكم في حياتنا من اقتتال لا نعرف له علّة ! يحدث هذا عندما يسيطر الوهم ويتجسد، ويصير حقيقة حتى يصبح نعتُ الوهم بالوهم وهما، ويترسخ أكثر عندما يُحتكم إلى من هو أكثر حماقة، وحينئذ تُسَبّ الفضيلة، وتُحَقَّرُ المعرفة، ويُشَوَّه الجمال، ويصبح ذلك أمراً مقبولاً بحكم الإلف والعادة. وأما أن تتحول الأشياء إلى أضدادها، فتلك لعنة لايمكن الخلاص منها، لأنها علّة تستحكم بالعقل والسلوك، فما يعود العقل يحسن الحكم على الأشياء، وما يعود السلوك ينقاد إلى فضيلة. وإذا فقدت الأمة عقلها فقد أضاعت رشدها، وإذا أضاعت رشدها استخفت بها الأمم !!

ومن هنا يأتي دور المثقف ليعيد إلى مجتمعه التوازن والوعي، لا بمجرد نعت الوهم، ولكن بتسليط الضوء عليه، ومحاصرته، حتى لايستشري فيتحول النزق إلى رشد، والهزيمة إلى نصر، والعيّ إلى فصاحة وبيان، والجبن إلى شجاعة، والتخاذل إلى بطولة، والجهل إلى معرفة !!

في غياب المثقف يتحول النقد إلى نوع من التفريط المسف، فيصير الشُّعرور شاعرا، والكويتب كاتبا، ويُهرع كل من هبّ ودبّ لينال حظه من هذا الافتراء، وما يمنعه من ذلك ومن هم دونه ناطحوا هام السحاب ؟

في غياب المثقف تسود ثقافة الوهم التي تدفع أشباه المثقفين إلى محاولة قيادة الأمة وإدخالها في الوهم من جديد باعتباره نتاجا طبيعيا لغياب المثقف الفاعل.

والشعوب التي يروجُ فيها لثقافة الوهم بشكل رسمي، وتجند الدولة كلّ مؤسساتها لتجعل لبضاعتها الرديئة سوقا نافقة، ليس لها مستقبل.

وإذا كُتب لها الحياة ستكون حياة وضيعة زريّة خالية من المعنى، ولعلها تكون أقرب إلى حياة الدواب منها إلى حياة البشر.

لا نريد أن يتحول الوهم في حياتنا إلى سيف أشبه بسيف ديموقليس، يهدد بقطع رؤوسنا كلما فكرنا أن نتحرر منه، الواقع الراهن يلح على المثقف لكي يتبوأ مكانته الجديرة به، والجدير بها ليصحح موقف الحكم في تلك الحكاية لا ليكون أكثر حمقاً بين رجلين أحمقين، لا ليضرب قربته بسيفه فيسيل السمن، ولكن ليقول صوابا.. ويتواصل مع مجتمعه فاعلاً، مستشرفاً آفاق المستقبل المشرق.

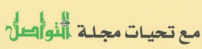
---

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي/ ليبيا

** ذلك السيف الذي تقول الأسطورة أن الملك ديموقليس علّقه فوق عرشه وشدّه بخيط رقيق كالشعرة، فلا يجرؤ أحد عداه أن يتربع فوقه مخافة أن يهوى على رأسه، فلا يملك الا الفرار منه.



سورينام تاريخ.. وواقع







تنفيذ وطباعة : شركة الآن للطباعة والنشر